



مجلة العلوم الإنسانية

علمية محكمة - نصف سنوية

Journal of Human Sciences

تصدرها كلية الآداب / الخمس

جامعة المرقب. ليبيا

Al - Marqab University- Faculty of
Arts- alkhomes

25

العدد

الخامس

والعشرون

سبتمبر 2022م

تصنيف الرقم الدولي (2710-3781/ISSI)

رقم الإيداع القانوني بدار الكتب الوطنية (2021/55)

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْ اِلَيْهِمْ فَسْأَلُوْا

اَهْلَ الذِّكْرِ اِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ ﴾ ﴿٤٣﴾

(سورة النحل - آية 43)

هيئة التحرير			
رئيساً		أ. د. عبد السلام مهنا فريوان	
عضواً	د. فوزية محمد علي مراد	مديراً	د. أنور عمر أبوشينة
عضواً	د. شعبان علي أبوراس	عضواً	د. عبد المولى محمد الدبار
عضواً	د. أحمد مريحييل حريش	عضواً	أ. عبدالله محمد ضو

المجلة علمية ثقافية محكمة نصف سنوية تصدر عن جامعة المرقب/ كلية الآداب الخمس، وتنتشر بها البحوث والدراسات الأكاديمية المعنية بالمشكلات والقضايا المجتمعية المعاصرة في مختلف تخصصات العلوم الإنسانية.

كافة الآراء والأفكار والكتابات التي وردت في هذا العدد تعبر عن آراء أصحابها فقط، ولا تعكس بالضرورة رأي هيئة تحرير المجلة، ولا تتحمل المجلة أية مسؤولية تجاهها.

تُوجّه جميع المراسلات إلى العنوان الآتي:

هيئة تحرير مجلة العلوم الإنسانية

مكتب المجلة بكلية الآداب الخمس جامعة المرقب الخمس /ليبيا ص.ب (40770)

هاتف/واتساب (00218925217277 د. أنور)

(00218926861809 د. عبد المولى) - أو (00218924778614 د. فوزية)

البريد الإلكتروني: hsj@elmergib.edu.ly

قواعد ومعايير النشر

- تهتم المجلة بنشر الدراسات والبحوث الأصيلة، التي تتسم بوضوح المنهج، ودقة التوثيق في حقول الدراسات المتخصصة في اللغة العربية، والإنجليزية، والدراسات الإسلامية، والشعر والأدب، والتاريخ والجغرافيا، والفلسفة وعلم الاجتماع، والتربية وعلم النفس، وما يتصل بها من حقول المعرفة.

- ترحب المجلة بنشر التقارير عن المؤتمرات والندوات العلمية المقامة داخل الجامعة، على أن لا يزيد عدد الصفحات عن خمس صفحات مطبوعة.

- نشر البحوث والنصوص المحققة والمترجمة، ومراجعات الكتب المتعلقة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية، ونشر البحوث والدراسات العلمية النقدية الهادفة التي تقدم المعرفة العلمية والإنسانية.

- ترحب المجلة بعروض الكتب على ألا يتجاوز تاريخ إصدارها ثلاثة أعوام ولا يزيد حجم العرض عن صفحتين مطبوعتين، وأن يذكر الباحث في عرضه المعلومات الآتية (اسم المؤلف كاملاً -عنوان الكتاب -مكان وتاريخ النشر-عدد صفحات الكتاب -اسم الناشر-نبذة مختصرة عن مضمونه -تكتب البيانات السالفة الذكر بلغة الكتاب).

ضوابط عامة للمجلة

- يجب أن يتسم البحث بالأسلوب العلمي النزيه الهادف ويحتوي على مقومات ومعايير المنهجية العلمية في إعداد البحوث.

- يُشترط في البحوث المقدمة للمجلة أن تكون أصيلة، ولم يسبق أن نُشرت أو قُدمت للنشر في مجلة أخرى، أو أية جهة ناشرة، وأن يتعهد الباحث بذلك خطياً عند تقديم البحث، وتقديم إقرار بأنه سيلتزم بكافة الشروط والضوابط المقررة في المجلة، كما أنه لا يجوز يكون البحث فصلاً أو جزءاً من رسالة (ماجستير - دكتوراه) منشورة، أو كتاب منشور.

- لغة المجلة هي العربية، ويمكن أن تقبل بحوثاً باللغة الإنجليزية أو بأية لغة أخرى، بعد موافقة هيئة التحرير.

- تحتفظ هيئة التحرير بحقها في عدم نشر أي بحث، وتُعدُّ قراراتها نهائية، وتبلغ الباحث باعتذارها فقط إذا لم يتقرر نشر البحث، ويصبح البحث بعد قبوله حقاً محفوظاً للمجلة ولا يجوز النقل منه إلا بالإشارة إلى المجلة.

- لا يحق للباحث إعادة نشر بحثه في أية مجلة علمية أخرى بعد نشره في مجلة الكلية، كما لا يحق له طلب استرجاعه سواء قُبِلَ للنشر أم لم يُقبل.

- تخضع جميع الدراسات والبحوث والمقالات الواردة إلى المجلة للفحص العلمي، بعرضها على مُحكِّمين مختصين (محكم واحد لكل بحث) تختارهم هيئة التحرير على نحو سري لتقدير مدى صلاحية

البحث للنشر، ويمكن أن يرسل إلى محكم آخر؛ وذلك حسب تقدير هيئة التحرير.

- يبدي المقيم رأيه في مدى صلاحية البحث للنشر في تقرير مستقل مدعماً بالمبررات على أن لا تتأخر نتائج التقييم عن شهر من تاريخ إرسال البحث إليه، ويرسل قرار المحكمين النهائي للباحث، ويكون القرار إما:

* قبول البحث دون تعديلات.

* قبول البحث بعد تعديلات وإعادة عرضه على المحكم.

* رفض البحث.

- تقوم هيئة تحرير المجلة بإخطار الباحثين بآراء المحكمين ومقترحاتهم إذا كان المقال أو البحث في حال يسمح بالتعديل والتصحيح، وفي حالة وجود تعديلات طلبها المقيم، وبعد موافقة الهيئة على قبول البحث للنشر قبولاً مشروطاً بإجراء التعديلات يطلب من الباحث الأخذ بالتعديلات في فترة لا تتجاوز أسبوعين من تاريخ استلامه للبحث، ويقدم تقريراً يبين فيه رده على المحكم، وكيفية الأخذ بالملاحظات والتعديلات المطلوبة.

- ترسل البحوث المقبولة للنشر إلى المدقق اللغوي، ومن حق المدقق اللغوي أن يرفض البحث الذي تتجاوز أخطأه اللغوية الحد المقبول.

- تنشر البحوث وفق أسبقية وصولها إلى المجلة من المحكم، على أن تكون مستوفية الشروط السالفة الذكر.

- الباحث مسئول بالكامل عن صحة النقل من المراجع المستخدمة، كما أن هيئة تحرير المجلة غير مسئولة عن أية سرقة علمية تتم في هذه البحوث.

- ترفق مع البحث السيرة العلمية (CV) مختصرة قدر الإمكان تتضمن الاسم الثلاثي للباحث، ودرجته العلمية، وتخصصه الدقيق، وجامعته وكليته وقسمه، وأهم مؤلفاته، والبريد الإلكتروني والهاتف ليسهل الاتصال به.

- يخضع ترتيب البحوث في المجلة لمعايير فنية تراها هيئة التحرير.

- تقدم البحوث إلى مكتب المجلة الكائن بمقر الكلية، أو ترسل إلى بريد المجلة الإلكتروني.

- إذا تم إرسال البحث عن طريق البريد الإلكتروني أو صندوق البريد يتم إبلاغ الباحث بوصول بحثه واستلامه.

- يترتب على الباحث في حالة سحبه لبحثه أو إبداء رغبته في عدم متابعة إجراءات التحكيم والنشر، دفع الرسوم التي خصصت للمقيمين.

شروط تفصيلية للنشر في المجلة

- عنوان البحث: يكتب العنوان باللغتين العربية والإنجليزية، ويجب أن يكون العنوان مختصراً قدر الإمكان، ويعبر عن هدف البحث بوضوح، ويتبع المنهجية العلمية من حيث الإحاطة والاستقصاء وأسلوب البحث العلمي.

- يذكر الباحث على الصفحة الأولى من البحث اسمه ودرجته العلمية والجامعة أو المؤسسة الأكاديمية التي يعمل بها.

- أن يكون البحث مصوغًا بإحدى الطريقتين الآتيتين:

1- البحوث الميدانية: يورد الباحث مقدمة يبين فيها طبيعة البحث ومبرراته ومدى الحاجة إليه، ثم يحدد مشكلة البحث، ويجب أن يتضمن البحث الكلمات المفتاحية (مصطلحات البحث)، ثم يعرض طريقة البحث وأدواته، وكيفية تحليل بياناته، ثم يعرض نتائج البحث ومناقشتها والتوصيات المنبثقة عنها، وأخيرًا قائمة المراجع.

2- البحوث النظرية التحليلية: يورد الباحث مقدمة يمهد فيها لمشكلة البحث مبيّنًا فيها أهميته وقيّمته في الإضافة إلى العلوم والمعارف وإغنائها بالجديد، ثم يقسم العرض بعد ذلك إلى أقسام على درجة من الاستقلال فيما بينها، بحيث يعرض في كل منها فكرة مستقلة ضمن إطار الموضوع الكلي ترتبط بما سبقها وتمهد لما يليها، ثم يختم الموضوع بملخص شامل له، وأخيرًا يثبت قائمة المراجع.

- يقدم الباحث ثلاث نسخ ورقية من البحث، وعلى وجه واحد من الورقة (A4) واحدة منها يكتب عليها اسم الباحث ودرجته العلمية، والنسخ الأخرى تقدم ويكتب عليها عنوان البحث فقط، ونسخة إلكترونية على (CD) باستخدام البرنامج الحاسوبي (MS Word).

- يجب ألا تقل صفحات البحث عن 20 صفحة، ولا تزيد عن 30 صفحة، بما في ذلك صفحات الرسوم، والأشكال، والجداول، وقائمة المراجع.

- يرفق مع البحث ملخصان (باللغة العربية والإنجليزية) في حدود

- (150) كلمة لكل منهما، وعلى ورقتين منفصلتين بحيث يكتب في أعلى الصفحة عنوان البحث ولا يتجاوز الصفحة الواحدة لكل ملخص.
- يُترك هامش مقداره 3 سم من جهة التجليد بينما تكون الهوامش الأخرى 2.5 سم، المسافة بين الأسطر مسافة ونصف، يكون نوع الخط المستخدم في المتن Times New Roman 12 للغة الإنجليزية ومسافة ونصف بخط Simplified Arabic 13 للأبحاث باللغة العربية.
- في حالة وجود جداول وأشكال وصور في البحث يكتب رقم وعنوان الجدول أو الشكل والصورة في الأعلى بحيث يكون موجزاً للمحتوى وتكتب الحواشي في الأسفل بشكل مختصر، كما يشترط لتنظيم الجداول اتباع نظام الجداول المعترف به في جهاز الحاسوب، ويكون الخط بحجم 12.
- يجب أن ترقم الصفحات ترقيماً متسلسلاً بما في ذلك الجداول والأشكال والصور واللوحات وقائمة المراجع.
- طريقة التوثيق:** يُشار إلى المصادر والمراجع في متن البحث بأرقام متسلسلة توضع بين قوسين إلى الأعلى هكذا: (1)، (2)، (3)، ويكون ثبوتها في أسفل صفحات البحث، وتكون أرقام التوثيق متسلسلة موضوعة بين قوسين في أسفل كل صفحة، فإذا كانت أرقام التوثيق في الصفحة الأولى مثلاً قد انتهت عند الرقم (6) فإن الصفحة التالية ستبدأ بالرقم (1).
- ويكون توثيق المصادر والمراجع على النحو الآتي:
- أولاً: الكتب المطبوعة: اسم المؤلف ثم لقبه، واسم الكتاب مكتوباً بالبنط الغامق، واسم المحقق، أو المترجم، والطبعة، والناشر، ومكان النشر، وسنته، ورقم المجلد - أن تعددت المجلدات - والصفحة. مثال: أبو عثمان عمرو بن

بحر الجاحظ، الحيوان. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط2، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1965م، ج3، ص40. ويشار إلى المصدر عند وروده مرة ثانية على النحو الآتي: الجاحظ، الحيوان: ج، ص. ثانيًا: الكتب المخطوطة: اسم المؤلف ولقبه، واسم الكتاب مكتوبًا بالبنط الغامق، واسم المخطوط مكتوبًا بالبنط الغامق، ومكان المخطوط، ورقمه، ورقم اللوحة أو الصفحة. مثال: شافع بن علي الكناني، الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور. مخطوط مكتبة البديان بأكسفورد، مجموعة مارش رقم (424)، ورقة 50.

ثالثًا: الدوريات: اسم كاتب المقالة، عنوان المقالة موضوعًا بين علامتي تنصيص " "، واسم الدورية مكتوبًا بالبنط الغامق، رقم المجلد والعدد والسنة، ورقم الصفحة، مثال: جرار، صلاح: "عناية السيوطي بالتراث الأندلسي-مدخل"، مجلة جامعة القاهرة للبحوث والدراسات، المجلد العاشر، العدد الثاني، سنة 1415هـ / 1995م، ص179.

رابعًا: الآيات القرآنية والأحاديث النبوية: تكتب الآيات القرآنية بين قوسين مزهرين بالخط العثماني ﴿ ﴾ مع الإشارة إلى السورة، ورقم الآية. وتثبت الأحاديث النبوية بين قوسين مزدوجين « » بعد تخريجها من مظانها.

فهرس المحتويات

الصفحة	عنوان البحث
14.....	1 - حُكم الحُحول وآثاره العملية..... أ. عبدالماجد سالم الهماي.
49.....	2-السرفقات الشعرية دراسة وصفية..... د. فاطمة علي الصادق الطبال.
68.....	3-التحليل الرقمي للخصائص المورفومترية لحوض وادي الطوالب في منطقة الخمس واستثمارها اقتصاديا..... د. الصادق محمود عبد الصادق - د.خالد أحمد بشير قناو.
102.....	4-المرافئ الفينيقية في شمال ليبيا القديمة (أفريقيا) 1200 ق.م - أواخر القرن السادس ق.م. د. عبد الكريم علي نامو.
123.....	5-طرق القوافل ونشأة مدينة تدمر..... د. شعبان علي أبوراس - د. حواء ميلاد عليوان.
143.....	6-الوجود الاستعماري الفرنسي في السنغال في الفترة ما بين (1854.1865م) د.الصادق أبوعجيبة أبوغنيمة - أ. أحمد علي دعجاج .
166.....	7-التحليل السوسولوجي لدور الطبيب..... د. فاطمة محمد أبوراس - د. أمل إمحمد إقيمع.
202.....	8-كشف العلة بالتفرد عند الإمام أبي حاتم الرازي..... د. فارس عبد الحميد الفطيسي .
236.....	9-تحرير معاني الألفاظ..... د. مسعود حامد بشر.

- 10- دور الخطاب الديني في حل المشكلات الاجتماعية.....255
أ. سعاد علي الرفاعي.
- 11-العلاقة بين ممارسات إدارة الموارد البشرية والأداء التنظيمي من خلال التوسط لدوافع دور العمل: نموذج مفاهيمي293
د. حسن سعيد زيدان.
- 12-الكفارات وطبيعتها في الشريعة الإسلامية 318
د. أحمد علي معتوق.
- 13-الفلسفات التربوية وعلاقتها بالمنهاج التربوي.....341
د. أسامة الحراري أبوخريص.
- 14- بعض المشاكل التي تعاني منها المستشفيات العامة وآثارها على المرضى في المجتمع.....367
أ. نجوى مصطفى الأحمر
- 15-تأثير الحضارة العربية الإسلامية على الحضارة الأوروبية.....393
د. جمال أحمد الموير.
- 16-المسائل النحوية عند المارغني من خلال كتابه: (النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع) دراسة وصفية تحليلية.....406
د. بشير علي خليل.
- 17-تدريب الموارد البشرية وأثره على أداء المؤسسات السياحية بمدينة صبراتة (دراسة في الجغرافية السياحية) 432
د. عبد السلام ميلاد المركز - د. صالح محمد الأحمر.

- 18-أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بمستوى الطموح لدى طلبة جامعة المرقب بمدينة الخمس.....470
 د. فتحية إمام احليلي.
- 19-القول المبين في حكم المسح على الجورين والجرموقين "دراسة فقهية مقارنة".....489
 د. فتح الله عبد النبي ضيف الفقيه.
- 20-استخدامات الأرض في مدينة الخمس "دراسة في جغرافية العمران526
 أ. هناء عبد الحفيظ عمر القعو - أ. المهدي محمد أبوسبيحة.
- 21-التوزيع الجغرافي للمواقع الأثرية المنقبة بمنطقة الخمس.....571
 د. صالحه علي إخليف فلاح - د. عباس رجب عبد الرحيم عباد.
- 22- مفهوم التسامح في الخطاب الديني والفكر الفلسفي الحديث (جون لوك أنموذجاً).....609
 د. أسماء سالم عريبي
- 23- المرأة ومساهمتها في القوى العاملة في المجتمع الليبي.....644
 د. مريم العجيل إرقيعة
- 24- Some Aspects of Spelling and Sound Inconsistencies in English.....681
 Eshtewi Eshtewi Ehwas

حُكْم الكُحول وآثاره العملية

إعداد: أ. عبدالماجد سالم الهاملي*

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ثم أما بعد:

فإن الله تعالى قد كرم الإنسان وفضله على كثيرٍ ممن خلق تفضيلاً، فأنعم عليه بنعمة عظيمة ألا وهي نعمة العقل، وجعله مناط التكليف، وأمره بالحفاظ عليه، وعدم المساس به بأي شيء قد يؤثر عليه، فحرم كل مُسكر مذهب له، بنص عام ليشمل الكحول التي هي روح الخمر وكل ما في معناها مما يستجد ويستحدث من المسكرات وإن تعددت أسماؤها واختلفت أنواعها وتباينت أشكالها، ولقد توسع الناس في العصر الحديث في استخدام الكحول في الصناعات الغذائية والدوائية والعطرية، ما أدى إلى الحاجة إلى معرفة حكمها بعد تغير طبيعة استخداماتها عما عهدته فقهاؤنا القدامى.

أسباب اختيار الموضوع:

إن معرفة الحكم الشرعي للمواد النجسة والمحرمة المستخدمة في الأدوية والأغذية أمر في غاية الأهمية في هذا الزمان؛ لأنه أمر يلامس أمر معيشتنا واحتياجاتنا التي يصعب الانفكاك عنها؛ لكونها مما عمت بها البلوى، ولقد تباينت مواقف

* عضو هيئة التدريس قسم الفقه وأصوله/ بكلية الشريعة /جامعة الزيتونة.

العلماء المعاصرين حول هذه القضية، بين موسع ومضيق، ومشدد ومخفف، وأخذ بالعزائم ومرخص، مما يؤدي للوقوع في الحيرة والشك، ولما كانت هذه الحيرة وهذا الشك لا يرتفعان إلا بالوقوف على حقيقة الكحول وحكمها والتكليف الفقهي لاستخداماتها المعاصرة؛ عقدت العزم على كتابة بحث في ذلك، وجعلت عنوانه: "حكم الكحول وآثاره العملية"

أهمية البحث:

لا يخفى أن العالم في العصر الحديث قد اكتشف مصادراً للدواء وطرقاً للعلاج لم تكن معروفة من قبل، كما أن مختبرات البحث العلمي طورت أساليباً للمعالجة الطبية وصنوفاً للأدوية وأنواعاً للغذاء بصورة غير مسبقة، وكان من المؤسف أن يصدر ذلك كله من عالم لا تحكمه مبادئ الشريعة الإسلامية، ولا يكبح جماحه شيء من أخلاقها ومفاهيمها وسلوكياتها، في الوقت الذي يعيش فيه المسلمون على هامش حضارة العالم، عالة على غيرهم في كل شيء، فغذاؤهم ولباسهم وعلاجهم محكوم بمن لا يؤمنون بما جاءت به من المعتقدات، ولا يتنزهون عن أكل النجاسات والمحرّمات، وقد نجم عن ذلك مشكلات للمسلمين يصعب حلها، مما حتم البحث عن حلول لها في نطاق ما تحتمله قواعد الشريعة في التيسير والتخفيف والسماحة ورفع الحرج. (1)

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الإجابة على التساؤلات التي يطرحها البحث، وأهمها: السؤال عن حقيقة وماهية الكحول؟ وهل هي عين الخمر أم تختلف عنها؟ وهل هي طاهرة أم

¹ - ينظر: المواد المحرمة والنجسة، لنزيه حماد (ص8).

نجسة؟ وما معنى نجاستها؟ وما هي الآثار المترتبة على ذلك من حيث حكم دخولها في الغذاء والدواء والعمور والتعقيم وما شابه ذلك من الاستخدامات؟

أهم الدراسات السابقة:

هناك العديد من الدراسات التي تناولت هذا الموضوع قديماً وحديثاً، فهو موضوع قديم حديث، فأما الشق القديم فكتب الفقه مليئة به، وأما الدراسات الحديثة فكثيرة أيضاً، والذي اعتمدت عليه منها ما يلي:

الندوة التي نظمها مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة التعاون الإسلامي، المنعقد في دورته الثانية والعشرين بدولة الكويت، 2015م، بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية الكويتية، حول الاستحالة والاستهلاك ومستجداتهما في الغذاء والدواء وما ترتب عليها من قرارات.

الندوي بالمحرمات، د. محمد علي البار، بحث منشور في مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، العدد الثامن.

الكحول واستخداماته (دراسة فقهية معاصرة)، بحث مقدم من د. هشام السيد عطية الجنائني، بحث منشور في مجلة كلية الشريعة والقانون بطنطا، العدد الرابع والثلاثون.

الكحول والمخدرات والمنبهات في الغذاء والدواء، د. محمد علي البار، بحث منشور في مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، عدد 13.

المواد المحرمة والنجسة في الغذاء والدواء بين النظرية والتطبيق، د.نزيه حماد، دار القلم، دمشق، ط1، 2004م.

نظرات الطب الحديث في المسكرات والمُخدرات، بحث منشور في العدد (54) من مجلة الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة.

منهج الدراسة:

حاولت التوسع في معرفة آراء أكبر عدد ممكن من العلماء في المسألة من خلال دراسة متواضعة تجمع بين الاستقراء والوصف التحليلي.

حاولت في كتابة هذا البحث في نقلي عن المتقدمين الاعتماد على المصادر الأصلية، سواء في اللغة أو الفقه أو الحديث أو التفسير، أما في نقلي عن المعاصرين فرجعت إلى أي مصدر موثوق ناقل للمعلومة، سواء أكان كتاباً، أم مجلة، أم شريطاً مسموعاً، أو درساً مفرغاً، أو موقعاً رسمياً على الانترنت.

ذكرت أدلة كل فريق وحاولت مناقشتها وذكر الأجوبة عليها.

نسبت الأحاديث النبوية الواردة في البحث إلى كتب السنة التي أخرجتها.

ذكرت القول الراجح وأسباب ترجيحه.

تقسيم البحث:

بدأته بهذه المقدمة، ثم قسمته إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول: حقيقة الكحول وطرق استخلاصه.

المبحث الثاني: حكم الكحول.

المبحث الثالث: مسألة الاستحالة والاستهلاك.

المبحث الرابع: التطبيقات العملية.

وجعلت له خاتمة تضمنتها أهم النتائج والتوصيات، وألحقته بقائمة للمصادر والمراجع التي استعنت بها.

فأسأل الله أن يبارك في هذا العمل المتواضع، وأن يتجاوز عني ما كان فيه من الخطأ والسهو والنسيان، وأن يتقبله وينفع به كل من وقعت عينه عليه.

المبحث الأول: حقيقة الكحول وطرق استخلاصه

وقسمته إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الكحول (ALCOHOL)

للكحول تعريفات متعددة، فلها تعريف عند أهل اللغة، وتعريف عند أهل الاختصاص من الكيميائيين، وتعريف عند الفقهاء.

أما في اللغة: فالكحول: لفظ معرب أصله الغول: ما يغال العقل، وهو خلاصة الخمر. (1)

والخمر: هي اسم لكل مسكر خامر العقل أي غطاه _أي أفسد إدراكه، وخمرت الشيء تخميرًا: غطيته وسترته، ومنه خمار المرأة. (2)

وغالت الخمر فلانًا: إذا شربها فذهبت بعقله أو بصحة بدنه، والغول: الصداع، وقيل: السكر، وبه فسر قوله تعالى: لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ [الصافات:

¹ - ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأحمد المقرئ الفيومي (182/1).

² - ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، لمرتضى الزبيدي [غول] (128/30).

٤٧] أي ليس فيها غائلة الصداع، لأنه تعالى قال في موضع آخر: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾ [الواقعة:19].⁽¹⁾

وقال أبو عبيدة: الغول: أن تغتال عقولهم، وأنشد: وما زالت الخمر تغتالنا* وتذهب بالأول الأول.⁽²⁾

وأما في اصطلاح الكيميائيين: فالكحول هي: مصطلح كيميائي يُعبر عن ارتباط كل من عناصر الهيدروجين والأكسجين والكربون مع بعضهم البعض ليعطوا مركب الهيدروكسيل الأحادي بصيغته الكيميائية $C_nH_{2n+2}O$ ، أو ليعطوا مركب الهيدروكسيل الثنائي بصيغته الكيميائية $C_nH_{2n+2}O_2$.⁽³⁾

وبعبارة أخرى: هي مركبات عضوية تتميز بوجود مجموعة الهيدوكسيل في جزئياتها، وتعتبر مشتقة من الهيدروكربونات باستبدال ذرة هيدوجين بمجموعة هيدوكسيل، وهي من أكثر المركبات العضوية انتشاراً، وهي سائل طيار يشبه الماء _أي أنه شفاف عديم اللون_ له رائحة عطرية معروفة، وطعم نافذ لاسع يغلي عند درجة (78.3م)، يمتزج مع الماء بجميع النسب، قابل للاشتعال، وهو روح الخمر.

وتعرف بعدة أسماء، مثل: الكحول (Alcohol)، أو الكحول الإيثيلي (Alcohol ETHYL)، أو الإيثانول (Ethanol)، أو روح (Spirit).⁽⁴⁾

¹ - ينظر: المرجع السابق.

² - ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري [غول] (1786/5)؛ معجم لغة الفقهاء، لمحمد رواس قلججي، وحامد صادق قنبيبي (ص378).

³ - ينظر: أسس الكيمياء العضوية للأستاذين وائل غالب، وليد محمد السعيطي (ص150)؛ أسس الكيمياء العضوية تأليف: د. محمد إبراهيم الحسن، د. حسن بن محمد الحازمي، (ص 207 وما بعدها).

⁴ - ينظر: المراجع السابقة نفسها.

وعرفها جمهور الفقهاء بأنها: اسم يعم كلَّ شراب مسكر، سواء اتخذ من العنب أو من غيرها. (1)

المطلب الثاني: استخلاصه

يتم إنتاج الغول المستخدم في المشروبات المسكرة بتخمير الفواكه أو الحبوب بواسطة الخمائر، حيث يتم تحويل المواد السكرية الموجودة في الفواكه كالعنب والرطب، والمواد النشوية في الحبوب كالشعير والأرز إلى كحول، وكذلك يُستخرج من الغازات الطبيعية والفحم، وأيضاً من الغازات المصاحبة لإنتاج البترول وهي أهم مصادره وأرخصها. (2)

وكانت الطريقة القديمة للحصول على الخمر هي تركها لفترة زمنية حتى تتم عملية التخمير الذاتي، أما في العصر الحالي، فيمكن الحصول على الكحول ببعض الطرق الكيميائية، ولهم وسائل كثيرة ومتعددة في ذلك.

فمثلاً كحول الميثان يحضر من غاز الميثان المصاحب لإنتاج البترول، وذلك عن طريق استبدال ذرة من الهيدروجين (H) بمجموعة هيدروكسيلية (OH)، فرمز الميثان هو: (CH₄)، أي مكون من ذرة من الكربون، وثلاث ذرات من الهيدروجين، فلو استبدلنا ذرة من الهيدروجين بمجموعة هيدروكسيلية ينتج كحول الميثانول الذي يرمز له بـ: (CH₃ OH).

¹ - ينظر: البحر الرائق، لزين الدين لابن نجيم، (248/8)؛ الذخيرة، لشهاب الدين القرافي، (113/4)؛ الحاوي للماوردي (818/11)؛ المغني، لابن قدامة (323/10).

² - ينظر: بحث الكحول واستخداماته، د. هشام السيد عطية الجنائني، (ص1060)؛ بحث الكحول والمخدرات والمنبهات في الغذاء والدواء، د. محمد علي البار، (ص331).

بينما الكحول الإيثيلي (الإيثانول) يحضر من استبدال ذرة هيدوجين من غاز الإيثان المصاحب لإنتاج البترول بمجموعة هيدروكسيلية، فرمز الإيثان (C_2H_6) أي مكون من ذرتين كربون وست ذرات من الهيدوجين، فلو استبدلنا ذرة من الهيدوجين بمجموعة هيدروكسيلية ينتج كحول الإيثانول الذي يرمز له بـ: (C_2H_5OH).⁽¹⁾

المطلب الثالث: أنواعه

للـكحول أنواع متعددة، أشهرها على الإطلاق نوعان:

النوع الأول: الكحول الإيثيلي (الإيثانول) سائل مائع عديم اللون، وهو أكثر الأنواع انتشاراً، وهو المسئول عن إحداث السكر في الأشربة وغيرها من الأشياء التي يدخلها، ويحصّر من غاز الإيثان ومن المصادر النباتية كما سبق، وهو سام؛ غير أن سميته أقل من الكحول الميثيلي، والنسبة القليلة من الإيثانول (2-5 %) تجعل السائل مسكراً، بل البيرة المسكرة نسبة الإيثانول فيها تتراوح بين (2-5 %).⁽²⁾

قال الدكتور الطبيب إسماعيل صبحي حافظ: "ثبت في الطب الحديث أن الكحول الإيثيلي هو الجزء الفعال في الخمر في جميع أشكاله، فكل شراب يحوي الكحول الأيثيلي، أو الكحول الميثيلي: له صفة الإسكار، وإن تفاوتت النسبة، حيث أن بعضها يصل 60%، وبعضها الآخر لا يتجاوز 4%، وكلها مواد مسكرة".⁽³⁾

وله استخدامات كثيرة عدا دخوله في المشروبات الكحولية؛ فيستعمل مثلاً كمطهر، ويستخدم بكثرة في صنع العطور، ومذيب لبعض الأدوية، ولكن يضاف إليه في كثير من الأحيان بعض المواد ذات الطعم الشديد المرارة، أو السامة بنسبة ضئيلة،

¹ - ينظر: المراجع السابقة نفسها.

² - ينظر: بحث الكحول واستخداماته، د. هشام السيد عطية الجابني (ص1061).

³ - بحث نظرات الطب الحديث في المسكرات والمخدّرات د. إسماعيل صبحي حافظ، (ص220) بتصرف.

والسبب في ذلك: حتى يصبح غير صالح للاستعمال كمشروب، أو للتهرب من الضريبة المرتفعة التي تفرضها حكومات الدول الغربية على المشروبات الكحولية.⁽¹⁾

النوع الثاني: الكحول الميثيلي (الميثانول) وهو المعروف بالسيبريتو الأحمر، وهو مسكر، ولكنه شديد السمية، فيستخدم في تركيب السموم، والمبيدات، وهو أسوأ أنواع الكحول، ولا يستخدم كشراب؛ وقد يؤدي تناوله إلى الوفاة.⁽²⁾

قال الدكتور محمد علي البار: " وبما أن هذه الكولونيا قد تُشرب_ وخاصة في الأماكن التي يمنع فيها تعاطي الخمر_ فإن الشركات المصنعة تضيف إليها مادة أخرى شديدة السمية، من أنواع الغول (الكحول)، وهي الكحول الميثيلي، وقد حدثت حوادث كثيرة في قطر والسعودية ودول الخليج الأخرى وفي الهند، أدت إلى وفاة العشرات، وأحياناً المئات من الأفراد نتيجة شرب هذه المواد السامة، فالكحول الميثيلي مادة سامة، بل شديدة السمية".⁽³⁾

المبحث الثاني: حكم الكحول من حيث الطهارة وعدمها

الكحول كما مر معنا هي روح الخمر وهو الشيء المسكر منها، ولا خلاف بين العلماء في تحريمها، قال ابن رشد في بداية المجتهد: "أما الخمر فإنهم اتفقوا على

¹ - ينظر: بحث الكحول واستخداماته، د. هشام السيد عطية الجنائني (ص1061)؛ أسس الكيمياء العضوية لمحمد الحسن والخاصمي(ص212)؛ أسس الكيمياء العضوية للأستاذين وائل غالب، وليد محمد السعيطي (ص153)؛ الموسوعة العربية العالمية (154/19).

² - ينظر: المراجع السابقة نفسها.

³ - التداوي بالمحرمات، د. محمد علي البار (ص 31).

تحريم قليلها وكثيرها - أعني التي هي من عصير العنب - وأما الأنبذة فإنهم أجمعوا على أن المسكر منها حرام".⁽¹⁾

واختلفوا في نجاستها، هل هي نجاسة حسية، أي أنه يجب التنزه منها، وغسل الثياب والبدن والأواني إذا أصابتها، أم أنها طاهرة؟

للفقهاء في ذلك ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الخمر نجس نجاسة حسية

فيجب غسل ما أصابته من بدن أو ثياب أو أوانٍ أو فرش أو غيرها كما يجب غسل البول والعدرة، فنجاسته نجاسة عينية، وهو قول المذاهب الفقهية الأربعة: الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة واختاره ابن حزم،⁽²⁾ وابن تيمية.⁽³⁾ ونقل الشيخ أبو حامد الغزالي الإجماع على ذلك، وحُمل على إجماع الصحابة.⁽⁴⁾

وممن قال بذلك من المعاصرين: اللجنة الدائمة للإفتاء،⁽⁵⁾ دار الإفتاء الأردنية،⁽⁶⁾ صالح الفوزان،⁽⁷⁾ محمد الأمين الشنقيطي،⁽¹⁾ وغيرهم.

¹ - بداية المجتهد لابن رشد (471/1)؛ وينظر: كتاب الحاوي للماوردي (376/13)؛ المغني لابن قدامة (323/10).

² - ينظر: البحر الرائق لابن نجيم (242/1)؛ الذخيرة للقرافي (188/1)؛ الحاوي للماوردي (818/11)؛ المغني لابن قدامة (323/10).

³ - ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (337/28).

⁴ - ينظر: مغني المحتاج للشربيني (77/1).

⁵ - والموقعون على الفتوى هم: عبد الله بن قعود، عبد الله بن غديان، عبد الرزاق عفيفي، عبد العزيز بن عبد الله بن باز. ينظر: فتاوى اللجنة الدائمة (106/22).

⁶ - ينظر: رقم الفتوى على موقعها الرسمي: (1983).

⁷ - ينظر: المنتقى من فتاوى الفوزان، (17/48).

القول الثاني: التفصيل

فما أسكر من العنب نجس، وما أسكر من غيره ليس نجسًا وإن كان حرامًا من جهة التناول، وهي إحدى الروايات عند الأحناف. (2)

القول الثالث: الخمرُ ظاهرةٌ وأن المحرم إنما هو شربها

وهذا قولُ داودَ الظاهريِّ، وبه قال ربيعةُ الرأي، والليثُ بنُ سعدٍ، والمُزنيُّ من الشافعية، واختاره الشوكانيُّ والصنعاني. (3)

ومن المعاصرين: مجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظمة التعاون الإسلامي، (4) والمجلس الأوربي للإفتاء، (5) ودار الإفتاء المصرية، (6) ودار الإفتاء الليبية، (7) والظاهر بن عاشور، (8) وابن عثيمين، (1) والألباني، (2) ومحمد رشيد رضا، (3) والقرضاوي، (4) ومحمد الحسن ولد الددو، (5) وغيرهم.

¹ - ينظر: أضواء البيان، لمحمد الأمين الشنقيطي (129/2).

² - ينظر: البحر الرائق (242/1).

³ - ينظر: بداية المجتهد لابن رشد (471/1)؛ بدائع الصنائع للكاساني (66/1)؛ الجامع لأحكام القرآن لابن العربي (288/6)؛ الحاوي للماوردي (376/13)؛ المجموع للنووي (520/2)؛ الكافي في فقه الإمام أحمد، لابن قدامة (104/4)؛ السيل الجرار للشوكاني (288/6)؛ سبل السلام للصنعاني (45/1).

⁴ - ينظر: التوصيات الواردة في ندوة مجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظمة التعاون الإسلامي، والمنعقدة بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية الكويتية، حول الاستحالة والاستهلاك ومستجداتهما في الغذاء والدواء، في مدينة جدة (غرب السعودية) بتاريخ: 11-2-2015م

⁵ - رقم الفتوى على موقعه الرسمي (3829)

⁶ - رقم الفتوى على موقعها الرسمي: (746519)

⁷ - رقم الفتوى على موقعها الرسمي (852)

⁸ - ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (24/7).

الأدلة:

أدلة القول الأول:

استدل أصحاب القول الأول بالقرآن والسنة والآثار:

أولاً: من الكتاب

1- قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾ [المائدة: 90]

وجه الدلالة:

أنَّ الله سبحانه وتعالى وَصَفَهَا بِأَنَّهَا رِجْسٌ، والرجسُ في كلام العرب يعني كل مستفذر تعافه النفس، وقيل أصله من الركب وهو العذرة والنتن، (6) والأمر بالاجتناب تأكيد على النجاسة لأن الاجتناب يعم الشرب والمس وغير ذلك. (7)

قال ابن عبد البر: "أمر باجتنابها، ثم زجر وأوعد من لم ينته أشد الوعيد، في كتابه، وعلى لسان رسوله _صلى الله عليه و سلم_ وسماها رجساً، وقرنها بالميتة والدم

1- ينظر: مجموع فتاوى ورسائل محمد بن صالح بن محمد العثيمين (11/ 250).

2- ينظر: سلسلة الهدى والنور للألباني، شريط رقم: 763.

3- ينظر: مجلة المنار، لمحمد رشيد بن علي رضا وغيره من كتاب المجلة (23/ 158)

4- ينظر: رقم الفتوى على موقعه الرسمي (3845)

5- ينظر: دروس للشيخ محمد الحسن الددو الشنقيطي (درس/8ص24)

6- ينظر: تاج العروس لمرتضى الزبيدي [ر ج س] (115/16).

7- ينظر: بدائع الصنائع للكاساني (66/1)؛ الحاوي للماوردي (160/1)؛ مغني المحتاج للشربيني (77/1)؛

أحكام القرآن لابن العربي (164/2).

ولحم الخنزير، وورد التحريم في الميتة والدم ولحم الخنزير خبزاً، وفي الخمر نهياً وزجرًا، وهو أقوى التحريم وأوكده عند العلماء⁽¹⁾.

ويقول القرافي: "الرجس في اللغة: النجس، وهو يدل على نجاسة الجميع، خرجت الثلاثة عن النجاسة إجماعاً، وبقي الحكم مستصحباً في الخمر فتكون نجسة فتحرم".⁽²⁾

وأجاب ابن عثيمين على ذلك بأن الرجس الوارد في الآية قيده الله تعالى بأنه رجس عملي، حيث قال: «رَجِسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ» [المائدة: 90] وليس رجساً عينياً.⁽³⁾ عينياً.⁽³⁾

قال القرطبي: "في قوله تعالى: فَاجْتَنِبُوهُ» [المائدة: 90] يقتضي الاجتناب المطلق الذي لا يُنتفع معه بشيء بوجه من الوجوه، لا بشرب ولا بيع ولا تحليل ولا مداواة ولا غير ذلك".⁽⁴⁾

وأجاب على ذلك الطاهر بن عاشور بقوله: "واجتناب المذكورات هو اجتناب التلبس بها فيما تقصد له من المفساد بحسب اختلاف أحوالها، فاجتناب الخمر اجتناب شربها، والميسر اجتناب التقامر به، والأنصاب اجتناب الذبح عليها، والأزلام اجتناب الاستقسام بها واستشارتها، ولا يدخل تحت هذا الاجتناب اجتناب مسها أو إراءتها للناس للحاجة إلى ذلك من اعتبار ببعض أحوالها في الاستعبار

¹ - التمهيد لابن عبد البر (246/1).

² - الذخيرة للقرافي (115/4).

المجموع للنووي (520/2).

³ - ينظر: سلسلة فتاوى نور على الدر، لابن عثيمين شريط رقم (310).

⁴ - تفسير القرطبي (289/2).

ونحوه، أو لمعرفة صورها، أو حفظها كآثار من التاريخ، أو ترك الخمر في طور اختمارها لمن عصر العنب لاتخاذها خلاً، على تفصيل في ذلك واختلاف في بعضه". (1)

2- قوله تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: 21]

وجه الدلالة:

أنَّه لو كانتِ الخمرُ في الدنيا طاهرةً؛ لفات الامتتانُ بطهورةِ خمرِ الآخرةِ، ويُفهم منه أنَّ خمر الدنيا ليست طاهرة. (2)

ثانياً: من السنَّة

عن أبي ثعلبة الخُشنِي رضي الله عنه: أَنَّهُ سأل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إِنَّا نُجاوِرُ أَهْلَ الكِتابِ، وَهم يَطْبُخُونَ في قُدورِهِم الخِنْزِيرَ، وَيَشْرَبُونَ في آنيَّتِهِم الخَمْرَ، فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ وَجَدْتُمْ غَيْرَهَا فَكُلُوا فِيهَا وَاشْرَبُوا، وَإِنْ لَمْ تَجِدُوا غَيْرَهَا فَارْحَضُوا بِالماءِ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا». (3)

وجه الدلالة:

أن نجاسة الخمر كانت متقررّة عند الصحابة، ولهذا سأل أبو ثعلبة الخشنِي عن المخرج من ذلك.

قال الخطابي: "والأصل في سؤالهم أنه كان معلوماً من حال المشركين أنهم يطبخون في قُدورهم الخنزير ويشربون في آنيّتهم الخمر، فدل على أنه لا يجوز

¹ - التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور (24/7).

² - ينظر: مغني المحتاج للشرييني (77/1).

³ - أخرجه أبوداود في سننه [رقم: 3841] (428/3)

استعمالها إلا بعد الغسل والتنظيف، وأنه لو لم تكن الخمر نجسة، لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بغسل الإناء الذي شرب فيه الخمر".⁽¹⁾

وقد يجاب عن ذلك: بأن المراد بحديث أبي ثعلبة حال من يتحقق النجاسة، ويؤيده ذكر المجوس لأن أوانيهم نجسة لكونهم لا تحل ذبائهم.⁽²⁾

ثالثاً: من الآثار

1. ما روي من أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال بنجاسة الخمر، وهو لا يقول ذلك إلا عن توقيف لحسن الظن به،⁽³⁾ فقد روى ابن عساکر بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كتب إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه بلغني أنك تدلكت بالخمير، والله قد حرم ظاهر الخمر وباطنها، وقد حرم مس الخمر كما حرم شربها، فلا تمسوها أجسادكم فإنها نجس.⁽⁴⁾

2. وسُئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن المرأة تمتشط بالعلسة فيها الخمر فنهت عن ذلك أشد النهي.⁽⁵⁾

¹ - معالم السنن للخطابي (99/3)

² - ينظر: فتح الباري لابن حجر العسقلاني (606/9)؛ شرح فتح القدير لكمال الدين السيواسي (74/1).

³ - ينظر: كشف القناع للبهوتي (76/2).

⁴ - تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر (265/16).

⁵ - أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه [رقم: 24075] (98/5).

أدلة القول الثاني:

استدلوا على قولهم بالمعقول: وهو أن نجاسة الخمر مغلظة لأن حرمتها قطعية باتفاق، وحرمة غير الخمر ليست قطعية، فالنجاسات الغليظة لا تثبت إلا بدليل مقطوع به.

قال السيواسي: "معناه مقطوع بوجوب العمل به، فالعمل بالظني واجب قطعاً في الفروع وإن كان نفس وجوب مقتضاه ظنياً".⁽¹⁾

وقال البابرتي "المراد بالدليل القطعي: أن يكون سالمًا من الأسباب الموجبة للتخفيف؛ من تعارض النصين، وتجاوز الاجتهاد والضرورات المخففة".⁽²⁾

قال ابن نجيم: وينبغي ترجيح التغليظ، فلا فرق بين الخمر وغيرها، وكون الحرمة ليست قطعية لا يوجب التخفيف، لأن دليل التغليظ لا يشترط أن يكون قطعياً.⁽³⁾

أدلة القول الثالث:

استدل أصحاب هذا القول بالقرآن والسنة والمعقول.

أولاً: من القرآن الكريم

استدلوا بأن لفظ النَّجَسِ ولفظ الرَّجْسِ جاء في كتاب الله بمعنى الإثم والنجاسة المعنوية وليست النجاسة المادية؛ فقال تعالى: **إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ** ﴿التوبة: 28﴾، وهذه النجاسة عند الجمهور -خلافًا للظاهرية- نجاسة معنوية لإثم الشرك،

¹ - شرح فتح القدير للسيواسي (204/1).

² - العناية شرح الهداية لأكمل الدين البابرتي (329/1)

³ - ينظر: البحر الرائق لابن نجيم (242/1).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾ [المائدة:90] قال ابن عباس: رفس أي سخط. وقال زيد بن أسلم: أي شر. وقد أجمع الفقهاء على عدم الحكم بالنجاسة المادية للميسر وهو القمار، والأنصاب وهي الحجارة التي كانوا يذبحون قرايبهم عندها، والأزلام وهي القداح أو السهام التي كانوا يستقسمون بها، فلا يمكن جعل الخمر نجسة العين وإفرادها بهذا الحكم دون سائر المعطوفات عليها؛ لأن الآية الكريمة أوردت هذه الأربعة في سياق واحد. (1)

قال النووي: "ولا يظهر من الآية دلالة ظاهرة على نجاسة الخمر؛ لأن الرجس عند أهل اللغة بمعنى القذر، ولا يلزم من ذلك النجاسة، وكذلك الأمر بالاجتناب لا يلزم منه النجاسة". (2)

ثانياً: من السنة

1. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كنت ساقياً القوم في منزل أبي طلحة، وكان خمرهم يومئذ الفضيخ⁽³⁾، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم نادياً ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت، قال: فقال لي أبو طلحة: اخرج فأهرقها، فخرجت فهرقتها، فجزت في سبك المدينة». (4)

¹ - ينظر: التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور (24/7)؛ تفسير المنار، لمحمد رشيد بن علي رضا (49/7).

² - ينظر: المجموع للنووي (520/2) بتصرف.

³ - الفضيخ: شراب يتخذ من البسر المفصوص، من الفسخ وهو كسر الشيء الأجوف، والبسر: نوع من التمر. ينظر الصحاح للجوهري [فضخ] (429/1).

⁴ - متفق عليه، البخاري [رقم:2332] (869/2)؛ ومسلم [رقم:1980] (1570/3).

وجه الدلالة:

أن الخمر لو كانت نجسة لما أراقوها في طرق المسلمين، ولما أقرهم الشارع على ذلك؛ فإن طرقات المسلمين لا يجوز أن تكون مكاناً لإراقة النجاسة.⁽¹⁾

وأجاب القرطبي عن ذلك بأن "الصحابية فعلت ذلك لأنه لم يكن لهم سروب _حفر في الأرض، ولا آبار يريقونها فيها، إذ الغالب من أحوالهم أنهم لم يكن لهم كنف في بيوتهم، قالت عائشة رضي الله عنها: إنهم كانوا يتقذرون من اتخاذ الكنف في البيوت، ونقلها إلى خارج المدينة فيه كلفة ومشقة، ويلزم منه تأخير ما وجب على الفور.

وأيضاً فإنه يمكن التحرز منها، فإن طرق المدينة كانت واسعة، ولم تكن الخمر من الكثرة بحيث تصير نهراً يعم الطريق كلها، بل إنما جرت في مواضع يسيرة يمكن التحرز عنها.

هذا مع ما يحصل في ذلك من فائدة شهرة إراقتها في طرق المدينة، ليشيع العمل على مقتضى تحريمها من إتلافها، وأنه لا ينتفع بها، وتتابع الناس وتوافقوا على ذلك. والله أعلم".⁽²⁾

وقال القرطبي أيضاً: "ولو كان فيها منفعة من المنافع الجائزة، لبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما تركهم يتلفونها".⁽¹⁾

والفضيخ: شراب يتخذ من البسر المفضوخ من الفضخ وهو كسر الشيء الأجوف، والبسر: نوع من التمر. ينظر الصحاح للجوهري [فضخ] (429/1).

¹ - ينظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (133/5)؛ مجموع فتاوى ابن عثيمين (193/11).

² - تفسير القرطبي (6/ 288).

2- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَجُلًا أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاحِيَةً خَمْرٍ -أَيَ قَدْرٍ كَبِيرٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَهَا؟ قَالَ: لَا، فَسَارَّ إِنْسَانًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بِمَ سَارَرْتَهُ؟ فَقَالَ: أَمْرُهُ بِبَيْعِهَا، فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ شَرِبَهَا حَرَّمَ بَيْعَهَا، قَالَ: فَفَتَحَ الْمَزَادَةَ حَتَّى ذَهَبَ مَا فِيهَا».(2)

وجه الدلالة:

أنه لو كانت الخمر نجسة نجاسة حسيّة، لأمر النبي صلى الله عليه وسلم صاحب الرواية أن يغسل رايته، كما كانت الحال حين حرمت الخمر عام حبيب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أهريقوها واكسروها-يعني: القُدور-فقالوا: أو نُهريقُها ونغسلُها؟ فقال: أو ذاك» (3). (4)

ثالثاً: من المعقول

1- أن الأصل هو الطهارة حتى يقوم الدليل على النجاسة.

قال ابن حجر الهيتمي في تقرير هذا الأصل: "الأصل واليقين لا يترك حكمه بالشك إلا في مسائل يسيرة، لأدلة خاصة، وبعضها إذا حقق كان داخلاً في

¹ - تفسير القرطبي (289/2)، بتصرف.

² - أخرجه مسلم في صحيحه [رقم: 1579] (1206/3)

³ - متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه [رقم: 3960] (1537/4)؛ ومسلم في صحيحه [رقم: 123] (1427/3).

⁴ - ينظر: مجموع فتاوى ابن عثيمين (192/11).

القاعدة، فلو كان معه نحو ماء أو عصير مما أصله الطهارة وتردد في نجاسته لم يضر ترده، وهو باق على طهارته".⁽¹⁾

فالأصل أن الخمر طاهر بالإجماع، فلا يجوز الحكم بتنجيسها بالتخمر الذاتي؛ لأن الأصل في الطاهر بقاءه على طهارته ما لم يرد عليه من غير ذاته ما ينجسه، ويؤكد هذا المعنى أن الخمر إذا تخللت بنفسها _أي صارت خلاً؛ فإنه يحكم بطهارتها بالإجماع مما يدل على أن النجاسة لمعنى السكر، فهي نجاسة معنوية وليست مادية.⁽²⁾

فإن قيل: الدليل على أن الخمر نجس أنه حرام. **قيل:** لا يلزم من تحريم الشيء أن يكون نجساً، فتحريم الخمر لا يعنى الحكم بنجاستها مادياً لعدم التلازم بين حكم الشرب وبين حكم النجاسة، فقد يكون تحريم الشرب للقدر وليس للنجاسة؛ مثل تناول المخاط، وقد يكون لضرره؛ كالسم، وقد يكون لكونه سبباً للعداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة؛ كما صرحت الآية الكريمة في شأن الخمر.⁽³⁾

2- حمل قول من وصفها بالنجاسة على أنه قاله من باب التغليظ في تحريم شربها، والزجر عنها، لا أنها نجسة العين، كما نقله النووي عن أبي حامد الغزالي.⁽⁴⁾

القول الراجح:

والذي يظهر بعد النظر في الأدلة أن الكحول ليست نجسة العين، لأن النجاسة تعرّف بأنها: مُسْتَقَدَّرٌ، والكحول ليست مُسْتَقَدَّرَةً في نفسها، بل هي منظف طبيعي

¹ - الفتاوى الكبرى الفقهية لابن حجر الهيتمي (26/1).

² - ينظر: مجموع فتاوى ابن عثيمين (184/11).

³ - ينظر: المجموع للنووي (520/2).

⁴ - ينظر: المرجع السابق.

يزيل ما لا يزيله الماء مع الصابون من الأقدار والنجاسات، وهي أيضًا داخلة في بعض العطور والتركيبات الدوائية، فهي مادة مُعدَّة للتطهير والتطيب، ودعوى أن هذه العطور المستطابة في رائحتها من النجاسات هو أمر مخالف للحس والطبع، والعطر والطيب لا يُسمَّى خمراً لا في اللغة ولا في العرف ولا في الاستعمال، والاستعمال الشاذ بتناوله وشربه لا يخرج عن كونه عطرًا وطيبًا.

هذا على فرض التسليم بأن الكحول يأخذ حكم الخمر، أما إن قلنا ببعض ما اختاره بعض المعاصرين واختارته دار الإفتاء المصرية من أن الكحول في نفسه ليس بخمر حتى يكون نجسًا نجاسة العين، ولا هو من الأشربة المسكرة غير الخمر التي اختلفوا في نجاستها وطهارتها، بل هو مادة سامة مثل سائر السموم، وليس من شأنها أن تشرب في الأحوال العادية بقصد الإسكار، وإنما حرم تناول السم لأنه مهلك وضار، فالكحول طاهر كطهارة الحشيش والأفيون وكل ضار، فالنجاسة مسألة شرعية وليست حقيقة كيميائية، بمعنى أن كون الخمر نجسة إنما يُعلم عن طريق الشرع، وكون الكحول هو العنصر المسبب للإسكار في الخمر هو حقيقة التحليل الكيميائي، ولا يلزم من هذه الحقيقة بمجرد أن يكون الكحول نجسًا أو حرامًا عند انفراده في سائل آخر غير الخمر؛ لأنه لا يلزم من نجاسة مُركَّبٍ نجاسة سائطه؛ فإن النجاسات المجمع عليها قبول الإنسان وغائطه مركبة من عناصر كيميائية قد توجد في الأشياء الطاهرة، بل في الطعام والشراب؛ وإنما جاءت النجاسة وحصل الاستقدار من التركيب المخصوص بالنسب المخصوصة.⁽¹⁾

¹ - ينظر: دار الإفتاء المصرية على موقعها الرسمي فتوى رقم: (746519)؛ وانظر: بحث الكحول واستخداماته، د. هشام السيد عطية الجنائني (1071).

والشريعة ما جاءت لتسد على الناس منافذ حاجاتهم الحقيقية، وإنما جاءت لتلبية الحاجات الصحيحة، والمصالح الراجعة، التي تستلزمها ظروف الحياة ومتطلباتها في كل زمان ومكان، تيسيراً على الخلق، ورفعاً للعسر والعنت والمشقة عن العباد، كما جاء في التنزيل: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185]، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمُ، [النساء: 28] وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمُ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78].

قال ابن تيمية: "الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفساد وتقليلها، بحسب الإمكان، ومطلوبها ترجيح خير الخيرين إذا لم يمكن أن يجتمعا جميعاً، ودفع شر الشرين إذا لم يندفعا جميعاً".⁽¹⁾

وقال العز بن عبد السلام: "قال الإمام الشافعي: بنيت الأصول على أن الأشياء إذا ضاقت اتسعت. يريد بالأصول: قواعد الشريعة، وبالالتساع: الترخيص الخارج عن الأقيسة وإطراد القواعد، وعبر عن الضيق بالمشقة".⁽²⁾

وكان من لطف الله عز وجل بالخلق أن يسر الأسباب لتباين وجهات نظر العلماء في فروع الشريعة توسيعاً على العباد، ورحمة بالأمة الإسلامية، ومن هنا كان علماء السلف الصالح يقولون: لا تقولوا: الاختلاف، ولكن قولوا السعة.⁽³⁾

وأن من الواضح البين أن التشدد في الدين يُحسنه كلُّ أحد بدعوى الاحتياط، ولكن الفقيه هو من يأخذ فتاواه بالرخصة عن ثقة، تحقيقاً لمقاصد الشريعة المطهرة من

¹ - مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية (1/383).

² - قواعد الأحكام في مصالح الأنام، للعز بن عبد السلام (2/166).

³ - ينظر: حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني (5/19).

السماحة والمرونة والتيسير، وفي ذلك يقول الإمام سفيان الثوري: إنما العلم عندنا الترخص عن ثقة، أما التشدد فيحسنه كل أحد. (1)

المبحث الثالث: مسألة الاستحالة والاستهلاك

تقدم معنا طهارة الكحول على القول المختار، ولكن لا تعني الطهارة استخدامه في كل أحواله، لأنه تبقى حرمة شرب المسكر وإن كان طاهراً، هذا إن كان وحده، أما إن خلط بغيره فتغيرت أوصافه فهل يبقى حكم الحرمة أم يزول؟ هذا ما يعرف بمسألة الاستحالة والاستهلاك وهو ما سنتناوله في هذا المطلب فنقول:

إن من المقرر شرعاً أنّ الشيء إذا تغيرت حقيقته وتبدل وصفه إلى شيء آخر تغير حكمه تبعاً لذلك، فالنجاسة مثلاً لا تبقى نجاسة إذا وقعت في ماء كثير ولم تغير لونه أو طعمه أو رائحته، والكحول إذا مزج بالعطر أو الدواء أو المنظفات زال وصف خمريته على فرض ثبوتها، وذلك كالخمرة التي استحالت بنفسها وصارت خلاً، فإنها تكون طاهرة شرعاً حتى لو وجد الكيميائيون فيها شيئاً أو نسبة من الكحول، وذلك باتفاق العلماء. (2)

يقول الإمام عز الدين بن عبد السلام: "الأصل في الطهارات أن يتبع الأوصاف المستطابة، وفي النجاسة أن يتبع الأوصاف المستخبثة، ولذلك إذا صار العصير خمراً تتجس للاستخبات الشرعي، وكذلك إذا صار خلاً طهر للتطيب الشرعي

¹ - ينظر: حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني (367/6)؛ وينظر: المواد المحرمة والنجسة، د.نزيه حماد (ص9).

² - ينظر: البحر الرائق، لابن نجيم (239/1)؛ تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، لفخر الدين الزيلعي (67/1)؛ الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، للنفراوي (288/2).

والحسي، وكذلك ألبان الحيوان المأكول لَمَا تبدلت أوصافها إلى الاستطابة طهرت، فكذا المخاط، والبصاق، والدمع، والعرق، واللعب، وكذلك الحيوان المخلوق من النجاسات، وكذلك الثمار المسقية بالمياه النجسة طاهرة محللة لاستحالتها إلى صفات مستطابة، وكذلك بيض الحيوان المأكول والمسك والأنفحة، واختلف العلماء في رماد النجاسات؛ فمن طهره استدل بتبديل أوصافه المستخبثة بالأوصاف المستطابة، وكما تطهر النجاسات باستحالة أوصافها؛ فكذلك تطهر الأعيان التي أصابها نجاسة بإزالة النجاسة، وإذا دبغ الجلد فلا بد من إزالة فضلاته وتغيير صفاته، فمنهم من غلب عليه الإزالة، ومنهم من غلب عليه الاستحالة، ومنهم من قال: هو مركب منهما".⁽¹⁾

وقال الإمام القرافي: "قاعدة تبين ما تقدم، وهي: أن الله تعالى إنما حكم بالنجاسة في أجسام مخصوصة، بشرط أن تكون موصوفة بأعراض مخصوصة مستقدرة، وإلا فالأجسام كلها متماثلة، واختلفها إنما وقع بالأعراض، فإذا ذهبت تلك الأعراض ذهباً كلياً ارتفع الحكم بالنجاسة إجماعاً، كالدّم يصير منياً ثم آدمياً، وإن انتقلت تلك الأعراض إلى ما هو أشد استقداراً منها ثبت الحكم فيها بطريق الأولى، كالدّم يصير قيحاً، أو دم حيض، أو مية، وإن انتقلت إلى أعراضٍ أخفّ منها في الاستقدار، فهل يقال: هذه الصورة قاصرة عن محل الإجماع في العلة، فيقتصر عنها في الحكم، أو يلاحظ أصل العلة لا كمالها، فيسوّى بمحل الإجماع؟ هذا موضع النظر بين العلماء في جملة هذه الفروع المتقدمة؛ ولذلك فرق علماؤنا رحمة

¹ - قواعد الأحكام في مصالح الأنام، للجز بن عبد السلام (139/2).

الله عليهم بين استحالة الخمر إلى الخل؛ قضاوا فيه بالطهارة، وبين استحالة العظام النجسة إلى الرماد؛ لِمَا فيه من بقية الاستقدار وعدم الانتفاع، بخلاف الأول".⁽¹⁾

وقرر مجلس مجمع الفقه الإسلامي أن الاستحالة في الاصطلاح الفقهي هي: تغيير حقيقة المادة النجسة أو المحرّم تناولها، وانقلاب عينها إلى مادة أخرى مختلفة عنها في الاسم والخصائص والصفات، ويعبر عنها في المصطلح العلمي الشائع بشأنها كل تفاعل كيميائي كامل، مثل تحويل الزيوت والشحوم على اختلاف مصادرها إلى صابون، وتحلل المادة إلى مكوناتها المختلفة، وكما يحصل التفاعل الكيميائي بالقصد إليه بالوسائل العلمية الفنية، يحصل أيضاً بصورة غير منظورة في الصور التي أوردها الفقهاء؛ على سبيل المثال: التخليل والإحراق، أما إذا كان التفاعل الكيميائي جزئياً فلا يعتبر ذلك استحالة، وإن كانت المادة نجسة فتبقى على حالها ولا يجوز استخدامها.⁽²⁾

المبحث الرابع: التطبيقات العملية المترتبة على حكم الكحول

تقدم أننا وإن رجحنا طهارة الكحول تبقى حرمتها لأنها مسكرة، وتقدم القول بأنها إذا خلطت بغيرها بحيث تغيرت أوصافها يتغير حكمها وهو ما يعرف بالاستحالة، وهذه أمثلة على تطبيقات ذلك عملياً أصدرها المشاركون في ندوة مجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظمة التعاون الإسلامي، والمنعقدة بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية الكويتية، حول الاستحالة والاستهلاك ومستجداتهما في الغذاء والدواء، في مدينة جدة بتاريخ: 11-2-2015م، وهي مجموعة من التوصيات والآراء

¹ - الذخيرة، لشهاب الدين القرافي (188/1)

² - ينظر: قرارات مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة التعاون الإسلامي، المنعقد في دورته الثانية والعشرين بدولة الكويت، 2015م.

الفقهية والعلمية أقرها المشاركون (فقهاء، ومختصون في الطب والكيمياء والصيدلة) حول استخدام الكحول والخمور وغيرهما_ في الأدوية والأغذية على النحو الآتي _باختصار_:

أولاً: الكحول المستخدم في الأدوية

اتفق المشاركون في الندوة على جواز تناول الأدوية _لا سيما المخصصة للأطفال والحوامل_ التي تصنع حاليًا ويدخل في تركيبها نسبة ضئيلة من الكحول لغرض الحفظ، أو إذابة بعض المواد الدوائية التي لا تذوب في الماء، مع عدم استعمال الكحول فيها مهدئًا وذلك لعدم توفر بديل عن تلك الأدوية.

وأشاروا في التوصيات، التي نشرتها وكالة الأنباء الإسلامية الدولية (إينا)، إلى أن هذا الرأي يعمل به ريثما يتحقق للمسلمين تصنيع أدوية لا يدخل الكحول في تركيبها، مطالبين الجهات المختصة الصحية بتحديد هذه النسب حسب الأصول العلمية ودراسات الأدوية.

وقالوا لا حرج شرعًا من استخدام الكحول طبيًا كمطهرٍ للجلد والجروح والأدوات، وقاتل للجراثيم، أو استعمال الروائح العطرية (ماء الكولونيا) التي يستخدم الكحول فيها باعتباره مذيبيًا للمواد العطرية الطيارة، أو استخدام الكريمات التي يدخل الكحول فيها، ولا ينطبق ذلك على الخمر لحرمة الانتفاع به.

ثانيًا: الخمر في الغذاء

وشددوا على عدم جواز تناول المواد الغذائية التي تحتوي على نسبة من الخمور مهما تكن ضئيلة، ولا سيما الشائعة في البلاد الغربية، كبعض الشوكولاتة وبعض

أنواع المتلجات _ الجيلاتية، البوظة_ وبعض المشروبات الغازية، اعتباراً للأصل الشرعي في أن ما أسكر كثيرة فقليله حرام، ولعدم قيام موجب شرعي استثنائي للتريخيص بها.

ثالثاً: الكحول في الغذاء

ورأوا جواز تناول المواد الغذائية التي يستعمل في تصنيعها نسبة ضئيلة من الكحول لإذابة بعض المواد التي لا تذوب بالماء، من ملونات وحافظات وما إلى ذلك، لعموم البلوى، ولتبخر معظم الكحول المضاف أثناء تصنيع الغذاء حسب دساتير وتعاليم هيئات الصحة والأغذية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات

أولاً: أهم النتائج

أن الكحول طاهر.

جواز استخدام الكحول في العطور.

جواز استخدام الكحول الصناعي في تطهير الجلد للعمليات الجراحية، وتعقيم الجروح، ونحو ذلك من الاستعمالات الخارجية، وتعقيم الأدوات الطبية، حسب الإرشادات الطبية.

جواز استخدام الأدوية التي يدخل فيها نسبة ضئيلة من الكحول لعدم وجود بدائل.

جواز تناول المواد الغذائية التي فيها نسبة ضئيلة من الكحول.

عدم جواز تناول المواد الغذائية التي يدخل في تصنيعها الخمر ولو بنسب ضئيلة.

جواز بيع الكحول وشرائها وتصنيعها لجواز الاستعمال.

ثانياً: أهم التوصيات:

حث الدول الإسلامية المتقدمة في الصناعة على إيجاد بدائل للأدوية الضرورية خالية من الكحول والخمور.

التورع عن أكل الأطعمة المحتوية على نسبة من الكحول ولو كانت ضئيلة، مراعاة للقول بحرمتها.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قائمة المصادر والمراجع

*القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

الكتب والرسائل العلمية والأبحاث والمجلات والدوريات

أحكام القرآن لابن العربي، دار الكتب العلمية، ط3.

-أسس الكيمياء العضوية تأليف: د. محمد إبراهيم الحسن، د. حسن بن محمد الحازمي، دار الخريجي للنشر والتوزيع، ط3، 1996م.

-أسس الكيمياء العضوية للأستاذين وائل غالب، وليد محمد السعيطي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، 2008م.

-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي (ت1393هـ)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، 1995م.

-إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي أبو الفضل عياض اليعقوبي، دار الوفاء، مصر، ط1، 1998م.

-البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لزين الدين ابن نجيم الحنفي، دار المعرفة، بيروت.

-بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، الشهير بابن رشد الحفيد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط4، 1975م

-تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.
-تاريخ مدينة دمشق، للحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (571 هـ)، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

-تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، لفخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي، دار الكتاب الإسلامي.

-التحرير والتنوير -تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر - تونس.

-التداوي بالمحرمات، د. محمد علي البار، بحث منشور في مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، العدد الثامن.

-تفسير المنار، لمحمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

-التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1387.

- الجامع الصحيح المختصر، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط3.
- الحاوي الكبير، لأبي الحسن الماوردي، دار الفكر .بيروت.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي - بيروت، ط4، 1405هـ.
- دروس للشيخ محمد الحسن الددو الشنقيطي، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.
- الذخيرة، لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، ت محمد حجي، دار الغرب، بيروت، 1994م.
- سبل السلام، لمحمد بن إسماعيل الصنعاني، دار الحديث.
- سلسلة الهدى والنور -يطلق على مجموعة أسطرة للشيخ الألباني تحتوي على 901 شريط.
- سلسلة فتاوى نور على الدرب، لابن عثيمين، وهي أسطرة للبرنامج الذي كان يعرض على إذاعة القرآن الكريم من المملكة العربية السعودية.
- سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي، بيروت.
- السيال الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الكتب المصرية، القاهرة.

- شرح فتح القدير، لكمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي، دار الفكر، بيروت.
- الصاحح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط4.
- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- العناية شرح الهداية، لأكمل الدين البابرّي، المكتبة الأشرفية، الهند.
- الفتاوى الكبرى الفقهية لابن حجر الهيتمي، جمعها تلميذ ابن حجر: الشيخ عبدالقادر بن أحمد بن علي الفاكهي، الناشر: المكتبة الإسلامية.
- فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية، جمع وترتيب: أحمد بن عبدالرزاق الدرويش، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الإدارة العامة للطبع، الرياض.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت.
- الفاواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، لأحمد بن غنيم بن سالم النفراوي المالكي، دار الفكر، بيروت.
- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، لأبي محمد عز الدين السلمي ابن عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الكافي في فقه الإمام أحمد، لابن قدامة المقدسي، دار الكتب العلمية، ط1.

-الكحول واستخداماته (دراسة فقهية معاصرة)، بحث مقدم من د. هشام السيد عطية الجنائني، بحث منشور في مجلة كلية الشريعة والقانون بطنطا، العدد الرابع والثلاثون.

-الكحول والمخدرات والمنبهات في الغذاء والدواء، د. محمد علي البار، بحث في مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، عدد 13.

-كشاف القناع عن متن الإقناع، لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي، تحقيق: هلال مصيلحي مصطفى هلال، دار الفكر، بيروت.

-مجلة المنار، لمحمد رشيد بن علي رضا وغيره من كتاب المجلة.

-المجموع شرح المذهب للشيرازي، للإمام النووي، دار الفكر، بيروت، 1997م.
مجموع فتاوى ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ط2.

-مجموع فتاوى ورسائل محمد بن صالح بن محمد العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن - دار الثريا، ط: الأخيرة - 1413 هـ.
-مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار ابن القيم، السعودية، 1986م.

-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، المكتبة العلمية - بيروت.

- المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: كمال يوسف الحوت مكتبة الرشد، الرياض ط1.
- معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، لأبي سليمان أحمد بن محمد الخطابي البستي، المطبعة العلمية، حلب، ط1.
- معجم لغة الفقهاء، لمحمد رواس قلعجي، وحامد صادق قنبيي، دار النفائس، ط2، 1988م.
- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، لمحمد الخطيب الشربيني، دار الفكر، بيروت.
- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار الفكر، بيروت، ط1.
- المواد المحرمة والنجسة في الغذاء والدواء بين النظرية والتطبيق، د. نزيه حماد، دار القلم، دمشق، ط1، 2004م.
- الموسوعة العربية العالمية، موسوعة تعليمية وثقافية عامة في تاريخ الثقافة الإسلامية، لعدد من المؤلفين، صدرت عن أعمال المؤسسة للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1999م.
- الندوة التي نظمها مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة التعاون الإسلامي، المنعقد في دورته الثانية والعشرين بدولة الكويت، 2015م،

بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية الكويتية، حول الاستحالة والاستهلاك ومستجداتهما في الغذاء والدواء وما ترتب عليها من قرارات.

-نظرات الطب الحديث في المسكرات والمُخدرات، د. إسماعيل صبحي حافظ، طبيب باطني بالجمعة، بحث منشور في العدد (54) من مجلة الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة.

السراقات الشعرية دراسة وصفية

إعداد: د. فاطمة علي الصادق الطبال.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا وعلى آله وأصحابه أجمعين

وبعد:

قضية السراقات الشعرية من القضايا النقدية المهمة، التي شغلت أفكار النقاد قديماً وحديثاً، فهي قضية الأصالة والتقليد، وهي مظهر من مظاهر الصراع بين الجديد والقديم، فالسرقة موجودة منذ العصر الجاهلي فهي . داء قديم وعيب عتيق - ثم اتسعت دائرتها في العصور المتتالية، وأخذ الشعراء يحاولون إخفاءها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ولا يخفى أن الاهتداء إلى مواضع الأخذ والاحتذاء يعد من أدق ما يفتن إليه النقاد الحاذقون بالأدب وصناعته ولعل المبرّد بكلامه في "السراقات"، وبحثه المستفيض فيها كان من أوائل من فتح باب القول في هذا الموضوع الدقيق من موضوعات النقد، فولجته من بعده كثير من النقاد وتوسعوا فيه،

وعدوه بابا من الأبواب في النقد بل وفي البلاغة فكان بهذا أستاذاً لأبي هلال العسكري الذي تكلم في الأخذ ومعناه، وقسمه إلى أخذ حسن وأخذ قبيح، وحد كلا منهما وشرح وسائل الأخذ، وللأمدي الذي يدور معظم بحثه "الموازنة بين الطائين" على المعاني المشتركة بينهما وما سرقه كل منهما من سابقه من الشعراء والأدباء، وللفاضل الجرجاني "وساطته" بين المتنبي وخصومه التي عرض فيها كثيراً من

النصوص درس فيها سرقات المتبني، وسرقات غيره من القدامى والمحدثين، وغيرهم من النقاد - وحين نذكر فضل المبرد في القول في السرقات لا تنسى أن بعض سابقة من النقاد قد تناولوا هذا الموضوع، ولكنهم لم يزيدوا في هذا التناول على الإشارة إلى مواضع التشابه التي لمحوها أثناء دراستهم للنصوص الشعرية.

وقد سلكت في هذا البحث المنهج الوصفي

أهمية الدراسة:

كانت الدراسة لغرض الوصول إلى الأدب الأصيل، المفعم بالحياة، والتفاعل معه، ونبذ الأدب المسروق الميت الذي لا روح فيه، ومعرفة الحد الفاصل بين الأخذ الجيد والأخذ القبيح في نظر هؤلاء النقاد.

قسم البحث إلى مقدمة وثلاثة مطالب رئيسية كالاتي:

المطلب الأول: السرقة لغة واصطلاحاً، ووجه العلاقة بينهما .

المطلب الثاني: آراء بعض النقاد العرب في السرقات الشعرية.

المطلب الثالث: أنواع السرقات الشعرية.

ثم دُيّل البحث بالخاتمة التي تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث وبما أنني لا أستطيع حصر الأشعار والوقوف عليها لكثرتها التي لا يحصرها عدد، فتناولت بالاستشهاد بعض الأبيات، وحاولت معرفة الأخذ والسرقة والتعليق على ذلك ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

والحمد لله رب العالمين

المطلب الأول

مفهوم السرقة لغة واصطلاحاً

أولاً - السرقة لغةً:

السرقة "س - ر - ق" "سَرَقَ الشَّيْءَ يَسْرِقُهُ سَرَقًا وَسَرِقًا وَاسْتَرْقَهُ..."

والأسم السَّرِقُ والسَّرِقة، بكسر الراء فيهما، وربما قالوا سَرَقَهُ مَالًا...

قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ قال: السارق عند العرب من جاء مُسْتَتِرًا إلى جِزْرِ فأخذ منه ما ليس له، فإن أخذ من ظاهر فهو مُخْتَلِسٌ ومُسْتَلَبٌ ومُنْتَهَبٌ ومُخْتَرِسٌ... وسَرِقَ الشَّيْءُ سَرَقًا: خَفِيَ.⁽²⁾

ثانيًا - السرقة اصطلاحاً:

"احتتيال الشعراء على الأعمال الشعرية الرفيعة، والاستفادة منها دون الإشارة إلى مبدعها، أو أصحابها، وغالبا ما تكون هذه السرقة في المعاني".⁽³⁾

"أوهي أن يأخذ شخص كلام غيره وينسبه إلى نفسه".⁽⁴⁾

1- سورة المائدة الآية (141).

2- لسان العرب للإمام العلامة ابن منظور، دار الحديث القاهرة الطبعة سنة 2003م المجلد الرابع ص565 ص566.

3- بدايات في النقد الأدبي /د.هاشم صالح مناع، دار الفكر العربي بيروت، الطبعة الأولى سنة 1994م ص76.

4- علوم البلاغة ، إعداد راجي الأسمر إشراف اميل يعقوب دار الجيل بيروت ط1 ص208.

5- ينظر قضايا في تراثنا النقدي /د/ حسن طبل. الناشر مكتبة الزهراء - القاهرة سنة 1995. ص159.

أن أخذ الفكرة المجردة أمر لا حرج فيه على الشاعر، لأن الأفكار تراث عام مبتذل أو مطروح في الطريق، ولا ينسب لأحد ولا يحظر على أحد.

وجه العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

فمدلول لفظ السرقة في معاجم اللغة بإثمه أخذ الشيء خفية، وهي في الأصل تنسب للأشياء المادية التي تؤخذ خلسة.

فمصطلح "السرقة"، لم يكن مصطلحاً للذم على إطلاقه كما توجي دلالاته المعجمية ولكنه كان مصطلحاً عاماً أطلق على ألوان متباينة من الأخذ، فبينما كانت السرقة أحياناً يراد بها التهوين من شاعرية الشاعر، والغض من أصالته، ورميه بالعجز والخمول، وأحياناً أخرى تبرير أخذ الشاعر بإثبات أصالته والتصريح بأن أخذه من سابقه لم يكن مجرد أخذ مباشر، بل كان احتذاء أشعار السابقة، واتخذ منها مواد أولية لصناعة، ثم أتقن صنعها وإبداعها إبداعاً فنياً خاصاً به.⁽⁵⁾

فتناول الشاعر أفكار سابقة أو معاصريه أمر لا حرج فيه ولا مؤاخذه عليه مادام قد أجاد عرضها، وأبرزها في صورة فنية خاصة به.

أما الصورة الخاصة في الشعر، فهي الجانب الفني الذي يتفرد به الشاعر، وتبرز فيه مشاعرة وخواطره الخاصة.

وقد أصبح إبداع هذه السرقات من الأعمال المجيدة التي تدل على بصيرة الناقد الحاذق المبرز، وتمكنه من صناعته، وفطنته إلى المعاني الأصلية التي حاول السارق إخفاءها في ثياب عباراته.

المطلب الثاني

آراء النقاد في السرقة.

لعل المبرد بكلامه في السرقات وبحثه المستفيض فيها كان أول من طرق باب القول في هذا الموضوع الدقيق من موضوعات النقد، فولجته من بعده كثير من النقاد، وتوسعوا فيه، وعدوه باباً من الأبواب المهمة في النقد بل وفي البلاغة، فكان بهذا أستاذاً لأبي هلال العسكري الذي تكلم في الأخذ ومعناه، وقسمه إلى أخذ حسن وأحد قبيح ... وللامدي الذي يدور معظم بحثه «الموازنة بين الطائنين» على المعاني المشتركة بينهما وما سرقه كل منهما من سابقه من الشعراء والأدباء، وللقاضي الجرجاني في وساطته بين المتنبّي وخصومه التي عرض فيها كثيراً من النصوص درس فيها سرقات المتنبّي، وسرقات غيره من القدامى والمحدثين، وغيره من النقاد.

فشغلت قضية السرقات الشعرية هؤلاء النقاد، فبحثوا فيها وأسهبوا في مناقشتها، واختلّفوا في تحديد مفهومها، وتعارضوا في وضع أسسها ومعاييرها، لكنها ظلّت تدور في إطار الإغارة على معاني الآخرين .

يقول الجرجاني " ... والسَّرَقُ داءٌ قديم، وعيب عتيق، ومازال الشاعر يستعين بخاطر الآخر، ويستمد من قريحته، ويعتمد على معناه ولفظه... "(1)

-
- 1- الوساطة بين المتنبّي وخصومه ، للقاضي على بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية صيدا - بيروت - لا- ط - ص214.
 - 2- السرقات الأدبية د/ بدوي طبانة ، الطبعة الثانية سنة 1969م مكتبة الانجلو المصرية ص56.
 - 3- ينظر الوساطة، للجرجاني. ص179.

فالسراقات الشعرية قديمة قدم نشأة الشعر، وواكبته في تطوره، فقد أخذ الشعراء يغيرون على معاني بعضهم بعضاً، يأخذونها كماهي، أو يقلدونها، أو يحاكونها.

"فكل من أخذ معنى من المعاني الخاصة المبتكرة، ونسبه لنفسه دون أن يضيف إليه، وعمله هذا يسمى سرقة..." (2)

وفي حديثه عن السرقات الشعرية أيضاً "قسم المعاني إلى ثلاثة أقسام: المعاني المشتركة التي لا يجوز ادعاء السرقة فيها، والمعاني السطحية المبتذلة التي في أصلها مخترعة، ثم استفاضت وشاعت فليس أحد أولى بها من أحد، والمعاني المختصة التي حازها المبتدئ فملكها، فصار المعتدى مختلساً سارقاً"⁽³⁾

فأخذ الفكرة المجردة أمر لا حرج فيه على الشاعر؛ لأن الفكرة المجردة في صناعة الشعر بمثابة المادة الخام في غيرها من الصناعات وتتأكد تلك النظرة إلى أخذ الفكرة لدى الأمدى: "أن مَنْ أدركته من أهل العلم بالشعر لم يكونوا يرَوْن سرقات المعاني من كبير مساوئ الشعراء، وخاصة المتأخرين؛ إذ كان هذا باباً ما تَعَرَّى منه متقدم ولا متأخر..." (1)

فالأمدى يشير بأن سرقة المعاني ليست من المآخذ والعيوب الرديئة في الشعر، بل يرى أنها سمة ظاهرة عند الشعراء.

أما أبو هلال العسكري الذي أفاض الكلام في السرقات الشعرية وأنواعها، وتحدث عن الأخذ الحسن ووسائله، والأخذ القبيح وأنواعه، فيصرح بضرورة أخذ الشاعر من

1- الموازنة بين أبي تمام، والبحري، للأمدى، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المسيرة بيروت (د-ت) ص273.

2- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر لأبي هلال الحسن العسكري، تحقيق على محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا بيروت. الطبعة سنة 1986 م ص196.

أفكار سابقة "ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممّن تقدّمهم والصبّ في قوالب من سبقهم؛ ولكن عليهم -إذا أخذوها- أن يكسوها ألفاظاً من عندهم، ويبرزوها في معارض من تأليفهم، ويوردوها في غير حليتها الأولى، ويؤيدوها في حُسْن تأليفها وجودة تركيبها وكمال حليتها ومعرضها؛ فإذا فعلوا ذلك فهم أحقُّ بها ممّن سبق إليها." (2)

فتناول الشاعر لمعاني سابقه أمراً ضرورياً لا غنى عنه ما دام قد أجاد العرض وأحسن التصوير، فالتشابه بين اللاحق والسابق في ميدان الشعر ظاهرة طبيعية.

فلم ينظر . البعض . من النقاد العرب إلى أخذ الفكرة نظرة امتهان أو اتهام، فالشعر في نظر هؤلاء النقاد صنعة فنية تقاس قيمتها بصياغتها الفنية، فسر الخلود في الآداب، ومدار الإبداع فيها راجع لجمال الصياغة، وبراعة التصوير، والتقن في اختيار الألفاظ الموحية المؤثرة ؛ لأنها ميدان التسابق بين الشعراء .

المطلب الثالث

أنواع السرقة:

قد تعرض النقاد لموضوع السرقات الشعرية، وتناولوه بالدراسة والتمحيص فرأوا إن اتقان الشاعرين في العرض العام كالوصف بالشجاعة والسخاء ... لا يعد سرقة ؛ لأنها أمور متقررة في النفوس، ومصورة أمام العقول، يشترك فيها العامة والخاصة أما اتفاقهما في وجه الدلالة على الغرض من تشبيه أو مجاز فإن كان مما يشترك الناس في معرفته لاستقراره في العقول وجريان العادة والعرف به، كتشبيه الحساء بالبرد والشمس، والجود بالغيث والبحر ... فلا يعد اتفاقهما عندئذ سرقة... وإن كان وجه الدلالة على الغرض مما لا ينال إلا بفكر و روية ولا يصل إليه كل أحد فمثل

هذا الذي تقع فيه السرقة، وإن اتفق فيه الشاعران يقال إن أحدهما قد سطا على الآخر وسرق منه وانتحل قوله، أو أغار عليه ومسخ، أو ألم به وسلخ إلى آخر ما ذكره النقاد في وصف السرقة وتعدد أقسامها، فجعلوا السرقة قسمين :

سرقة ظاهرة تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

1. النسخ، " فهو أخذ اللفظ والمعنى برمته من غير زيادة عليه، مأخوذاً من نسخ الكتاب".⁽¹⁾

أي أخذ أحدهم لفظ غيره ومعناه معاً من غير تغيير أو تبديل لنظمه ويسمى انتحال أيضاً.

كقول امرئ القيس: (2)

وَقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ :: يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلِ.

وكقول طرفة: (3)

وَقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ :: يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَدِّ.

فغير طرفه القافية.

وقول جرير: (1)

1- المثل السائر. لضياء الدين بن الأثير، قدمه وعلق عليه د/ أحمد الحوفي د/ بدوي طبانة، دار نهضة مصر (د.ت) القسم الثالث ص222.

2- البيت من الطويل هو في ديوانه ص9 وفي الشعر والشعراء لابن قتيبة ج1 ص129.

3- البيت من الطويل هو في ديوانه ص19 وفي المثل السائر لضياء الدين بن الأثير، مصدر سابق ج3 ص230.

لَمَّا تَقَى الْحَيَانَ أَلْفَيْتِ الْعَصَى: وَمَاتَ الْهُوَى لَمَا أُصِيبَتْ مَقَاتِلَهُ

البيت لطفيال الغنوي انتحله جرير.

أو تبديل الألفاظ بضعدها، نحو قول الفرزدق: (2)

أَتَعْدُلُ أَحْسَابًا لثَامًا حُمَاتَهَا: بِأَحْسَابِنَا إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعٌ

وكقول جرير:

أَتَعْدُلُ أَحْسَابًا كِرَامًا حُمَاتُهَا: بِأَحْسَابِكُمْ إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعٌ .

أو بتبديل بعض الألفاظ والاحتفاظ بالمعنى نحو

قول الشاعر:

فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ :: إِذَا السَّنَةُ الشَّهِيَاءُ أَعْوَزَهَا الْقَطْرُ.

وقول أبي نواس: (3)

فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ :: وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ.

وقول امرؤ القيس: (4)

-
- 1- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، دار الجيل بيروت، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، حققه، وفصله، وعلق حواسيه محمد محي الدين عبد الحميد الطبعة الخامسة 1981م ج2 ص284.
 - 2- المثل السائر الضياء الدين بن الأثير مصدر سابق ج3 ص230.
 - 3- علم البلاغة. راجي الأسمر، دار الجيل بيروت الطبعة الأولى سنة 1999 ص209.
 - 4- الوساطة الجرجاني مصدر سابق ص199، وديوان امرؤ القيس مر 18 ص58.
 - 5- المصدر نفسه ص195.

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا لِلذِّةِ :: ولم أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خَلْخَالِ.

وَلَمْ أَسْبِ الرِّقَّ الرُّوِّيَّ وَلَمْ أَقْلَ :: لِخَيْلِي كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ.

فأخذ عبد يغوث بن وقاص الحارثي : (5)

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا وَلَمْ أَقْلَ :: لِخَيْلِي كُرِّي نَفْسِي عَنْ رِجَالِيَا

وَلَمْ أَسْبِ الرِّقَّ الرُّوِّيَّ وَلَمْ أَقْلَ لِأَيْسَارِ صِدْقٍ: أَعْظَمُوا صَوءَ نَارِيَا

فالسرقه هنا مكشوفه، يدركها القارئ بسهولة ، وقد شملت اللفظ والمعنى ، مع سوء السبك والصياغة، بسبب تكرار " ولم أقل" في البيتين، فأمرؤ القيس أدق في الوصف من عبد يغوث لأنه جمع ما بين لذتين «الخمر والنساء» أما عبد يغوث فلم يذكر كل هذه الصفات .

2- السَّلَخُ : "فهو أخذ بعض المعنى، مأخوذاً ذلك من سلخ الجلد الذي هو بعض الجسم المسلوخ"⁽¹⁾

ويسمى الإلمام أي هو أخذ المعنى وحده دون اللفظ، وهذا أدق أنواع السرقات مذهباً وأحسنها صورة، ويأتي على ثلاثة ألوان:

أولاً : "أن يكون الثاني أبلغ من الأول لحسن نظمه وجودة سبكه". (2)

1- المثل السائر/ ابن الأثير. مصدر سابق ص222.

2- علم البديع د/ بسيوني فيود مرجع سابق ص272.

3- سورة الأعراف : الآية (155) .

4- علم البديع د/ بسيوني فيود مرجع سابق ص273.

5- كتاب الصاعيتين الكتابة والشعر. لأبي هلال العسكري مصدر سابق ص 208.

6- علم البديع د/ بسيوني فيود. مرجع سابق ص274.

كما في قول البحثري :

تصدُّ حياءً أن تترك بأوجهٍ :: أتى الذنبُ عاصبها فليمَ مُطيعها.

وقول المتنبى:

وَجُرِّمَ جَرَّهُ سَفَهَاءُ قَوْمٍ :: وَحَلَّ بَغَيْرِ جَارِمِهِ الْعَذَابُ.

فبييت المتنبى أجود سبكاً وأحسن وصفاً ، وكأنه قد اقتبس من قوله تعالى ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ۗ﴾⁽³⁾

ثانياً: " أن يكون الثاني دون الأول في البلاغة وجودة السبك " ⁽⁴⁾

كقول الخنساء:

وما بلغ المهذونَ في القولِ مدحاً :: وإن أطنبوا إلا الذي فيك أفضل.⁽⁵⁾

وقول أشجع:

وَمَا تَرَكَ الْمَدَاحُ فِيكَ مَقَالَةً :: وَلَا قَالَ إِلَّا دُونَ مَا فِيكَ قَائِلٌ.

فبييت الخنساء أجود نظماً واحسن سبكاً من قول أشجع السلمي لما في مصراعه الثاني من التعقيد اللفظي.

ثالثاً: " أن يكون الثاني مثل الأول في البلاغة وجودة السبك وعندئذ يكون الفضل لصاحب الأول " ⁽⁶⁾

فالثاني مساوياً للأول فإنه لا يذم ولا يمدح ، نحو قول أحدهم :

وَلَمْ يَكْ أَكْثَرَ الْفَتِيَانِ مَا لَا :: وَلَكِنْ كَانَ أَرْحَبُهُمْ زِرَاعَا.

وقول أشجع السلمي :

وليس بأوسعهم في العنى ... ولكن معروفه أوسع.

فالبينان متساويان في البلاعة وجودة النظم، وقيل البيت الأول أجود لدلالته على السخاء بطريق الكناية "أرحبهم ذراعا" والكناية أبلغ من الحقيقة.

المسخ : " هو إحالة المعنى إلى ما دونه، مأخوذاً ذلك من مسخ الآدميين قرده " (1)

أي هو أخذ المعنى واللفظ معا مع تغيير النظم أو أخذ المعنى وبعض اللفظ، وهذا ما يسمّى بالإغارة، وهو ثلاثة أقسام:

الأول: " إذا كان الثاني أبلغ من الأول بحسن السبك، أو الإيضاح، أو زيادة في المعنى، فهو مقبول و ممدوح" (2)

نحو قول بشار:

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَائِكِ اللَّهْجِ.

أخذه سلم الخاسر فقال: (3)

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَاتَ عَمًّا : : وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورِ.

1- المثل السائر/ ابن الاثير، مصدر سابق ج3 ص222.

2- علوم البلاغة راجي الأسمر ص210.

3- المثل السائر/ ابن الاثير ص258.

4- علوم البلاغة، راجي الأسمر ص210.

فالمعنى في البيتين واحد ، وبيت سلم الخاسر أجود سبكاً وأبلغ من الأول لاختصاره المعنى.

الثاني: "إذا كان الثاني دون الأول بلاغة، فهو مرفوض ومردود" (4)

كقول أبي تمام:

هَيْهَاتَ لَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ :: إِنَّ الزَّمَانَ بِمِثْلِهِ لَبَخِيلٌ.

وقول أبي الطيب:

أَعْدَى الزَّمَانَ سَخَاؤُهُ فَسَخَا بِهِ :: وَلَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بَخِيلًا

حيث جاء الأول دون الثاني بلاغه.

الثالث: "إذا كان الثاني مثل الأول فهو لا يذم ولا يمدح والفضل فيه للأول" (1)

يقول أبي تمام:

لَوْ حَارَ مُرْتَادُ الْمَنِيَّةِ لَمْ يُرَدْ. إِلَّا الْفِرَاقَ عَلَى النَّفْسِ دَلِيلًا.

وقول المتنبي:

لَوْلَا مُفَارَقَةُ الْأَحْبَابِ مَا وَجَدْتُ :: لَهَا الْمَنَايَا إِلَى أَرْوَاحِنَا سُبُلًا.

حيث إن الشاعرين قد تساويا في المعنى.

1- علوم البلاغة، راجي الأسمر ص210.

2- علم البديع ، بيسوني فيود ، مرجع سابق ص275.

أما السرقة غير الظاهرة: فهي مقبولة بجميع أنواعها لما فيها من حسن التصرف وخفاء الأخذ ، وكلما كان الأخذ أشد خفاء كانت أولى قبولاً ؛ لأنها عندئذ تخرج من سبيل الأخذ والاتباع إلى حيز الاختراع والابداع.

وهي عدة أنواع منها:

"أن يتشابه معنى الأول ومعنى الثاني، دون نقل للمعنى إلى محل آخر" (2)
كقول الطرماح:

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنَّنِي :: بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلٍ

أخذ المتنبى هذا المعنى، واستخرج منه معنى آخر غيره، إلا أنه شبيه به.

فقال: (1)

وَإِذَا أَنْتَكَ مَدَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ : : فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي فَاضِلٌ.

النقل: " وهو أن ينقل معنى الأول إلى غير محله". (2)

سلبوا النجيع عليه وهو مجرد :: محمرة فكانهم لم يسلبوا.

فأخذه المتنبى ونقله إلى السيف فقال:

- 1- المثل السائر ابن الأثير ج 3 ص 234.
- 2- المثل السائر ابن الأثير ج 3 ص 234.
- 3- علم البديع . بسيوني فيود مرجع سابق ص 276.
- 4- علم البديع بسيوني فيود مرجع سابق ص 276.
- 5- الصناعيين لأبي هلال العسكري مصدر سابق ص 216 .
- 6- علم البديع د/ بسيوني فيود ص 276.

يبس النجيع عليه وهو مجرد :: عن غمده فكأنما هو مغمدٌ.

" أن يكون معنى الثاني أشمل من معنى الأول."

كقول جرير:

إذا غضبت عليك بنو تميم ... حسبت الناس كلهم غضابا.

وقول أبي نواس:

ليس على الله يستنكر : أن يجمع العالم في واحد. (5)

القلب : " وهو أن يكون معنى الثاني نقيض معنى الأول ، سمي بالقلب لأن الشاعر

يأخذ المعنى ويقبله إلى نقيضه" (6)

كقول أبي تمام:

كَرِيمٌ مَتَى أَمَدَحُهُ أَمَدَحُهُ وَالْوَرَى :: مَعِيَ وَإِذَا مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحَدِي.

أخذه ابن طاهر وقلبه فقال:

يشترك العالم في ذمه :: لكني أمدحه وحدي.

" أن يؤخذ بعض المعنى ويضاف إليه زيادة تحسنه وتجمله". (7)

كقول الأفوه الأودي:

وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا :: رَأَى عَيْنِ ثِقَةٍ أَنْ سَتْمَارُ.

وقول أبي تمام:

وقد ظَلَّتْ عِقْبَانُ أَعْلَامِهِ ضُحَى : : بَعِقْبَانِ طَيْرٍ فِي الدَّمَاءِ نَوَاهِلِ

أَقَامَتْ مَعَ الرَّيَّاتِ حَتَّى كَانَتْهَا : : مِنْ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُفَانِتِلِ.

فأبو تمام قد جعل الطيور "في الدماء نواهل" وتلك زيادة حسنت المعنى وقررتة، فطيور الأفوه واثقة بأنها ستطعم، أما طيور أبي تمام فأنها تتهل من دماء الأعداء.

فالأمر لا يعدو أن يكون تأثيراً، وتأثراً بين الشعراء ، وتوارد خواطر، فمن الطبيعي أن يتأثر اللاحق بالسابق، وأن يؤثر السابق في اللاحق .

الخاتمة

الحمد لله على ما هدى إليه، وأعان عليه، له الحمد في الأولى والآخرة، نعم المولى ونعم النصير: وبعد:

على الشاعر أن يتمرّس، ويتدرب بأثار السابقين، لا ليسرق منها، بل ليهدب طبعه، ويلقح ذهنه، وإذا وجد في شعره معاني كثيرة وجدت عند غيره من الشعراء، حكمت بأن فيها مأخوذاً لا أتنبه بعينه، ومسروفاً لا يتميز به عن غيره، وإنما أقول: قال: فلان كذا، وقد سبق فلان فقال: كذا، فأغتنم به فضيلة الصدق، وتحرزاً عن الوقوع في تنقيض الناس من غير علم. وفي خاتمة هذه الدراسة توصلت إلى النتائج الآتية:

- السرقة الأدبية لا تقع في المعاني المشتركة التي شاعت بين الناس.

- السرقة لا تكون إلا في المعاني الخاصة المبتكرة، التي لها ارتباط وثيق بصاحبها، أو تجربة ذاتية خاصة.

- الأديب المبتكر لفنه وأدبه هو الجدير بالتقدير والاحترام، والمفضل على غيره من الأخذيين عنه، لأن له فضل السبق والابتكار

- السرقة لا تكون في الألفاظ وحدها، وإنما تكون في اللفظ والمعنى معا، أو في المعاني الخاصة المبتكرة.

. من أخذ معنى من المعاني المبتكرة من السابقين فزاد عليه زيادة حسنه، أو نقله من غرض إلى غرض، أو قلب المعنى إلى ضده، أو صاغه صياغة جميلة أحسن من الصياغة الأولى، لا يعد سارقا في مقاييس السرقات الأدبية.

- أما من أخذ اللفظ والمعنى برمتها، أو أخذ المعنى المبتكر، وشوّهه بالتقصير فيه في المضمون أو الصياغة فهو سارق وسرقته من أقبح السرقات؛ لأنه تعرض لسرقة ما لا يخفى على أحد أنه سرقة، افتضح أمره أمام الأدباء

والحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

بدايات النقد الأدبي الدكتور هاشم صالح مناع، دار الفكر العربي بيروت الطبعة الأولى سنة 1994م.

السراقات الأدبية دراسة ابتكار الأعمال الأدبية في تقليدها تأليف د. بدري طبانة، الطبعة الثانية سنة 1969 مكتبة الأنجلو المصرية.

الشعر والشعراء، لابن قتيبة، وشرع أحمد محمد شاكر، دار الحديث القاهرة، الطبعة سنة 2003.

علم البيع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع الدكتور: بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة، دار المعالم الثقافية للنشر والتوزيع الأحساء، الطبعة الثانية سنة 2004 م.

علوم البلاغة الموسوعة الثقافية العامة إعداد: راجي الأسمر، اشراف: د. إميل يعقوب، مدار الجيل بيروت الطبعة الأولى سنة 1999 م.

العمدة في محاسن الشعر و آدابه ونقده، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، حققه وفصله، وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل بيروت، الطبعة الخامسة. سنة 1981م.

قضايا في تراثنا النقدي الدكتور، حسن طيل ، الناشر مكتبة الزهراء القاهرة سنة 1915م.

كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تصنيف أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق على محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية صيدا بيروت سنة 1986م.

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير قدمه وعلق عليه د/ أحمد الحوفي، د/ بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع و النشر - القاهرة (د-ت).
الموازنة بين أبي تمام حبيب بن أوس الطائي وأي عبادة الوليد بن عبيد البحر الطائي، لأبي القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الأمدى البصري، حقق أصوله وعلق حوشيه محمد محي الدين عبد الحميد، دار المسيرة، بيروت (د-ت).
لسان العرب للإمام العلامة ابن منظور، دار الحديث القاهرة الطبعة سنة 2003 م المجلد الرابع.

التحليل الرقمي للخصائص المورفومترية لحوض وادي الطوالب في منطقة

الخمس واستثمارها اقتصاديا

إعداد: د. الصادق محمود عبد الصادق*

د. خالد أحمد بشير قناو*

المقدمة:

شهدت الجغرافيا الكمية ثورة نوعية بلغت ذروتها منذ أواسط القرن الماضي، حيث أدخلت مجموعة من الطرق الإحصائية والهندسية في الوصف والتحليل بهدف الوصول إلى مستوى أكثر موضوعية في الدقة والتفسير، وازدادت أهمية هذا الاتجاه حتى أصبح طريقاً ونهجاً متبعاً في الدراسات الجغرافية عموماً والطبيعية منها على وجه الخصوص، وذلك بهدف دعم دراساتهم الميدانية والمكتبية عبر صياغة العلاقات بين عناصر المكان على شكل معادلات رياضية يعبر عنها بالدراسات المورفومترية، حيث انتقلت من استخدام الخرائط الطبوغرافية والصور الجوية إلى استخدام نماذج الارتفاعات الرقمية (DEM) وخاصة دراسة الأحواض المائية للأودية في المناطق التي تعاني من شح في الموارد المائية، حيث عرفت الخصائص المورفومترية (Strahler, 1969) بأنها علم قياس الخصائص الهندسية لظواهر سطح الأرض الناتجة عن التعرية النهرية، بينما عرفت (Morisawa, 1968) بأنها التحليل العددي لأشكال سطح الأرض وتحديد العلاقات الرياضية بين المظاهر

* عضو هيئة تدريس - أستاذ مشارك - جامعة المرقب-كلية الآداب-قسم الجغرافيا

aabdelsadiq@gmail.com

* عضو هيئة تدريس - محاضر - جامعة المرقب-كلية التربية-قسم الجغرافيا

khalid2014.m.a.a.t@gmail.com

الطوبوغرافية وشبكات التصريف المائي (أبو العينين، 1995، ص86)، حيث يشير التحليل المورفومتري إلى جميع الخصائص القياسية التي تنتج عن أخذ قياسات معينة للأحواض المائية، وقد تم الاعتماد على تلك الخصائص المورفومترية في إنشاء قاعدة بيانات جغرافية لحوض وادي الطوالب من حيث الشكل والمساحة والتضرس، ومن ثم رسم شبكة التصريف المائي للحوض كظاهرة طبيعية لها علاقة في تحديد شكل الأرض وتطورها مما يعطي تصوراً واضحاً عن المرحلة العمرية التي وصل إليها الحوض المائي، وكذلك معرفة هيدرولوجية الحوض من حيث كمية كثافة التصريف المائي وتكرارية المجاري ونسبة تشعبها وذلك من أجل المحافظة على الموارد المائية وتنميتها في المجالات الاقتصادية خاصة في المناطق ذات المورد المائي المحدود.

مشكلة الدراسة (The Problem of study)

تتمثل مشكلة الدراسة في كيفية حساب وتحليل الخصائص المورفومترية لحوض وادي الطوالب كنوعية التضاريس وأشكالها وتوزيعاتها الجغرافية داخل نطاق الحوض المائي وتحديد خصائص الرتب المائية وعدد مجاريها بما يخدم برامج التنمية الزراعية والصناعية واستثمارها وتتلخص مشكلة الدراسة في الإجابة على التساؤلين التاليين:

- 1- ماهي الخصائص المورفومترية السائدة في حوض وادي الطوالب؟ وماهي انعكاساتها على الجريان والتصريف المائي؟
- 2- ما هو دور نتائج التحليل المورفومتري في وضع المقترحات التي تساعد في مجالات التنمية من قبل الجهات المختصة؟

3- فرضياتها (Hypothesis)

- 1- هناك ارتباط بين تنوع الخصائص المورفومترية الشكلية والتضاريسية وبين تنوع العمليات الجيومورفولوجية وتطورها.

2- توجد علاقة بين التوزيع الجغرافي للخصائص المورفومترية وبين تحديد مواقع لإنشاء السدود والمصائد المائية واستثمارها اقتصاديا.

4- أهداف الدراسة (Objectives of the study)

استخراج الخصائص المورفومترية لحوض وادي الطوالب وقياس أبعادها ومتغيراتها وتكوين قاعدة بيانات جغرافية رقمية لهذا الحوض.

انشاء وتصميم الخرائط الرقمية لمورفومترية الحوض وتحليلها للتعرف على أهم الخصائص المساحية والشكلية والتضاريسية.

استخدام نتائج التحليل المورفومتري لوضع مقترحات تنمية تساعد في تحديد مواقع لإنشاء السدود والمصائد المائية واستثمارها اقتصاديا.

5- أهميتها (Importance)

الكشف عن الخصائص المورفومترية لحوض وادي الطوالب وتحليلها من خلال تطبيق المعاملات المورفومترية الموجودة داخل برنامج (Arc Toolbox).

تحديد أهمية الخصائص المساحية والشكلية والتضاريسية والتصريفية للحوض وروافده الرئيسية وبيان المناطق التضاريسية المهدة بالجريان والانجراف المائي لمساعدة الجهات المختصة في اتخاذ الحلول والقرارات ومساهمتها في التنمية الاقتصادية للمنطقة.

6- منهجية الدراسة (Approach of study)

إن لكل دراسة منهجية يعتمد عليها الباحث للإحاطة بموضوع دراسته بشكل

جيد، وقد استخدمت هذه الدراسة المنهج الكمي التحليلي (The quantitative)

analytical approach وهو عبارة عن أسلوب علمي تحليلي يركز على

معلومات دقيقة لظاهرة أو موضوع خلال فترة زمنية محددة، حيث تلجأ الدراسة في

هذا المنهج إلى دراسة الخصائص المورفومترية للحوض وإجراء القياسات وتطبيق

المعادلات واستخلاص النتائج من خلال نموذج الارتفاع الرقمي (DEM) لإجراء

التحليلات المورفومترية وذلك من أجل تحديد مجراه الرئيسي وشبكات التصريف المائي الموجودة بداخله وتوزيعها الجغرافي، للوصول إلى نتائج دقيقة وتقديم صورة واضحة عن طبيعة الحوض وخصائصه المساحية والشكلية والتضاريسية.

ثانياً- الخصائص الطبيعية لمنطقة الدراسة:

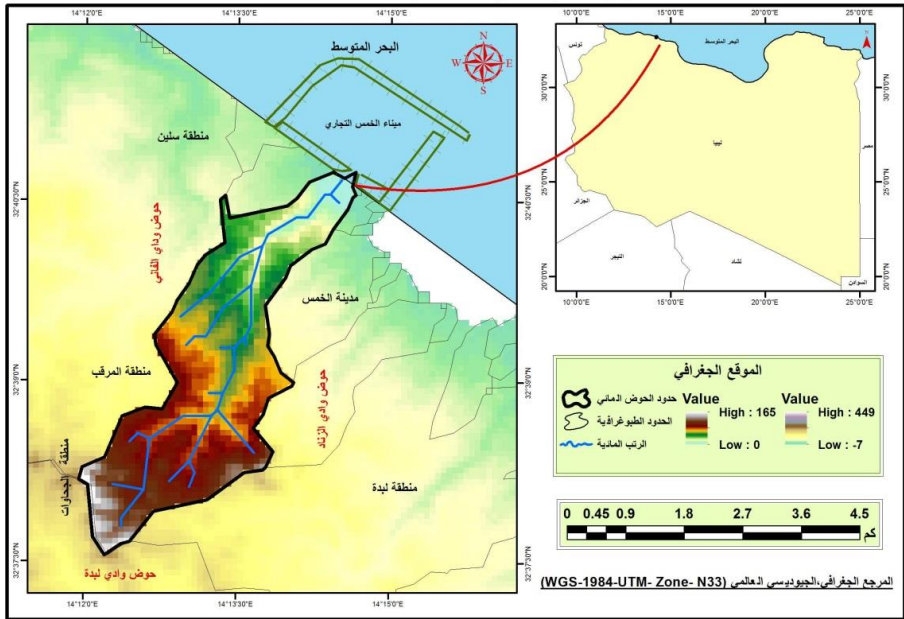
1- موقع منطقة الدراسة وحدودها (The location of the study area)

يقع حوض وادي الطوالب في منطقة الخمس شمال غرب ليبيا على ساحل البحر المتوسط بين دائرتي عرض (33° 37' 32" - 44° 40' 32") شمالاً وبين خطي طول (57° 11' 14" - 39° 14' 14") شرقاً، وهو عبارة عن وادٍ موسمي يبدأ من منطقة الجحوات وجنوب منطقة سيلين وينتهي في مدينة الخمس وتحديداً عند ميناء الخمس التجاري ليصل إلى البحر بطول (7.100 كم) في حين يبلغ أقصى عرض للحوض (2.5 كم) بمتوسط عرض (2 كم)، ويتصف بأنه ذو شكل غير متناظر وكثير التعرج والاستطالة وبانحدار تدريجي نحو البحر بمساحة تقدر (9.181 كم²)، وتتباين مناسيب الحوض من (صفر إلى 165 متر) فوق مستوى سطح البحر، وقد بلغ عدد الروافد المائية حسب التحليل المورفومتري نحو (23) رافد مائي موزعة على ثلاث رتب مائية رئيسية والتي تتوزع جغرافياً في أرجاء منطقة الحوض بطول إجمالي بلغ (14.272 كم)، انظر الخريطة رقم (1).

أما عن حدود الحوض الطبوغرافية فإنه يحده الكثير من الأودية داخل المنطقة حيث يحد الحوض من الناحية الغربية حوض وادي الفاني وحوض وادي لبدية بطول حدودي مشترك بلغ (15.6 كم)، أما حدود الحوض من الناحية الشرقية فيحده حوض وادي الزناد مع أحواض مائية صغيرة بطول (16.7 كم)، أما من ناحية الشمال فيحده أراضي سهلية صغيرة مقام عليها ميناء الخمس التجاري إلى أن يصب في البحر، ومن ناحية الجنوب فيحده حوض وادي لبدية بطول (13.8 كم)، وبالتالي فإن هذه الأحواض المائية التي تتموضع بجانبه تتقاسم

مياه الأمطار فيما بينها (خط تقسيم المياه) فيتوزع الجريان المائي السطحي على تلك الأحواض مما تتخفف كمية الجريان المائي في حوض وادي الطوالب أثناء سقوط الأمطار وخاصة في فصل الشتاء، مما سيؤثر على المرحلة العمرية للحوض من حيث الحجم والمساحة ونسبة التضرس ومعامل الشكل وكمية التصريف وأنماط شبكة المجاري المائية.

خريطة (1) الموقع الفلكي والجغرافي لحوض وادي الطوالب.



المصدر: من عمل الباحثان استناداً إلى الخرائط الرقمية من موقع USGS بالاعتماد على برنامج Arc map 10.7.

2- التركيب الجيولوجي (Geological Structure)

تتنوع التكوينات الجيولوجية في حوض وادي الطوالب من حيث النوع والتوزيع الجغرافي والعمر الجيولوجي، فمعرفة البنية والحركات التكتونية وما ينتج عنها من صدوع وفوالق تفسر العمل الجيومورفولوجي للحوض ومن ثم معرفة الخصائص المورفومترية الناتجة عنها، وتتنوع التكوينات الجيولوجية في الحوض كما يلي:

أ- تكوين سيدي الصيد (Composition Sidy Aseed)

عبارة عن مجموعة من صخور الحجر الجيري الدولوميتي والحجر الجيري المتبلور، وقد قسم في بعض المناطق إلى عضوين: هما عضو عين طبي، وعين يفرن (مركز البحوث الصناعية، 1975، ص4)، حيث ينتشر في جنوب الحوض وتبلغ مساحة هذا التكوين في الحوض (0.5290 كم²) أي بنسبة (5.7%) من إجمالي مساحة الحوض.

ب- تكوين الخمس (Alkhums composition)

وهو عبارة عن مجموعة من الصخور التي تنتمي إلى عصر الميوسين، ويتوزع هذا التكوين في المجاري المائية بمساحة بلغت (0.3830 كم²) أي بنسبة (4.2%) من إجمالي مساحة الحوض.

ج - الرواسب المائية الرياحية (Wind water sediments)

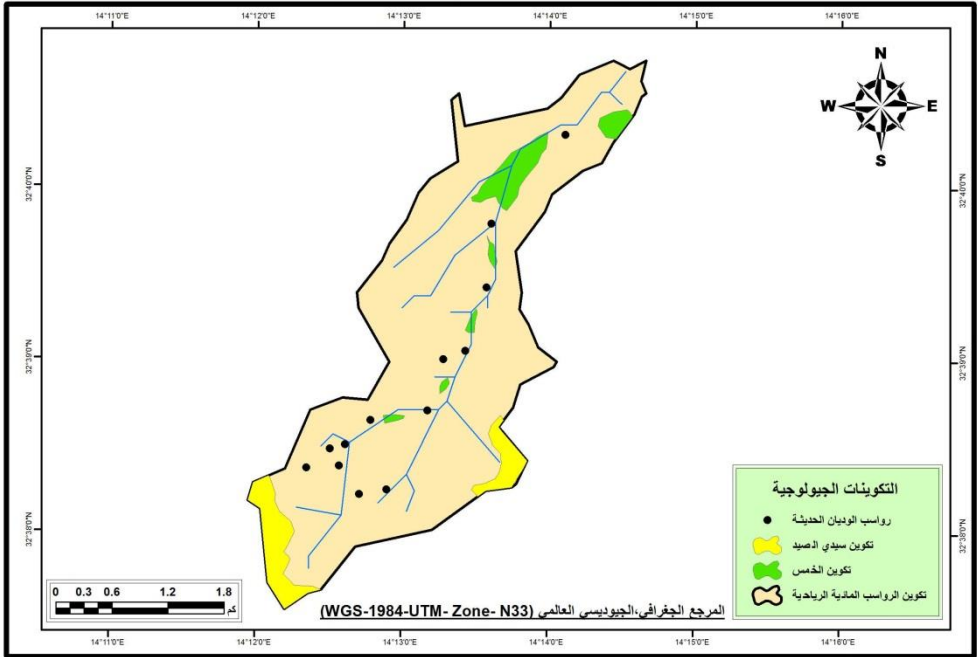
وهي عبارة عن خليط من الرمل والحصى والغرين والتي تعود إلى تكوينات عصر الهولوسين والبلايستوسين، والتي تنتمي إلى الزمن الرابع وتغطي مساحات واسعة من الحوض وخاصة في المناطق السهلية بمساحة (8.269 كم²)، أي بنسبة (90.1%) من مساحة التكوينات الجيولوجية الموجودة في الحوض.

جدول (1) مساحة التكوينات الجيولوجية لحوض وادي الطوالب.

النسبة المئوية%	المساحة/ كم ²	التكوين
5.7%	0.5290 كم ²	سيدي الصيد
4.2%	0.3830 كم ²	الخمس
90.1%	8.269 كم ²	الرواسب المائية الرياحية
100%	9.181 كم ²	المجموع

المصدر: من عمل الباحثان بالاعتماد على البيانات الموجودة في الخريطة الجيولوجية رقم (2).

خريطة (2) التركيب الجيولوجي لحوض وادي الطوالب.



3-الوضع الطبوغرافي (Topographic situation)

تقف تضاريس سطح الأرض في مقدمة عناصر المكان التي تؤثر بشكل مباشر في العمليات الجيومورفولوجية وخاصة في نشوء الشبكة المائية وتطورها، إذ يؤدي الانحدار الدور الرئيسي بين عناصر السطح في زيادة سرعة المياه الجارية مما ينعكس على طبيعة العمليات الجيومورفولوجية من نحت ونقل وترسيب سواء كان النحت الرأسى أو الجانبي الذي يعمل على إزالة ارتفاعاته وردم منخفضاته، وبالتالي فإن مناسب حوض وادي الطوالب تتباين من منطقة إلى أخرى ويتضح من

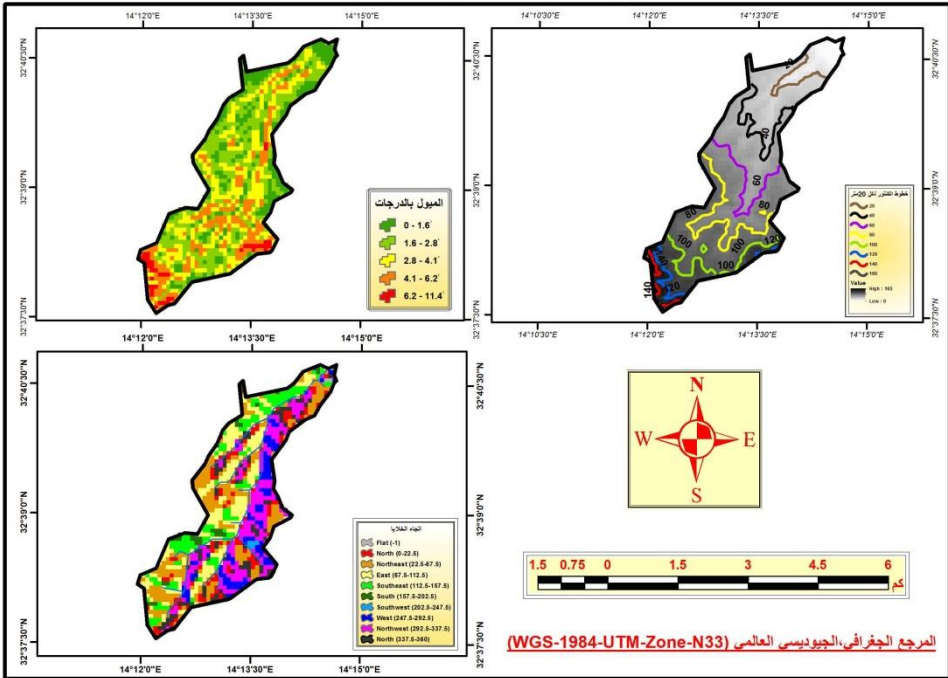
الخريطة رقم (3) وجود تدرجًا واضحًا في الارتفاعات والانخفاضات حيث بلغ في المنطقة الدنيا بنحو (50 متر) وذلك بسبب العمليات الجيومورفولوجية السائدة كالنحت المائي والريحي وعمليات الانجراف المائي، في حين يتدرج الارتفاع نحو الجنوب حتى يصل ارتفاعها ما بين (50 إلى 165 متر) فوق مستوى سطح البحر، والتي تتميز بكثرة الروافد والترتب المائية وتشعبها وذلك بسبب عاملي الارتفاع والانحدار بحيث تنتشر الموائد الصخرية والمنحدرات والجروف والتلال الصخرية، بينما نقل تلك الأشكال الجيومورفولوجية والروافد المائية نحو منطقة المصب وتبدأ المنطقة السهلية بالظهور تدريجيا نحو البحر.

أما عن الانحدار (Slope) فتمتيز منطقة الدراسة بالتدرج في الانحدار من الجنوب إلى الشمال أي من مناطق تجمع المياه إلى مناطق الجريان ومن ثم المصب بحيث يتراوح ميلها بالدرجات ما بين (0- 11.4 درجة) بمتوسط عام بلغ (2.8 درجة)، بينما يتراوح ميلها بالنسبة المئوية (0- 20.2%) وبمتوسط عام (5%) وتصنف منطقة الدراسة حسب تصنيف العالم (Young) بأنها معتدلة الانحدار وتكون عمليات التعرية كبيرة وازدياد الميول في جنوب منطقة الحوض (منطقة المنابع) التي يتراوح ميلها ما بين (4.1- 11.4 درجة) وتسمى بالجروف أو التلال المرتفعة، أما المناطق متوسطة الانحدار فهي تتوزع في منتصف الحوض وخاصة في المجاري الرئيسية للحوض ويتراوح ميلها ما بين (2.8- 4.1 درجة) وتسمى (منطقة الجريان) في حين تتميز منطقة المصب بالانبساط والانتظام حيث تبلغ درجة ميلها بين (0- 1.6 درجة) وتسمى مناطق خفيفة الانحدار أو مستوية السطح (سهلية) وذلك بسبب الإرسابات المائية والريحية.

كما أن درجة اتجاه السطح (Aspect) توضح اتجاهات الانحدار في الحوض والمصممة من نموذج الارتفاع الرقمي (DEM) فمن خلالها تبين أن هناك ثمانية

اتجاهات للانحدار في حوض وادي الطوالب ويستخلص منها أن معظم الانحدارات تتجه نحو مناطق أقدام المرتفعات والسهول التجمعية ومع اتجاه مجرى الماء الرئيسي في الحوض مما يؤدي إلى زيادة سرعة فاعلية عمليات التعرية المائية والريحية والذي بدوره يعمل على زيادة حركة المواد المفتتة عبر جريان تلك المياه أثناء سقوط الأمطار وما بعدها مكونة أشكالاً جيومورفولوجية متباينة من حيث عمليات النحت والنقل والإرساب.

خريطة (3) المظهر الطبوغرافي لحوض وادي الطوالب.



المصدر: من عمل الباحثان استناداً إلى الخرائط الرقمية من موقع USGS بالاعتماد على برنامج Arc map 10.7.

4- المناخ:

تم التركيز في هذه الدراسة على درجات الحرارة والأمطار بمنظورها العام لمدة 30 سنة (1990-2021)، حيث يلاحظ أن درجات الحرارة الشهرية تأخذ شكل المنحنى في شهري يوليو وأغسطس بمتوسط شهري (30.8م° - 31.9م°) بينما يبدأ الانخفاض التدريجي لدرجات الحرارة الشهرية من شهر سبتمبر حتى شهر يونيو حيث سجلت خلال شهري يناير وفبراير أقل قيمة للمعدل الشهري (17.0م° - 18.0م°)، أي أن درجات الحرارة تتسم بارتفاع عام خلال فصل الصيف الذي بلغ المتوسط الفصلي (30.6م°) وخاصة في شهر أغسطس والسبب في ارتفاعها هو طول النهار وشفاء الجو وارتفاع زاوية سقوط الإشعاع الشمسي، بينما تقل المعدلات الحرارية الفصلية في باقي الفصول وخاصة في فصل الشتاء الذي سجل أقل المعدلات الحرارية بمتوسط فصلي (17.8م°) وخاصة في شهر يناير الذي سجلت فيه أقل درجات الحرارة والسبب في ذلك هو انخفاض زاوية سقوط الإشعاع الشمسي وقصر النهار وازدياد نسبة الغيوم.

أما عن طبيعة الأمطار في منطقة الدراسة فهي تتساقط على شكل رخات عشوائية وعلى فترات زمنية تتباين في سقوطها سواء كانت شهرية أو فصلية أو سنوية، حيث سجل فصل الشتاء أعلى المعدلات المطرية الفصلية بمجموع فصلي بلغ (151.0ملم) وخاصة في شهري ديسمبر ويناير، بينما يأتي في المرتبة الثانية فصل الخريف من حيث المجموع الفصلي إذ بلغت حوالي (92.4ملم) والتي سجل فيها شهر نوفمبر أعلى معدلاته، أما عن طبيعة الأمطار في فصل الربيع فإنها متذبذبة من شهر إلى آخر حيث سجل شهر مارس أعلى قيمة في كميات الأمطار الشهرية خلال هذا الفصل والتي بلغ مجموعها (39.2ملم)، أما فصل الصيف فيقل سقوط الأمطار ويكاد يندم في معظم شهور الفصل حيث سجل المجموع الفصلي (1.2ملم) ويتميز المناخ خلال هذا الفصل بالجفاف والسبب يرجع إلى وقوع

ساحلها عند أقصى الحدود الجنوبية لنطاق أعاصير المنطقة المعتدلة بحيث تتصارع كتل الهواء الجافة (المدارية القارية) مع كتل الهواء الرطبة (البحرية) حيث تكون الغلبة في بعض الأحيان للكتل الرطبة فيسقط المطر ويتكاثر وفي أحيان أخرى تكون الغلبة للهواء المداري القاري فينجم الجفاف (امقيلي، 1995، ص177).

ثالثاً- الخصائص المورفومترية لحوض وادي الطوالب:

1- الخصائص المساحية (Area Characteristics)

1-1- مساحة ومحيط الحوض (Basin perimeter)

هي المساحة التي يحددها خط تقسيم المياه والتي تعني أرض محددة بمحيطها عما يجاورها من الأحواض والتي تنصرف مياهها المتجمعة نحو مجاري أوديتها لينتهي بها المطاف إلى منطقة المصب، أما عن محيطه فهو عبارة عن خط وهمي يفصل بين حوض مائي وآخر ويمر عبر النقاط الأكثر ارتفاعاً في المنطقة التي تحيط بمساحة محددة تنصرف مياهها نحو مجاري أوديتها وصولاً إلى المجرى الرئيسي ثم المصب (الدليمي، الجابري، 2018، ص82)، وتتأثر مساحة الحوض ومحيطه بتطور المجاري المائية وعمليات الأسر النهري ونشوء المجاري الموسمية عقب سقوط الأمطار وما يتبع ذلك من تأثير كمية التصريف وحجم وكمية الرواسب، كما يتأثر بتراجع المنحدرات التي تمثل قممها وجروفها خطوط تقسيم مياه الأحواض، (سلوم، 2012، ص404)، وقد بلغت مساحة حوض وادي الطوالب حسب التحليل المورفومتري (9.181 كم²) وهي مساحة صغيرة مقارنة بالأحواض المائية الموجودة في منطقة الخمس كحوض وادي كعام وحوض وادي لبدة على اعتبار أنها تستقبل نفس كميات الأمطار المتساقطة في المنطقة، بينما بلغ محيطه نحو (18.240 كم) وهي قيمة صغيرة ويرجع السبب إلى صغر المساحة الحوضية وميل المجاري المائية لتعميق مجراها وازدياد أطوالها على حساب النحت الجانبي والتراجعي.

2-1- أبعاد الحوض (الطول والعرض) (Basin length and width)

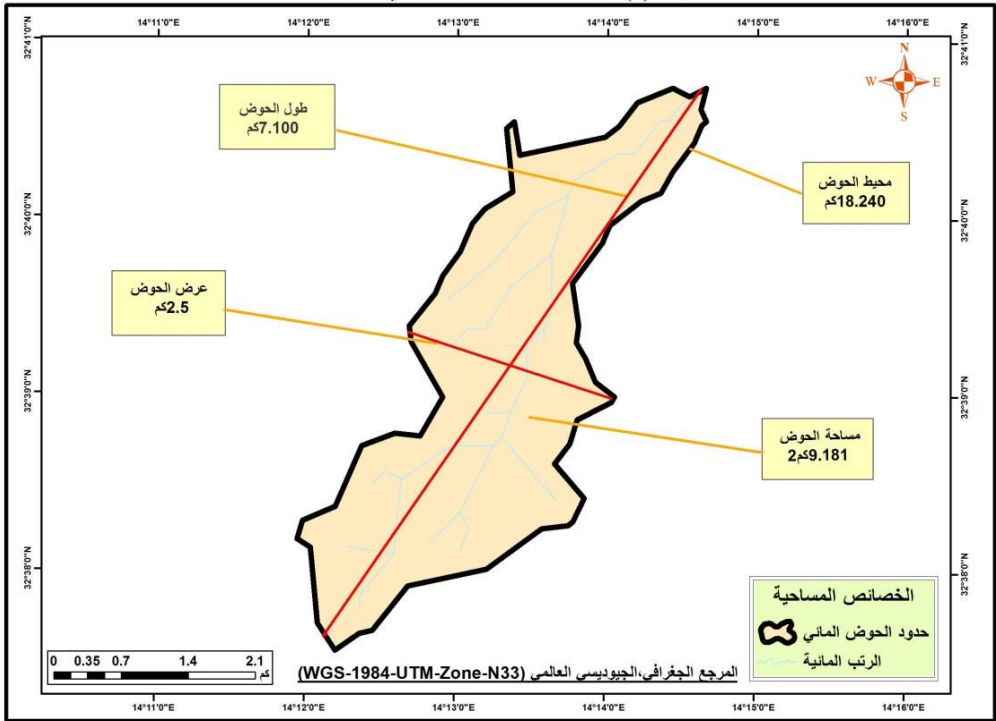
تؤدي أبعاد الحوض دورًا مهمًا في عملية الجريان المائي وذلك عن طريق مدة الجريان التي تقطعها المياه، فإذا كان طول الحوض قصير فإن كمية الجريان المائي تصل إلى منطقة المصب بسرعة كبيرة وبكميات رواسب كثيرة، أما إذا كان طويلاً فتحتاج المياه إلى مدة زمنية أطول للوصول إلى مناطق الحوض الدنيا مع كميات رواسب أقل، كما تتناسب معدلات التسرب والبخار مع طول الحوض تناسباً طردياً وذلك لتباطؤ سرعة المياه الجارية باتجاه المصب، وقد بلغ طول حوض وادي الطوالب نحو (7.100 كم)، كما لا يقل عرض الحوض أهمية عن الطول، فكلما اقتربت قيمته من قيمة الطول اقترب شكل الحوض من الشكل الدائري والعكس صحيح، وقد تم قياس عرض الحوض بحساب أقصى عرض فبلغت (2.5 كم)، كما تم حساب متوسط عرض الحوض المائي عن طريق المعادلة الرياضية وقد بلغ (2 كم) وتعتبر هذه القيم منخفضة مقارنة بحوضي وادي لبدة وكعام التي تتوزع جغرافياً في نفس المنطقة.

جدول (2) الخصائص المساحية لحوض وادي الطوالب.

أقصى مسافة عرض/ كم	متوسط عرض الحوض/ كم	طول الحوض/ كم	مساحة الحوض/ كم ²	محيط الحوض/ كم	وادي الطوالب القيمة
2.5	2	7.100	9.181	18.240	

المصدر: من حسابات الباحثان بالاعتماد على برنامج (Arc map 10.7).

خريطة (4) الأبعاد المساحية لحوض وادي الطوالب.



2- الخصائص الشكلية (Formal Characteristics)

2-1- نسبة الاستدارة (Rotation Ratio)

توضح مدى اقتراب الحوض من الشكل الدائري أو ابتعاده عنه، وتتراوح قيم هذا المعامل بين (صفر-1)، فالقيم القريبة من الواحد تشير إلى الشكل الدائري للحوض، وكلما ابتعدت القيم عن الواحد الصحيح ابتعد الحوض عن الشكل الدائري واقترب من الشكل المستطيل، وقد بلغت نسبة الاستدارة في حوض وادي الطوالب (0.34) وهي قيمة منخفضة مما يدل إلى عدم انتظام محيط الحوض أو خط تقسيم

المياه، وأن شكله بعيد عن الدائري ويميل إلى الاستطالة، بل إن محيطه يمر بتعرجات أثرت على أطوال المجاري المائية من الرتبة الأولى التي تقع بالقرب من خط تقسيم المياه ، ويعبر عنها رياضياً بالآتي(الدراجي، 2019، ص99):

$$Rc = \frac{4\pi A}{p^2} = \frac{4 \times 3.1416 \times 9.181}{(18.240)^2} = \frac{115}{332} = 0.34$$

حيث أن: Rc معامل الاستدارة، A مساحة الحوض المائي كم²، p² محيط الحوض المائي، π النسبة التقريبية = 3.1416.

2-2- نسبة الاستطالة (Elongation Ratio)

وهي تعبر عن مدى امتداد الحوض مع شكل المستطيل، وكلما اقتربت هذه النسبة من واحد صحيح فإن هذا يشير إلى أن شكل الحوض قريب من الشكل المستدير، أما إذا ابتعدت هذه النسبة عن واحد صحيح فإن الحوض يكون قريباً من الشكل المستطيل، وقد بلغت نسبة الاستطالة لحوض وادي الطوالب (0.48) وهي قيمة متوسطة الاستطالة مما يدل على أن شكل الحوض أقرب إلى المستطيل وفي بداية مرحلته العمرية وأنه يمر بمرحلة الشباب، وهذا الشكل لا شك يؤثر على طول المجاري المائية وعددها خاصة التي تنتمي إلى الرتب الدنيا التي تميل إلى زيادة أطوالها، وتستخرج نسبة الاستطالة وفق المعادلة الآتية (Shumm, 1956):

$$R = 1.128 \times \sqrt{\frac{A}{L}} = 1.128 \times \sqrt{\frac{9.181}{7.100}} = 0.48$$

حيث أن: R نسبة الاستطالة، A مساحة الحوض، L طول الحوض.

2-3- معامل الاندماج (Compactness factor)

وهو مؤشر لمدى استطالة أو استدارة الحوض المائي بكل تعرجاته مع مساحته، وتشير القيم المرتفعة لهذا العامل عن الواحد الصحيح إلى ازدياد تعرجات الحوض وعدم تناسقه وقلّة انتظامه وابتعاد الحوض عن الشكل الدائري واقترابه من

الشكل المستطيل، وهذا ما يتطابق مع حوض وادي الطوالب الذي بلغت قيمة معامل الاندماج (1.7) مما يدل ابتعاد الحوض عن الشكل الدائري واقترابه من الشكل المستطيل وسيادة عمليات النحت الرأسى، ويستخرج وفق العلاقة الرياضية الآتية (محسوب، 2001، ص212):

$$C = \frac{p}{2\sqrt{M\pi}} = \frac{18.240}{2\sqrt{2.9 \times 3.1416}} = 1.7$$

4-2- معامل شكل الحوض (Form Factor)

يبين معامل الشكل مدى العلاقة بين طول الحوض ومساحة التصريف، حيث يعطي مدى تتاسق عرض الحوض المائي على امتداد طوله من منطقة المنبع وحتى بيئة المصب، وقد توصل (هورتون) سنة 1932 إلى أن أفضل نتيجة هي التي تكون فيها قيمة معامل الشكل تساوي (0.5) بحيث يكون شكله بيضاويا، وقد بلغت قيمة معامل الشكل للحوض نحو (0.18) وهي قيمة منخفضة والتي تشير بعدم انتظام الحوض واقتراب شكله من المثلث والذي سيؤثر على نظام التصريف المائي مؤدياً إلى ارتفاع منسوب الماء بشكل سريع وذلك لقرب الجداول والمسيلات وكثرة المجاري الأولية وازدياد أعدادها من المصب الرئيسي وتصريف كميات مياه تتعاظم تدريجياً مع مرور الزمن، ويستخرج وفق المعادلة الآتية (محسوب، 2001، ص212):

$$F = \frac{A}{L^2} = \frac{9.181}{7.100} = 0.18$$

حيث أن: F معامل شكل الحوض، A مساحة الحوض/كم²، L^2 مربع طول الحوض/كم.

5-2- معامل التفلطح (Lemniscate Factor)

يعد من القياسات المورفومترية الدقيقة في التعبير عن شكل الحوض، حيث اكتسب هذا المعامل شهرته بسبب مقارنته بين شكل الحوض المائي والشكل الكمثري (Pear-shaped) في حين قارنت معظم المعاملات الأخرى بين شكل الحوض الطبيعي والأشكال الهندسية المجردة كالدائرة والمستطيل، وقد بلغت قيمة معامل التفلطح في حوض وادي الطوالب (1.3) حيث تشير القيم المرتفعة التي تزيد عن الواحد الصحيح إلى قلة انبعاث الحوض واستطالته وقلة أعداد مجاري الرتب المائية وأطولها، وهذا ما يتطابق مع حوض وادي الطوالب الذي لم يقطع شوطاً كبيراً في مرحلته التعرؤية وما زال في مرحلة الشباب، ويستخرج وفق المعادلة الآتية (سلوم، 2012، ص551):

$$K = \frac{L^2}{4A} = \frac{(7.100)^2}{4 \times 9.181} = \frac{50.41}{36.72} = 1.3$$

حيث أن K معامل التفلطح، A مساحة الحوض المائي، L^2 أقصى طول للحوض المائي مربعة.

جدول (3) الخصائص الشكلية لحوض وادي الطوالب.

معامل التفلطح	معامل شكل الحوض	معامل الاندماج	نسبة الاستطالة	نسبة الاستدارة	محيط الحوض/ كم	مساحة الحوض/ كم ²	وادي الطوالب
1.3	0.18	1.7	0.48	0.34	18.240	9.181	القيمة

المصدر: من حسابات الباحثان بالاعتماد على برنامج (Arc map 10.7).

3- الخصائص التضاريسية (Topological Characteristics)

تعد من الخصائص المهمة في الدراسات الجيومورفولوجية لما لها من أهمية في زيادة فاعلية ونشاط عمليات التعرية المائية والهوائية ودورها في تشكيل سطح

الأرض، مما يجعلها تتحدث عن التاريخ الجيومورفولوجي لها، وقد وضع الباحثين عددًا من المقاييس لمعرفة هذه الخصائص، وهي كالآتي:

التضرس الكلي للحوض (Total Relief)

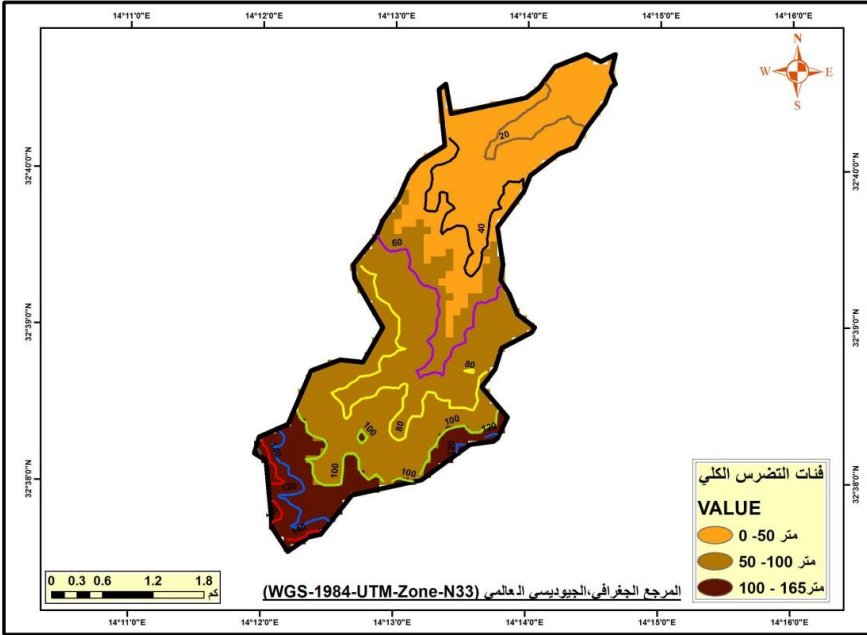
ويقصد به الفارق الرأسي بين أعلى نقطة بالحوض وأدناها، على أن تكون أعلى النقاط عند خط تقسيم المياه وأدناها عند مخرج الحوض، وينعكس التضرس على معدلات النحت والإزالة بين مناطق تقسيم المياه ومناطق ترسيبها، وبذلك بلغت قيمة التضرس الكلي في الحوض (165متر)، أما عن مساحة كل فئة من فئات الارتفاع فقد بلغت أعلى قيمة للمنطقة الوسطى من الحوض بمساحة (4.7 كم²) أي بنسبة (51.33%) من المساحة الكلية للحوض، والسبب يرجع إلى كمية المياه والرواسب التي تغطي هذه المنطقة عند تساقط الأمطار مما جعلتها منطقة سهلية مقارنة بالمنطقة الدنيا والتي بلغت مساحتها (3.157 كم²) أي بنسبة (34.48%)، في حين بلغت مساحة المنطقة العليا وهي منطقة تجميع المياه بنحو (1.3 كم²) أي بنسبة (14.19%) .

جدول (4) مساحة فئات التضرس الكلي لحوض وادي الطوالب.

مناطق الحوض	الارتفاع/متر	المساحة/كم ²	النسبة المئوية%
المنطقة الدنيا	0-50م	3.157	34.48%
المنطقة الوسطى	50-100م	4.7	51.33%
المنطقة العليا	100-165م	1.3	14.19%
الإجمالي	---	9.157 كم ²	100%

المصدر: من حسابات الباحثان بالاعتماد على برنامج (Arc map 10.7).

خريطة (5) التضرس الكلي لحوض وادي الطوالب.



المصدر: من عمل الباحثان استنادًا إلى الخرائط الرقمية من موقع USGS بالاعتماد على برنامج Arc map 10.7.

2-3- نسبة التضرس (Relief Ratio)

وهي النسبة بين أعلى وأدنى نقطة في الحوض إلى الطول الحقيقي، أي أن قيمة نسبة التضرس تتناسب طرديًا مع درجة تضرس الحوض، بحيث تؤدي الارتفاعات التضاريسية تأثيرًا على الجريان المائي ومدى علاقته في إنجاز العمليات الجيومورفولوجية المتمثلة في التعرية عند المنطقة العليا والجريان في المنطقة الوسطى والترسيب في منطقة المصب، وقد بلغت نسبة التضرس في حوض وادي الطوالب (23.2 متر/كم)، حيث تدل قيمة التضرس أن (23.2متر) ترتفع في كل واحد كيلو متر وهي نسبة مرتفعة مما تدل على صغر مساحة

الحوض وكثافة عملية التعرية المائية وزيادة نسبة حمولة الرواسب المنقولة، ويعبّر عنه رياضياً بالآتي (الدراجي، 2019، ص109):

$$Re = (P1 - P2) / L \quad \frac{165}{7.100} = 23.2 \text{ كم / م}$$

$P1$ = أعلى نقطة ارتفاع عن مستوى سطح البحر في الحوض (م) ، $P2$ = أدنى نقطة ارتفاع عن مستوى سطح البحر في الحوض (م) ، L = الطول الحقيقي للحوض / كم.

3-3- التضاريس النسبية (Relative Relief)

تساعد هذه النسبة على إدراك قيمة التضرس النسبي للحوض بغض النظر عن نسيجه الطبوغرافي، ويشير انخفاض قيمته إلى نشاط عملية النحت والتراجع نحو المناخ وتقويض مناطق تقسيم المياه، بينما تشير ارتفاع قيمتها إلى أن تكون نشطة في عملية النحت وذو تضرس شديد، مما يدل على أنها ما زالت في المراحل الأولى من دورتها التعرية وأنها صغيرة المساحة وهذا ما يتطابق مع حوض وادي الطوالب الذي بلغت فيه قيمة التضاريس النسبية نحو (904.6%)، وتقاس التضاريس النسبية بالمعادلة الآتية (تراب، 1997، ص212):

الفرق بين أعلى وأخفض نقطة في الحوض / م

$$\frac{165}{18.240} = \times \text{التضاريس النسبية} = 100 \times 904.6\%$$

محيط الحوض / كم

نسبة النسيج الطبوغرافي (Topography texture ratio)

وهو عبارة عن وصف طبيعة طبوغرافية الروافد المائية ودرجة تطورها ومدى اقتراب وابتعاد مجاري الشبكة المائية عن بعضها البعض، وبناءً على التقسيم الذي

وضعه كلا من العالم (Smith,1950) والعالم (Small,1978) والعالم (Morisawa,1985) للأحواض المائية حسب نسيجها الطبوغرافي والذي قسم إلى أربع فئات حسب درجة نعومتها، فقد بلغت نسبة النسيج الطبوغرافي في حوض وادي الطوالب نحو (1.2مجرى/كم)، وهي قيمة منخفضة مما تدل على أن الحوض ذو نسيج طبوغرافي خشن، ويرجع ذلك إلى كثرة الشقوق والفواصل التي ساهمت في زيادة التسرب الباطني (الترشح) وتقليل الجريان السطحي الأمر الذي يؤدي إلى نفاذ نسبة كبيرة من المياه الجارية نتيجة للجفاف الذي يسود المنطقة لأكثر من فصلين مناخيين، ويمكن قياسه من خلال العلاقة الرياضية الآتية (الدرجي،2019،ص110):

$$\text{مجموع أعداد المجاري المائية} = \frac{23}{18.240} = \frac{1.2 \text{ مجرى/كم}}{\text{محيط الحوض/ كم}} = \text{نسبة التقطع}$$

5-3- قيمة الوعورة (Ruggedness value)

تعبر على العلاقة بين تضرس الحوض وأطوال مجاري شبكة التصريف المائي، كما تشير إلى مرحلة التطور الجيومورفولوجي التي وصل إليها حوض التصريف، وقد بلغت قيمة الوعورة في حوض وادي الطوالب (13.5كم) وهي قيمة مرتفعة التضرس والسبب في ذلك يعود إلى الانحدار الشديد وسيادة التعرية المائية، أي أن المسيلات المائية لها القدرة على عملية الحث ونقل المفتتات الصخرية من الأجزاء العليا للحوض إلى الأجزاء الدنيا وهذا ما يؤكد المدى التضاريسي للحوض والذي يبلغ بنحو (165متر)، وتستخرج وفق المعادلة الآتية (تراب،1997،ص272):

$$\text{تضاريس الحوض/م} \times \text{كثافة التصريف كم}^2 = \frac{1.5 \times 165}{18.240} = \text{قيمة الوعورة} = \text{محيط الحوض/كم} = 13.5 \text{ كم.}$$

6-3- التكامل الهيسومتري (Hypsometric integration)

يعتبر التكامل الهيسومتري من أفضل المتغيرات الكمية في تصنيف الأشكال الأرضية لأنه يحدد المرحلة الجيومورفولوجية التي قطعها أحواض التصريف، وتتكامل الأحواض هيسومترياً من (صفر إلى 1) وتشير قيم التكامل الهيسومتري المنخفضة لحوض وادي الطوالب والتي بلغت (0.01 كم²/م) على أنه ما زال في مرحلة مبكرة نسبياً من عمره وصغر حجمه وارتفاع قيم التضرس ويمكن أن يعود السبب إلى الجفاف الذي يسود المنطقة، ويتم حساب التكامل الهيسومتري عن طريق المعادلة الآتية (العبدان، 2008، ص7):

$$\text{التكامل الهيسومتري} = \frac{\text{مساحة الحوض}}{\text{التضاريس النسبية}} = \frac{9.181}{904.6} = 0.01 \text{ كم}^2/\text{م.}$$

جدول (5) الخصائص التضاريسية لحوض وادي الطوالب.

التضرس الكلي/م	نسبة التضرس م/كم	النسيج الطبوغرافي / كم	قيمة الوعورة/ كم	التكامل الهيسومتر ي كم ² /م	أعلى نقطة/م	أدنى نقطة م
165	23.2	1.2	13.5	0.01	165	صفر

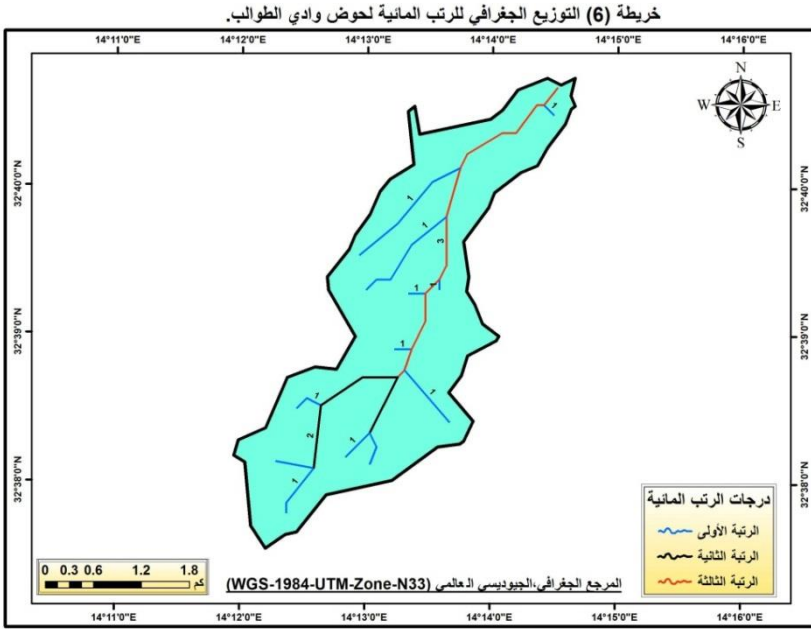
المصدر: من حسابات الباحثان بالاعتماد على برنامج (Arc map10.7).

4- خصائص الشبكة المائية (Characteristics of the water network)

هي عبارة عن مسالك طبيعية تقاس على أساسها كمية المياه الجارية ونسبة تشعبها وكثافة تصريفها، وكذلك الحمولات الرسوبية التي تعمل على تغير وتطور المظاهر الجيومورفولوجية كالمصاطب والمنحدرات والمنعطفات والتي تعد أرسيفاً للذاكرة الجيومورفولوجية، كما يمكن تحديد الخصائص الهيدرولوجية للحوض من خلال دراستها، ومن تلك الخصائص ما يلي:

4- الرتب المائية (Stream Order)

ويقصد بها التدرج الرقمي لمجموع الروافد المائية التي تتكون منها الأودية داخل الحوض المائي (سلوم، 2012 ص425)، بحيث تتباين هذه المجاري من حيث الشكل والحجم والرتبة تبعاً لمرحلة النشوء والعوامل والعمليات الجيومورفولوجية، كما تفيد دراستها في معرفة كمية التصريف المائي وتقدير سرعة الجريان وإمكانية التنبؤ بمخاطر الفيضانات المائية وكذلك مرحلة التطور الجيومورفولوجي التي بلغها الحوض، ولتحديد رتب المجاري المائية اتبعت الدراسة طريقة سترالر (Strahler) المعدلة على طريقة هورتون (Horton) والتي تعتبر من أكثر الطرق المورفومترية استعمالاً لبساطتها وسهولة التطبيق ونتائجها دقيقة وهي المعتمدة في برنامج (Arc GIS 10.7)، ويتضح من نتائج تحليل الرتب المائية في الجدول رقم (6) بأن أعداد الرتب في حوض وادي الطوالب بلغ (3) رتب مائة تباينت أعداد مجاريها المائية من رتبة لأخرى والذي بلغ مجموعها (23) مجرى ويلاحظ أن ازدياد أعداد المجاري المائية في أي حوض تعني رفع كفاءة الشبكة المائية وزيادة قدرتها على نقل مياهه وحمولته وبالتالي ازدياد كمية التصريف المائي، وبالعكس في حالة انخفاض عدد مجاريها الذي سيؤثر على تطور المرحلة الهيدرولوجية للحوض المائي.



4- أعداد المجاري المائية وأطولها (Number and length of Streams)

وهي مجموع الروافد التي تتكون منها رتبة معينة، والتي ترتبط بتطور المجرى المائي ونشوء التعرجات، كما يرتبط عددها وكثافتها وطولها بغزارة مياه الأمطار وديمومتها (موسى، 1983، ص37) ويلاحظ من الخريطة السابقة والجدول رقم (6) أن المجرى الرئيس لحوض وادي الطوالب يحمل الرتبة الثالثة بحسب طريقة (Strahler)، وقد بلغ مجموع أعداد المجاري المائية (23) مجرى بمجموع طول قدره (14.272 كم)، وأن أعدادها تتناقص مع زيادة قيمة الرتبة، وهناك تباين واضح في أعداد المجاري المائية فضلا عن التناسب الطردي مع المساحة الحوضية، قد بلغت المجاري المائية للرتبة الأولى (12) مجرى مائي بطول (7.142 كم) وينسبة (50%) من مجموع المجاري المائية للحوض مما يدل على التنوع الكبير في أعدادها وأطولها بفعل الحث المتراجع والتنافس على مناطق

الصراع الجيومورفولوجي الحدودية التي أطلق عليها (Horton,1945) قطاع اللاحث (Belt of no Erosion) وعرفه بالمسافة الحرجة (Critical distance) التي تفصل بين خط تقسيم المياه وبداية المجاري من الرتبة الأولى وهي حالة محققة نظرياً في حوض وادي الطوالب (سلوم، 2012، ص415)، بينما حظيت الرتبة الثانية على (3) مجاري مائة بطول (2.630 كم) ونسبة (18.47%) فهي أصغر طولاً وأقل عدداً في المجاري المائة للحوض فهي تسير في مناطق سهلية وقليلة الانحدار وذات نفاذية عالية للمياه، في حين مثلت الرتبة الثالثة بعدد (8) مجاري مائة بطول (4.5 كم) ونسبة (31.53%) كما تحتوي على أصغر رتبة مائة في الحوض بطول (0.123 متر).

جدول (6) أطوال المجاري المائة للرتب المختلفة لحوض وادي الطوالب.

الرتب المائة	عدد المجاري	مجموع أطوال المجاري المائة/كم	النسبة %	أصغر طول رتبة/كم	أكبر طول رتبة/كم
الأولى	12	7.142	50%	0.130	1.688
الثانية	3	2.630	18.47%	0.778	1.063
الثالثة	8	4.5	31.53%	0.123	1.4
المجموع	23	14.272	100%	0.123	1.688

المصدر: من حسابات الباحثان بالاعتماد على برنامج (Arc map 10.7).

4- نسبة التشعب (Bifurcation Ratio)

يقصد بها نسبة عدد المجاري المائية لرتبة ما منسوبة إلى عدد المجاري المائية للرتبة التي تليها مباشرة، وتكمن أهميتها في إظهار حجم العلاقة بين حجم التصريف ومعدل التفرع للمجاري المائية بحيث يتناقص عدد مجاري الأودية بشكل طردي مع ارتفاع قيمة رتبها وتناقص نسبة تشعبها وغالبا ما تتراوح هذه النسب بين (3-5) حسب تصنيف (Strahler) (الدليمي، الجابري، 2018، ص158)، ويتضح أن نسبة التشعب تتباين ما بين الرتب المائية لحوض وادي الطوالب والتي تتراوح بين (4 إلى 0.37)، مما انعكس ذلك على تباين نسب التشعب العامة للحوض إذ بلغ متوسطها (2.18) بينما بلغ معدل التشعب العام (0.40) وهي قيمة منخفضة بحيث تتناقص نسبة التشعب في الرتب الكبرى وتزداد نسبتها في الرتب الصغرى وذلك لأنها تتوزع في الأراضي العليا أو خطوط تقسيم المياه وازدياد عدد روافدها، وهذا دليل على عدم تماثل الحوض طوبوغرافياً مما يؤثر على التوزيع الجغرافي للمظاهر الجيومورفولوجية داخل الحوض.

جدول (7) نسبة تشعب المجاري المائية في حوض وادي الطوالب.

الرتب المائية	عدد المجاري	نسبة التشعب	عدد المجاري في رتبتين متتاليتين	نسبة التشعب × عدد مجاري رتبتين متتاليتين	معدل التشعب العام
الأولى	12	4	15	60	64.07 ÷ 26 = 0.40
الثانية	3	0.37	11	4.07	
الثالثة	8	--	--	--	
المجموع	23	=2÷4.37 2.18	26	64.07	

المصدر: من حسابات الباحثان بالاعتماد على برنامج (Arc map 10.7).

الكثافة التصريفية (Drainage Density)

يعد هذا العامل من السمات التي تعبر عن العلاقة النسبية بين مجموع أطوال الروافد المائية في أي حوض ومساحته، حيث تتناقص معدل الكثافة التصريفية مع زيادة الرتبة المائية من (3 كم²/كم²) إلى (2.3 كم²/كم²)، فكلما ازدادت كثافة التصريف ازدادت معها سرعة المياه وهذا له أثر كبير في نشاط عمليات الحت والتعرية وخاصة عند مدخلات الحوض ومخرجاته، وقد بلغت كثافة الصرف في حوض وادي الطوالب (1.5 كم²/كم²)، وهذا يعني أن لكل (1.5 كم) من أطوال مجاري شبكة تصريف الحوض تحتل مساحة قدرها (1 كم²)، وهي قيمة منخفضة فالحوض لا يتميز بكثافة تصريف عالية وذلك بسبب صغر مساحة الحوض المائي وقلة عدد روافده مما يقلل قيمة الجريان السطحي مع انخفاض معدلات سقوط الأمطار سنويا وتذبذبها بين سنة وأخرى، وتستخرج الكثافة التصريفية وفق المعادلة الآتية:

$$\begin{aligned} & \text{الطول الكلي للمجاري المائية (كم)} \\ & 14.272 \\ & \text{الكثافة التصريفية} = \frac{\text{مساحة الحوض (كم}^2\text{)}}{\text{الطول الكلي للمجاري المائية (كم)}} = \frac{14.272}{1.5} = 9.515 \text{ كم}^2/\text{كم} \\ & \text{مساحة الحوض (كم}^2\text{)} \\ & 9.181 \end{aligned}$$

4-5- شدة التصريف (Drainage Intensity)

بلغت شدة الصرف لحوض وادي الطوالب (1.6 بوصة /كم) وهي قيمة منخفضة وذلك لانخفاض قيم كل من الكثافة التصريفية وتكرارية المجاري مما يجعلها تحتاج إلى مدة زمنية أطول لتسوية تضاريسها، ويلاحظ من الخريطة رقم (7) أن معظم اتجاه جريان المياه في الحوض يتجه نحو الشمال والشمال الشرقي والشمال الغربي وهي منتشرة في جميع أرجاء الحوض وبمجموع مساحة (3.365 كم²) وهي تسيير مع اتجاه محيط الحوض باتجاه البحر، بينما يتجه

الجزء الثاني من سريان المياه نحو الجنوب الغربي بمساحة (2.075 كم²) وخاصة في مجاري الرتب الأولى والثانية، بينما يتجه جريان المياه نحو الجنوب والجنوب الشرقي بمجموع (2.541 كم²) وبالتالي فإن النسبة الأكبر من الجريان تتجه نحو المناطق الدنيا إلى أن تصب في البحر، وتستخرج قيمة شدة التصريف من المعادلة الآتية (Pareta 2011, p264):

$$D_i = \frac{F_s}{D_d} = \frac{2.5}{1.5} = 1.6 \text{ بوصة/كم}$$

حيث إن: D_i شدة الصرف، F_s تكرارية المجاري، D_d كثافة التصريف.

جدول (8) مساحة اتجاه فئات الجريان في حوض وادي الطوالب.

النسبة %	المساحة / كم ²	اتجاه الجريان	الفئة
22.7	2.09	شمال شرقي	1
8.9	0.822	شمال	2
4.9	0.453	شمال غربي	4
1.03	0.095	شرق	8
10.1	0.926	جنوب شرقي	16
12.04	1.105	غرب	32
22.6	2.075	جنوب غربي	64
17.5	1.615	جنوب	128
%100	9.181	---	المجموع

المصدر: من عمل الباحثين بالاعتماد على البيانات الموجودة في الخريطة رقم (7).

4-6- تكرارية المجاري (Stream Frequency)

تعبّر تكرارية المجاري عن العلاقة النسبية بين عدد المجاري المائية ومساحة الحوض، فهي تفيد في إعطاء صورة عامة لمدى شدة تقطع وكثافة شبكة التصريف في وحدة مساحية، وقد بلغت تكرارية المجاري في الحوض بنحو (2.5 مجرى

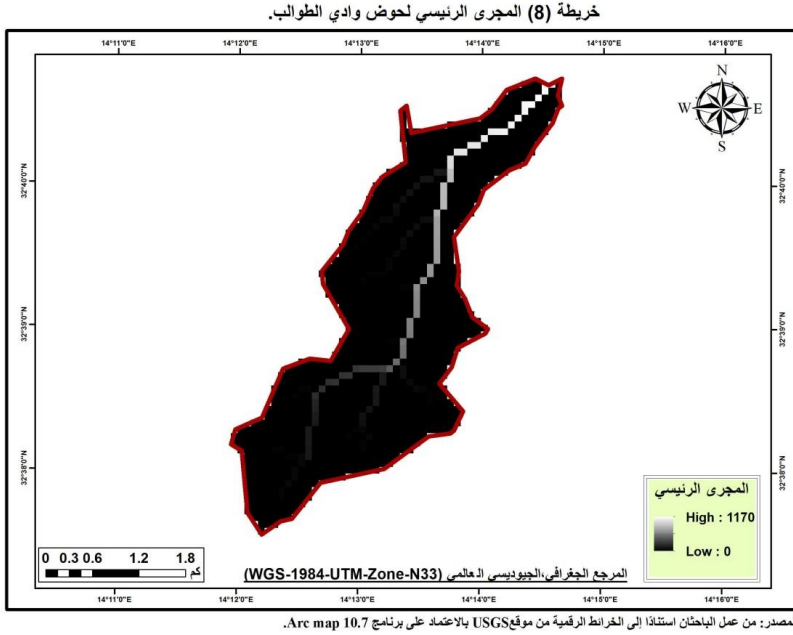
مائي/كم²) وهي قيمة منخفضة ويعزى ذلك إلى قلة الجريان السطحي بسبب انخفاض معدلات التساقط في تلك المنطقة، بالإضافة إلى خشونة التربة التي تسمح بزيادة معدلات الترشح، ويمكن الحصول على هذا العامل من خلال المعادلة الرياضية الآتية (الدراجي، 2019، ص119):

$$Fs = \frac{\sum Nu}{Au} = \frac{23}{9.181} = 2.5 \text{ مجرى/2 كم}$$

معامل التعرج (الانعطاف) (Sinuosity Factor)

تكمُن أهمية هذا العامل في معرفة مدى انعطاف المجرى المائي وماله من تأثير على كمية المياه فيه، حيث كلما ازدادت درجة انعطاف المجرى ارتفعت احتمالات التبخر والرشح وتقل بانخفاض انعطافه، وقد قسم شكل المجرى المائي بحسب درجة التعرج إلى ثلاثة أشكال وهي (أقل من 1.1) يكون المجرى مستقيماً، أما إذا كانت النسبة ما بين (1.1-1.5) يكون المجرى ملتويًا، أما إذا كانت أكثر من (1.5) يكون المجرى منعطفًا، وبلغت قيمة التعرج في الحوض (1.1) مما يعني أن المجرى الرئيسي للحوض يمتاز بالالتواء البسيط لأن القيمة تمثل بداية الصنف الثاني، وبحسب معامل التعرج وفق المعادلة الآتية (الدليمي، 2005، ص300):

$$1.1 = \frac{8.5}{7.100} = \frac{\text{الطول الحقيقي للمجرى}}{\text{الطول المثالي للمجرى}} = \text{تعرج المجرى}$$



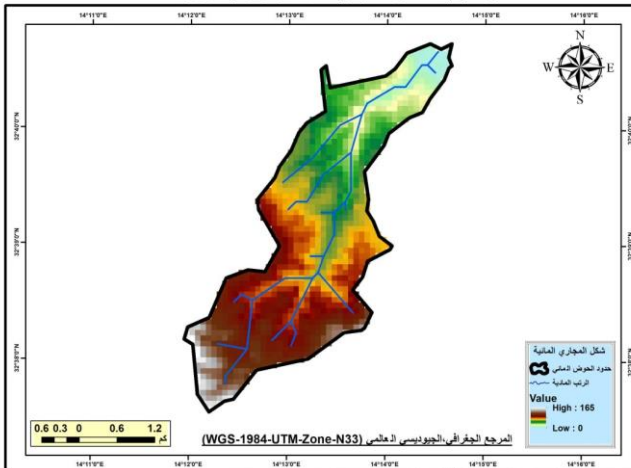
8-4- أنماط شبكة المجاري المائية (Patterns of the raceways network)

يقصد بنمط التصريف النظام العام الذي تبدو عليه شبكة الأحواض المائية بروافدها الرئيسية والثانوية (صفي الدين ، 1971، ص193) ومن الطبيعي أن لا يكون وضع الشبكة المائية مثاليا بل يكون نتيجة للعلاقات بين نوعية المناخ وطبيعة التضاريس ونوعية الصخور وبنيتها، فتوزيع شكلها يوضح التاريخ الجيومورفولوجي السائد في الحوض، ويلاحظ من الخريطة رقم (9) أن شبكة المجاري المائية للحوض تنتمي إلى نمط التصريف الشجري والذي تلقي مجاري الأودية الثانوية والبالغ عددها (23) مجرى مائي مع الوادي الرئيسي بزوايا حادة غالبًا ما تكون دون (70°) فتبدو الصورة العامة كشجرة متعددة الفروع (أبو العينين، 1995، ص460)، وعادة ما يرتبط انتشاره في المناطق التي تسود فيها

حالة التجانس النسبي في البنية الصخرية وتكون تلك المناطق متقدمة في دورتها الحثية كالهضاب والمنحدرات كما هو موجود في أقصى جنوب غرب منطقة الدراسة وتأخذ الأراضي الواقعة بين الشبكة التصريفية للحوض في شكل حافات ونبوءات بارزة تمثل قممها مناطق لتقسيم المياه وتلتقي الروافد بعضها ببعض بزوايا حادة.

ومن خلال ما سبق يتضح أن نتائج شبكة التصريف المائي المتمثلة في عدد الرتب المائية ومجاريها ونسبة التشعب وكذلك كثافتها التصريفية وشدها وتكرارية مجاريها في الحوض المائي ما هي إلا مظاهر طبيعية تحتاج إلى استثمارها واستغلالها الاستغلال الأمثل في المجالات الاقتصادية (الزراعية والصناعية والسكانية) وخاصة كميات المياه التي يمكن أن تساهم في احتياجات العجز المائي الذي تعاني منه المنطقة وذلك عن طريق إقامة الحواجز المائية والسدود التعويقية وخاصة في المجرى الرئيسي للحوض عند بداية الرتبة المائية الثالثة واستخدام تلك المياه في الصناعة وخاصة أن مصنع إسمنت المرقب قريب من الحوض المائي وخاصة أثناء سقوط الأمطار وجريان المياه.

خريطة (9) أنماط شبكة المجاري المائية لحوض وادي الطوالب.



النتائج

بلغ مجموع المراتب المائية لحوض وادي الطوالب ثلاث مراتب طبقاً للنظام الذي وضعه سترالر (Strahler) ويعد من الأحواض الصغيرة إذ بلغت مساحته (9.181 كم²) وقد بلغ عدد المجاري المائية إلى (23) مجرى تباينت في أعدادها من مرتبة لأخرى وذلك بسبب التناسب الطردي مع المساحة الحوضية. هناك تباين واضح في معدل أطوال المجاري المائية حيث بلغ إجمالي أطوالها (14.272 كم) حيث حظيت الرتبة الأولى بإجمالي (7.142 كم) أي بنسبة (50%) من مجموع أطوال المجاري المائية.

بلغت تكرارية المجاري بحوض التصريف نحو (2.5 مجرى مائي/كم²)، كما يتصف الحوض بانخفاض نسبة تشعبه حيث وصل المعدل العام للتشعب (0.40) حيث حظيت مجاري الرتبة الأولى بأكبر نسبة تشعب بلغت (4) وأنها تتطور من خلال الحث التراجعي أو عمليات الأسر النهري.

قيم الكثافة التصريفية منخفضة بحوض وادي الطوالب والتي بلغت (1.5 كم²/كم) وذلك بسبب النفاذية العالية للتراكيب الجيولوجية ونسبة نسيجه الحوضي الخشن، وهذا ما أكدته قيمة شدة التصريف المائي المنخفضة والتي بلغت (1.6 بوصة/كم) والتي تدل على أن الحوض يمر بمرحلة الشباب وما زال في بداية دورته التعرؤية. يتميز حوض التصريف بسيادة النمط الشجري لشكل المجاري المائية وذلك بسبب الاتجاه العام لطبوغرافية شكل الحوض مما يساعد على سهولة الجريان المائي إلى المناطق الدنيا.

التوصيات:

ضرورة التركيز على تحليل الخصائص المورفومترية للأحواض المائية وذلك لارتباطها بمقومات التنمية وخاصة المتعلقة بالمظاهر الطبيعية.

ضرورة إنشاء محطات ونقاط رصد للجريان السطحي على روافد الحوض لغرض توفير بيانات أكثر دقة تساعد في وضع الحلول المناسبة.

ضرورة الاستفادة من هذه الدراسة في تحديد مواقع إنشاء السدود على المجرى الرئيسي والاستفادة من المياه المتجمعة في حوض التجميع بدلاً من فقدانها بالتسرب والتبخر أو عن طريق فيضانها نحو البحر لا سيما أن المنطقة تعاني من شح المياه.

يجب توظيف نتائج هذه الدراسة في تحديد كيفية استغلال مساحات حوض الوادي في الزراعة والسياحة والاستغلال الصناعي لبعض المواد الخام الموجودة به.

ضرورة الاعتماد على مصادر البيانات الرقمية ذات الدقة العالية لما تنتجه من نتائج دقيقة وتمثيلها بخرائط تفصيلية والتي ينعكس بدورها على اتخاذ القرارات بالمشاريع الاقتصادية والمائية وخاصة فيما يتعلق بالحصاد المائي.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- 1- أبو العينين، حسن سيد (1995) أصول الجيومورفولوجيا، دراسة الأشكال التضاريسية لسطح الأرض، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية.
- 2- تراب، محمد مجدي (1997) التطور الجيومورفولوجي لحوض وادي القصب بالنطاق الشرقي من جنوب شبه جزيرة سيناء، المجلة الجغرافية العربية، الجمعية الجغرافية المصرية، العدد 30.
- 3- الدراجي، سعد عجيل (2019) الجيومورفولوجيا التطبيقية، دار الحداثة للطباعة والنشر، بغداد.
- 4- الدليمي، خلف- الجابري، علي (2018) استخدام الجيوماتكس في دراسة الخصائص المورفومترية لأحواض الأودية الجافة، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان.
- 5- الدليمي، خلف حسين (2005) التضاريس الأرضية (دراسة جيومورفولوجية عملية تطبيقية) دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- 6- سلوم، غزوان محمد (2012) حوض وادي قنديل - دراسة مورفومترية، مجلة جامعة دمشق، المجلد 28، العدد الأول.
- 7- العبدان، رحيم (2008) التحليل الرقمي للخصائص المورفومترية لحوض وادي تانجيرو، مجلة جامعة القادسية، العدد الثالث.
- 8- محسوب، محمد صبري (2001) جيومورفولوجية الأشكال الأرضية، دار الفكر العربي، القاهرة.
- 9- مركز البحوث الصناعية، (1975) خريطة ليبيا الجيولوجية، الكتيب التفسيري - لوحة الخمس ش.ذ 33 - 14 طرابلس.

10-مقيلي، امحمد عياد (1995) المناخ في كتاب الجماهيرية دراسة في الجغرافيا (تحرير: الهادي أبو لقمة، سعد القزيري) الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، سرت.

11-موسى، علي حسن (1983) الوجيز في المناخ التطبيقي، دار الفكر المعاصر، دمشق.

المراجع الأجنبية:

12-Pareta ,K. Pareta, U (2011)Hydro morphological study of Karawan watershed Using GIS and Remote Sensing Techniques, E-Intrenational Scientific Research Journal .

13-Schumm S,A (1977) The Fluvial System John Wily and Sons New York.

المرافئ الفينيقية في شمال ليبيا القديمة (أفريقيا)

1200ق.م - أواخر القرن السادس ق.م

إعداد: د. عبد الكريم علي نامو*

المقدمة:

برع الفينيقيون في اختيار الأماكن الطبيعية الصالحة لإنشاء المرافئ على طول ساحلهم، الذي يحتوي على الجزر القريبة، والتنوءات الصخرية الداخلة في البحر، حيث استفادوا منها في حماية سفنهم من الرياح، والأمواج العالية، خلال فترة اضطراب الأحوال الجوية، ومن ثم تدخلت يد الإنسان في إقامة الحواجز الحجرية، لحماية السفن والمرافئ، وعندما جاءوا إلى شمال ليبيا القديمة (أفريقيا) نقلوا معهم آلية اختيار الأماكن الطبيعية الصالحة لإقامة المرافئ، وإقامة الحواجز الحجرية والأرصفة، ضد التيارات والأمواج، والرياح القوية، فتم تأسيس عدة مرافئ تجارية، وأخرى حربية، لحماية الأساطيل التجارية والموانئ من الأعداء، من منطقة خليج سرت الكبير حتى شواطئ المحيط الأطلسي.

وقد صنع الفينيقيون مجموعة من السفن التجارية، والحربية المتعددة الأشكال والمهام، بعد أن توفرت لهم على الساحل الفينيقي المواد الخام الأولية، المتمثلة في الأخشاب ذات النوعية الجيدة، والصلابة، التي تقوم عليها صناعة السفن، وفي مقدمتها أخشاب الأرز، والسرو، والسنديان، والبلوط، بالإضافة إلى المواد المانعة لتسرب الماء إلى المراكب والسفن الكبيرة، كما توفر العنصر الأساسي والهام في هذه الصناعة، وهو الإنسان الفينيقي صاحب الأيدي الماهرة في أعمال

النجارة، والأعمال البحرية، حيث استعانت به الأمم القديمة في القيام بهذه الأعمال، وفي قيادة سفنها التجارية والحربية.

وتهدف الدراسة:

إلى التعرف على مهارة الإنسان الفينيقي في أعمال النجارة، وكيف سخرها لصالحه، وصالح الأمم القديمة.

وتطرح الدراسة العديد من التساؤلات:

كيف تتم عملية اختيار المرافئ لرسو المراكب والسفن؟

هل نقل الفينيقيون تقنية اختيار الأماكن الصالحة لإنشاء المرافئ إلى شمال ليبيا القديمة؟

لماذا استعانت الأمم القديمة بالفينيقيين في القيام بأعمال النجارة والملاحة البحرية.

هل نجح الفينيقيون في تطوير المراكب من بدائية إلى سفن ماخرة المحيطات؟

وقد تم تقسيم الدراسة إلى ما يلي:

أولاً: المرافئ التجارية:

ثانياً: المرافئ الحربية.

ثالثاً: السفن التجارية.

رابعاً: السفن الحربية.

أولاً: المرافئ التجارية:

كانت المرافئ تقام حول المدن الواقعة على شاطئ البحر، حيث تبني عند الرؤوس الصخرية الداخلة في البحر، حتى يستطيعون إرساء مراكبهم، إما إلى الشمال، وإما إلى الجنوب من الرأس الصخري، حسب اتجاه الرياح، وهذه المرافئ قاعها رملي وتكون منحدره في اتجاه مياه البحر، حتى يتم سحب المراكب بكل

سهولة ويسر عندما تسوء الأحوال الجوية، ولحماية هذه المرفأى من الأمواج القوية في فترة اضطراب البحر، قاموا بتوصيل الرؤوس الصخرية الداخلة في البحر، بكتل حجرية فيما بينها، حتى زادت ارتفاعها لتصبح موانع ضخمة تحمي المرفأى والمراكب الرأسية فيها، ويوجد في كل مدينة ساحلية ميناءان يتصل إحداهما بالآخر، عن طريق قناة بحرية، حيث يستعمل المرفأ الداخلي ملاذ تقصده المراكب في فصل الشتاء، فتجده أهدأ، المرفأ الثاني فيستخدمه سكان المدينة في فصل الصيف، لإرساء مراكبهم في الحوض الخارجي عند مدخل المرفأ⁽¹⁾ ولقد أشار أحد الباحثين إلى أن الفينيقيين قد تعلموا تقنية بناء المخازن والمرفأى والأرصفة البحرية من شعوب البحر (The sea peoples) التي اجتاحت الساحل الفينيقي عام 1200 ق.م كما أنهم عرفوا الطرق البحرية المؤدية إلى مصادر المعادن⁽²⁾، وعندما جاءوا إلى شمال ليبيا القديمة (أفريقيا) خلال فترة الريادة الباكرة، نقلوا معهم خبرتهم العملية، في اختيار الأماكن الطبيعية الصالحة لإنشاء المرفأى وبنائها، فقد أسست راشغون (Rachgoun) وهي جزيرة صغيرة تقع أمام خليج صغير على ساحل المحيط الأطلسي، وأن هضبة الجزيرة ترتفع عن مستوى سطح البحر بحوالي 50 متراً، فقد عثر في أسفل سطحها الشرقي على حوض اصطناعي، مستطيل الشكل طوله 20 متراً، وعرضه 15 متراً، يتصل بخليج صغير، يمكن الدخول إليه عبر ممر بحري عرضه أقل من مترين، نحت في قلب الصخر، ويرى أحد الباحثين أن الفينيقيين يقودون مراكبهم الصغيرة إلى هذا الخليج بعد قيامهم بالعمليات التجارية

(1) ج. كوننتو، الحضارة الفينيقية، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، شركة كتب الشرق الأوسط، 1948م، ص 308-309.

(2) سبينسر ويلز، "البحث عن الفينيقيين" ترجمة ريك غور، مجلة الجيل العربي العصرية، مج 26، العدد الثاني، بيروت - لبنان، 2005م، ص 11.

مع السكان المحليين، أو بعد حصولهم على المواد الغذائية⁽¹⁾، ويرجح أن هذا المرفأ الصغير يستخدم لحماية أنفسهم، ومراكبهم، وبضائعهم من الأخطار، وهذا النوع من المرفأء معروف عندهم ويستخدمونه لحماية أنفسهم خلال فترات الحصار التي يتعرض لها ساحلهم من قبل القوى الغازية⁽²⁾.

ومن المرفأء التي أنشئت على المحيط الأطلسي، والتي تقترب من بعضها البعض، شيلة (Chella)، موجادور (Mogador) الصويرة الحالية، وعلى شاطئ البحر المتوسط أنشئت روزادير (Rushaddi) مليلة الحالية في منطقة محمية برأس صخري غير بعيد عن مصب نهر الملوية⁽³⁾ وأسست أوتيكا (Utigue) حوالي 1101 ق.م في الجهة الغربية من خليج تونس الحالية بالقرب من مصب نهر مجردة، وصارت قاعدة ينطلقون منها لاستكشاف سواحل ليبيا القديمة⁽⁴⁾، ومن المرفأء ذات الأهمية الاستراتيجية، مرفأ قرطاج (814-813 ق.م) (Carthage) حيث شيدت على شبه جزيرة محاطة بالبحر من جهة وبيحيرة تونس وأريانة من الجهتين الأخرتين، أما من جهة الخلف فهي محمية بمرتفع ببرصة (Byrsa)، ولا تتصل قرطاج باليابسة إلا عن طريق قناة ضيقة يبلغ

(1) فرانسوا ديكرية، قرطاجة أو امبراطورية البحر، ترجمة عز الدين أحمد عزو، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، 1996م، ص ص120-121.

(2) محمد بيومي مهران، المدن الفينيقية تاريخ لبنان القديم، دار النهضة العربية، بيروت، 1994م، ص168.

(3) محمود حسين الأمين، "الكتعانيون الغربيون"، محاضرات الموسم الثقافي الأول 79-80، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1989م، ص17.

(4) محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونيقية، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1998م، ص ص22-26.

طولها حوالي أربعة كيلومترات ونصف⁽¹⁾ تصل إلى المرفأ الذي يطلق عليه اسم القطن (Cothon) وتعني الكلمة قطع الصخر، حيث حفر جزء منه في الصخر حتى يصبح على هيئة ميناء، وهو مستطيل الشكل طوله 45.6 متر، وعرضه 32.5 متر، ويحيط به رصيف جدرانه سميكة، فالجدار الأول سمكه 1.21 متر والجدار الثاني سمكه 0.82 سم، والبعد بين الجدارين 5.65 متر، على مسافة طولها 126، ويحده من جهة الشاطئ جدار سمكه 2.10 متر، وطوله 322 متر، ومن داخل الميناء جدار سمكه 1.60 متر، وطوله 126 متر، يصعد عليه ملاحى السفن التجارية لسحبها بالحبال إلى أن تجتاز تلك القناة، وقد بنى حاجزاً من الحجارة في البحر لحماية الميناء من خطر الأمواج القوية، ومن ترسب الرمال أثناء هيجان البحر⁽²⁾، وصارت قرطاج بموقعها الاستراتيجي بوابة العبور بين شرقي البحر المتوسط وغربه، وأصبحت زعيمة المدن الفينيقية في غربي البحر المتوسط، بعد ضعف مدينة صور نتيجة ضربات الآشوريين وحصارهم لها، عندها سارت قرطاج على نفس سياسة مدينة صور في تأسيس المحطات التجارية في غربي البحر المتوسط⁽³⁾، حيث أسست عدة محطات تجارية منها بنزرت (Bizerta) وحضرموت (Hadrumet) سوسة الحالية، وليبيتس الصغرى (Leptis minur) لمطة الحالية، وتاكابس (Tacapis) قابس الحالية⁽⁴⁾، وعلى الساحل الغربي من

(1) محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، بيروت - لبنان، 1982م، ص ص107-108.

(2) أحمد صفر، مدينة المغرب العربي في التاريخ، د/ط، دار النشر بوسلامة، تونس، 1959م، ص95.

(3) شارل أندريه جوليان، تاريخ شمال أفريقيا الشمالية تونس - الجزائر - المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م، ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة، ط3، الدار التونسية للنشر، 1978م، ص109.

(4) محمد علي عيسى، مدينة صبراتة منذ الاستيطان الفينيقي حتى الوقت الحاضر، الإدارة العامة للبحوث الأثرية والمحفوفات التاريخية، 1978م، ص12.

ليبيا المحصور بين خليجي سرت الصغير خليج قابس، وخليج سرت الكبير خليج السدرة، أسس مرفأ صبراتة (Sabratha) في موقع استراتيجي على الساحل يسمح لهم الاتصال عن طريقه بالجبل وواحدة غدامس (Cidamus) في الداخل⁽¹⁾، والتي يتم عن طريقها جلب المواد الخام الأولية القادمة من أواسط أفريقيا، والتي تتكون من الذهب وريش النعام وبيضه، إلى مرفأ صبراتة لتصديرها إلى مناطق البحر المتوسط⁽²⁾.

هذا وقد دلت الحفريات الأثرية الحديثة على وجود مركز تجاري خاص بالفينيقيين، يزدهر خلال فترة المواسم التجارية، عند قدوم سفنهم، إلى مرفأ صبراتة خلال فترة ذهابهم إلى غرب البحر المتوسط، ويعود تاريخه إلى القرن الثامن ق.م⁽³⁾.

وأسس مرفأ ويات الطبيعي (Oeat) طرابلس الحالية، من خلال وجود نتوءات صخرية تمتد داخل البحر في اتجاه الشمال الشرقي، ووجود مجموعة صخرية أخرى ممتدة شرقاً حيث وفرت الحماية الطبيعية لهذا المرفأ ضد الأمواج والتيارات البحرية⁽⁴⁾، ويبلغ عمق المرفأ ما بين أربع وست قامات^(*)، ويأخذ خط

(1) أحمد محمد انديشة، الحياة الاجتماعية في المرفأ الليبي الغربية وظهرها في ظل السيطرة الرومانية،

ط1، منشورات جامعة التحدي، سرت ليبيا، 2008م، ص15.

(2) محمود الصديق أبو حامد "مظاهر الحضارة الفينيقية في طرابلس" مجلد ليبيا في التاريخ، ط1، الجامعة

الليبية، كلية الآداب، دار صادر، بيروت، 1968م، ص124.

(3) محمود الصديق أبو حامد، مرجع سابق، ص124.

(4) الأخوان بيتشي، الساحل الليبي، ترجمة الهادي مصطفى أبولقمة، منشورات جامعة قارونس بنغازي،

1996م، ص31.

(*) القامات: مفردتها قامة وهي وحدة قياس طولها ستة أقدام (183 سنتيمتراً) تستخدم غالباً في قياس أعماق

البحر. انظر زكي محمود الأيوبي، القاموس الجغرافي الحديث، بيروت، دار العلم للملايين، 1988م،

ص378.

الساحل الممتد من ويات إلى رأس جدير شكل قوس متجه نحو الجنوب⁽¹⁾، الأمر الذي جعل ويات تأخذ مكانتها خلال الفترة اللاحقة، ويمكن اعتباره أفضل المرفأء الطبيعية في شمال ليبيا القديمة وخاصة في منطقة ما بين السرتين، وفي الواحة المجاورة لها، والتي وفرت لها الأراضي الصالحة للزراعة، وينابيع المياه، وهما أساس عملية الاستيطان والاستقرار البشري⁽²⁾، وهي التي جعلت من ويات مأهولة بالسكان خلال العصور اللاحقة⁽³⁾.

ومن بين المرفأء الهامة لبدة الكبرى (Leptis Magna) حيث يقع عند مصب وادي يحمل اسمها، وتقع إلى الشرق من مدينة الخمس الحالية، والاسم الفينيقي الذي أطلق عليها لبكي (Lygy) حيث ظهر على عملة فنيقية ترجع للقرن الأول ق.م.⁽⁴⁾ ويحمي المرفأء صقان من الصخور البحرية من الجهتين الشمالية والشرقية⁽⁵⁾، والمنطقة الواقع في نطاقها المرفأء من أخصب المناطق الزراعية في إنتاج الحبوب، كما أشارت المصادر القديمة⁽⁶⁾ بالإضافة إلى قربها من منافذ طرق القوافل البرية، الموصلة إلى جنوب الصحراء الليبية حيث المواد الخام الأولية⁽⁷⁾.

(1) ابتسام عبد السلام الديباني، الموانئ الليبية القديمة ودورها الاقتصادي في الفترات الفينيقية والإغريقية والرومانية، منشورات المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، ط1، 2014م، ص28.

(2) د. ج. ما تغلي، منطقة طرابلس في العهد الروماني، ترجمة محمد الطاهر الجارري - محمد عبد الهادي حيدر، المركز الوطني للدراسات التاريخية، طرابلس، 2009م، ص310.

(3) محمد علي عيسى، مرجع سابق، ص9.

(4) Merighi Antonie, La Tripolitania Antica, vol.1, A Airoldi Editore verbenia, 1940, p.10.

(5) طه باقر، لبدة الكبرى، مصلحة الآثار، طرابلس - ليبيا، د/ت، ص65.

(6) هيروودوت، الكتاب السكيتي والكتاب الليبي، ترجمة محمد المبروك الذويب، منشورات جامعة قارونس، بنغازي، ط1، 2003م، الفقرة 198، ص133.

(7) فيصل علي أسعد الجري، الفينيقيون في ليبيا من 1100 ق.م حتى القرن الثاني الميلادي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، سرت، 1425م، ص70.

ومن المرفأئ الأخرى كيفالاي "رأس مصراته" وهي أقصى نقطة غربية لساحل خليج سرت الكبير، فقد لعب المرفأ دوراً كبيراً في التجارة، ويستدل على ذلك من خلال الفخار الذي وجد فيه، والعملة النوميديية التي عثر عليها بالقرب منه⁽¹⁾، كما أشار إليه استرابون عند حديثه عن البحيرة التي تصب في خليج سرت⁽²⁾، ويوجد مرفأ ماكوماكا (Macomaca) الذي يقع بالقرب من تاورغاء الحالية، في اتجاه الشرق على الساحل⁽³⁾، ولها أهمية اقتصادية حيث يمارس سكانها صناعة تمليح وتجفيف السمك⁽⁴⁾.

كما وجد في الساحل مرفأ ماكومداس (Macomadas) وهو يقع عند قطر الزعفران بالقرب من مدينة سرت الحالية⁽⁵⁾، وأسس مرفأ خراكس (Charax) والذي لعب دور كبير في العلاقات التجارية بين المرفأئ الليبية في الغرب، ومدن إقليم كيريناياكي في الشرق، فقد كان مركزاً للتجارة السرية لبنات السلفيوم (Lasercipium) الذي يشتهر به إقليم كيريناياكي، وتجمعه القبائل الليبية، مقابل النبيذ الذي تنتجه مناطق المرفأئ في الغرب، ولقد أشار استرابون إلى هذه التجارة وخراكس التي تتم فيها عملية التبادل⁽⁶⁾.

(1) المرجع نفسه، ص78.

(2) استرابون، الكتاب السابع عشر، وصف ليبيا ومصر، ترجمة محمد المبروك الذويب، ط1، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2003م، الفقرة 20، ص114.

(3) أتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، ترجمة خليفة التليسي، طرابلس - ليبيا، 1991م، ص33.

(4) فيصل علي أسعد الجري، مرجع سابق، ص78.

(5) محمد علي عيسى، مرجع سابق، ص9.

(6) Strabo, the Geoga ph4 of strabon, Loeb classical Libary. F7.18-19.

ثانياً: المرفأى الحربية:

شيد الفينيقيون المرفأى الحربية في مدنهم الساحلية، لحمايتها من الغزو الخارجي، الذي تتعرض له بين الفترة والأخرى، من قبل القوى الدولية الكبرى التي تحاول السيطرة على وطنهم، ولحماية سفنهم التجارية من خطر القراصنة، وعندما جاءوا إلى غرب البحر المتوسط، نقلوا معهم تقنية بناء المرفأى الحربية إلى مستوطناتهم، وخير مثال لهذه المرفأى نجده في مدينة قرطاج؛ لأن أساسات الميناء مازالت ظاهرة للعيان، وهو دائري الشكل، مبني داخل سور المدينة، حيث ألحقت به ورش لصناعة السفن، ويحيط به جدار محصن لحماية الميناء من أنظار الفضوليين⁽¹⁾.

وقد نحت الميناء الحربي في الصخر، وتصل إليه السفن الحربية بعد عبورها الميناء التجاري عن طريق ممر موجود بينهما، عرضه 23 متر، وعلى دائرة الميناء يوجد رصيف عرضه 9.35 متر، وطول محيطه 10.21 متر، ويحتوي على حجرات لإيواء السفن الحربية، عرض كل حجرة منها 5.90 متر، وقد زينت مداخل الحجرات بأعمدة من المرمر يبلغ عددها 440 عمود، وقد شيدت فوق الحجرات مخازن لأدوات ومعدات السفن، وفي وسط هذا الميناء الحربي توجد جزيرة مستديرة، قطرها 106 متر يطلق عليها اسم جزيرة الأميرالية، يحيط بها رصيف مطابق للرصيف المقابل بحجراته وأعمدته، ويبلغ طول محيطه 333 متر، وعدد الحجرات بالرصيفين 220 حجرة تكفي لإيواء 220 سفينة حربية، كما في الميناء يوجد رصيف عرضه 9.60 متر، يربط بين جزيرة الأميرالية والرصيف المقابل لها⁽²⁾، والذي يؤدي إلى الساحة الرئيسية في المدينة، حيث الأروقة والمحلات

(1) مادلين هورس ميادان، تاريخ قرطاج، ترجمة إبراهيم بالش، منشورات عويدات، بيروت، 1981م،

ص ص 45-46.

(2) أحمد صفر، مرجع سابق، ص 96-97.

التجارية، والإدارة الحكومية، وتتفرع منها الشوارع المؤدية إلى أماكن العبادة، والبيوت السكنية⁽¹⁾، ومن المرافئ الهامة على الطريق المؤدي إلى مصادر المعادن مرفأ أيول Uel (شرشال chercell حالياً)⁽²⁾.

ثالثاً: السفن التجارية:

توفرت على الساحل الفينيقي المواد الخام الأولية لصناعة السفن، والمتمثلة في النوعية الجيدة من الأخشاب التي تقوم عليها هذه الصناعة، وفي مقدمتها أخشاب الأرز (Cedre) والسرو (cypres) والسنديان والبلوط (chene) وهي تمتاز بالمقاومة والصلابة⁽³⁾.

بالإضافة إلى مادتي الطلاء والصمغ المستخرجة من بعض الأشجار، وبهما تظلى السفن لحفظهما من التآكل والتلف⁽⁴⁾، ولقد ورد على لسان النبي حزقيال وصف للمواد التي تصنع منها السفن، والنشاط الاقتصادي الفينيقي في البحر المتوسط التي تنزعه مدينة صور: "قل لصور أيتها الساكنة عند مدخل البحر، تاجرة الشعوب إلى جزائر كثيرة هكذا قال الرب، ياصور أنت قلت أنا كاملة الجمال تخومك في قلب البحور. بناؤوك تمموا جمالك عملوا كل ألواحك من سروسنير. أخذوا أرزاً من لبنان ليصنعوه لك سوارى صنعوا من بلوط باشان مجاذفك صنعوا مقاعدك من عاج مطعم. كتان مطرز من مصر هو شراعك يكون لك راية.

(1) مادلين هورس ميدان، مرجع سابق، ص 47-48.

(2) محمد الصغير غاتم، التوسع الفينيقي...، مرجع سابق، ص 101.

(3) Sommet Frey. Le grand livre de l'histoire du monde, edit, deux cup d' or paris 1986, p.68.

(4) فيليب حتى، لبنان في التاريخ من أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحالي، ترجمة أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، 1956م، ص 117.

أهل صيدون وأرود كانوا ملاحيك. حكامك ياصور الذين كانوا فيك هم ربابينك. شيوخ جبيل وحكامها كانوا فيك قلافوك. جميع سفن البحر وملاحوها كانوا فيك ليتاجروا بتجارتك بنوا أرود مع جيشك على الأسوار من حولك والأبطال كانوا في بروجك علقوا أتراسهم على أسوارك. هم تمموا جمالك. ترشيش تاجرتك بكثرة كل غنى بالفضة والحريز والقصدير والرصاص أقاموا أسواقك بنفوس الناس وبأبينة النحاس أقاموا تجارتك⁽¹⁾.

كما أشارت المصادر القديمة إلى استخدام النفط الخام من قبل الشعوب القديمة، في طلاء السفن، لمنع تسرب المياه إليها⁽²⁾، وعلى الرغم من توفر الإمكانات المادية في الساحل الفينيقي، تأتي مهارة الإنسان الفينيقي في الأعمال الخشبية والملاحة البحرية في المقام الأول، حيث استعان بهم الملك الأشوري سنحاريب الأكادي (704-681 ق.م) لبناء سفن حربية لجيشه يقودها ملاحون فينيقيون في مياه الخليج العربي⁽³⁾.

كما أشار العهد القديم إلى استعانة الملك سليمان - عليه السلام - بالملك حيرام الأول (969-936 ق.م) ملك مدينة صور، ليرسل إليه الملاحين العارفين بالأعمال البحرية لقيادة سفنه مع عبده إلى منطقة أوفير (Ophir) لجلب المواد الأولية⁽⁴⁾، كما كان الفينيقيون يصنعون السفن التجارية والحربية، لحساب ملوك الفرس في ورشهم الخاصة، ومن ثم يستخدمونهم كمدرّبين لتدريب أولادهم، على

(1) الكتاب المقدس، العهد القديم والعهد الجديد، سفر حزقيال، 27: 3-36، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، القاهرة، ط4، 2008م.

(2) استرابون، الكتاب السادس عشر، وصف بلاد ما بين النهرين وفينيقيا وشبه الجزيرة العربية، ترجمة محمد المبروك النوب، ط1، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2006م، فقرة 15، ص28.

(3) سعد ماهر، البحرية الإسلامية وآثارها الباقية، وزارة الثقافة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1967م، ص56.

(4) العهد القديم، سفر الملوك الإصحاح 9.

القيام بالأعمال البحرية في أوقات السلم والحرب⁽¹⁾. على ما يبدو أن الفرس كانوا يعطوا العمال الفينيقيون المهرة أموال مقابل قيامهم بصناعة السفن، وتدريب أولادهم على القيام بأعمالهم البحرية.

وفي بداية أمرهم صنع الفينيقيون سفن صغيرة بسيطة، لا تقوى على التوغل في عرض البحر، خوفاً من الأمواج العالية، وهي قليلة الارتفاع، ولا تحمل من السلع إلا القدر اليسير، وهي تسير بمحاذاة الساحل أو ما يعرف بالمساحلة في وضح النهار⁽²⁾، ومن ثم تطورت هذه الصناعة نتيجة تظافر عدة عوامل بشرية، وطبيعية، حيث صنعوا سفن على هيئة هلال، ولها مؤخرة ومقدمة، مرتفعتان ومجذافان كبيران، يستعملان كدفة لقيادة السفينة، وفي وسطها يوجد الصاري، الذي يحمل شراع واحد مربع الشكل، وقد ظهر هذا النوع من السفن الفينيقية، مرسوم على جدران المباني الأثرية المصرية في حوالي 1400 ق.م⁽³⁾، وشراع هذه السفن مصنوع من مادة الكتان الذي له قدرة كبيرة على مضاعفة سرعة السفينة⁽⁴⁾، وترتب على براعاتهم في صناعة السفن، أنهم صنعوا سفن في ورش فينيقيا قابلة للفك والتركيب، حتى يتم نقلها بسهولة إلى الأماكن الأخرى، وهي تتجمع بواسطة المسامير كما أشارت إلى ذلك المصادر القديمة⁽⁵⁾، وصنعوا نوع من السفن مقدمتها تشبه عنق ورأس الطير، حيث كانت السفن التجارية في بدايتها تسير بواسطة الشراع، وبعدها تقدمت تقنياتها فصارت تتوغل في البحار والمحيطات، حيث زودت بالمجاديف حتى

(1) إبراهيم أحمد رزقانه وآخرون، حضارة مصر والشرق القديم، دار مصر للطباعة، القاهرة، د/ت، ص441.

(2) محمد بيومي مهران، مرجع سابق، ص270.

(3) محمد سهيل طقوش، موسوعة الحضارات القديمة (الميسرة)، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 2011م، ص325.

(4) محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غرب ...، مرجع سابق، ص57.

(5) استرايون، الكتاب السادس عشر، مصدر سابق، الفقرة 11، ص25.

يستعان بها عند دخولها وخروجها من الموانئ في حالة سكون الرياح، وهذه السفن يطلق عليها اسم الماعون (Mahounes)⁽¹⁾ ونوع آخر يطلق عليه اسم سنباي (Cymbae) وهي صغيرة سريعة الحركة، وأخرى يطلقون عليها اسم هيبي (Hippi) وهي مزخرفة برسوم على هيئة رؤوس الخيل، توجد في مقدمة السفينة، وعملية تركيب هذه الأشكال الحيوانية معروفة عند الأمم صاحبة البحريات القديمة⁽²⁾، وعندما توصلوا إلى اختراع الصالب وهو عارضة خشبية تعتبر العمود الفقري للسفينة، وتمتد على طول أرضيتها، مما يجعلها قادرة على شق الأمواج بسهولة ويسر، عندها صنعوا السفن ماخرة المحيطات⁽³⁾.

والتي عن طريقها سيطروا على البحر، وطرق الملاحة، وازداد نشاطهم التجاري، ومن السفن الماخرة نوع آخر يطلق عليه جوال (GAWAL) وهي كلمة فينيقية تعني نصف برميل، وهذه السفن عميقة مستديرة استعملوها في البحر المتوسط، والمحيط الأطلسي منذ القرن السادس ق.م حتى القرن الثالث ق.م⁽⁴⁾.

رابعاً: السفن الحربية:

عرف الفينيقيون السفن الحربية، عندما كانوا في بلادهم على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، فعندما تعرض ساحلهم لغزو الأشوريين Alashowrune الذين استخدموا سفن المدن الفينيقية الخاضعة لسيطرتهم، لإخماد ثورات المدن الأخرى التي كانت ترفض دفع الجزية، وتحاول القيام بثورات للتخلص من الحكم الآشوري بين الفترة والأخرى، حيث انضمت سفن كل من مدينة صيدا،

(1) G contenau, La civilization phenicienne, payot, paris, 1949, p.234.

(2) ج. كونتو، مرجع سابق، ص 317.

(3) محمد الهادي حارش، التاريخ المغربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي،

المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995م، ص 42.

(4) سعد ماهر، مرجع سابق، ص 337-338.

وعكا، وصور، التي كانت على البر، إلى الملك الآشوري شلمنصر الثالث (Salmansavi^{III}) (858-842 ق.م) خلال حصاره لمدينة صور سنة 722 ق.م، والذي استمر لمدة خمس سنوات، انتهى الأمر بتوقيع معاهدة التزمت فيها مدينة صور بدفع جزية للآشوريين⁽¹⁾، وقد بقي للأسطول الفينيقي الحربي دوره في شرق البحر المتوسط، وذلك خلال فترة السيطرة البابلية، والفارسية، فقد كان ملك صيدا خلال السيطرة الفارسية، هو الأميرال الكبير للأسطول الفارسي، كما شاركت السفن الحربية الفينيقية ضمن الأسطول الفارسي في معركة سلاميس^(*) (Salamis) سنة 480 ق.م⁽²⁾.

وعندما آلت الأمور إلى قرطاج في غرب البحر المتوسط، أصبحت زعيمة المحطات الفينيقية في غربي المتوسط؛ وصارت تهيمن على النشاط التجاري، مما دفعها إلى الاهتمام بأسطولها الحربي، حتى تستمر في التحكم والسيطرة⁽³⁾. فقد صنعت قرطاج سفن حربية مستطيلة الشكل، لها مؤخرة مرتفعة، ومقدمة غالباً ما تكون في مستوى الماء، ومزودة بكتلة حديدية في مقدمة السفينة، يطلق عليها اسم رأس الكبش (Ram) لتحطيم وتمزيق سفن العدو، أو قلبها في

(1) عبد الحميد زايد، الشرق الخالد مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام 323 ق.م، دار النهضة العربية، القاهرة، 1966م، ص ص 274-275.

(*) سلاميس: جزيرة في خليج إليوسيس قرب ساحل أتيكا، وقد عمدت أثينا أن تكون هذه الجزيرة تحت سيطرتها دائماً، ووقع نزاع عليها بينها وبين مجارا إلا أنها ظلت تحت السيطرة الأثينية، كما نجح الأسطول الأثيني في إلحاق هزيمة كبيرة بالأسطول الفارسي في مضيق سلاميس عام 480 ق.م. ينظر عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني (الهيلاني) ج1، دار النهضة العربية، بيروت، 1976م، ص ص 150-151.

(2) محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في ...، مرجع سابق، ص 60.

(3) The Cambridge Ancient History, volume I,II,III, IV, Cambridge university press, London 1926, pp.207-208.

الماء خلال لحظة الاصطدام بها⁽¹⁾. بالإضافة إلى ذلك فقد كانت السفن تتميز بالخفة، وسرعة الحركة، في جميع الاتجاهات خلال المناورات مع الأعداء، وتستعمل المجاديف بدل الأشرعة التي تستعملها السفن التجارية، وفي البداية اعتمدت السفن على صفين من المجذفين يتمركز أحدهما فوق الآخر، ثم تطورت صناعتها فيما بعد فصارت ذات ثلاث صفوف، وأربعة حتى وصلت إلى التسع صفوف⁽²⁾، ووجدت أنواع أخرى من السفن، خاصة بنقل الجنود، والخيول، وأخرى صغيرة لنقل الأمتعة، والعتاد الحربي الخاص بالجنود⁽³⁾، ونوع خاص لمساعدة الأسطول الحربي، ومهمتها الاستطلاع وكشف الطريق أمام الأسطول وإمداده بالمعلومات، قبل وقوع الخطر بوقت طويل، ويعمل عليها عدد من الجنود والقادة ذوي الخبرة بفنون القتال البحري، ولم تكن مهمة السفن مرافقة الأسطول خلال عمليات القتال، وإنما امتد دورها إلى حماية الموانئ خلال فترات الحرب⁽⁴⁾. كما اعتمدت قرطاج في أسطولها الحربي، على نوع من السفن يطلق عليه سفن المراسلة، ومهمتها تبليغ الأوامر والتعليمات للقادة العسكريين، إذا حدث تغيير في الخطط الحربية التي يقوم بها الجيش القرطاجي، ويستدل على ذلك من خلال ما حدث عام 211 ق.م، عندما تحركت السفن الحربية القرطاجية، من شواطئ جزيرة صقلية (Sicile) لمحاصرة مدينة تارنتوم (Tarentum) التي تقوم بتجهيز الإمدادات العسكرية لنقدمها للجيش الروماني عن طريق البر، عندها أدى إلى تأخر الإمدادات الواصلة إليهم لفترة طويلة، وبعدها انسحبت السفن القرطاجية، وتم رفع

(1) جون. أ. هامرتن، تاريخ العالم، المجلد الثاني، ترجمة وزارة المعارف المصرية، د/ت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص172.

(2) جون. أ. هامرتن، المرجع السابق، ص271.

(3) إبراهيم أحمد رزقانة، مرجع سابق، ص442.

(4) عبد العزيز عبد الفتاح عمر حجازي، البحرية القرطاجية دراسة في دورها الحربي ومقوماته وعلاقته، "رسالة دكتوراه غير منشورة"، جامعة القاهرة، معهد البحوث الأفريقية، 1985م، ص70.

الحصار البحري عن ميناء المدينة بناءً على أوامر أخرى وصلت من الدولة القرطاجية، عن طريق سفن المراسلة التي قامت بتبليغ الأوامر إلى قائد الأسطول القرطاجي⁽¹⁾.

بينت الدراسة عدة نتائج كان من أهمها:

توفرت على الساحل الفينيقي، الأماكن البحرية الطبيعية، التي تصلح أن تكون مرافئ لسفنهم، والتي أدخلوا عليها الحواجز الاصطناعية حتى صارت موانئ صالحة لحماية سفنهم من الأمواج والرياح.

توفرت عدة مواد أولية ساعدت في عملية بناء السفن ويأتي في مقدمتها الأخشاب الجيدة، والمواد المانعة لشرب الماء إلى السفن، بالإضافة إلى مهارة الإنسان الفينيقي في الأعمال الخشبية والأعمال البحرية.

نقل الفينيقيون آلية اختيار الأماكن الطبيعية التي تصلح أن تكون مرافئ إلى غرب المتوسط، كما شيّدوا المرافئ الحربية وخير مثال لذلك ميناء قرطاجة الحربي.

صنعت عدة أنواع من السفن المتعددة الأغراض والمهام.

استعان بهم الفرس لصناعة سفن لهم وتدريب أولادهم على الأعمال البحرية

(1) المرجع نفسه، ص ص72-73.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب السماوية:

-الكتاب المقدس، العهد القديم والعهد الجديد، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، القاهرة، ط4، 2008م.

ثانياً: المصادر الكلاسيكية:

-Strabo, the Geogra ph4 of strabon, loeb classical Libyary.
F7.

ثالثاً: المصادر المعربة:

1-استرابون، الكتاب السادس عشر، وصف بلاد ما بين النهرين وفينيقيا وشبه الجزيرة العربية، ترجمة محمد المبروك الذويب، ط1، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2006م.

2-استرابون، الكتاب السابع عشر، وصف ليبيا ومصر، ترجمة محمد المبروك الذويب، ط1، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2003م.

3-هيرودوت، الكتاب السكيثي والكتاب الليبي، ترجمة محمد المبروك الذويب، ط1، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2003م.

رابعاً: المراجع العربية:

1-إبراهيم أحمد رزقانة وآخرون، حضارة مصر والشرق القديم، دار مصر للطباعة، القاهرة، د/ت.

2-أحمد محمد انديشة، الحياة الاجتماعية في المرفئ اللبية الغربية وظهيرا في ظل السيطرة الرومانية، ط1، منشورات جامعة التحدي، سرت، 2008م.

- 3- أحمد صفر، مدينة المغرب في التاريخ، د/ت، دار النشر بوسلامة، تونس، 1959م.
- 4- ابتسام عبد السلام الديباني، الموائئ اللببية القديمة ودورها الاقتصادي في الفترات الفينيقية والإغريقية والرومانية، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ط1، 2014م. بيروت، 1988م.
- 5- سعاد ماهر، البحرية الإسلامية وآثارها الباقية، وزارة الثقافة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1967م.
- 6- طه باقر، لبدة الكبرى، مصلحة الآثار، طرابلس - ليبيا، د/ت.
- 7- عبد الحميد زايد، الشرق الخالد مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام 323ق.م، دار النهضة العربية، القاهرة، 1966م.
- 9- عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني (العصر الهيللادي)، ج1، دار النهضة العربية، بيروت، 1976م.
- 10- فيصل علي أسعد الجري، الفينيقيون في ليبيا من 1100ق.م حتى القرن الثاني الميلادي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، سرت، 1425م.
- 11- محمد بيومي مهران، المدن الفينيقية تاريخ لبنان القديم، دار النهضة العربية، بيروت، 1994م.
- 12- محمد علي عيسى، مدينة صبراته منذ الاستيطان الفينيقي حتى الوقت الحاضر، الإدارة العامة للبحوث الأثرية والمحفوظات التاريخية، 1978م.
- 13- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995م.

- 14- محمد سهيل طقوش، موسوعة الحضارات القديمة (الميسرة)، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 2011م.
- 15- محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، بيروت - لبنان، 1982م.
- 16- محمد الصغير غانم، المملكة النوميديّة والحضارة البوننية، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1998م.
- 17- محمود الصديق أبو حامد، "مظاهر الحضارة الفينيقية في طرابلس"، مجلد ليبيا في التاريخ، ط1، الجامعة الليبية، كلية الآداب، دار صادر - بيروت، 1968م.
- 18- محمود حسين الأمين، "الكنعانيون الغربيون" محاضرات الموسم الثقافي الأول 79م-80م، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1989م.
- خامساً: المراجع المعربة:**
- 1- أتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، ترجمة خليفة التليسي، طرابلس، ليبيا، 1991م.
- 2- الأخوان بيتشي، الساحل الليبي، ترجمة الهادي مصطفى أبولقمة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1996م.
- 3- ج. كوننتو، الحضارة الفينيقية، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، شركة كتب الشرق الأوسط، 1948م.
- 4- جون.أ. هامرتن، تاريخ العالم، مج2، ترجمة وزارة المعارف المصرية، د/ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د/ت.

5-د.ج. ماتتغلي، منطقة طرابلس في العهد الروماني، ترجمة محمد الطاهر الجارري، محمد عبد الهادي حيدر، المركز الوطني للدراسات التاريخية، طرابلس، 2009م.

6-سينسر ويلز، "البحث عن الفينيقيين" ترجمة ريك غور، مجلة الجيل العربي العصرية، مج26، العدد الثاني، بيروت - لبنان، 2005م.

7-شارل أندريه جوليان، تاريخ شمال أفريقيا الشمالية تونس - الجزائر - المغرب الأقصى - من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م، ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة، ط3، الدار التونسية للنشر، 1978م.

8-فرانسو ديكريه، قرطاجة أو إمبراطورية البحر، ترجمة عز الدين أحمد عزو، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، 1996م.

9-فيليب حتى، لبنان في التاريخ من أدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحالي، ترجمة أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1956م.

10-مادلين هورس ميادان، تاريخ قرطاج، ترجمة إبراهيم بالش، منشورات عويدات، بيروت - لبنان، 1981م.

سادساً: المراجع الأجنبية:

1-Merighi Antonie, La Tripolitania Antica, vol.1, A Airoidi Editore verbenia, 1940.

2-Sommest Frey, Le grand livre de l'histoire du monde, Edit, Deux cup d' on Paris, 1986.

3-G contenau, La civilization phenicienne, payot, Paris, 1949.

The Cambridge Ancient History, volume I,II,III,IV. Cambridge university press, London, 1926.

سابعاً: الرسائل العلمية:

1-عبد العزيز عبد الفتاح حجازي، البحرية القرطاجية دراسة في دورها الحربي ومقوماته وعلاقته "رسالة دكتوراه غير منشورة"، جامعة القاهرة، معهد البحوث الأفريقية، 1985م.

طرق القوافل ونشأة مدينة تدمر

إعداد: د. شعبان علي أبوراس*

د. حواء ميلاد عليوان*

المقدمة:

نشأت مدن كثيرة في شتى بقاع العالم وعبر الأزمنة المختلفة، ولعل نشأتها قد ارتبطت بالأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المختلفة، إذ من خلال العملية الاستقرائية للتاريخ يتبين أن جل المدن في التاريخ القديم والوسيط قد نشأت وتطورت تبعاً للنشاط التجاري.

وتدمر من مجموعة المدن التي كانت للعوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية دوراً مهماً في بروزها وتطورها، وربما كان التجار الذين اجتازوا البادية التدمرية بقوافلهم منذ تلك الأزمنة قد اتخذوا من ينابيع واحة تدمر مكاناً لاستراحة قوافلهم، فنشأت وتحوّلت تلك النقاط إلى أسواق كانت بداية لنشاط المدينة فيما بعد، حيث ساهم أهل المدينة في توسع النشاط التجاري. ومنها يمكن القول بأنه لا يمكن بناء مدن في المناطق الصحراوية بدون نشاط اقتصادي.

ومن خلال ما تقدم يمكن أن نهدف بهذه الدراسة إلى الوصول للأسباب الرئيسية لنشأة المدينة وتطورها، ومعرفة أهمية دور المدينة في النشاط التجاري من خلال معرفة ارتباطها وعلاقتها بالقوافل التجارية.

* أستاذ مساعد قسم التاريخ كلية الآداب جامعة المرقب.

* محاضر بقسم التاريخ كلية الآداب جامعة المرقب.

السؤال الإشكالي:

هل كان لطرق القوافل دوراً مهماً في نشأة وتطور تدمر؟

فرضية الدراسة:

لعل طرق القوافل قد ساعدت في نشأة وازدهار عدة مدن وأصبحت فيما بعد مدن تجارية كبرى.

أي أنه (كلما كانت الطرق التجارية نشطة، كلما نشأت مدن على هذه الطرق وذلك لنشأة الأسواق بتلك النقاط).

1 - مدخل جغرافي.

2 - الطرق التجارية والأسواق وتأثيرها على توسع المدينة.

مدخل جغرافي:

تقع مدينة تدمر على ارتفاع حوالي 400 متر فوق سطح البحر وبجوار منحدرات سلسلة جبال الحوار الممتدة من الفرات حتى مشارف الشام⁽¹⁾، وعلى بعد 100 كيلومتر من حمص، و150 كيلومتر إلى الشمال الشرقي من دمشق في منتصف المسافة تقريباً بين دمشق والفرات⁽²⁾ أي تتوسط تدمر الطريق الواصل بين الفرات الذي كان عصب المواصلات في شرق بلاد الشام، وسواحل بلاد الشام التي كانت تكثُر على شواطئها الموانئ، حيث كان التجار منذ العصور القديمة يسلكون

¹ - عزت زكي قادوس: "آثار العالم العربي في العصرين اليوناني والروماني القسم الآسيوي، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000م، ص83.

² - حسين الشيخ، "دراسات في تاريخ الحضارات القديمة العرب قبل الإسلام"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993م، ص143، انظر كذلك.. ناجي معروف، "أصالة الحضارة، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1975م، ص95.

الطريق القادم من الفرات على ظهور الدواب، بذلك لا بد من المرور بتدمر إذ كانت وجهتهم موانئ بلاد الشام.⁽¹⁾

وأصبحت القوافل المتجهة من الحيرة إلى دمشق تجعل طريقها شمال غربي على حدود الفرات حتى تصل إلى تدمر وتستريح هناك وتتزود بالمؤن، ثم تتجه جنوباً إلى دمشق، وهذا كان شأن القوافل التجارية، وكذلك الحملات العسكرية منذ القدم.⁽²⁾

وهكذا نشأت واجهة تدمر التي تقوم في وسطها قرية صغيرة واستقرت فيها بعض القبائل العربية، ثم تطورت هذه القرية إلى مدينة بفضل الطرق التجارية⁽³⁾ التي اشتهر أمرها في النصف الأول من الألف الأول ق.م، حيث كانت القوافل التجارية القادمة من الحبشة واليمن تمر بتدمر وتستريح فيها، ثم تواصل إلى بلاد ما بين النهرين وبلاد فارس.⁽⁴⁾

وتدمر بلميرا (Palmyra) تألفت من مجموعات من القبائل العربية وردت أسماؤها في المدونات الرومانية، فهي أسماء عربية مع أن بعضها كان يحمل أسماء إغريقية⁽⁵⁾، فتدمر كغيرها من المدن الشامية تقلبت عليها موجات شعوب الجزيرة العربية، كالكنعانيين والأموريين والآراميين وغيرهم، حيث أخذ العنصر العربي يغلب عليها تدريجياً من مطلع الألف الأول ق.م، حتى أصبح العرب

¹ - Drivers, H.J.W., The Religion of Palmyra, Leiden, Brill, Copyright 1976, P.3.

² - جرجى زيدان، العرب قبل الإسلام، ج1، مطبعة الإرشاد، القاهرة، 1908م، ص83.

³ - فيليب حتى، "تاريخ سورية ولبنان وفلسطين"، ج1، ط2، دار الثقافة، بيروت 1958م، ص432.

⁴ - محمد أسعد طلس، "تاريخ العرب"، ط2، دار الأندلس، سورية، 1979م، ص38.

⁵ - أحمد سوسة، "العرب واليهود في التاريخ"، ج7، العربي للطباعة والتوزيع، دمشق، 1975م، ص238.

الأغلبية في تدمر⁽¹⁾ وامتزجوا مع السكان الأصليين الذين ينحدرون من أصل سامي، والعرب الناطقون باللسان الآرامي واستقروا فيها.⁽²⁾

وقد تألف أهل تدمر من التجار والمزارعين داخل المدينة، أما في أطراف المدينة فكانوا من الأعراب الرعاة، بالإضافة إلى وجود الجاليات الإغريقية والرومانية التي عاشت في تدمر، وفضلت السكن بها، كما كانت هناك جاليات يهودية نزحت إليها قبل سقوط القدس في أيدي الرومان، وتبين أن الإغريق كانوا يعتبرون أجانب بينما كان الفرس في عداد الاستقرائية المحلية واعتبروا إلى حد ما تدمريين.⁽³⁾

الطرق التجارية والأسواق وتأثيرها على توسع المدينة:

كان هناك طريقان بريان رئيسيان للتجارة والمواصلات يصلان بين بلاد الشام وبلاد الرافدين خلال الألف الثاني ق.م، ويمتدان من ضفاف الفرات شرقاً حتى سواحل البحر المتوسط غرباً⁽⁴⁾، الطريق الأول ينطلق من منطقة الفرات الأوسط بالقرب من ماري ويسير بمحاذاة الفرات باتجاه الشمال الغربي حتى يصل

¹ - عدنان البني، "تدمر والتدمريين، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق، 1978م، ص 91.

² - هورست كلينكل، مرجع سابق، ص 105.

³ (عبد الحلو، "صراع الممالك في التاريخ السوري القديم ما بين العصر السوري وسقوط المملكة التدمرية"، ط1، سوريا، 1999م، ص ص 328 - 329.

⁴ - فيكتور سحاب، إيلاف قريش رحلة الشتاء وال الصيف"، دار الفكر، بيروت 1992م، ص 143، كذلك انظر: فرانسو متيرال "تجارة تدمر وسيلة بين الحضر والبدو"، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مج 42، تصدرها المديرية العامة للآثار والمتاحف، عدد خاص بوقائع الندوة الدولية حول تدمر وطريق الحرير، دمشق 1996م.

إلى مدينة إيمار⁽¹⁾ (مسكنة) التي كانت تشكل خلال الألف الثاني ق.م ميناءً مهماً على الفرات للمواصلات البرية والنهرية بين شمال بلاد الشام وبلاد الرافدين.⁽²⁾ ومن هناك كان الطريق يخترق سهول بلاد الشام الشمالية حتى يصل مدينة يمحاض (حلب) حيث يتفرع إلى فرعين يمتدان إلى سواحل البحر المتوسط⁽³⁾، ومنها إلى تل عطشانة (رأس الشمرة)، ومن يمحاض كان هناك طريق رئيسي باتجاه الجنوب إلى المشرقة (قطنة) الواقعة شمال شرق حمص ودمشق، ومنها إلى فلسطين ومصر.⁽⁴⁾

أما الطريق الثاني الواصل بين بلاد الشام وبلاد الرافدين، كان يبدأ أيضاً من منطقة الفرات⁽⁵⁾ الأوسط بالقرب من ماري وينطلق عبر بادية الشام ماراً بتدمر

¹ - مسكنة، إيمار على الفرات عند منطقة الغمر، محمد مادون، تفاعلات حضارية على طريق الحرير وتدمر، وزارة الثقافة، دمشق، 1995م، ص76.

² - محمد وحيد خياطة، "تدمر التجارة والدين"، مجلة المعرفة، ع 372، السنة الثالثة والثلاثون، تصدرها وزارة الثقافة، دمشق، 1994م، ص205.

³ - خالد الأسعد، "طرق القوافل التدمرية"، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، مج 42، تصدرها المديرية العامة للآثار والمتاحف، عدد خاص بوقائع الندوة الدولية، تدمر وطريق الحرير، دمشق 1996م، ص85.

⁴ - عيد مرعي، "محطة هامة على طريق القوافل خلال الألف الثاني قبل الميلاد"، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، مج 42، تصدرها المديرية العامة للآثار والمتاحف، عدد خاص بوقائع الندوة الدولية تدمر وطريق الحرير، دمشق 1996م، ص109.

⁵ - تعرف الأصقاع الواقعة يمين وغرب نهر الفرات باسم الشامية، وتقسم من الناحية الجغرافية الإقليمية إلى الشامية الشمالية والشامية الجنوبية أو البادية السورية ويفصلها عارض تضاريسي يؤلف سلسلة الجبال الوسطى وسلسلة الجبال التدمرية، وعرفت قديماً ببادية السماوة لأنها أرض مستوية لا صحر فيها وهي التي بين الكوفة والشام وتؤلف إقليمياً جغرافياً يمتد على الجزء الجنوبي الشرقي من سورية وعلى المناطق الغربية من العرق والبقاع الشرقية من الأردن وشمال السعودية وتعرف أيضاً بالصحراء السورية، عادل عبد السلام، "البيئة الجغرافية الطبيعية للبادية التدمرية وطريق الحرير"، مجلة الحوليات

والمشرفة (قطنه) وبمنخفض حمص حتى يصل إلى سواحل البحر المتوسط عند جبيل، وعند المشرفة كان يصل مع الطريق القادم من الشمال من يمحاض (حلب) المتجهة جنوباً إلى دمشق وفلسطين.⁽¹⁾

وقد أوجد التدمريون الطريق الصحراوي المختصر، وذلك بتحويل طرق القوافل نحو مدينتهم بعد مسارها على طول النهر للوصول مباشرة إلى مرفأ البحر المتوسط.⁽²⁾

وبعد ذلك فإن الطرق التجارية تطورت واتسعت وأصبحت هناك طرق جديدة تنطلق من تدمر إلى دمشق وعددها ثلاثة طرق تبدأ من تدمر، وتدل على النشاط التجاري المتبادل بين دمشق وتدمر، والطرق المباشرة بينهما توازي جبل الرواق أو السلاسل الجبلية المتفرعة عن جبل لبنان الشرقي وتسير من تدمر إلى موقع البيضا⁽³⁾ فقصر الجبل الغربي (هلياراميا) ثم إلى نزلا (القريتين)⁽⁴⁾ وجيرودا (جيرود) وادارين القطيفة ثم (دمشق).⁽⁵⁾

وهناك اتجاه آخر يبدأ من نزلا (القريتين) ثم إلى مهين⁽⁶⁾ دانابا (Danaba) ثم تلف حول كتلة صخرية لثلاثي بطريق حمص دمشق مارة بقارة

الأثرية العربية السورية، مج42، تصدرها المديرية العامة للآثار والمتاحف، عدد خاص بوقائع الندوة الدولية حول تدمر وطريق الحرير، دمشق، 1996م، ص30.

¹ - أرنت فيل، "تدمر وطريق الحري"، ترجمة إيمان سندان، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، مج42، تصدرها المديرية العامة للآثار والمتاحف، عدد خاص بوقائع الندوة الدولية، تدمر وطريق الحرير، دمشق، 1996م، ص93.

² - أرنت فيل، المرجع السابق، مج42، ص93.

³ - موقع البيضاء موقع آبار وسط الدو، محمد مادون، مرجع سابق، ص76.

⁴ - القريتين (نزلا) نشالا، بلدة على طريق الحير الغربي بدمشق، محمد مادون، المرجع نفسه، ص77.

⁵ - خالد الأسعد، مرجع سابق، مج 42، ص86.

⁶ - مهين حواضر بين القلمون والسلسلة التدمرية الجنوبية، محمد مادون، مرجع سابق، ص77.

(كهييرا) والنبك (كزما) فالقسطل (ادامانا) وادارين (القطيفة) والقصير فدمشق، والطريق الثالث يبدأ من تدمر ويعتمد على سلسلة من الخانات والحصون الصغيرة المجهزة بالآبار والأراضي الزراعية التي تكفي لإطعام القافلة ومواشيها، وبقيت هذه الحصون مستخدمة كمحطات وخانات تبدأ من الخان الأبيض الواقع على السفح الشرقي لجبل هيان⁽¹⁾ الذي يبعد 20 كيلومتر غربي تدمر، ثم خان الحلابات⁽²⁾ وهو (موقع برياركا)، ويستمر الطريق إلى خان البصيري⁽³⁾ (أوراكا)، ومنه يمتد الطريق جنوباً إلى خان عنبية (خان وممر) ثم منه إلى خان المنقورة (خان وممر) ثم إلى خان البو الشامات⁽⁴⁾ ومنه إلى الضمير فدمشق، والطريق الديقلوسيانية⁽⁵⁾ تتحرف قبل الضمير بقليل بفرع نحو الجنوب مارة بدير الشمالي وتل أصفر وشمقا ودير الكهف والقصير الأزرق ممتد إلى وادي السرحان ويوازيها طريق آخر يمتد من

¹ - جبل هياف (صياف) جزء من التدمرية الجنوبية مشرف على تدمر، محمد مادون، المرجع نفسه، ص75. فيصل عبد الله "تدمر في الوسط الاقتصادي والسياسي في القرن الثامن عشر قبل الميلاد"، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، مج 42، تصدرها المديرية العامة للآثار والمتاحف، عدد خاص بوقائع الندوة الدولية تدمر وطريق الحرير، دمشق 1996م، ص105.

² - Franz Cumont, the frontier provinces of the East, fourth impression, vol XI, Cambridge, Paris, 1936, P.635.

³ - البصيري منطقة بها سد خريفة بموقع الباردة والخريق لغة هو الأرض الصلبة، محمد مادون، مرجع سابق، ص76، خالد الأسعد، مرجع سابق، مج42، ص86.

⁴ - أبو الشامات، غربي الصقل، خالد الأسعد، المرجع نفسه، ص87.

⁵ - الطريق الديقلوسيانية ما بين الفرات وتدمر ودمشق، محمد مادون، مرجع سابق، ص74.

البنخراء، ثم أبو الشامات متصلاً بالطريق الشمالي من السبع بيار⁽¹⁾ إلى الجنوب فجل سيس فالزلفا ثم التمارة.⁽²⁾

وهناك طريق بين تدمر وحمص تبدأ من وادي القبور فسهل الدو⁽³⁾، حيث الكراسي وهو مفترق الطرق المتجه إلى البيضاء، تياس الفرقلس (بيت بريكليس) وعيفير - حمص، وقد أقام التدمريون عام 114 ق.م آبادة تذكارية في هذا الموقع تشير إلى الخصب كما عثر على ثلاثة مذابح قدمتها تدمر للإله الذي تبارك اسمه للأبد، ولا تزال بعض الأميال في موقعها حالياً على بعد 20 كيلومتر غربي تدمر، ونقل أحدها إلى متحف تدمر وهو من عهد تراجان (98-117م)⁽⁴⁾، ومن الكراسي أيضاً إلى بيار صجار، عقارب (عقارية) ثم قصر بن وردان إسريراً⁽⁵⁾ سريان، ويمحاص (حلب) وانطاكية، وتمتد الطريق من تدمر إلى خان الحلابات ثم خان القطار، خان البصيري، فقصير الحير الغربي للؤلؤة (موقع هلياراميا) الفرقلس - حمص.⁽⁶⁾

¹ - السبع بيار، مجموعة آبار وأودية، على بعد 150 كم شرقى دمشق على طريق التنف المعبد، محمد مادون، مرجع سابق، ص 85.

² - الزلف بئر ما وموقع عند الرحبة، النمارة، موقع جنوبي الرحبة وجد فيه قبر امرئ القيس بن عمر، محمد مادون، المرجع السابق، ص ص 78 - 79.

³ - الدو، انسم للأرض الفلاة الواسعة المستوية من الأرض، وقد ورد الاسم بصيغة دواة بالخط المسند اليمنى القديم وذلك في النقوش، والدو هذا يبدأ خلف الجبال التي تحد تدمر من الغرب وما بين السلسلتين الشمالية والجنوبية التدمرية ويمتد غربي الحير الغربي، وفيه اليوم مجموعة من المزارع المستحدثة بضخ المياه الجوفية، محمد مادون، مرجع سابق، ص ص 100، 101.

⁴ - خالد الأسعد، مرجع سابق، مج 42، ص 87.

⁵ - اسريراً، موقع أثري شمال السلسلة التدمرية الشمالية، محمد مادون، مرجع سابق ص 77.

⁶ () Klengel, I.H, Geschichte Syriens in 2, Berlin, 1969, P.120.

وطريق تدمر الفرات هي الطريق الممتدة نحو الشمال إلى سوريا، تدمر أرك⁽¹⁾ أوزيرا الطيبة (عرض)، ثم إلى الشولة (موقع الكوم) فالرصافة (الرضاب) أما الطريق الثانية نحو الشرق تدمر أرك، البئر الجديدة، دورا أوريوس (الصالحية)⁽²⁾ ويستمر فرع الطريق على ضفة الفرات حتى عانة (جيدان)⁽³⁾، ومنها إلى كرك ميسان فالخليج العربي.⁽⁴⁾

وتبدأ الطريق الثالثة من تدمر البازورية أم العمدة⁽⁵⁾، ومنها إلى موقع مليكة⁽⁶⁾، ثم إلى أم الصلابيخ مقصير صواب الكعرة⁽⁷⁾، ثم منطقة هيت على الفرات، ومنها إلى ميسان حيث يتفرع الطريق إلى طريق بحرية تصل إلى ميناء باربايكوس وطريق برية تجتاز بلاد فارس شرقا.⁽⁸⁾

والطريق الرابعة تدمر البخراء وهي مفترق طرق إلى دمشق، والاسم اللاتيني لها هي كورية أو غورية، ومنها طريق أخرى تستمر إلى مليكة، فموقع جفه

¹ - أرك أواركة تقع شرق تدمر، وأرك هي موقع السخنة الحالي، خالد الأسعد، مرجع سابق، مج 42، ص88.

² - عانة (جيد أن) إحدى موانئ تدمر على الفرات، محمد مادون، ص74.

³ - ادمون فريزولز، "التجارة مع الشرق الأقصى والشروط السياسية لنموها"، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، مج42، تصدرها المديرية العامة للآثار والمتاحف، عدد خاص بوقائع الندوة الدولية، تدمر وطريق الحرير، دمشق، 1996م، ص121.

⁴ - كذلك: انظر، محمود مادون، مرجع سابق، ص61.

⁵ - أم العمدة، أقيم فيها عمودا تذكرايا لتكريم سواده بن مالك أحد رجال القوافل المشهورة الذي حمى قوافل التدمريين من اللصوص وقطاع الطرق فكرموه بإقامة العمود التذكاري في هذا الموقع ويحمل تماثلا لسواده وأربعة تماثيل أخرى في معبد بل والأجور أو معبد بعثمين، خالد الأسعد، مرجع سابق، مج42، ص88.

⁶ - موقع مليكة فيها قصر قديم وبئر ماء جنوب تدمر، محمد مادون، مرجع سابق، ص75.

⁷ - الكعرة أو القهرة، هي منخفض واسع كثير المياه، محمد مادون، المرجع نفسه، ص75.

⁸ - Franz Cumont, op. cit, P.636.

فالسجري ثم إلى أم الصلابيخ فقصير صوب ثم عانه على الفرات ومنها إلى ميسان⁽¹⁾. كما يتضح من الخريطة.

وبذلك اعتبرت تجارة القوافل هي النشاط الأول الأساسي في تدمر، ومنها أطلق عليها اسم مدينة القوافل، حيث ازدهرت سريعاً خاصة في القرن الثاني الميلادي⁽²⁾ شيء في تدمر كان معداً للقافلة وتسهيل مرور الإبل، فالشوارع التي تمر بها القوافل غير مبلطة؛ لأن الإبل تتأذى بالمسير فوق البلاط، وكذلك الأمر بالنسبة لأرض السوق العامة (الأجورا) وملحق الأجورا ومحطة الإبل، وكذلك الأبواب المشرفة في الأجورا وملحقاتها، والمخازن العالية والأقواس كلها مهيأة لمرور الجمال بأحمالها، ومن خلال النصوص فإن حوامل التماثيل في الشارع الرئيسي عالية ويصعب قراءتها إلا من خلال نقوش الإبل، حيث نجد شيئاً خاصاً بديانة تدمر تكاد تنفرد به عن غيرها من الديانات، وهي أن بعض الهتها كانوا يمثلون على الإبل والخيل خاصة في الجبال المحيطة بتدمر⁽³⁾، والنصوص التدمرية التدمرية المتعلقة بالقوافل وتجارة القوافل في تدمر كثيرة وجدت منقوشة في المعابد والأسواق، وكان فيها ذكر قليل عن تنظيم القافلة الداخلي، التي كانت تقوم على شيخ القافلة (رئيس القافلة)، والحرس المقيمين على حماية القافلة وبضائعها خوفاً من إغارة البدو عليها⁽⁴⁾. واستخدمت قوافل تدمر نهر الفرات نزولاً مع التيار المائي وذلك لأن مزاياه كثيرة خاصة أن آخر مرحلة من السفر إلى خاركس (كرخا)

¹ - خالد الأسعد، المرجع السابق، مج42، ص86.

² - Rostovtzeff. M. Cravan cities, Trans by Tablotrice Oxford, London, 1932, P.123.

³ - عدنان البني، مرجع سابق، ص ص 106 - 107.

⁴ - Rostovtzeff. M, "the caravan Gods of Palmyra".

تمر في منطقة مستنقعات جنوب الرافدين التي لا يمكن اجتيازها بغير طريق النهر.⁽¹⁾

ويتضح من النصوص أن عصر القافلة الذهبي من أصل 34 نصاً يتعلق بالقوافل منها 19 نصاً مؤرخاً بين عامي 131م، 163م، حيث تصادف هذه الفترة فترة ازدهار عهد الإمبراطورين هادريان (117-138م)، وانطونينوس (138-161م) أي الفترة التي مرت بها الحروب الفارسية التي قام بها تراجان ولوسيوس فيروس⁽²⁾، ومن ذلك رأيت تدمر أنه من المصلحة أن تؤمن للتجار جميع أنواع الراحة لسير قوافلهم، تبين ذلك من خلال النص الجمركي الذي يعود إلى عام 137م، حيث يحدد أنواع الرسوم التي يدفعها التجار عن كل سلعة تدخل أو تخرج إلى مدينة تدمر، وحدد فيها نوع الحماية، وقام التدمريون بإنشاء فرق من الهجانة لتضبط الأمن في تدمر وخارجها من المنطقة الممتدة من الفرات إلى حماة (حميمة) ودمشق ودورا أو روبوس (الصالحية) على نهر الفرات التي كانت ميناء لتدمر، حيث تدرت فرق الهجانة تدريباً تاماً من أجل حماية القوافل وكان أفرادها يختارون اختياريّاً خاصاً ولهم مراكز في تدمر وخارجها حيث يقيمون في أبراج وقصور محصنة للراحة والتبديل.⁽³⁾

¹ - ميشيل غاو ليكوفسكي، "تدمر وتجارها التدمرية"، ترجمة عدنان البني، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، مج42، تصدرها المديرية العامة للآثار والمتاحف، عدد خاص بوقائع الندوة الدولية تدمر وطريق الحرير، دمشق، 1996م، ص116.

² - ميشيل غاوليكوفسكي، المرجع نفسه، ص117.

³ - نقولا زيادة، "الإجراءات الأمنية في تدمر في القرنين الأول والثاني"، العربية السورية، مج42، تصدرها المديرية العامة للآثار والمتاحف، عدد خاص بوقائع الندوة الدولية تدمر وطريق الحرير، دمشق 1996م، ص124.

أما البضائع فكانت تصل إلى مستودعات ضخمة كالملحق التابع للأجورا (السوق) ، حيث توزع على الحوانيت المنتشرة داخل الأجورا، وفي كل مكان خاصة شارع المسرح والشارع الرئيسي الطويل على امتداده، وفيها دكاكين منتظمة ولها واجهات متقاربة، وفيها أيضا تمديدات للمياه⁽¹⁾، وفيها آثار لسير العربات التي تنقل البضائع، ونجد فوق الدكاكين أسماء أصحابها منقوشة على حجر وغالبية أصحاب الدكاكين ليسوا من كبار التجار، بل من الطبقة المتوسطة وكانت لهم جمعيات وأخويات⁽²⁾، ولم تكن الدكاكين خاصة بتجار الجملة فقط بل هناك حرف معدة لتلبية الحاجات اليومية⁽³⁾، من باعة الأغذية والأواني الفخارة والزجاجية وأصحاب الحرف الأخرى من النحاتين وصانعي الجلود والقرب والحدادين وشغيلة الذهب والفضة، كما تشير النصوص بأن لهم نقابات وأخويات لكل منها وليمة خاصة تحت حماية سيد لها، فكان الملك أذنية الثاني وابنه من حماة النقابات الحرفية عرف ذلك من خلال النصوص المكتشفة حديثاً.⁽⁴⁾

كانت القوافل التجارية تمر بتدمر منذ القرن السادس ق.م، وتحمل معها حاصلات اليمن إلى بلاد الرافدين وتتجاوز مشارف الشام إلى تدمر ومنها إلى بلاد

انظر كذلك: بشير زهدى، "طريق الحرير وتدمر مدينة القوافل"، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، مج42، تصدرها المديرية العامة للآثار والمتاحف، عدد خاص بوقائع الندوة الدولية، تدمر وطريق الحرير، دمشق، 1996م، ص139.

¹ - عدنان البني، مرجع سابق، ص117.

² - أخويات، هي جمعيات دينية تضم في الغالب أصحاب مهنة واحدة ولها إله مفضل رئيسي، مصطفى طلاس، زنوبيا ملكة تدمر، ط1، دار طلاس، دمشق، 1989م، ص69.

³ * Franz Cumont, op. cit, P.633.

6 - Seyrig. H. "Palmyra and the East", les Annales Archeologiques Arabes Syriennes, Tom 1 et 2, vol. I, Publiee par la Direction Generale Antiquites et Des, Musees Republique Arabe Syrienne, 1950, P.60.

فارس⁽¹⁾، ومن المرجح أن تدمر كانت نقطة عبور تمر بها القوافل منذ القدم ولم تظهر أهميتها إلا بعد سقوط البتراء عاصمة الأنباط عام 106م، ولم تكن تدمر مجرد محطة تستريح فيها قوافل التجار، بل اشتغل التدمريون أنفسهم بالتجارة، وكانوا يجلبون الحرير من الصين، والتوابل من الهند، ولهم محطات في البصرة (كاراكس) وفولجيسيا قرب بغداد على نهر دجلة وكذلك في دورا أوريوس (الصالحية) على الفرات.⁽²⁾

وقد اكتسبت تجارة المنسوجات أهمية كبيرة لسهولة نقلها وخفة وزنها، ويفضل هذه التجارة أصبحت تدمر أحد أهم مراكز طرق الحرير التجارية حتى عام 273م، عندما تمكن الرومان من القضاء على مدينة تدمر⁽³⁾، وقد احتلت هذه التجارة مركزاً مهماً عبر مسافات شاسعة امتدت من الصين في عصر أسرة هان⁽⁴⁾ (206ق.م - 202م) إلى الإمبراطورية الفارسية (الفرثية) حيث قام الفرثيون بنقل البضائع المنسوجات إلى مراكز التجارة في الغرب منها تدمر ودورا أوريوس، وعثر علماء الآثار على منسوجات تتضمن ثياباً من نسيج الصين وثياباً أخرى من نسيج الشام والمناطق المحيطة بها.⁽⁵⁾

وقد كانت التجارة مع الصين من أهم الحوافز التي شجعت على إنتاج الحرير في بلاد الشام وبلاد فارس، وذلك بدليل ما عثر عليه من منسوجات حريرية في تدمر، وهي من أقدم المنسوجات المكتشفة التي كانت محاكاة بأسلوب التويل

¹ - هورست كلينكل، مرجع سابق، ص 106.

² - جرجي زيدان، مرجع سابق، ص 84.

³ - محمد وحيد خياطه، مرجع سابق، ص 207.

⁴ - أسرة هان الخامسة (206 ق.م - 202م) اتخذت كل ما يلزم لحماية أمن وسلامة القوافل التجارية في

طريق الحرير البري، بشير زهدي، مرجع سابق، مج 42، ص 134.

⁵ - بشير زهدي "في تاريخ تدمر"، مجلة العرفان، ع 5، مج 65، وزارة الثقافة، دمشق، 1977م، ص 138.

الدمشقي⁽¹⁾، واستوردت تدمر الصياغ الأحمر الأرجواني⁽²⁾ من ساحل بلاد الشام خاصة مدينة صور والعمور وزيت الزيتون والتين والجوز والأواني الزجاجية والعمور، واستوردت أيضاً التوابل وعود العاج والأخشاب والأحجار الثمينة من الهند التي عادت عليهم بأرباح كثيرة.

وبذلك أصبحت تدمر مركزاً لمنتجات الشرق من الهند كالأحجار والعاج والتوابل والعمور.⁽³⁾

ومن ذلك أصبحت تدمر تدين بازدهارها الاقتصادي إلى أهمية موقعها على الطرق التجارية، منها طريق الحرير الممتد من بلاد الصين شرقاً حتى روما غرباً، وبين مدن حوض الفرات ومدن ساحل بلاد الشام.⁽⁴⁾

بالإضافة إلى ذلك إن فتح حوض الفرات للتجارة والقوافل التجارية جعل طريق الحرير عبر تدمر هو الطريق الأقصر مسافة، والأكثر سهولة والأفضل عبوراً وأمناً وسلامة للقوافل التجارية وأصحابها وبضائعهم المختلفة.

كما أن تجارة البخور قديماً كانت سبباً في ازدهار التجارة خاصة بين المدن العربية الجنوبية (اليمن) وسائر المدن المجاورة لها وبلاد الشام⁽⁵⁾، حيث

1- التويل دمشقي، عبارة عن نسيج متين مضع، محمد وحيد خياطة، "علاقة تدمر الخارجية تجارياً ودينياً"، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، مج42، تصدرها المديرية العامة للآثار والمتاحف، عدد خاص بوقائع الندوة الدولية تدمر وطريق الحرير، دمشق، 1996م، ص168.

2- محمد وحيد خياطة، المرجع نفسه، مج42، ص168.

3- ارنست فيل، مرجع سابق، مج42، ص94.

4- بشير زهدى، في تاريخ تدمر، ع5، مج65، ص138.

5- أحمد الحوفي، التيارات المذهبية بين العرب والفرس، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة 1968م، ص17؛ نعيم فرح، "أضواء على الصناعة والتجارة في مدن بلاد الشام ودورها في التجارة العالمية في العهد البيزنطي"، مجلة دراسات تاريخية، ع15 - 16، تصدرها لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق، 1984م، ص159.

تتجمع أحمال البخور والطيوب في تمتع، ومنها تبدأ طريق القوافل التجارية نحو الشمال إلى المدن المجاورة منها تدمر الإسكندرية، ثم البتراء غزة والإسكندرية، ويصدر أيضاً إلى روما وغيرها من مدن البحر المتوسط ليستعمل هناك للحرف داخل المعابد حيث أن البخور يشكل جزءاً أساسياً في الطقوس والشعائر الدينية في العالم القديم مصر وبلاد الشام وبلاد الرافدين، أما اللبان فكان يستخدم في كثير من الأغراض الطبية، والبخور واللبان هما السلعتان الأساسيتان التي تحملها القوافل التجارية من جنوبي شبه الجزيرة العربية إلى سوق مصر والشام.⁽¹⁾

الخاتمة:

لقد كانت الصحراء السورية مهياًة بشكل مناسب لنشاط طرق التجارة إذ أن موقع تدمر المتميز في قلب بادية الشام في منتصف الطريق بين حوض الفرات شرقاً ومدن الساحل السوري غرباً جعل طريق الحرير عبر تدمر هو الطريق الأقصر مسافة والأكثر سهولة وأماناً. كذلك طبيعتها وسعة واحتها ساعد في ازدياد حركة التجارة ونموها السريع، رغم اتساع الصحراء، إلا أنه لا بد من مرور القوافل التجارية بمدينة تدمر.

إن اقتصاد مدينة تدمر هو السبب الرئيسي في نشوئها كمركز تجاري لتأمين حاجات السكان، ونموها من قرية بسيطة إلى مدينة تجارية، ساعد سكانها على الاشتغال بالتجارة، والعمل على تنظيم حركة القوافل، وكذلك ساهم التدمريون في إنشاء مجموعات خاصة بحماية القوافل وطرق القوافل التجارية، مما ساعد على الاستقرار وإحلال السلام والتوسع التجاري في المدينة الأمر الذي فصح لتوسع فرص العمل بالمدينة والمتاجرة بالسلع المختلفة وإنشاء نقاط خاصة لاستقبال البضائع القادمة من كل الاتجاهات.

أي أن شبكة الطرق التجارية القديمة ساهمت مساهمة كبيرة في تقدم تدمر العمراني والفني والثقافي والاجتماعي وتزايد ثروات تجارها.

¹ - شوقي شعث، "طريق البخور الحرير"، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، مج42، تصدرها المديرية العامة للآثار والمتاحف، عدد خاص بوقائع الندوة الدولية تدمر وطريق الحرير، دمشق 1996م، ص152م.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المراجع العربية

- 1- أحمد الحوفي، التيارات المذهبية بين العرب والفرس، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة 1968م.
- 2- أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ج7، العربي للطباعة والتوزيع، دمشق، 1975م.
- 3- جرجى زيدان، العرب قبل الإسلام، ج1، مطبعة الإرشاد، القاهرة، 1908م.
- 4- حسين الشيخ، "دراسات في تاريخ الحضارات القديمة العرب قبل الإسلام"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993م.
- 5- عبد الحلو، "صراع الممالك في التاريخ السوري القديم ما بين العصر السوري وسقوط المملكة التدمرية"، ط1، سوريا، 1999م.
- 6- عدنان البنى، "تدمر والتدمريين، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق، 1978م.
- 7- عزت زكي قادوس: "آثار العالم العربي في العصرين اليوناني والروماني القسم الآسيوي، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000م.
- 8- فيكتور سحاب، إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف"، دار الفكر، بيروت 1992م.

9- فيليب حتى، "تاريخ سورية ولبنان وفلسطين"، ج1، ط2، دار الثقافة، بيروت 1958م.

10- محمد أسعد طلس، "تاريخ العرب"، ط2، دار الأندلس، سورية، 1979م.

11- محمد مادون، تفاعلات حضارية على طريق الحرير وتدمر، وزارة الثقافة، دمشق، 1995م.

12- مصطفى طلاس، زنوبيا ملكة تدمر، ط1، دار طلاس، دمشق، 1989م.

13- ناجي معروف، "أصالة الحضارة، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1975م.

ثانياً: الدوريات:

1- ادمون فريزولز، "التجارة مع الشرق الأقصى والشروط السياسية لنموها"، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، مج42، تصدرها المديرية العامة للآثار والمتاحف، عدد خاص بوقائع الندوة الدولية، تدمر وطريق الحرير، دمشق، 1996م.

2- أرنست فيل، "تدمر وطريق الحرير"، ترجمة إيمان سنديان، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، مج42، تصدرها المديرية العامة للآثار والمتاحف، عدد خاص بوقائع الندوة الدولية، تدمر وطريق الحرير، دمشق، 1996م.

3- بشير زهدى، "طريق الحرير وتدمير مدينة القوافل"، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، مج42، تصدرها المديرية العامة للآثار والمتاحف، عدد خاص بوقائع الندوة الدولية، تدمر وطريق الحرير، دمشق، 1996م.

4- بشير زهدى "في تاريخ تدمر"، مجلة العرفان، ع5، مج 65، وزارة الثقافة، دمشق، 1977م.

5- خالد الأسعد، "طرق القوافل التدمرية"، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، مج 42، تصدرها المديرية العامة للآثار والمتاحف، عدد خاص بوقائع الندوة الدولية، تدمر وطريق الحرير، دمشق 1996م.

6- شوقي شعث، "طريق البخور الحرير"، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، مج42، تصدرها المديرية العامة للآثار والمتاحف، عدد خاص بوقائع الندوة الدولية تدمر وطريق الحرير، دمشق 1996م.

7- عادل عبد السلام، "البيئة الجغرافية الطبيعية للبادية التدمرية وطريق الحرير"، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، مج42، تصدرها المديرية العامة للآثار والمتاحف، عدد خاص بوقائع الندوة الدولية حول تدمر وطريق الحرير، دمشق، 1996م.

8- عيد مرعي، "محطة هامة على طريق القوافل خلال الألف الثاني قبل الميلاد"، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، مج 42، تصدرها المديرية العامة للآثار والمتاحف، عدد خاص بوقائع الندوة الدولية تدمر وطريق الحرير، دمشق 1996م.

9-فرانسو متيرال "تجارة تدمر وسيلة بين الحضر والبدو"، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مج 42، تصدرها المديرية العامة للآثار والمتاحف، عدد خاص بوقائع الندوة الدولية حول تدمر وطريق الحرير، دمشق 1996م.

10-فيصل عبد الله "تدمر في الوسط الاقتصادي والسياسي في القرن الثامن عشر قبل الميلاد"، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، مج 42، تصدرها المديرية العامة للآثار والمتاحف، عدد خاص بوقائع الندوة الدولية تدمر وطريق الحرير، دمشق.

11-محمد وحيد خياطة، "تدمر التجارة والدين"، مجلة المعرفة، ع 372، السنة الثالثة والثلاثون، تصدرها وزارة الثقافة، دمشق، 1994م.

12-محمد وحيد خياطة، "علاقة تدمر الخارجية تجارياً ودينياً"، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، مج42، تصدرها المديرية العامة للآثار والمتاحف، عدد خاص بوقائع الندوة الدولية تدمر وطريق الحرير، دمشق، 1996م.

13-ميشيل غاوليكوفسكى، "تدمر وتجارها التدمرية"، ترجمة عدنان البنى، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، مج42، تصدرها المديرية العامة للآثار والمتاحف، عدد خاص بوقائع الندوة الدولية تدمر وطريق الحرير، دمشق، 1996م.

14-نعيم فرح، "أضواء على الصناعة والتجارة في مدن بلاد الشام ودورها في التجارة العالمية في العهد البيزنطي"، مجلة دراسات تاريخية، ع15 - 16، تصدرها لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق، 1984م.

15-نقولا زيادة، "الإجراءات الأمنية في تدمر في القرنين الأول والثاني"، العربية السورية، مج42، تصدرها المديرية العامة للآثار والمتاحف، عدد خاص بوقائع الندوة الدولية تدمر وطريق الحرير، دمشق 1996م.

ثالثاً: المراجع الاجنبية:

1-Drivers, H.J.W., The Religion of Palmyra, Leiden, Brill, Copyright 1976.

2-Franz Cumont, the frontier provinces of the East, fourth impression, vol XI, Cambridge, Paris, 1936.

3-Klengel, I.H, Geschiche Syriens in 2, Berlin, 1969.

Rostovtzeff. M, "the caravan Gods of Palmyra".

4-Rostovtzeff. M. Cravan cities, Trans by Tablotrice Oxford, London, 1932.

5-Seyrig. H. "Palmyra and the East", les Annales Archeologibques Arabes Syriennes, Tom 1 et 2, vol. I, Publiee par la Direction Generale Antiquites et Des, Musees Republique Arabe Syrienne, 1950.

الوجود الاستعماري الفرنسي في السنغال

في الفترة ما بين (1854-1865م)

إعداد: د.الصادق أبو عجيبة أبوغنيمة

أ. أحمد علي دعباج

المقدمة:

عُرف الوجود الاستعماري الفرنسي في السنغال تطوراً ملحوظاً بالتزامن مع بداية انكماش الحضارة العربية الإسلامية، وتراجع قوتها الاقتصادية منذ مطلع القرن الخامس عشر الميلادي، وقد اشتملت هذه الدراسة على ثلاثة محاور خصص الأول لدراسة وتتبع بدايات التنافس الأوروبي على السنغال قبل القرن 19م، أما المحور الثاني فخصص لبحث الاختراق الاستعماري الفرنسي خلال فترة الدراسة، وتطرق المحور الثالث لبحث وتقصي ردود الفعل المحلية على هذا التغلغل حيث تم التركيز على حركة الحاج عمر الفوتي كونها شكلت العقبة الحقيقية في وجه الأطماع الفرنسية بالسنغال، وخطراً كبيراً على مراكز وجودها في المنطقة كلها.

ودراسة الباحث لهذه الفترة تبررها من وجهة نظره الأهمية الخاصة التي تحظى بها هذه الحقبة في تاريخ السنغال الحديث، فعلى الصعيد الدولي اتسمت هذه الحقبة بتغيرات اجتماعية وسياسية كبرى تجلت على الخصوص في تركيز النظام الإمبراطوري، الذي أفرز مداً استعماريّاً كبيراً غطى بتأثيراته معظم أقطار القارة الأفريقية بما في ذلك السنغال، والذي استمر خلال هذه الفترة متعلقاً ببنيتها الاجتماعية والسياسية التقليدية التي كانت قد اهتزت بعمق نتيجة احتكاكها بمعطيات ومؤشرات حضارة منطقة غرب أفريقيا.

تعدّ هذه الفترة على المستوى المحلي منعطفاً تاريخياً مهماً في حياة البلد، إذ حتمت عليه الظروف التاريخية أن يواجه فيها إحدى أكبر القوى الاستعمارية في ذلك القرن

بعد أن عبرت الممالك السنغالية عن رفضها لأي شكل من أشكال السيادة الفرنسية على مجالها الترابي حتى عام 1854م..

أما عن نهاية الفترة المدروسة فأهم حدث على المستوى المحلي هو إخماد نار المقاومة جراء وفاة زعيمها الحاج عمر الفوتي، وتصادف الفترة عينها نهاية فترة حكم الوالي فيديرب بعد أن أرسى قواعد الوجود الفرنسي ليس فقط في السنغال بل في معظم أرجاء القارة الأفريقية.

المبحث الأول . أهمية السنغال الإستراتيجية:

السنغال إحدى الدول الواقعة في غرب القارة الأفريقية تحده من الشرق جمهورية مالي، والمحيط الأطلسي من الغرب، والجمهورية الإسلامية الموريتانية من الشمال، والغينيتان (غينيا كوناكري، وغينيا بيساو) من الجنوب⁽¹⁾. وبهذا الموقع تُعد ذات أهمية في غرب القارة الأفريقية من حيث الموقع الإستراتيجي، ومن حيث الكثافة الإسلامية، ومن حيث وجود النهر الذي يحدها من الشرق والشمال، والذي ينبع من فوتاجالون في غينيا ، ولكون مدينة سانت لويس عاصمة لغرب أفريقيا الفرنسي قبل نقلها إلى داكار عام 1902م التي أصبحت عاصمة البلاد بعد الاستقلال 1960م

وعند الحديث عن أهمية السنغال لا بد من التطرق إلى نهر السنغال، وذلك لأهميته الحيوية والاقتصادية في البلاد، وهو واحد من أهم الأنهار في أفريقيا حيث ينبع من التقاء نهري Semeffe و Bafing اللذين ينحدران من غينيا ويلتقيان في مالي حيث يمر بالسنغال، وموريتانيا، وغينيا، ويبلغ طوله 1641 كم، ويعود تاريخ نهر السنغال الغني إلى القرنين الثالث والرابع عشر الميلاديين عندما ازدهرت إمبراطورية منتجة للذهب الشهيرة على ضفافه حيث تتألف إمبراطورية غانا، التي

(1). محمد سعيد باه، دولة الأئمة في فوتاتورو، دار الاتحاد للطباعة، القاهرة، مصر، 2010م، ص 21.

سميت فيما بعد إمبراطورية مالي، من الوسطاء والتجار الذين يمارسون التجارة عبر الصحراء أطلقوا على السنغال نهر الذهب بسبب رواسب الذهب الهائلة التي وجدت به، فتبادلوا الملح والذهب والعبود، واستخدموا النهر لنقلهم إلى الميناء الساحلي، وقد انخفض استخدام النهر للنقل منذ تراجع التجارة عبر الصحراء لممالك غانا القديمة.

وعرف عند العرب والمسلمين بنهر صنهاجة، والنهر يحتل وادي السنغال بأكمله، ويرتفع في مرتفعات فوتاجالون في غينيا، وتمثل المرتفعات مصدر جزء كبير من مياه النهر، ثم يتم نقلها من خلال الأراضي المنخفضة، والتي أصبحت قاحلة بشكل متزايد نحو مصب النهر، وبعد ذلك يتدفق إلى الشمال الغربي، ومن ثم إلى الغرب ليصب في المحيط الأطلسي، وبالنسبة لمساحة حوالي 830 كم من مسارها فأنها تشكل الحدود بين موريتانيا والسنغال من الشمال إلى الجنوب.

ولنهر السنغال فوائد عظيمة وخاصة بالنسبة لدولة موريتانيا والسنغال فهو يتيح لهم الفرصة السنوية لزراعة محصولين في السنة إلى جانب المراعي الطبيعية الموجودة على ضفافه، ومع أن النهر يمثل حدوداً طبيعية بين موريتانيا والسنغال إلا أنه لا يفصلهما عن بعض بل كان بالنسبة لهم نقطة التقاء في كثير من نواحي الحياة فكل من البلدين تجمعهما الأجناس العربية ومتشابهون في كثير من الحياة العملية.

ويعتمد المزارعون في الدول الأربع موريتانيا والسنغال ومالي وغينيا على مياه النهر من أجل ري محاصيلهم على ضفتي النهر، وبشكل فيضان النهر نقطة تحول في نجاح مواسم زراعة الأرز والخضروات والقمح، حيث يتمكن المزارعون بإمكانياتهم المحدودة من نقل المياه إلى الحقول البعيدة عن الضفتين وسقي الأراضي الخصبة، مما يحقق لهم وفرة كبيرة من الإنتاج.

وعلى الرغم من الأهمية الاقتصادية لنهر السنغال سواء في تنمية اقتصاديات الدول أو في حياة التجمعات الواقعة على ضفتيه، فإن جهود تطوير وإنجاز المشاريع

الزراعية والطاقيّة لم تحط باهتمام حكومات تلك الدول، وأن عدم توافقيها هذه الدول على استثماره ظل حاجزاً يمنع التطوير في الخطط الاستثمارية الخاصة بالنهر، حيث اتفقت في البداية كل من موريتانيا والسنغال ومالي، في حين ظلت غينيا تعارض إنشاء هذه المنظمة إلى أن أنظمت إليها لاحقاً فتم إنشاء الهياكل التابعة للمنظمة، وقد دعم النهر والواديان المحيطة بهما سكانهما بنسب مختلفة عبر القرون في الظروف المناخية القاسية، فكانت وسائل كسب العيش التقليدية، وطرق استخدام النهر في المسائل الدورية الطريقة الوحيدة الممكنة إلى أن تم إدخال الزراعة الحديثة في عام 1950م إلى الوادي، وكانت هناك دراسة تشير لإدخال التجارية لحوض نهر السنغال، وغرب أفريقيا .

ونظراً لهذا الموقع المتميز فإن الغرب يطلق عليها اسم " بوابة أفريقيا "، وكانت هذه البوابة ولا تزال مدخلاً رئيسياً للتصدير في منطقة غرب إفريقيا⁽¹⁾. وكانت فرنسا تعتبر السنغال جزء من جمهوريتها حيث أدى هذا الاعتبار إلى منح سكان (داكار، وروفسك، وجزيرة غوريه، وسان لوي) بطاقة الرعاية الفرنسية، ويؤدون الخدمة العسكرية الإجبارية، كما ينتخبون نواباً عنهم يمثلونهم في المجلس النيابي الفرنسي (الجمعية الوطنية الفرنسية)، وكانوا هم الزوج الوحيد الذين يتمتعون بهذه الحقوق، مما أدى إلى السماح لرئيس السنغال الأول سيدار سنغور بخوض الانتخابات والمشاركة في البرلمان الفرنسي بصفته نائباً فيه، وقد ساهم في وضع دستور الجمهورية الفرنسية عام 1946م⁽¹⁾.

(1) سيدي غالي، التصدير في إفريقيا (السنغال نموذجاً)، مجلة البيان، س15، ج154، جمادي

الأخرة 1421هـ، 2000م، المنتدى الإسلامي، لندن، بريطانيا، ص80.

(1) عبدالله إسحاق ميغا، تأثير الفرنكفونية في التوجه الإسلامي بغرب إفريقيا، مالي نموذجاً، رسالة

ماجستير (منشورة)، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 2005، ص ص 4645.

وللسنغال جبهة بحرية طولها حوالي ستمائة كيلو متر مطلة على المحيط الأطلسي، وهو أقرب أجزاء الساحل الأفريقي لسواحل القارة الأمريكية الجنوبية والوسطى مما جعله يكتسب أهمية إستراتيجية خاصة فيما يتعلق بخطوط النقل والمواصلات الجوية والبحرية عبر الأطلسي .

لقد حاول الاستعمار الفرنسي، ومن قبله المنصرون الاستفادة من موقع السنغال وركز عليه علماً بأن 95% من سكانه مسلمون . في مواجهة المد الإسلامي في غرب أفريقيا . ومحاولة اعتباره حاجزاً بين أفريقيا البيضاء العربية وأفريقيا السوداء الأفريقية، فقد استفادت فرنسا من هذه الأهمية للسنغال، لان عن طريقه تغلغل الاستعمار الفرنسي حتى شمل المنطقة بأسرها.

فإقليم السنغال إبان فترة الاستعمار الفرنسي أُعد مركزاً للحاكم العسكري لسائر بلدان أفريقيا الغربية الاستوائية (الوسطى) الخاضعة للسيطرة الفرنسية، وكانت مدينة سانت لوي الواقعة في أقصى الشمال الغربي للسنغال مقراً دائماً للحاكم العسكري الفرنسي⁽²⁾.

وعندما انتقلت العاصمة من (سانت لوي) إلى داكار أُعدت الأخيرة إحدى طرفي الحزام الأفريقي التي كانت فرنسا تطمح في مدة بين هذه العاصمة وجيبوتي حيث كانت هذه العاصمة أكبر قاعدة جوية وبحرية لخدمة الاستعمار الفرنسي، كما كانت داكار عاصمة المنطقة كلها، ومقر الحاكم العام الفرنسي، ومن أجل هذا كانت عناية المستعمر الفرنسي بالسنغال أكثر من عنايته بالمناطق الأخرى، فنال إقليم السنغال من التقدم ما لم يحظ به إقليم آخر من أقاليم هذه المستعمرات حيث استعمله الفرنسيون عند توغلم داخل غرب أفريقيا، وسانت لويس الواقعة على جزيرة في خليج النهر هي الميناء الرئيسي الفرنسي والقاعدة الفرنسية الرئيسية،

(2) نفس المرجع، ص 49.

ومنها توغل الفرنسيون في السنغال، وفي النيجر الأعلى، وبعد قرنين من الزمان اختيرت داكار لتكون الميناء الرئيسي لمستعمرة السنغال، وفي سنة 1885 أنشأت أول سكة حديدية في غرب أفريقيا من سنت لويس حتى داكار⁽³⁾، بإنشاء السكك الحديدية أتى بنتائج أعظم في غرب أفريقية منه في شرقها خاصة في مناطقها الساحلية منها كالسنغال والسودان الغربي حيث تتمثل هذه النتائج في سهولة تصدير منتجاتها من خشب والفول السوداني والكاكاو ومنتجات النخيل المر الذي أدى إلى انتعاش اقتصاد منطقة غرب أفريقيا. أما في شرق أفريقيا فقد كان على السكك الحديدية أن تقطع مئات الأميال في بلاد جافة مقلقة نادرة السكان قبل أن تصل إلى المناطق الزراعية الجيدة الكثيفة السكان في بحيرة فكتوريا⁽¹⁾

المبحث الثاني: التنافس الأوروبي على السنغال

في منتصف القرن الخامس عشر هبط البرتغاليون على ساحل السنغال كمكتشفين، الأمر الذي يفند زعم الفرنسيون بأنهم أول من تاجروا مع غرب أفريقيا، وأن ذلك كان سابقاً على الكشوف التي قام بها مبعوثو الأمير هنري الملاح، ويبدو في حديث بعض الفرنسيين تفاخرهم بالمكتشفين الفرنسيين إلى درجة إهمالهم وتحقيرهم لأعمال المكتشفين البرتغاليين وعتهم بالميكروبات⁽²⁾، وفي رأي آخر إن ملاحين من جنوا أبحروا إلى غرب أفريقيا في القرنين الثالث عشر والرابع عشر⁽³⁾. وأياً كان اختلاف الرأي حول سبق الوصول إلى سواحل غرب أفريقيا فيجب التفريق بين الوصول بسبب الاستكشافات، أو المتاجرة، وفي هذا يكون الأرجح سبق وصول

(3). الالف كتاب، الاستعمار الحديث، دار سعد، القاهرة، مصر، 1951م، ص 203.

⁽¹⁾ رولاند أوليفر، وجون فيج، موجز تاريخ إفريقيا، الدار المصرية لتأليف والترجمة، د. ت، ص 135.

(2). Kingsley, Mary, H West African Studies, pp, 213, 214.

(3). Encyclopaedia, Britnnica 1959, vol 1 . p330.

النورمانديين لسبق معرفتهم بفنون الملاحة، والوصول بمعنى الاستيلاء الفعلي على مساحة من الأرض، وفي هذا يكون الأرجح سبق البرتغاليين.

اتبعت فرنسا اتصالاتها بالساحل بتصميمها على ضرورة تمكين نفوذها سواء في أوروبا أو فيما وراء البحار بمحاولة القضاء على قوة الإسبان في أمريكا، وفي المحيط الهندي، ففي الكاردينال ريشليو) رئيس وزراء فرنسا في عهد لويس الثالث عشر منح حقوق الاحتكار لما وراء البحار في عام 1633م إلى شركات خاصة مساهمة بهدف تنمية تجارة فرنسا مع غرب أفريقيا، والهند، ودول المحيط الهندي، وسمح لها ممارسة حقوق السيادة بما في ذلك بناء السفن الحربية وإقامة الجيوش، والتعامل مع الحكام المحليين باسم الملك ويطلب منهم في مقابل ذلك المساعدة في أعمال التبشير، والقيام بالتجارة والاستيلاء على الأراضي، وتقديم أعداد من الرقيق للمستعمرات الفرنسية في أمريكا، وفي عهد الكاردينال مازاران (رئيس الوزراء قدمت فرنسا السياسات الأوروبية على ما عداها، ولكن في 1661 أعلن كولبير) وزير المالية اهتماماً بالسياسات ما وراء البحار معتقداً أن القوة السياسية للملك يجب دعمها بالمبادرات التجارية، فأعطى تأييداً قوياً للتجارة مع السنغال، أما دوق شوازيل رئيس الوزراء في عهد لويس الخامس عشر (Due de Choise) فقد قرر أن تكون للحكومة الفرنسية الإدارة المباشرة لمستعمرات فرنسا، ولذلك وضع نهاية لمسألة منح حقوق الاحتكار للشركات الخاصة⁽¹⁾.

وبصفة عامة فإن الشركات الفرنسية في غرب أفريقيا لم تحقق نجاحاً مماثلاً لما حقته الشركات الإنجليزية، والهولندية، ومع ذلك فقد حققت مكاسب كبيرة من وراء تجارة الرقيق التي كانت عنصراً هاماً في السياسات الملكية خلال فترات طويلة،

⁽¹⁾ Adloff : op, cit. p.132. Richerd ,

وسبباً رئيساً لحروب متصلة بين فرنسا وانجلترا لعشرات السنين كانت فيها ممتلكاتهما في أفريقيا، وفيما وراء البحار تنتقل ملكيتها فيما بينهما.

هذه السياسة الاستعمارية الفرنسية كانت تجد لها المؤيدين والمدافعين عنها في داخل فرنسا، فكان ممن يؤيدونها الجغرافي الفرنسي بول جافا ريل (Poul Gaffarel) الاستاذ بجامعة ديجون في فرنسا الذي نصب نفسه مدافعاً متحمساً للتوسع، وقد كتب في مقدمة كتابه المستعمرات الفرنسية انه مهما اختلفت الآراء والمواقف السياسية، فيجب على الفرنسيين أن يقدروا للحكومات الفرنسية ما أنفقته من أموال من أجل خدمة الاستعمار الذي وصفه بأنه هدف مفيد، وفي رأي الفرنسيين أن الثروة الحقيقية للتوسع تتمثل في التجارة، حيث كانت رحلات الفرنسيين والإنجليز الأولى إلى سواحل غينيا محاولات فردية للتجارة، ولم تحاول أي من الدولتين خلال القرن السادس عشر أن يكون لها وضع في غرب أفريقيا ينافس وضع البرتغال البلد الأوروبي الوحيد الذي له موضع قدم في غرب أفريقيا آنذاك، وذلك لعدم مقدرة التجار الإنجليز والفرنسيين من إنشاء قواعد مستديمة على الساحل لمواجهة المقاومة القوية من الجانب البرتغالي التي ترى في محاولات الإنجليز والفرنسيين عملية مضايقات أكثر من كونها تحدي؛ لأنها أدت إلى تقيظ السكان الأفارقة من أن البرتغال لا تدفع لهم مثل ما يدفعه الإنجليز والفرنسيون ثمناً لما يبيعونه لهم.

فالعلاقات بين السنغال وفرنسا ترجع إلى أوائل القرن الرابع عشر الميلادي عندما سافر التجار الفرنسيون، وقاموا بالتجارة عبر الساحل السنغالي، حيث كانت فرنسا تصدر في أصناف من الملابس والحديد والبنادق للسنغال، وتستورد منها المنسوجات كالعاج والتوابل والعبيد، وفي عام 1659م أسست فرنسا مركزاً تجارياً فيما يُعرف اليوم بسانت لويس تحت إدارة شركة الهند الغربية الفرنسية، عُرِفَتْ لاحقاً باسم شركة السنغال، ومع بداية القرن السابع عشر للميلاد دخلت كل من فرنسا

وانكلترا حلبة الصراع في السنغال، وكانت هولندا قد سبقتهما بعدة قرون من الزمن غير أن قوة فرنسا وانكلترا جعلتهما تتفدان بحضور متميز تدعم من خلال إنشاء عدد من الحصون مثل حصن سان جيمس عند مصب نهر غامبيا الأمر الذي زاد من إبعاد هولندا من حلبة الصراع، ولتدعيم موقع كل من فرنسا وانكلترا على الساحل السنغالي تم خلق عدد من المؤسسات التجارية متمتعة بامتيازات مهمة كاحتكار التجارة مع المنطقة تبعاً لذلك ازداد وتنامى التنافس التجاري بين فرنسا وغريمها انكلترا الشيء الذي أسهم في بناء عدد من الحصون الأخرى مثل حصن سانت جوزيف الشهير عام 1700م.

على أن الحروب النابليونية في أوروبا كان لها وقع كبير على مكانة فرنسا في المنطقة الشيء الذي حرّمها لبضع سنين من ممارسة نفوذها في المراكز والحصون التي أنشأتها على الساحل الأطلسي الأفريقي، ولم تتمكن من استعادة ذلك النفوذ إلا بعد توقيع معاهدة باريس عام 1815م. لتبدأ بذلك صفحة جديدة من صفحات تاريخ الاستعمار الفرنسي في المنطقة⁽¹⁾.

وبعد انتهاء الحروب النابليونية كان الفرنسيين تواقين لاستئناف نشاطهم في غرب أفريقيا بعد أن فقدت فرنسا معظم ممتلكاتها في أمريكا وآسيا بعد حروب المائة عام، كما لم يكن على الفرنسيين . بسبب الأعباء التي تحملوها خلال الحروب النابليونية . توفير تأييد قوي لقيام سياسة توسع استعماري، ولما يزيد عن ستين سنة تنقلوا ما بين دساتير جمهورية وملكية وامبراطورية كان لكل منها موقف ازاء اقامة امبراطورية فيما وراء البحار. فقد كان الدستور الجمهوري يؤكد على الحرية والآخاء والمساواة وينكر على فرنسا أن يكون لها أي حق في أن تفرض حكمها على شعوب أخرى، وكان الدستور الملكي متطوعاً إلى أمجاد لويس الرابع عشر، ونابليون الأول .

(1). أحمد الشكري، جهاد الحاج عمر الفوتي في أعالي نهر السنغال، منشورات معهد الدراسات الأفريقية،

يعتقد أن الحضارة الفرنسية من العظمة لدرجة ممكن فرضها على الشعوب الأقل حظاً من أجل مصلحتها، وفي خلال عهد نابليون الثالث (1848 . 1870) أحرزت فرنسا بعض التقدم من أجل إقامة امبراطورية لها، أما في غرب أفريقيا لم تبتد فرنسا كمنافس قوي لبريطانيا إلا بعد عام 1879 وهو الوقت الذي بدأت فيه دول أوروبية أخرى مشروعات التوسع في أفريقيا وخاصة ألمانيا، وحيث بدأ التكالب الأوروبي على المستعمرات.

فالوجود الفرنسي في غرب أفريقيا على وجه العموم، وفي السنغال على وجه الخصوص مرجعه إلى أسباب اقتصادية ودينية وسياسية أفرزتها أنشطة أنصار الاستعمار التي شكلت الوجه الحقيقي للاستعمار الفرنسي في القارة وأثرت على حاضرها ومستقبلها، ومع بداية تأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية عام 1664م ازدادت مساحة الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية، حيث توزعت المستعمرات الفرنسية في أفريقيا على منطقتين هما غرب أفريقيا الفرنسية التي تشمل السنغال والسودان الفرنسي (مالي الحالية) وبنين (داهومي الحالية)، والتوغو، وبوركينا فاسو (فولتا العليا)، وغينيا، وموريتانيا، والنيجر، ونيجريا . أما أفريقيا الاستوائية الفرنسية وهو اتحاد من أربع دول مستقلة وهي جمهورية أفريقيا الوسطى، وتشاد، والكونغو الفرنسية، والجابون ومعظم الناس في هذه المنطقة أفارقة سود⁽¹¹⁾.

الاختراق الاستعماري الفرنسي للسنغال خلال القرن 19م:

حينما استردت فرنسا موقعها في سانت لويس وجذت نفسها مندفعة لتأكيد حضورها وتوسيع نفوذها بالمنطقة، وراهننت في هذا الشأن على البعثات الاستكشافية لأعالي نهر السنغال فأنشأت من أجل ذلك الحصون الداخلية على طول نهر

(1). عبدالله إسحاق ميغا، مرجع سابق، ص 37.

السنغال بهدف الوصول إلى مناجم الذهب مع ربط مستعمراتها تجارياً بالحوض الأوسط لنهر النيجر، وقد شكلت الشركات التجارية الفرنسية المتمتعة بكل الامتيازات الاحتكارية رأس الحرية في هذا الاختراق للجسم السنغالي كشركة (غالام) التجارية التي عملت على توسيع مجال نفوذها بمساعدة إدارة سانت لويس، وبالنظر إلى الضغط الإنكليزي لمنع تجارة الرقيق فقد اضطرت فرنسا لانتهاج سياسة الاستعمار الزراعي، وبذلك تصدرت مادتا الصمغ والفول السوداني قائمة المواد المتداولة في تجارتها الأطلسية، وعلى المستوى السياسي قررت فرنسا التخلص من الفتاوات الممنوحة للزعامات المحلية تمهيداً لإلغاء جميع أنواع الإتاوات السابقة، ويتذبذب السياسة الفرنسية في المنطقة تم إنشاء مديرية للشؤون الخارجية سنة 1845م على غرار تلك التي نشأت بالجزائر ومنح هذا الجهاز الصلاحيات الكاملة للسهر على السياسة الفرنسية بالسنغال.

هذه الترتيبات تترجم استعداد فرنسا لبسط نفوذها في مناطق الساحل وأعالي نهر السنغال من خلال مشروع استيطاني الشيء الذي يؤكد رغبتها في تجاوز مرحلة التردد السياسي إلى مرحلة الاستعمار المباشر، إلا أن ثورة باريس عام 1848م عرقلت لبعض الوقت تنفيذ هذا المخطط، كما أن تعيين الوالي الجديد بروتي (1850 . 1854م) لم يساعد في حل المشكلة السنغالية، ومما زاد من تأزم الوضع تهريب الخزينة الفرنسية قد عاق تمويل المخطط الاستعماري الجديد⁽²⁾، ولما فشلت مشروعات فرنسا الزراعية في السنغال ترك الأمر لضابط من ضباط الجيش اسمه لويس فيديريبر، وكان قد اكتسب خبرة حربية وفهماً واسعاً للأفريقيين المسلمين في الجزائر أي أن تلك الصعوبات كانت سبب في بروز هذه الشخصية الاستعمارية المحنكة وهي شخصية فيديريبر الذي تم تعيينه حاكماً عسكرياً لها عام 1854م، ولم

(2). المرجع نفسه، ص 46.

تكن تمضي سنة واحدة على تعيينه، حتى وجدناه يخضع مملكة (والو)⁽¹⁾. للسيادة الفرنسية معلنا بذلك مرحلة جديدة من تاريخ الاستعمار الفرنسي للسنغال.

فيديرب سيزار (Faidherbe) ومشروعه الاستعماري :

لا يمكن الحديث عن تاريخ السنغال الاستعماري، دون إبراز الشخصيات الاستعمارية الفاعلة فيه، ومن تلك الشخصيات التي طبعت تاريخ السنغال بطابعها الخاص نذكر (لويس سيزار فيديرب) الذي وصفه بعض الباحثين بأنه مهندس السياسة الاستعمارية في أفريقيا الغربية، وأول من أرسى أطماع فرنسا في المنطقة، وبلور أهدافها الاستعمارية.

ولد فيديرب في الثالث من يناير عام 1818م بمدينة (ليل Lill) الفرنسية من أسرة متواضعة الحال تابع تعليمه بمدرسة البوليتكنيك التي تخرج منها سنة 1840م ليلتحق بالمدرسة العسكرية تم عمل ضابطاً، وأول احتكاك له بالعالم الإسلامي حين عين بالجزائر التي عمل بها لعدة سنوات.

وفي سنة 1852م أرسل إلى السنغال، حيث عمل تحت إمرة الوالي بروتي، لكن نقمة الدول التجارية على هذا الأخير عجلت بإقالته، وأعطت الفرصة لفيديرب ليتقلد منصب والي السنغال، الذي شغله من سنة 1854 إلى 1861م، وفي عهده حصلت المشروعات الفرنسية التوسعية على دفعة قوية، كما تحددت خطوط استراتيجية التدخل الفرنسي في غرب أفريقيا بالتقدم نحو الشرق من سان لوي حتى بحيرة تشاد وكان القائد الجديد يحلم بقيام امبراطورية فرنسية في أفريقيا من الأطلنطي إلى البحر الأحمر إلا أن السيطرة الفرنسية لم تمتد شرقاً أبعد من تشاد وذلك لصعوبة اختراق منطقة الغابات المدارية من جهة، وعلى فيديرب مواجهة أعداء فرنسا من الأفارقة من زنج التوكولور الثائرين في فوتاتور وشمال السنغال

(1). والو : هي إحدى الممالك السنغالية برزت في القرن الرابع عشر عندما أنظمت لإمبراطورية جولوف التي تكونت في هذه الفترة في شرق السنغال التي كانت جزءاً من الامبراطورية الغانية.

الذين كانوا يعترضون تجارة فرنسا ويهاجمون مراكزها التجارية من جهة أخرى، بالإضافة إلى ظهور في هذه الفترة عدو خطير هو الحاج عمر أكبر مجاهدي التوكولور⁽²⁾، وبعد مغادرته للسنغال تولى مناصب أخرى سواء في الجيش أم المؤسسات الانتخابية، وقد توفي سنة 1889م⁽³⁾

برنامج فيديرب الاستعماري

إن تعيين فيديرب على رأس الإدارة في سانت لويس جاء في وقت دقيق بالنسبة لفرنسا فمن جهة شهدت هذه تركيز النظام الامبراطوري في شخص نابليون الثالث، ومن جهة ثانية عازمت القيادة الفرنسية الجديدة على تنفيذ المخطط الاستعماري الذي تقرر عام 1850م.

وهكذا أوكلت هذه المهمة . في أول الأمر . إلى الوالي بروتي، غير أنه بعد أن تعذر عليه تنفيذها أسندت إلى فيديرب الذي لخصها الوزير في رسالته بتاريخ 8 ديسمبر 1854م في النقاط التالية:

- إنشاء مراكز على الضفة اليسرى؛ لتكون نقطة ارتكاز لأسلوب التبادل الجديد.
- القضاء على محطات التبادل، وإبدال أماكن بها يختارها التجار سواء على الضفة، أو اليسرى.
- وضع مملكة " والو " تحت الحماية الفرنسية، والقضاء على هيمنة الشناقطة⁽¹⁾.
- إقرار حرية الملاحة في نهر السنغال، وإلغاء الإتاوات.
- إلزام سكان الضفتين (الزنج، والبيضان) الاعتراف بسيادة حكومة السنغال.

(2) Richard, Adloff. op , cit , pp.147.148.

(3) عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، ت (هوداس أوكتاف)، باريس، 1981م، ص77.

(4) - الشناقطة : كانت شنقيط مدينة واحات، ومحطة هامة من محطات تجارة الصحراء، وكان الحجاج يتجمعون فيها ثم ينطلقون في قافلة واحدة لأداء فريضة الحج فسمي سكان هذا القطر " الشناقطة" نسبة إلى مدينة شنقيط التي تعزز دورها التجاري والديني في أوائل القرن 11هـ حتى أصبحت العاصمة الثقافية لتلك البلاد للمجتمع الشنقطي.

- الاهتمام بالسنغال الأعلى، ومحاولة خلق نقط ارتكاز لغزو السوق السوداني .
 نفهم من هذا المشروع أنه جاء محولة تطبيقية لرؤية جديدة، تهدف إلى المحافظة
 على الوضعية المتفوقة لفرنسا التي فقدت كثيراً من وزنها بسبب فشل مشاريعها
 الاستعمارية في السنغال.

إن دراسة موضوع موقف القوى الإسلامية من الاستعمار الفرنسي في السنغال
 (1854 . 1865م)، تبدو بالغة الأهمية نظراً لمجموعة من الاعتبارات التي يمكن
 إجمالها فيما يلي:

. خصوصية الحضور الفرنسي في هذا البلد والذي تجلى في كون السنغال كان
 بمثابة حقل جُربت فيه مختلف أوجه السياسة الاستعمارية، حيث تمكنت القيادة
 الفرنسية من مواكبة قدر كبير من المعرفة الميدانية، استطاعت توظيفها فيما بعد
 في بلدان أفريقية أخرى.

. كون سنة 1854م تعتبر منعطفاً تاريخياً خطيراً إذ طبعته نزعة التوسع العسكري
 التي ستقضي في نهاية المطاف إلى فقدان السنغال استقلاله، مكرسة بذلك تحول
 الحضور الفرنسي في المنطقة من حضور تجاري إلى احتلال عسكري وسياسي.
 . إن سياسة الغزو التي دشنها الوالي فيديرب (Faidherbe) ابتداء من سنة
 1854م، لم تكن ظرفية النصف الثاني من القرن 19م، بل هي نتيجة لإخفاق
 تجارب سياسية عديدة كانت بمثابة محك للعقلية الاستعمارية.

. كما شكل الإسلام . خاصة حركة الحاج عمر الجهادية . عقلية حقيقية في الأطماع
 الفرنسية بالسنغال، وخطراً كبيراً على مستقبل وجودها في المنطقة ككل. ومما يزكي
 هذا التخوف من قبل الفرنسيين الانتصارات المتلاحقة، وسقوط الأقاليم الواحد تلو
 الآخر تحت نفوذ هذه الحركة الفتية، الأمر الذي دفع السلطات الفرنسية إلى
 استعمال كل ما بوسعها لاحتواء الحاج عمر ودولته، بالوسائل السلمية من الوعد
 والوعيد أولاً. ثم استعمال القوة، وبعد وفاة هذا الأخير، تمكنت فرنسا من الإجهاز

على الحاج عمر بنهج سياسة التفرقة بين الأمراء من جهة، واستعمال لغة الحديد والنار لدعم المناهضين لها من جهة أخرى مما مكنها من فرض استعمارها على السنغال بشكل نهائي مع بداية القرن 19م.

عمر بن سعيد الفوتي (1796 . 1864م) أحد كبار الفقهاء المتصوفين في السنغال، وغرب أفريقيا، ولد في مدينة هلوار بفوتاتورو (السنغال حالياً)، أعظم الأعلام الفكرية التي أنتجها هذا البلد، ويعد من أبرز المجاهدين ضد الفرنسيين، وقد داع صيته عام 1797م في قرية خلواز في منطقة فوتاتورو شمالي السنغال في عهد الإمام عبد القادر كان من أسرة أصيلة من أهل الوكلور، واسم والدته هي شخن آدم بنت عائشة تيام بنت الإمام أنيام بن سري بن ألفا أنيام، وأما والده فهو الشيخ جيرن سعيد طال بن عثمان بن مختار وهو من زمرة الجهادية الذين تخرجوا من جامعة (بير) التي يعود تاريخ نشأتها إلى بدايات القرن 17م (1603م) التي كان يشرف عليها القاضي عمر، إلا أن المستعمرين الفرنسيين قاموا بإحراق مكتبة الجامعة بقيادة الاستعماري بيني لايراد (Pinet Laprade) 1869م.

وكلمة فوتاتورو مشتقة من الطور أي طور سينا أن صح ذلك فهو تلويح إلى أنهم ينحدرون من أصول مصرية نزحوا منها إلى فوتا وينتهي سلسلة نسبه إلى الصحابة الجليل عقبه بن عامر الذي ولاه معاوية بن سفيان أمر مصر عام 44هـ⁽¹⁾.

وعندما رجع من مصر إلى مسقط رأسه فوتاتورو عزم على ترجمة النصوص من التنظير إلى التطبيق فأسس لذلك حركة إصلاحية جهادية تنحصر أهدافها في ثلاثة أمور:

- ابعاد خطر النصارى دينياً واقتصادياً وسياسياً.
- العمل على نشر الإسلام وتصحيحه من الشوائب والبدع.

(1). الشيخ محمد الهادي، الواعظ في قناة والفجر، ط1، 1435هـ ت 2014م، ص21.

- إيجاد قوة مادية لحماية الوجود الإسلامي.

وكانت حركته امتداداً لدولة الأئمة في فوتا فجمع اتباعه من فوتا وما حولها وحثهم على الجهاد وفي ذلك كان يقول: بني طور سيناء فيه كان أصولكم = لأجل جهاد جنتمو فوت بالذال (بالسرعة) يعني به أن قبيلته طورو من أصول مصرية، وأن سبب نزوحهم إلى فوت هو الجهاد في سبيل الله، ومن أهم استراتيجياته الحربية مواجهة العساكر بالهجوم على القلاع وقطع خطوط التجارة، وحملات غلامية تبين خطورة المستعمرين وأهدافهم الخبيثة، وقد خاض الحاج عمر ما يقارب 100 معركة ضد المستعمر كُتب له النصر في أكثرها، وبالهزيمة في بعضها، فكان المستعمرون يحاربونه بطريقة مباشرة وغير مباشرة، وكانوا يؤلبون عليه الوثنيين ليحاربوه بالوكالة، وقد حاربه القائد الفرنسي فيديرب الذي سنتاوله في محاور البحث.

وعلى كل حال الشيخ أقام دولة إسلامية عظيمة وواسعة تمتد من شرقي السنغال وغينيا إلى النيجر ومدينة تنبكت بمالي، وامتدت مدة جهاده 1835 . 1849، وظل يحارب أعداءه لتوسيع رقعة دولته إلى أن توفى عام، 1864، حيث بلغت عدد غزواته ضد المستعمر اثنتان وثلاثون غزوة، وحوالي خمسون سرية⁽¹⁾.

تعد الحركة العمرية التي قادها عمر الفوتي من أهم الحركات السياسية الدينية التي عرفتها منطقة غرب أفريقيا في القرن التاسع عشر، والتي كانت في الأساس حركة إصلاحية دينية، تم تحولت إلى حركة عسكرية ألحقت بالفرنسيين خسائر فادحة، وأجبرت الساسة وأصحاب القرار الفرنسي على تغيير الاستراتيجية العسكرية في كثير من الأحيان.

لقد قامت استراتيجية الحاج عمر على إثارة سكان منطقة النهر ضد الفرنسيين في إطار ما اصطلح على تسميته بحرب العصابات، وتشديد الخناق الاقتصادي على

(1). الشيخ محمد المنتقي، الجواهر والدرر في سيرة الحاج عمر، دار البراق للنشر والتوزيع، 1425هـ .

سانت لويس عن طريق منع المتاجرة معهم وضرب المصالح التجارية الفرنسية أينما وجدت حيث ظهرت فعالية تلك الاستراتيجية من الخسائر المادية والبشرية التي تلقاها المستعمر، إلا أنها لم تخل من المواجهة العسكرية بين الطرفين الأمر الذي جعل الحاج عمر يغير من استراتيجيته في المرحلة المقبلة⁽²⁾.

معركة مديني (Medine)

كانت هذه المدينة يحكمها القائد بول هول، وعندما رجع الحاج عمر من مدينة كارطا، واستعداداً منه لهذه المعركة نزل في كوندا الواقعة في الجنوب من مدينة مديني، وكان ذلك في أبريل من عام 1857م وفيها استقرت قيادته العليا وعسكر جيشه الذي بلغ تعداده قرابة 150 ألف مجاهد، ودارت بين الطرفين معركة دامية دامت ست ساعات، تمكن خلالها المجاهدون بقيادة عمر الفوتي من فرض حصار على مدينة مكيني التي كان يدافع عنها بول هول، واقتحام بعض حصون المدينة التي كادت أن تسقط بيد المجاهدين حيث رفعت راية الإسلام، غير أنه مع مرور الوقت استطاعت القوات الفرنسية أن تحسم الموقف لصالحها بإحداث مجزرة شنيعة في صفوف المجاهدين على أثرها اضطر الفوتي إلى الانسحاب مع بقية جنوده.

وعلى الرغم من اعتراف العدو ببسالة المجاهدين ورغبتهم في الاستشهاد إلا أن هذه الهزيمة شكلت نكسة حقيقية وهزيمة مرة للحاج عمر الفوتي حملته دون شك على إعادة حساباته وتأجيل المواجهة حتى يعيد صفوفه ويرفع معنويات جيشه ويسترجع هيئته التي كان عليها قبل هزيمته، مستغلاً في ذلك ما تبقى من شهور في الفصل الجاف الذي يحد من حرية تحرك السفن الفرنسية فشنت قواته سلسلة من الهجمات ضد المواقع الفرنسية أحدثت فيها بعض فقط دون تحقيق انتصار حاسم،

(2) - عبد النبي السفيوي - مرجع سابق ص 135 .

ومرة أخرى يتلقى المجاهدون ضربات موجعة على يد العدو الذي رفع من إيقاع حملاته العسكرية عمودياً وأفقياً، وصار يركز من خلالها على أهم المواقع العمرية المحصنة - مواقع الحاج عمر الفوتي -، فحطم تحصينات كونجورو بخاسو، هذه الانتصارات الفرنسية المتتالية خلال الفصل المطير جعلت الحاج عمر يفضل الانسحاب من مدينة بخاسو ويأمر رجاله بالتخلي عن حصار مدينة ميديني .

لقد شكل هذا الانسحاب عن الفرنسيين باتجاه الجنوب آخر محاولة من قبل الحاج عمر لإنهاض الهمم وشحدها استعداداً للانتقام من الفرنسيين، وقد تحقق بعض من هذه الآمال لصالح المجاهدين عندما انتقلوا من إقليم بامبوك إلى إقليم بوندي عبر نهر الفاليمي دون كثير من العناء، وهذا مؤثر على تعاطف بلدان هذه الجهات معهم خاصة بعد نصرهم على القوات الفرنسية في معركة ضارية بقرية نجوم (Njum) الواقعة جنوب بلدة طوار وسط فوتا وذلك في منتصف فبراير 1858م على الرغم من فصل الجفاف.

خلف هذا الانتصار آثاراً إيجابية في نفوس المجاهدين نتيجة لما خلفوه من خسائر بشرية ومادية في صفوف العدو كما تمكنوا من الاستيلاء على مدفعين شكل اغتنامهما مكسباً مادياً ودعماً عسكرياً مؤثراً، وبعد هذه المرحلة اتجه الحاج عمر إلى فوتاتور على الرغم من صعوبة الطريق خاصة بعد الترتيبات الفرنسية، والخطر الداخلي المتمثل بتحالف بعض الزعامات المحلية مع الفرنسيين.

كان الحاج عمر على علم بكل التطورات السياسية والعسكرية والاقتصادية التي كان يديرها الفرنسيين في مدينة فوتاتور، في الوقت الذي كان يهيئ فيه السكان لتعبئة شاملة تستطيع قلب الأوضاع لصالح الجهاد في المنطقة عن طريق توزيع الغنائم التي حصل عليها بعد الهجوم على المراكز التجارية ، وإلقاء الخطب الحماسية، إلا إن التفوق الفرنسي جعل الحاج عمر يغير خطابه بغية نهج توسع سياسي جديد يمكنه الخروج من هذا المأزق الذي وجد فيه فأخذ يحث الناس على

الهجرة من فوتاتور إلى كارطا للابتعاد عن الفرنسيين مادام أنهم غير قادرين على مواجهتهم، وكانت هذه الهجرة محفوفة بالمخاطر نظراً لتعدد المراكز العسكرية الفرنسية من فوتاتور حتى أعالي نهر السنغال، ووعياً من الحاج عمر بأن أعين الفرنسيين لا تنام، فقد انطلقت هجرته من قرية نجوم في فبراير 1859 باتجاه كارطا مستغلاً فصل الجفاف الذي ساعد على كبح جماح القوات الفرنسية حيث ساعدته هذه الاستراتيجية بالمرور على كل أراضي فوتا في اتجاه نهر السنغال بسلام، باستثناء بعض المواجهات الصغيرة⁽¹⁾ التي وقعت بين الطرفين إلى أن دخل مدينة نيورو (Noro) عاصمة كارطا سلمياً يوم 28 يوليو 1859م.

وما يلاحظ على هذه المرحلة أنه غلب عليها الطابع السلمي، وذلك بموجب مقتضيات المصلحة، وبطبيعة الظروف الزمانية، فالحاج عمر وأن لم يحقق خلال هذه المواجهات ما كان يرجوه من صد العدو لكنه على الأقل أقلق بال الفرنسيين وراحتهم بمناوشات جنوده وهجماتهم على الدور التجارية والعسكرية، واعترافاً من الوالي فيديرب ومعه وزارة البحرية الفرنسية بقدرته على إمكان تحقيق أهداف بلاده في المنطقة عاجلاً أم آجلاً الأمر الذي جعله يسعى إلى تحقيق السلم مع الحاج عمر في الوقت الحاضر على أن يترك لعامل الزمن مسألة تطويق خصمه والإجهاز عليه، فتوصل الطرفان عام 1860م إلى الاتفاق على مشروع معاهدة السلم التي تضمنت البنود التالية:

- اعتبار نهر السنغال الأعلى ابتداء من يا كل شمالاً وروافده نهر البافنيك جنوباً حداً طبيعياً فاصلاً بينهما. بشكل يتيح لفرنسا السيطرة على كل ما يوجد من أراضي على الضفة اليسرى للنهر.

(1). هذه الاستراتيجية قد وضعها القائد القرطاجي هانيبال عندما سلك جبال الألب حيث المسالك الوعرة والثلوج كي لا يصطدم بالفصائل الرومانية في الطريق من أجل الوصول إلى هدفه المنشود روما الذي لو تحقق لتغيرت خريطة أوروبا بأن أصبح للحضارة العربية الإسلامية جذور فيها.

- كل ما يوجد على يمين الحدود نفسها من أراض مثل ديومبوخو وكارطا، ومن ولاها شرقاً يخضع للنفوذ العمري باستثناء إقليم جيد بماخا.
- لا يسمح للحاج عمر بناء قلاع ولا قرى حربية.
- الكف عن شن الحملات العسكرية ولا القيام بأعمال السلب والنهب للطرفين كليهما.
- قبول الحاج عمر بإرجاع السلع التي اخذها من مدينة (Medine).
- حرية التجارة بين البلدين وسنبيع للحاج عمر كل ما يطلبه منا.
- كل بلد يحتفظ برعاياه وأسراه كما يريد، ولا يجوز إرجاع الرعايا والأسرى الذين يفرّون من بلد لآخر.

لا يحتاج الباحث إلى عناء كبير ليستنتج بعد الاطلاع على هذه الاتفاقية، أن بنودها صيغت لخدمة المصالح الفرنسية بالدرجة الأولى، وهكذا ومع انتهاء القرن التاسع عشري الميلادي، تمكنت فرنسا من إخضاع كامل إفريقيا الغربية لنفوذها مع إسقاط الدولة العمرية التي شكلت وفاة شيخها الحاج عمر أول مسمار ذق في نعشها محققاً هناك تقدماً على إنكلترا التي كانت تصول وتجول في جهات أخرى من إفريقيا، على غرار دول أوروبية أخرى تطبيقاً لمقرارات مؤتمر برلين، التي أطلقت يدها بشكل قانوني منذ فبراير 1885م.

توفي الحاج عمر جنوب تنبكت عام 1865م وخلفه في مقاومة الاستعمار أولاده الذين لم يكنوا على مستوى أبيهم الفكري والعقائدي وكسبه لقلوب الأفريقيين، حيث لم يستطع ابنه أحمد الذي حكم من 1865 . 1893م أن يقوي مركز الإسلام أمام الاستعمار بسبب التنازع على السلطة بين أفراد عائلته من جهة، وبسبب الانتعاش الوثني المدعوم بالاستعمار من جهة أخرى.⁽¹⁾

(1). نعيم قدام، أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، د.ت، ص122.

الخاتمة:**يمكن استنتاج النتائج التالية :**

- إن السنغال وبحكم المكانة التاريخية التي يلعبها الإسلام في نسيجه الاجتماعي، وفي الاستقرار السياسي للبلاد يقدم نموذجاً مهماً جداً للعلاقات بين السلطتين الدينية، والسياسية.

- كان الوجود الأوروبي على الشواطئ السنغالية قبل القرن 19م مقتصرًا على الجانبين الاقتصادي والثقافي (كمحاولة لنشر النصرانية)، وكان همه الأكبر تحقيق أكبر قدر ممكن من الأرباح، وبطبيعة الحال لم يصطحب هذا الحضور أي وجود عسكري مكثف على الأراضي السنغالية.

- يتضح أيضاً إن التوسع الاستعماري الفرنسي لم يكن وليد ظرفية القرن 10م، ولتحقيق هذا الهدف استعملت فرنسا كل الوسائل المتاحة قانونية كانت أو غير قانونية.

- بدأ مسلسل تثبيت السيادة الفرنسية على الممالك السنغالية مع تعيين فيديرب عام 1854م والياً على مستعمرة السنغال، وقد استطاع تحقيق حلم فرنسا في جعل السنغال مستعمرة فرنسية لتكون بوابة الدخول إلى أفريقيا الغربية بالكامل، وذلك بعد استعمال فيديرب استراتيجيّة القوة العسكرية.

- كما تبين أيضاً أن الحركة العمرية كان لها دور كبير في توحيد منطقة السنغال سياسياً، كما استطاعت على من ضعف إمكانياتها تعميق تجربة الإسلام القاعدي، هذا فضلاً عن دورها بالغ الأهمية في تهديد المصالح الفرنسية في المنطقة.⁽¹⁾ -
يمكن ملاحظة أن أهم ما جاء في مشروع فيديرب الاستعماري إن القوة هي العنصر الأساسي فيه.

(1). أحمد الشكري، جهاد الحاج عمر في أعالي نهر السنغال، مرجع سابق، صص 40-46.

إن تفوق الجانب الفرنسي على الحركة الجهادية خلال 1857 لا يعني إخماد الحركة وإنما استمرت إلى حدود 1859م.

- لقد كان الحاج عمر على لسان أحد القادة الفرنسيين أكبر مههد لمن أتوا بعده من الزعماء الأفريقيين الذين قاوموا، على غرارهم، الاستعمار الفرنسي، لأنه كان يمثل الطموح والحماس لدى المجاهدين، وقد استطاع بنفوذه وقوة شخصيته أن يقوي رابطة الوحدة الأفريقية بين أتباعه المنتسبين إلى القبائل المختلفة.

وفي هذا الصدد يقول مولارد إنه لولا الاستعمار الفرنسي لنجح الحاج في إقامة دولة واحدة إسلامية في أفريقيا الغربية

أن تنامي الوعي القومي لدى الأفارقة على وجه العموم تولد عنه ظهور شخصيات أفريقية قادة حركات المقاومة ضد الاستعمار أمثال لبيولد سنجور أحمد في السنغال، وكوامي نكروما في غانا، وأحمد سيكوتوري في غينيا، وموديبوكيتا في مالي، وغيرهم ممن سطوروا تاريخ بلدانهم في ملاحم بطولية أجبرت من خلالها السلطات الاستعمارية لإعادة حساباتها وتعيير سياساتها اتجاه هذه الدول.

- كان اعتماد الحاج عمر على عامة الشعب وكسبه للجماهير العريضة سبباً في انتصاراته، وإعادة المستعمر حساباته معه.

- وفاة الحاج عمر ومن ثم إسقاط الدولة العمرية حقق تقدماً لفرنسا على انكلترا في المنطقة.

قائمة المصادر والمراجع

- 1-السعدي، عبد الرحمن، تاريخ السودان، ت(هوداس أوكتاف)، باريس، 1981م
- 2-الشكري، أحمد، جهاد الحاج عمر الفوتي في أعالي نهر السنغال، منشورات معهد الدراسات الأفريقية، الرباط، المغرب، 1998م.
- 3-محمد سعيد باه، دولة الأئمة في فوتاتورو، دار الاتحاد للطباعة، القاهرة، مصر، 2010م.
- 4-ميغا، عبدالله إسحاق، تأثير الفرنكوفونية في التوجه الإسلامي بغرب إفريقيا، مالي نموذجاً، رسالة ماجستير، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 2005.
- 5-غالي، سيدي، التصير في إفريقيا (السنغال نموذجاً)، مجلة البيان، س15، ج154، جمادي ال آخرة1421هـ، 2000م، المنتدى الإسلامي، لندن، بريطانيا، ص80.
- 6- الألف كتاب، الاستعمار الحديث، دار سعد، القاهرة، مصر، 1951م.
- 7-رولاند أوليقر، وجون فيج، موجز تاريخ إفريقيا، الدار المصرية لتأليف والترجمة، د. ت، ص135.

المراجع الأجنبية:

Kingsley, Mary ,H West African Studies , pp, 213, 214

Encyclopaedia, Britnnica 1959, vol 1 . p330

التحليل السوسيولوجي لدور الطبيب

إعداد: د. فاطمة محمد أبوراس

د. أمل محمد إقيمع

المقدمة:

تعتبر الصحة والمرض انعكاساً للوضع الاجتماعي والاقتصادي والبيئي والجسمي لأي فرد أو مجتمع، ويرتبط تطورها وتقدمها أو تأخرهما وتخلفهما بتقدم أو تأخر هذا المجتمع أو ذلك، والجانب الصحي لأي مجتمع يرتبط بالمواقف الإنسانية والقيم والعادات ومستوى المعيشة الذي لا مناص للطب من أن يأخذها في اعتباره لزيادة كفاءته وفاعليته ورفع المستوى الصحي والرعاية الصحية للأفراد.

وجاء علم الاجتماع الطبي باعتباره الدراسة العلمية والموضوعية التي تتناول البعد الاجتماعي للطب وإيجاد العلاقة بين مجال ممارسة مهنة الطب والواقع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والانثروبولوجي، وإيضاح السمات المميزة لتلك الصلة بين الطب وعلم الاجتماع فهو إذاً مبحث وسط يأتي بين علم الاجتماع العام وعلوم الطب. (1)

وبذلك يهدف علم الاجتماع الطبي في البحث عن العلاقة المتبادلة بين المهن الطبية المختلفة من حيث أهميتها وكفاءة المشتغلين بها وبين ما يحاط بهذه المهن من قيم اجتماعية وثقافية منطبعة في أذهان الناس، ولذلك فإن علم الاجتماع الطبي يعتبر مهنة الطب من أكثر المهن الطبية تأثراً بقيم المجتمع وأعرافه لذا تهدف هذه الدراسة لتقديم تحليلاً اجتماعياً وثقافياً لمهنة الطب وهي المهنة التي يمكن اعتبارها

(1) الوحشي بيري وعبدالسلام بشير الدويبي، مقدمة في علم الاجتماع الطبي، منشورات مكتبة طرابلس

العلمية العالمية، دار المكتب الوطنية، بنغازي، ص3 ..

علماء أو فناً يقوم به شخص أو مجموعة أشخاص يقدمون الرعاية والعناية لمجموعة أشخاص آخرين أثناء فترة المرض.

كما تحاول وتسعى هذه الدراسة إلى تعريف الطبيب وتحديد مواصفاته حسب نوعية التنشئة التي يتعايش معها الطبيب، أي حسب نوعية وطريقة إعداده وتقويمه على الاطلاع بدور الطبيب وممارسة مهنة الطب والانتماء إلى طائفة الأطباء. (1)

ويتم ذلك بالالتزام التام بالطرق الرسمية وغير الرسمية بالوظائف والقيود التي يختارها الطبيب والتي تفرضها عليه الظروف ويفرضها عليه العامة من الناس، حيث تلعب ثقافة وأخلاقيات المجتمع دوراً رئيسياً في ممارسة مهنة الطب، لذلك فإن الثقافة لها تأثير فعال وكبير في مجال العمل الطبي للطبيب.

ومن هنا نجد أن أعضاء أي مجتمع سواء أكانت المجتمعات النامية أو المجتمعات المتقدمة ينتشبهون في كثير من القيم والمعايير الاجتماعية والأخلاقية والثقافية التي يلتزمون بها، فمثلاً عندما يعبر الشخص الليبي عن نفسه فإنه يتحدث في إطار الثقافة الليبية وأن ثقافة الأم هذه تحتوي على ثقافات أخرى فرعية، ومن خلال ذلك فإن الطبيب يمثل ثقافة فرعية خاصة بجماعة الأطباء في الحقل الطبي والصحي.

ومن هنا تحاول هذه الدراسة إلقاء الضوء على أهمية دور الطبيب وجوانب الصراع في هذا الدور بالإضافة إلى العلاقة المتبادلة بينه وبين المرضى؛ لأن دور الطبيب لا ينحصر في تقديم العلاج لمرضاه فقط، وإنما يرتبط بمجموعة القيم والمبادئ والعادات التي تعتبر جزء من ثقافة المجتمع، فدور الطبيب من الأدوار المهنية الرفيعة في المجتمع؛ لأنه يركز على الاهتمام بالمريض والوصول به لأفضل حالة صحية ممكنة، وذلك من خلال التفاوض معه والاستماع إليه، إلا أن هذا الدور لا ينفى عن الطبيب إذا لم يدرك معناه أو يتجاهله عن قصد.

(1) محمد الجوهري وآخرون، علم الاجتماع الطبي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى،

ومن هنا يمكن القول بأن التفاعل بين الطبيب والمريض تمكن الطبيب من معرفة الأسباب التي أدت إلى حدوث المرض وكيفية معالجته بشكل أسرع وأنجع. والطبيب الذي لا يعير لهذا التفاعل أي اهتمام أثناء العملية العلاجية لمريضه قد يجعل هذه العملية ناقصة وغير مكتملة وأحياناً معدومة.

. تعريف دور الطبيب:

قبل التطرق إلى صلب الموضوع أو إلى موضوع الدراسة لابد أن نوضح بعض المفاهيم التي لها علاقة بموضوع دراستنا بشكل مباشر، ومن هنا ينصب اهتمامنا على مفهوم الدور الاجتماعي باعتبار أن الدور من أهم أدوات عالم الاجتماع داخل المنظور المجتمعي.

فالدور كما عرفه البعض هو " تحديد لسلوك المكانات الاجتماعية، أو هو عملية تحويل الحقوق والواجبات الخاصة بمكانة معينة إلي واقع ملموس".⁽¹⁾ ومن هنا فإن الدور قد يتغير بتغير الفرد وموقعه أو حسب الحاجة الاجتماعية التي ينخرط فيها، فكل فرد في المجتمع له دور يقوم به أو يؤديه ويختلف هذا الدور باختلاف المكانة التي يرتادها، وقد تتأثر الأدوار بسبب تأثر المكانة، مما يؤدي إلى تغيير في الأداء، وهذا بدوره ينعكس سلباً على دور الفرد.⁽²⁾

وقد وصف _ بارسونز _ مفهوم الدور على أنه يرتكز على الطاعة والسلبية التي يتسم بها دور المريض من ناحية، ومن ناحية أخرى نجد الطبيب هو المسؤول

(1) محمد علي محمد وآخرون، دراسات في علم الاجتماع الطبي، دار المعرفة الجامعية 2011 م، ص87.

(2) سامي عبد الكريم الأزرق، العلاقات الاجتماعية بين الأطباء والمرضى، دار الشجرة للنشر والتوزيع، ط1، 2008م، ص120.

الوحيد عن عملية التشخيص والعلاج، وهذا هو النموذج التقليدي الذي يحدد دور المريض ودور الطبيب كما وصفه بارسونز. (1)

وكما أشار بارسونز أيضاً بأن الدور يربط الاتجاه النفسي بالاتجاه الاجتماعي أي أنه ذلك العنصر المشترك بين البناء الاجتماعي والشخصية أي ما يفعله الشخص في أثناء علاقاته مع الآخرين في داخل النظام الاجتماعي. (2)

ويمثل دور الطبيب physician Role محور أداء النسق الطبي بوجه عام، ويعد مؤشراً واضحاً في نجاح برامج الرعاية الصحية في أي مجتمع، وإن إدراك الطبيب لدور العلاقات الاجتماعية والثقافية يعد بمثابة نصف العلاج بالنسبة لطرفي العملية العلاجية (الطبيب والمريض). (3)، التي تؤثر على صحة المريض وينطلق منها كأساس في العلاج الطبي الذي يتأثر بهذه العوامل إذا أراد الطبيب النجاح في عملياته العلاجية مع المريض. (4)

لذلك فدور الطبيب يعتبر من الأدوار الهامة؛ لأنه يحتوي على جانبين، الجانب الأول: هو الجانب الطبي المتخصص، أما الجانب الثاني: فهو الجانب الاجتماعي، كما يحوي دور الطبيب على قيم ومعايير وأخلاقيات تملئ على الطبيب القيام بواجبه الذي يجب عليه احترامها وتنفيذها، حيث يرتبط دور الطبيب ارتباطاً وثيقاً

(1) نادية عمر، العلاقات بين الأطباء والمرضى، دراسة في علم الاجتماع الطبي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993م، ص80.

(2) عثمان علي إيمين، المرجع في علم النفس الاجتماعي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2007 م، ص258 .

(3) سامي عبد الكريم الأزرق ، مرجع سابق، ص117 .

(4) المرجع نفسه، ص153 .

دور المريض الذي لابد من استغلال هذا الدور في نشر وتنمية الوعي الصحي لدى المريض. (1)

بحيث يمثل الأطباء القاعدة الرئيسية لتقديم الخدمات الصحية ونشر الوعي الصحي في المجتمع ويعتمد ذلك على مستوى الخدمات الطبية والوعي الصحي وعلى مدى التأهيل العلمي للطبيب، باعتبار أن دور الطبيب من العناصر الفعالة في داخل النسق الطبي والذي يلعب دوراً فعالاً في نجاح كافة البرامج الطبية والرعاية الصحية في أي مجتمع، لذلك قدم علماء الاجتماع تحليلات مختلفة لجوانب دور الطبيب. وربما يعتقد البعض أن دور الطبيب ينحصر في تقديم العلاج لمرضاه الذين يعانون بسبب اختلاف فيزيقي معين، وبالرغم من كون هذه الحقيقة واردة في ذهن الطبيب إلا أنه في مجتمعاتنا تلعب القيم الاجتماعية دوراً محورياً في تعريف وتحديد المفاهيم الطبية وتحديد دور الطبيب الذي يلقي على عاتقه الجانب الأكبر من المسؤوليات الاجتماعية للمريض، بحسب توقع المريض. (2)

ولقد قدم _ تالكوت بارسونز tallcot parsons تحليلاً لدور الطبيب في إطار كتابه " النسق الاجتماعي " حيث نظر إلى نسق الممارسة الطبية باعتباره أحد الأنساق التي يتكون منها البناء الاجتماعي، فهو يرى أن دور الطبيب ينتمي إلى مجموعة الأدوار المهنية والفنية الرفيعة، فالاهتمام بالمريض لم يعد نشاطاً عشوائياً وعرضياً، ولكنه أصبح تخصصاً وظيفياً مهنياً ثابتاً ومستمراً، فدور الطبيب باعتباره دوراً مهنياً يتم أدائه من خلال المضمون الفني لمهنة الطب، ويتم أداء الطبيب لدوره بالاعتماد على الإنجاز Achierement وبالاعتماد أيضاً على العمومية

(1) نادية محمد السيد عمر ، علم الاجتماع الطبي (المفهوم والمجالات) ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 1996 م، ص 203 .

(2) سامي عبد الكريم الأزرق ، مرجع سابق، ص 121- 122 .

universality والتحديد الوظيفي functional specific والحياد الوجداني effectire neutral (1).

كما يشير _ بارسونز _ إلى دور الطبيب باعتباره متصلاً يضم مسؤوليات عالية من الكفاءة الفنية اللازمة للأداء، والمعرفة والمهارة الطبية والتدريب الكثيف وعلى الطبيب أن يسخر كل معرفته التخصصية ومهاراته المتاحة لعلاج المريض، وهذا يضعه في موضع القوة والتأثير. (2)

لأن الطبيب وبدوره الأساسي الذي يمارسه يتركز بصفة أساسية حول مسؤوليته في رعاية المريض حتى يتم شفاؤه من مرضه والوصول به إلى أفضل حالة صحية ممكنة ولكي يتم ذلك ينبغي على الطبيب أن يحسن باستخدام الوسائل الطبية المعالجة. (3)

فدور الطبيب ليس أمراً هيناً وخصوصاً أن الطبيب لا يقتصر عمله على علاج المرضى فقط، وإنما يذهب دوره إلى أبعد من علاج المرضى، وإنما يعتمد في دوره كطبيب الحفاظ على الصحة والمشاركة في الارتقاء بالمستوى الصحي لأفراد المجتمع جسدياً وعقلياً، ونفسياً واجتماعياً، وهو دور يجب أن يكون الطبيب مهيناً له في المجال الصحي من خلال دراسته وتدريبه. (4)

ويجب على الطبيب أن تكون لديه القدرة علي تهدئة المريض والاستماع لمشاكله وإمكانياته في علاجه اجتماعياً وطبياً، لأن هذا الدور ينفي عن الطبيب إذا لم يدرك

(1) حسني إبراهيم عبد العظيم ، دور الطبيب في المجتمع الريفي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب القاهرة ، فرع بني سويف، 1995م ، ص125.

(2) فيصل صالح السلیماني ، التعددية الثقافية والعلاقة بين الطبيب والمريض ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب القاهرة ، 1998 م ، ص77.

(3) حسني إبراهيم عبد العظيم ، دور الطبيب في المجتمع الريفي ، مرجع سابق، ص 125.

(4) زهير أحمد السباعي ومحمد علي البار ، الطبيب أدبه وفقهه ، دار القلم دمشق ، ط5 ، 2011 م ، ص121.

معناه أو يتجاهله عن قصد للتخفيف من الأعباء التي يتحملها على عاتقه والتي تغلب في كثير من الأحيان على طموحاته الشخصية وطموحاته المادية والاجتماعية أحياناً أخرى ، فمن وجهة نظر الآخرين " إذا كنت طبيياً يجب أن تكون ملكاً للآخرين ملبياً رغباتهم، سبباً في شفائهم، أنت بالنسبة لهم بريق الأمل وجالب الشفاء، وتتصل الطبيب من هذا الدور يشعر المريض بخيبة الأمل. (1)

فدور الطبيب كما وضحه بارسونز هو موجهاً لخدمة الجماعة وليس موجهاً توجيهياً ذاتياً، حيث إن سلوك الطبيب يحكم بقواعد عامة تحدد سلوكه وتصرفاته وهذه القواعد هي التي تحمي الطبيب والمريض معاً. (2)

ومن هنا يمكن الإشارة إلى بعض التعريفات المتعلقة بدور الطبيب والتي طرحها بعض علماء الاجتماع الطبي. (3)

_ يعرف بارسونز دور الطبيب بأنه المسؤولية التي يتحملها الطبيب في عمل ما يستطيعه من أجل الشفاء العاجل والكامل للمريض " يتضح أن بارسونز ينظر لدور الطبيب في ضوء الوظائف التي يؤديها المريض، وذلك للحفاظ على نظام المجتمع واستقراره ويؤخذ على هذه النظرة أنها تفترض الانسجام المتبادل بين الطبيب والمريض، وهذا ينفي الصراع الذي يحدث بينهم في مواقف العلاج.

_ ويرى ديفيد تاكيت p.tuckett أن هناك ستة وظائف أساسية يقوم بها الطبيب في أداء دوره وهي: تشخيص الشخص المصاب بمرض معين، وفهم أسباب هذا المرض وتحديد كيفية الوقاية منه والتعرف على طريقة علاجه فضلاً عن توقع الآثار المحتملة له، وأخيراً محاولة تخفيف هذه الآثار، فكل هذه الوظائف متكاملة مع بعضها بعض وتكاملها هذا يمثل جوهر دور الطبيب.

(1) سامي عبد الكريم الأزرق ، مرجع سابق، ص 122.

(2) نادية عمر السيد ، العلاقات بين الأطباء والمرضى ، مرجع سابق، ص 109.

(3) حسني إبراهيم عبد العظيم ، دور الطبيب في المجتمع الريفي ، مرجع سابق ، ص 126.

ومن هنا نلاحظ اقتراب رؤية (تاكيت) من رؤية (بارسونز) عندما ربط (تاكيت) بين وظائف الطب بوجه عام ودور الطبيب، على اعتبار أن الدور ينبع من وظائف الطب، فحين يركز _ تاكيت _ على الجوانب الفنية وذلك من خلال تعامله مع المرض تعاملًا علمياً خالصاً، ويؤخذ على هذه الرؤية إهمالها للجوانب الاجتماعية المرتبطة بالممارسة.

- كما يشير - ديفيد مكانك - D.mechanic إلى أهمية الجوانب الاجتماعية المرتبطة بدور الطبيب فهو يرى أن هذا الدور لا يعتمد فقط على التوجيهات العلمية والأخلاق المهنية بل يعتمد على التوقعات الاجتماعية والمسؤوليات التي يحملها المجتمع للطبيب، فدور الطبيب يتم تعريفه اجتماعياً من خلال رؤية أفراد المجتمع لهذا الدور، كما تلعب القيم الاجتماعية دوراً هاماً في التحديدات الطبية وتقديم الرعاية الصحية المطلوبة واللازمة.

ويتضح من ذلك أن للطبيب أهمية خاصة في المجتمع، فالمريض عندما يلجأ للطبيب ليس باعتباره رجل المعرفة والعلم والقادر على مواجهة الأعراض المرضية الخطيرة، وإنما باعتباره الشخص الرحيم المفكر الواثق، والمهتم أساساً بالمريض الفرد الملتزم بتحقيق راحته. (1)

فدور الطبيب يعني مجموعة الأنشطة التي يقوم بها الطبيب من أجل تشخيص المرض وفهم أسبابه وعلاجه وطرق الوقاية منه، والاهتمام بالجوانب الاجتماعية المرتبطة بهذه الأنشطة، وتتم هذه الأنشطة في ضوء التوقعات الاجتماعية التي يقرها البناء الاجتماعي والثقافي للمجتمع. (2)

(1) فيصل صالح السليمانى ، التعددية الثقافية والعلاقة بين الطبيب والمريض ، مرجع سابق، ص78 .

(2) حسنى إبراهيم عبد العظيم ، محاضرات في علم الاجتماع الطبي ، كلية الآداب ، بني سويف ، جامعة القاهرة 2001 م، ص1.

- وهناك تعريف آخر لدور الطبيب في المجتمع والذي مفاده " أنه أهم القوى المؤثرة في تعامل الطبيب مع المريض واهتمامه به واستجابته له، فما يقدمه الطبيب للمريض لا يتوقف على المستوى العلمي للطبيب أو على مدى تمسكه بأخلاق المهنة، وإنما يتأثر أيضاً بما يتوقعه المجتمع من سلوك الطبيب وما يلقيه عليه من مسؤوليات. (1)

ويعرف أيضاً على أنه الدور الذي يتمثل في قدرته على تقليل حدة المرض التي يعاني منها الشخص المصاب بالمرض فهو يرغب المريض على الشفاء، وذلك باتباع نصائحه والسير على النظام العلاجي الذي يحدده له الطبيب. (2)

وهناك تعريف لدور الطبيب الذي مؤداه " هو العمل الذي يقوم به الطبيب انطلاقاً من الجانب العلمي المهني من تشخيص المرض ومعرفة أسبابه واستخدام الوسائل الطبية لذلك، ووصف العلاج له وطرق الوقاية منه، بالإضافة الأخذ بالجانب الاجتماعي من خلال لقاءه مع المرضى وتفاعله معهم، خصوصاً أن التوقعات والقيم والمعايير الاجتماعية لها دور فعال في تحديد دور الطبيب، ومن خلال هذا التعريف والتعريفات السابقة يتضح أن دور الطبيب له جانبان مهمان هما:

أ- الجانب الطبي.... ب- الجانب الاجتماعي....

أ- الجانب الطبي:

وفي هذا الجانب يتحمل الطبيب المسؤولية الكاملة عن مرضاه وما يصيبهم من أمراض، وذلك من أجل شفائهم، ولا بد أن يكون الطبيب ملماً إماماً كاملاً بجوانب مهنته، وأن يكون على درجة عالية من الكفاءة الفنية، وأن يحسن استخدام الوسائل الطبية، ولكي يؤدي الطبيب دوره بنجاح يجب عليه القيام بست عمليات متتابعة

(1) عبد المجيد الشاعر وآخرون، علم الاجتماع الطبي، دار البازوري العلمية للنشر والتوزيع، ط1،

2000م، ص121.

(2) نادية عمر السيد ، العلاقات بين الأطباء والمرضى ، مرجع سابق، ص108 .

هي: تشخيص المرض_ فهم أسبابه_ تحديد كيفية الوقاية منه _ إيجاد الطرق
لعلاجه _ توقع الآثار المحتملة ومحاولة تجنبها _ والعمل على تخفيف من حدة
هذه الآثار والتقليل منها.(1)

ب - الجانب الاجتماعي:

وهو الجانب الذي ينبغي أن يكون فيه الطبيب على معرفة تامة بكافة النواحي
النفسية والاجتماعية حتى يدرك العلاقة بين أي اضطراب عضوي وأي اضطراب
نفسى للفرد، فالطبيب الناجح هو الذي يتمتع بحس طبي واجتماعي قوي يمكنه من
علاج المشكلة بالشكل الصحيح، ومعرفة الأسباب قبل التشخيص الطبي، ولكن ذلك
لا ينطبق على كافة الأمراض وخاصةً العضوية منها.(2)

وبذلك يرى علماء الاجتماع الطبي أن دور الطبيب لا يتوقف فقط على إمكانيته في
تشخيص المرض وعلاجه أو على التوجيهات العلمية، وإنما يتوجه بدوره إلى ما هو
أكبر من ذلك بكثير، بل عليه الاعتماد في أدائه لدوره على التوقعات الاجتماعية
والمسؤوليات التي يوجهها إليه المجتمع؛ لأن المريض عندما يذهب إلى الطبيب لا
يذهب إليه باعتباره الشخص الذي يملك ذلك العدد أو الكم الهائل من المعلومات
والمعارف الطبية التي ربما تكون مناسبة لمرضه، وإنما يلجأ إليه المريض باعتباره
ذلك الشخص الموثوق فيه في وقت الشدة والمرض التي يمر بها المريض، ومن
ذلك أكد علماء الاجتماع الطبي والباحثون على تأثير الجانب الاجتماعي لدور
الطبيب والذي يتحقق من خلال ممارسة الطبيب الأنشطة الآتية:(3)

(1) حسني إبراهيم عبد العظيم ، محاضرات في علم الاجتماع الطبي ، مرجع سابق، ص 111 ،
ص112.

(2) سامي عبد الكريم الأزرق، مرجع سابق، ص123.

(3) حسني إبراهيم عبد العظيم، محاضرات في علم الاجتماع الطبي، مرجع سابق، ص 113، ص114.

1- التفاعل الاجتماعي بين الطبيب والمريض، حيث تؤثر العلاقة بينهما على عمليتي العلاج والشفاء، حيث كشفت إحدى الدراسات أن أكثر من ثلث نسبة نجاح أي عقار أو جراح طبي ترجع إلى تأثير العلاقة الطبية بين الطبيب والمريض.

2- قيام الطبيب بدراسة المشكلات الصحية في المجتمع وحلها، وأن يكون على وعي بالمشكلات التي يعاني منها مجتمعه، وخاصةً تلك المشكلات المرتبطة بالأمراض المعدية والمتوطنة، وضعف الوعي الصحي لدى أفراد المجتمع والعادات الاجتماعية السيئة التي تؤدي لحدوث المرض.

3- قيام الطبيب بدوره في إحداث التغيير الاجتماعي في البيئة المحيطة به، فمن خلال سلطته يمكنه أن يغير الاتجاهات والمفاهيم الخاطئة لدى المرضى، ورفع درجة الوعي الصحي في المجتمع، كما أن أداء الطبيب لدوره يسهم في تخفيض نسبة المرضى وارتفاع نسبة الأصحاء القادرين على المشاركة الإيجابية في عمليات الإنتاج والتنمية.

ويرى بارسونز أن هناك مجموعة من التوقعات التي يجب أن يلتزم بها الطبيب إلي حد ما، من أجل أن يتوافق سلوكه مع ما يتوقعه منه المجتمع، وتتمثل هذه التوقعات في واجبات الطبيب وحقوقه. وسوف نعرض فيما يأتي:

أ - واجبات الطبيب:

وتتمثل واجبات الطبيب عند القيام بدوره داخل النسق الطبي في الآتي:

1- التعامل مع مشكلات وحالات المرض بقدر كبير من الخبرة الطبية والكفاءة العلمية وتلبية حاجات المريض ومتطلباته، أكثر من تلبية احتياجات الطبيب ومتطلباته.⁽¹⁾

(1) فيصل صالح السليمانى ، مرجع سابق، ص77 .

2- العمل من أجل رفاهية المريض، وتقديم ذلك علي المصالح الذاتية والشخصية للطبيب ورغبته في تحقيق المال والشهرة. (1)

3- على الطبيب أن يتسم بالموضوعية والحياد الوجداني، فلا يحكم على سلوك المريض بمعايير شخصية أو عاطفية مما قد يؤثر في قدرته على أداء دوره أثناء تأدية عمله. (2)

4- على الطبيب أن يمارس دوره انطلاقاً من القواعد الأخلاقية لمهنة الطب. (3)

ب- حقوق الطبيب:

من أهم الحقوق المرتبطة بدور الطبيب تتمثل في الآتي:

1- من حق الطبيب القيام بالكشف عن جسم المريض باعتباره الحالة المرضية التي يتعامل معها لتشخيص المرض، وأن يسأله عن خصوصياته سواء المتعلقة بحالته الجسمية أو بحياته الشخصية والنفسية. (4)

2- الاستقلال الذاتي في الأداء المهني، ورفع المستوى المادي للطبيب، بشكل واضح يستحق الاعتبار. (5)

3- امتلاك الطبيب سلطة تشبه السلطة الكاريزمية charisma لمفهوم _ ماكس فيبر _ m.webber. وتتبع هذه السلطة من المسؤوليات الملقاة على عاتق الطبيب، وقدرته على إنقاذ المريض من الخطر والموت. (6)

(1) حسني إبراهيم عبد العظيم ، محاضرات في علم الاجتماع الطبي ، مرجع سابق، ص111 .

(2) فوزية رمضان أيوب ، دراسات في علم الاجتماع الطبي ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، 1985 م، ص95.

(3) حسني إبراهيم عبد العظيم ، محاضرات في علم الاجتماع الطبي ، مرجع سابق، ص121 .

(4) عبد المجيد الشاعر وآخرون ، مرجع سابق، ص121. .

(5) فيصل صالح السليمان ، مرجع سابق، ص77 .

(6) حسني إبراهيم عبد العظيم ، محاضرات في علم الاجتماع الطبي ، مرجع سابق، ص121 .

وبالرغم من هذا التحليل الذي قدمه بارسونز_ لدور الطبيب وما يحتويه هذا التحليل من واجبات وحقوق والذي أقره أيضاً علماء الاجتماع فإنه ولا شك قد تعرض هذا التحليل للعديد من العوامل الاجتماعية والعلمية التي تؤثر بشكل فعال في تفاصيل هذا الدور، ومن أهم هذه العوامل متمثلة في الآتي:

- 1- تغير نوعية الأمراض والمشكلات السائدة داخل المجتمعات التي تتطلب إمكانيات في معرفتها وتشخيصها وكيفية التعامل معها والوقاية منها. (1)
- 2- إن للعوامل البيئية والضغوط الاجتماعية والنفسية لها الأثر الأكبر في تغير نوعية الأمراض داخل المجتمعات الحديثة. (2)
- 3- إن دور الطبيب مكمل لدور المريض، لذلك على الطبيب أن يساهم في نشر الوعي الصحي بين الأفراد من خلال استغلال هذا الدور، وارتباطه بشكل فعال مع دور المريض، لأن أي تغير في دور الطبيب يصاحبه تغير تلقائي في دور المريض. (3)
- 4- إن الجانب الاجتماعي من أهم العوامل التي يستند عليها شاغل الدور، بحيث يهتم بالوضع الاجتماعي للمجتمع ويلتزم بالقيم والمعايير والأخلاقيات التي من واجبه احترامها وتنفيذها. (4)
- 5- الاختلاف في الأمراض فهناك الأمراض الخطيرة والأمراض الأقل خطورة لذلك على الطبيب معالجة الأمراض الأكثر خطورة؛ لأن في ذلك مصلحة المريض، وأداء مهني وإيجابي لدور الطبيب بشكل متزن. (1)

(1) عبد المجيد الشاعر وآخرون ، مرجع سابق، ص122 .

(2) فوزية رمضان أيوب ، مرجع سابق، ص 98 .

(3) نادية محمد السيد عمر ، علم الاجتماع الطبي (المفهوم والمجالات) مرجع سابق، ص203 .

(4) المرجع نفسه ، ص203.

ومن خلال ما سبق، فإن دور الطبيب يتمثل في القيام بتشخيص المرض ومعرفة أسبابه ووصف العلاج له، والوقاية منه، واستخدام الوسائل الطبية إن أمكن ذلك، هذا من الناحية المهنية، أما من الناحية الأخرى وهي الناحية الاجتماعية فيجب على الطبيب هنا الاهتمام بالجوانب الاجتماعية المتنوعة والمتعلقة بمهنته من خلال لقائه مع المرضى وإقامة علاقة اجتماعية معهم، تستند على التفاعل بينه وبين المريض، والتعرف على الجانب النفسي والاجتماعي، ومدى تأثيره على المريض، كما يجب على الطبيب أن يكتسب الخبرة اللازمة، وأن يكون على مستوى عالي من الكفاءة الطبية والعلمية، ومعرفة الوضع الذي يجب أن يكون عليه المريض، بالإضافة إلى التعرف على ثقافته ومعارفه ومعاييرته التي يحملها داخل المجتمع المتواجد فيه.

. العلاقة الإنسانية بين الطبيب والمريض والرعاية الصحية:

إن البحث في واقع العلاقات الإنسانية بين الطبيب والمريض يستند على نظرية من نظريات علم الاجتماع الحديثة، وهي نظرية التبادل الاجتماعي theory social exchange التي لها أهميتها في فهم وتحليل عناصر العلاقة التي تربط الأطباء بالمرضى، إن نظرية التبادل الاجتماعي تحاول تفسير وتحليل السلوك والعلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات والمؤسسات، وإن العلاقة بين الطرفين تعتمد على طبيعة الواجبات التي يقدمها الأطباء للمرضى، وتعتمد أيضاً على الدعم والاحترام والتقدير والتعاون الذي يمنحه المرضى للأطباء⁽²⁾.

(1) قدري الشيخ علي وآخرون، علم الاجتماع الطبي، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، ط1، 2008م، ص154.

(2) إحسان محمد الحسن، علم الاجتماع الطبي، دراسة تحليلية في طب المجتمع، دار وائل للنشر، عمان، ط1، 2008 م، ص288.

وقد تكون طبيعة العلاقة بين الأطباء والمرضى إيجابية وقد تكون سلبية أي هامشية حيث إن كانت إيجابية أو سلبية فإن هذه العلاقة قد تعتمد على المواقف التي يحملها كل من الأطباء والمرضى إزاء بعضهما البعض، فإذا كانت المواقف إيجابية تكون العلاقة إيجابية بين الطرفين، والعكس إن كانت سلبية فإن العلاقة حتماً تكون سلبية بينهما⁽¹⁾.

لقد أثار موضوع العلاقة بين الطبيب والمريض ومدى التفاعل بينهما أثناء العلاج اهتمام العديد من الباحثين في علم الاجتماع الطبي، فالتفاعل بين الأطباء والمرضى يمكن أن يكون له تأثيره الواضح على صحة المريض، فقد قدم كل من - سوزاس وهولندر - Hollinder- Szas تحليلاً لطبيعة العلاقة بين الأطباء والمرضى ودورهما في موقف التفاعل الاجتماعي أثناء العلاج وذلك من خلال ثلاثة أنواع من العلاقة العلاجية.

1 . الإيجابية _ السلبية: Activity- Passivity ...

ففي هذا النوع يكون الطبيب إيجابياً والمريض سلبياً، ويظهر ذلك في حالات الطوارئ (الإصابات الشديدة - النزف الشديد - الهذيان - الغيبوبة وغيرها من الأمراض الأخرى)، فالمريض يكاد يكون عاجز تماماً، بينما العلاج في هذه الحالة يجري دون اعتبار أو تفاعل مع المريض⁽²⁾.

2 . التعاون الموجه:

في هذا النوع تكون الظروف أقل خطورة من الأولى وهو ينطبق على معظم الاضطرابات المرضية الشديدة، وخاصة ذات النوع المعدي، والمريض في هذه

(1) المرجع نفسه، ص289.

(2) محمد علي محمد وآخرون، مرجع سابق، ص277-278.

الحالة يكون على وعي شديد بما يجري من حوله، وهو قادر على تلقي التعليمات وممارسة الحكم على الأشياء (1).

3 . المشاركة المتبادلة:

في هذا النوع يتم تنفيذ العلاج على المريض من خلال التعليمات التي يتلقاها دورياً من الطبيب كما هو الحال في بعض الأمراض المزمنة، والطبيب هنا يساعد المريض على مساعدة نفسه من أجل نجاح العلاج وشفائه، ويكون الطبيب في هذا الموقف بحاجة للمريض والمريض بحاجة للطبيب أيضاً (2).

ومن خلال هذه النماذج نلاحظ أن - بارسونز - قد ركز اهتمامه بشكل كبير على أن العلاقة بين الأطباء والمرضى قد تكون متمثلة في مجموعة من الأنماط السلوكية، ونظر إلى الطبيب على أنه رجل العلم والمعرفة وأن المريض هو الشخص المنحرف، لأن - بارسونز - قد وصف سلوك المريض على أنه أحد أنواع السلوك الانحرافي وعلى أساس هذه الأطروحتين بناء - بارسونز - إطاره النظري للعلاقة على الرغم من أهمية النظر في الاتجاهات الأخرى المختلفة التي أشارت إلى التفسير البنائي الوظيفي للعلاقة بين الأطباء والمرضى، لذلك نرى بأن البعض حاول تطوير أفكار - بارسونز - من أمثال - هولندر و سوزاس - والبعض الآخر نقد هذه الأفكار مثل " فريديسون " (3).

من هنا نشير في بداية الأمر إلى آراء "سوزاس و هولندر" الذين حاولوا تطوير هذه الأفكار من خلال عرض الأشكال المختلفة لتفاعل القائم على العلاقة بين الطبيب والمريض، المتمثلة في الإيجابية والسلبية والتعاون والتوجيه، بالإضافة إلى العلاقة

(1) الوحيشي بيري، عبد السلام بشير الدويبي - مرجع سابق، ص 137.

(2) محمد علي محمد وآخرون، مرجع سابق، ص 278.

(3) نادية عمر، العلاقات بين الأطباء والمرضى، مرجع سابق، ص 93.

المتبادلة، بحيث يتوقف ظهور هذه النماذج أو الأنماط على حسب الحالة الصحية والمرضية بالنسبة للمريض، وما يقدمه الطبيب في علاج مناسب للمريض⁽¹⁾.

كما أضاف كل من -باتريك وسكامبلر- بعض الإضافات على نموذج -بارسونز- وخاصة تلك النماذج التي تحدد دور الطبيب، وكيف تكون علاقته مع مرضاه أثناء إعطائه العلاج لهم والمتمثلة أيضاً فيما يقوم به المريض أثناء تلقيه العلاج، أي يشير هؤلاء إلى نوع الدور المتعلق بكل من الطبيب والمريض⁽²⁾.

ونشير أيضاً إلى النقد الذي وجه للنموذج السابق من العديد من علماء الاجتماع الطبي وكان أبرزها ما أثاره "اليوت فريديسون" D Fridson - من أن هذا النموذج ناقص منطقياً، فالعلاقة لا تكون بمثل هذا التحديد الصارم، كما أن النموذج يتجاهل أنماطاً أخرى لها صلة بالعلاقة الطبية المرضية، فقد يكون المريض إيجابياً والطبيب سلبياً، ويمكن أن يكون الطبيب مرشداً والمريض متعاوناً، أي أن هذه العلاقة يكون فيها نوع من التوتر بين الطرفين⁽³⁾..

وقد يلتقي الطبيب والمريض ويحمل كل منهما أفكاراً خاصة عن المرض، فالطبيب ينظر للمرض من الزاوية الطبية التي درسها في كلية الطب ويمارس من خلالها دوره في العلاج، أما المريض فقد ينظر للمرض من خلال المنظور الاجتماعي والفهم الثقافي، إن تلك العلاقة بين الطبيب والمريض علاقة مؤقتة، وبالرغم من كونها مؤقتة إلا أنها تحمل طابعاً خاصاً من الألفة والثقة بين الطرفين، ومن أهم مميزات اللقاء بين الطبيب والمريض هو استماع الأول لشكوى الثاني وعدم إهمال

(1) فوزية رمضان أيوب، دراسات في علم الاجتماع الطبي، مرجع سابق، ص114.

(2) طارق السيد، أساسيات في علم الاجتماع الطبي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2008 م، ص136.

(3) حسنى إبراهيم عبد العظيم، دور الطبيب في المجتمع المريض، مرجع سابق، ص128.

كلماته مهما كانت ⁽¹⁾. لأن الإصغاء والاستماع لشكوى المريض من قبل الطبيب أثناء فترة العلاج وأيضاً اللقاء والمقابلة الطويلة مع المريض تسهم بشكل فعال في الشفاء بحيث يمثل الجزء الأكبر من عملية العلاج النفسي ⁽²⁾.

إن تجاهل الأطباء لأهمية العلاقة مع المرضى، واكتفائهم بالعلاقة المهنية التي تفشل في كثير الأحيان في الإحاطة بمشكلات المرضى الصحية، فهم في الحقيقة يتجاهلون أهم ما في العملية العلاجية وإمام الطبيب لأهمية العوامل الاجتماعية والثقافية ⁽³⁾. لذلك ينبغي على الأطباء إعطاء اهتماماً كبيراً للخلفية الثقافية والاجتماعية للمريض سواء أكانت هذه الخلفية منبثقة من أماكن حضارية أو ريفية أو بدوية، وإنما هي فقط لتعامل مع المريض كإنسان ⁽⁴⁾.

وفي هذه المسألة أمر في غاية الأهمية، فالطبيب محط أنظار المرضى بحيث يتوقعون منه ما يعجزون عن إيجاده في العالم الخارجي، وينظرون إليه على أنه ملم بجميع أمور الحياة الاجتماعية والثقافية وغيرها، فالطبيب يجب أن يحضى بالثقة في علاقته بمرريضه ويلم بالجوانب الاجتماعية والثقافية فضلاً إلى العمل المهني والكفاءة الطبية ⁽⁵⁾.

وقد بينت إحدى الدراسات أن غالبية الأطباء لديهم وعي بالجانب الاجتماعي لدور الطبيب ويهتمون به بنفس درجة اهتمامهم بالجانب الطبي، وذلك من خلال متابعة حالة المريض بعد الشفاء، والتعرف على المشكلات التي قد يعاني منها في حياته الشخصية، كما أنه يشارك المريض مناسباته الخاصة، مما يؤدي ذلك إلى تقوية

⁽¹⁾ سامي عبد الكريم الأزرق، مرجع سابق، ص 126-127.

⁽²⁾ محمد علي محمد وآخرون، مرجع سابق، ص 293.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص 132-133.

⁽⁴⁾ فيصل صالح السليمان، مرجع سابق، ص 80.

⁽⁵⁾ سامي عبد الكريم الأزرق، مرجع سابق، ص 133.

العلاقة بينهما، كما بينت الدراسة أيضاً أن معظم الأطباء يتدخلون في المشاكل الغير طبية التي يعاني منها المريض، سواء أكانت مشكلات اجتماعية أو اقتصادية، كما أن الأطباء يقومون بدور مهم في إحداث تغير اجتماعي⁽¹⁾.

ويجب أن يدرك الأطباء أن معظم المرضى يرغبون في التحدث عن مشاكلهم ومخاوفهم للوصول إلى حل لمشاكلهم بدلاً من استخدام العلاج الطبي البدني، الذي ربما يكون السبب وراء هذا المرض هو سبب اجتماعي أو نفسي أو اقتصادي أو حتى أسري، لذلك على الطبيب أن يكون مدركاً تماماً لهذه الجوانب المختلفة، وعليه أن يتعلم كيف يجعل المريض يشعر بالراحة والطمأنينة من خلال إعطائه الوقت الكافي للتكلم عن مشاكله بحرية تامة⁽²⁾.

وقد أشار إلى العديد من الملاحظات حول علاقة الطبيب بالمريض والتي قام بها كل من - دافد- هولنقشيد- في إحدى المستشفيات بالولايات المتحدة وهي:

1 . إن إهمال الجوانب الاجتماعية والنفسية والتركيز فقط على المرض باعتباره مرض عضوي، فإن هذا بدوره يؤدي إلى نتائج سلبية وغير مرغوب فيها في علاج المرضى.

2 . إن الإصابة بإحدى الأمراض الجسمية يترتب عليه تغييراً في الحالة النفسية والعقلية لشخص المصاب بالمرض، وقد تكون هذه الحالة مؤقتة وقد تكون مستمرة حتى بعد علاج المريض وشفائه.

3 . إن إهمال الجوانب العاطفية والنفسية يؤدي ذلك إلى فشل عملية الاتصال والتفاعل بين الطبيب والمريض، مما ينتج عنه قصور في عملية العناية والرعاية الصحية⁽³⁾.

(1) حسنى إبراهيم عبد العظيم، دار الطبيب في المجتمع الريفي، مرجع سابق، ص130-131.

(2) الوحيشي بيري وعبد السلام الدويبي، مرجع سابق، ص140.

(3) الوحيشي بيري وعبد السلام بشير الدويبي، مرجع سابق، ص141.

إن العلاقة التي تربط الأطباء بالمرضى تتفاوت كما بينا فيما سبق بين الإيجابية والسلبية الهامشية، فهذه العلاقة تعتمد على المواقف التي يحملها كل طرف إزاء الطرف الآخر، فهناك مشكلات تصيب هذه العلاقة فبعضها يرجع إلى الأطباء أنفسهم وبعضها يرجع إلى المرضى (1).

أولاً: المشاكل التي ترجع أسبابها إلى الأطباء:

1 / سوء المعاملة وخشونة الأسلوب:

تتمثل سوء المعاملة التي يتلقاها المرضى من الأطباء في انتظارهم الطويل قبل مقابلة الطبيب وغضب الطبيب منهم لكثرة عددهم، ولعدم التزامهم بوصايا وإرشادات الطبيب، أما خشونة أسلوب الأطباء تتجسد في استعمال بعض الكلمات غير اللائقة وتكذيبهم، والتعامل معهم بشدة، وبأسلوب لا يليق بالطبيب بالإضافة إلى الأجور العالية.

2 / ضعف اهتمام الأطباء بالمرضى:

إن معظم الأطباء لا يهتمون بالمرضى عند فحصهم وتشخيص أمراضهم، ولا يرشدوهم حول الغذاء والعقاقير التي ينبغي أخذها، فكل ما يفعله الطبيب هو فحص المريض بسرعة خاطفة وتوجيه الأسئلة إليه بخصوص مرضه، التي ينبغي الإجابة عليها حالاً، حيث يشعر المريض هنا أنه عبئاً ثقيلاً على الطبيب.

3 / اهتمام الأطباء بالمادة والريح أكثر من اهتمامهم بالمريض:

نلاحظ بشكل عام إن الأطباء لا يهتمون بالمريض ولا بالمرض الذي يعاني منه الشخص المصاب، إنما يركزون بشكل أساسي على الريح المادي والمكافآت التي يحصلون عليها.

(1) إhsan محمد الحسن، علم الاجتماع الطبي، دراسة تحليلية في طب المجتمع، دار وائل للنشر، عمان، ط1، 2008م، ص191-198.

4 / وصف الدواء دون تشخيص المرض:

ويتم ذلك بعد أن يسأل الطبيب المريض عن سبب مرضه، وهنا يصف الطبيب له الدواء دون أن يقوم بإجراء أي فحوصات أو اختبارات طبية دقيقة، وهنا لا يشخص الطبيب المرض ويستمر المريض في مرضه.

5 / عدم صرف وقت كاف مع المريض:

من سلبية العلاقة بين الطبيب والمريض عدم صرف الوقت الكافي للمريض، فالمريض عند لقائه بالطبيب لا يلقى العناية والاهتمام اللازم، بالإضافة إلى عدم التعرف على المرض بالأشعة والتحليل.

6 / عجز الطبيب عن تشخيص المرض ومعالجة المريض وذلك بسبب الوقت القصير بينهما الأمر الذي لا يمكن الطبيب من تشخيص المرض بالإضافة لكونه مرهقاً بسبب العمل وعدد المراجعين، فضلاً عن ضعف التخصص العلمي والطبي، وعدم توفير الأجهزة الطبية التي يستعملها الطبيب في تشخيص وعلاج المرض، لذا يفشل الطبيب في تحديد المرض الذي يعاني منه المريض.

ثانياً: المشاكل التي ترجع أسبابها إلى المرضى:

1 . عدم تقيد المرضى بنصائح أو إرشادات الأطباء، فالمريض في الغالب لا يتقيد بنصائح الطبيب ويتصرف بشكل يتناقض مع ما يريده الطبيب.

2 . شكاوى المرضى ضد الأطباء:

يعتمد المرضى هنا على تقديم الشكاوى ضد الأطباء، وتثار الشكاوى أمام الجهات المختصة وهذه الشكاوى تتعلق بتعالى الأطباء على المرضى وغرورهم وتكبرهم وخيانتهم للأمانة المعهودة لهم.

3 . تدني المستوى الثقافي للمرضى:

إن تدني المستوى الثقافي للمرضى كما يقول عدد من الأطباء يجعلهم يتصرفون تصرفاً يتعاكس مع تعاليم وأخلاق مهنة الطب، وكذلك ضيق تفكيرهم وكثرة الأخطاء والهفوات التي يقومون بها في المؤسسة الصحية.

4 . عدم اهتمام المرضى بنظافتهم ومظهرهم الخارجي:

يتمثل ذلك في عدم اهتمام المرضى بلبائقتهم ومظهرهم الخارجي، وعدم الاعتناء بنظافتهم، بالإضافة إلى رمي النفايات في المستشفى الذي يتواجدون فيه.

5 . سوء تصرف المرضى:

سوء تصرف المرضى داخل المؤسسة الصحية وخارجها ومن أهم أساليب سوء التصرف: (عدم الالتزام بالقوانين والتعليمات للمؤسسة الصحية و التصرفات السيئة وتلفظهم ببعض الكلمات التي تثير سخط الأطباء على المرضى).

6 . قلة أو عدم احترام المرضى للأطباء:

ويتمثل ذلك في خشونة المعاملة من قبل المرضى، وكذب بعض المرضى على الأطباء وعدم تقييم جهود الأطباء، الأمر الذي يجعل الأطباء ينفرون من المرضى. 7 . صعوبة تحديد معاني الكلمات التي يقولها المريض ومدى قدرة الطبيب على فهم ومعرفة ذلك.

8 . اختلاف الثقافة بين الطبيب والمريض، حيث نجد المريض يصف المرض من خلال ثقافته وأحكامه الاجتماعية التي تختلف عن وجهة نظر الطبيب⁽¹⁾.

وهنا يمكن الإشارة إلى أهمية عملية الاتصال بين الأطباء والمرضى التي تلعب دوراً فعالاً في العملية العلاجية، حيث تجعل المريض يشعر بالتحسن صحياً، لأن ذلك الاتصال السليم له تأثير وفاعلية على المريض ويجعله يقدم أفضل ما لديه من

(1) فيصل صالح السليمان، مرجع سابق، ص 67.

معلومات للطبيب، وهذا يساعد الطبيب على اتخاذ التشخيص المناسب وإيجاد العلاج الطبي الذي يسهم في سرعة شفاء المريض⁽¹⁾. ولكن مشكلة الاتصال بين الطبيب والمريض التي نراها في بعض المستشفيات المختلفة قد تعود أسبابها إلى ثقافة كل منهما فضلاً عن الطبقة الاجتماعية وكذلك مستوى التعليم بالإضافة إلى قلق المريض وعدم ارتياحه اتجاه الطبيب، لذلك وجب على الطبيب أن يكون ملماً إماماً كاملاً بالمريض كإنسان، وأن تكون لديه المهارة والتفاهم والحكمة؛ لأن ذلك يساعد في إثراء العلاقة بينهما ويجعلها إيجابية، وتعكس بذلك قدرتها على نجاح التأثير العلاجي ومدى سرعته في شفاء المرضى⁽²⁾.

كما أن المناقشة والحوار من أهم وسائل الاتصال ويتوقف ذلك على قدرة الطبيب على معرفة نوع المرض الذي يعاني منه المريض، وتعرفه على جميع تفاصيل حياة المريض من حيث مستواه العلمي، ومستواه الاقتصادي والحالة الاجتماعية ودرجة ثقافته؛ لأن في ذلك تحقيق قدرة إمكانية الطبيب في استعمال الجمل والكلمات المناسبة التي تساعده في كسب ثقة المريض، وهذا بدوره يساعد المريض في استيعاب الطبيب بشكل مباشر وتلقائي والانصياع لأوامره وتعليماته الطبية⁽³⁾.

ولأن الاتصال غالباً ما يتم بناء على حاجة المريض الجسمية والنفسية ورجبته واختياره سواء يخالف ذلك أو يوافق ذويه أو المحيطين به⁽⁴⁾ كما أن العلاقة بين الطبيب والمريض تعتمد بشكل كبير على نوعية التفاعل الاجتماعي الذي يحدث بينهما ولا يتم ذلك في إطار الاهتمام بالجوانب التكنولوجية للطب فقط، وإنما

(1) نادية عمر، العلاقات بين الأطباء والمرضى، مرجع سابق، ص 69.

(2) المرجع نفسه، ص 86-87.

(3) فيصل صالح السليمانى، مرجع سابق، ص 80.

(4) فوزية رمضان أيوب، مرجع سابق، ص 108.

بالتركيز على العلاقات الإنسانية التي تقوم بين الطبيب والمريض وكل ما تحويه هذه العلاقة من جوانب مختلفة لها علاقة بالطبيب والمريض⁽¹⁾.

والإتصال بين الطبيب والمريض يتم بوجود نوع من الروابط الشخصية وعلى التوازن في الواجبات والتزامات كل طرف اتجاه الطرف الآخر، ولا ينصب الاهتمام والتركيز على الطابع الرسمي فقط واستغلال الطبيب لمكانته العلمية والطبية وسلطته المرموقة⁽²⁾.

ونجد أن العلاقة الإنسانية بين الطبيب والمريض تحكمها عوامل كثيرة منها الجماعة المرجعية التي ينتمي إليها الطبيب والمريض والطبقة والديانة والجنس والأصل العرقي، ولهذه العوامل دوراً هاماً في نجاح أو فشل هذه العلاقة الإنسانية⁽³⁾ ومن بين هذه العوامل التي تؤثر في العلاقة بين الطبيب والمريض ما يلي:⁽⁴⁾.

1 . طبيعة ونوع المرض ومدى خطورة الحالة المرضية، مما يزيد هذا من اهتمام الطبيب بالمريض وتقديم الرعاية الصحية اللازمة له نتيجة مخاوف المريض من هذا المرض.

2 . تقييم قدرات الطبيب ومؤهلاته المهنية من قبل المريض وذلك من خلال التصورات والخبرات التي يستخدمها الطبيب في طرق علاجه، والتي تكون سبباً في تعاون المريض مع الطبيب أثناء فترة العلاج.

3 . اختلاف مفهوم المرض بين الطبيب والمريض على حسب وعي وثقافة كل منهما فالطبيب ينظر للمرض من منظور خبراته الطبية، بينما ينظر المريض

(¹) نادية عمر، العلاقات بين الأطباء والمرضى، مرجع سابق، ص85

(²) فيصل صالح السليمانى، مرجع سابق، ص69.

(³) نادية عمر، العلاقات بين الأطباء والمرضى، مرجع سابق، ص83.

(⁴) فوزية رمضان أيوب، مرجع سابق، ص108-113.

للمرض من منظوره الخاص أي يعتمد في وصفه للمرض على ما يشعر به من ألم ومدى حاجته للعلاج وعلى ميوله الثقافية والاجتماعية.

4 . اختلاف الأطباء والمرضى فيما بينهم ويتوقف اختلاف المريض عن المريض الآخر من خلال إدراكه للمرض ووضعه الاجتماعي وقيمه ومعتقداته بهذا الدور¹ .

5 . الاهتمام بأسلوب الاتصال بين الأطباء والمرضى بحيث يحاول الأطباء توصيل المعلومات إلى المرضى بطريقة سلسة مما يساعد ذلك المرضى على ضبط أنفسهم اتجاه المرض وإيجاد نوع من التوافق بين حالاتهم المرضية وبين جوانب حياتهم الشخصية، فوجود علاقة ودية وقوية بين الأطباء والمرضى تساعد على إعطاء الشيء الكثير بالنسبة للمريض بحيث تساعد في الشفاء واستيعاب نوع وحجم المرض الذي يعاني منه، ولكن بوجود علاقة متوترة بينهما يعتبر سبباً رئيساً في إصابة المرضى بأمراض نفسية واجتماعية متراكمة أكثر من مساهمتها في علاج المرضى⁽²⁾.

بحيث يحدث نوع من الصراع في دور الطبيب ودور المريض ويؤثر هذا على العلاقة القائمة بين الطرفين من خلال الضغوط التي يتعرض لها كل منهما مما يؤثر على إنجازهم لدورهم وبالتالي تؤدي إلى حدوث الصراع بين الأطباء والمرضى⁽³⁾.

ومما لا شك فيه أن الفجوة بين الطبيب والمريض تزيد في العلاقة الإنسانية بينهما إذا كان المريض جاهلاً بالعلوم الإنسانية والطبيعية، فالمريض الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة ولا يستطيع معرفة وفهم طبيعة عمل أعضائه الحيوية والجسمية

(¹) نادية عمر السيد، علم الاجتماع الطبي (المفهوم والمجالات) مرجع سابق، ص 93.

(²) سامي عبد الكريم الأزرق، مرجع سابق، ص 147.

(³) نادية عمر السيد، علم الاجتماع الطبي (المفهوم والمجالات) مرجع سابق، ص 125.

ولا يفهم ما يقوله الأطباء على الرغم من محاولة الأطباء تبسيط المعاني والمعلومات للمريض، ولكن بوجود هذه الفجوة تتسع وتزداد المشكلة الاجتماعية المتمثلة في عدم التوافق بين الأطباء والمرضى اجتماعياً وعلمياً وطبقياً وهذا يؤدي بطبيعة الحال إلى عدم حصول المرضى على العلاج الكامل⁽¹⁾. مما يسهم ذلك بوجود نوع من الصراع داخل دور كل من الطبيب والمريض وهذا الصراع يؤثر سلباً على العلاقة القائمة بينهما والتي مفادها الأساسي إيجاد العلاج وتشخيص المرض والقضاء عليه والتقليل من أثاره السيئة.

. جوانب الصراع في دور الطبيب

إذا نظرنا إلى دور الطبيب لوجدنا أن الطبيب شأنه شأن أي شخص آخر يتعرض في أدائه لدوره لصراع الأدوار، سواء بالنسبة لأدواره الخاصة كدوره الطبي أو كدوره الأسري، وربما تكون له أدوار مختلفة في المؤسسات الاجتماعية أو الهيئات المختلفة، أو بالنسبة لأدواره مع أدوار أفراد آخرين، ولكن الطبيب دون غيره من العاملين في مجال النسق الطبي قد يتعرض للعديد من التحديات والصعوبات والصراعات المختلفة بينه وبين زملائه في العمل، أو مع المرضى أو المستشفى كمنسق علاجي⁽²⁾.

ويشير مفهوم صراع الدور Role conflict بوجه عام إلى التناقض الذي يحدث في الأدوار التي يقوم بها الشخص، ويحدث هذا التناقض على مستويين:

المستوى الأول:

الصراع الذي يحدث داخل نطاق الأدوار التي يقوم بها الفرد.

(1) زهير الأعرجي، النظام الصحي والسياسة الطبية في الإسلام، بحث في علم الاجتماع الإسلامي ونقد النظرية الاجتماعية الغربية، 1413 هـ، ص45.

(2) فوزية رمضان أيوب، مرجع سابق، ص101.

أما المستوى الثاني:

فهو صراع الدور الذي يقوم به الفرد والأدوار التي يؤديها الآخرون، ويعد دور الطبيب من أكثر الأدوار الاجتماعية عرضة للصراع، حتى أصبح هذا الصراع جزءاً من مكونات الدور، فالطبيب يواجه أنماطاً من الصراع سواء كانت هذه الأنماط داخل الدور نفسه، أم كانت صراعاً بين دور الطبيب والأدوار الاجتماعية الأخرى ذات الصلة به، ويتضح ذلك في الآتي: (1).

1 . الصراع الناجم عن ضعف الموارد المادية:

حيث يواجه الطبيب صعوبة في أداء الدور نتيجة ضعف الإمكانيات والأجهزة والوسائل المتاحة لرعاية المرضى من أجل إشباع حاجاتهم جميعاً بطريقة متساوية وفعالة (2)، كما تحاول المستشفيات بقدر الإمكان مساعدة المرضى في حدود القواعد والإجراءات المحددة لها أن تضمن لكل مريض حقه في العلاج المناسب له وتوفير التكنولوجيا الملائمة التي يستطيع بها الطبيب شفاء المريض (3). ونتيجة ذلك يحاول الطبيب توزيع بعض المصادر النادرة كوقته ومهارته والمواد المستخدمة في الكشف والتجهيزات الطبية المتوفرة في المستشفى والمرفق الصحي (4).

2 . الصراع الذي يجب على الطبيب أن يحسمه بين مصالح أي مريض فرد ومصالح المرضى كمجموعة، وفي حالة المريض الذي يشرف على الموت (5). وهنا يصادف الطبيب ضغوطاً كبيرة حينما يحاول التوفيق بين اهتمامات المريض

(1) حسنى إبراهيم عبد العظيم، محاضرات في علم الاجتماع الطبي، مرجع سابق، ص116-117.

(2) فوزية رمضان أيوب، مرجع سابق، ص102.

(3) علي عبد الرازق جليبي، حسن محمد حسن، علم الاجتماع الطبي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 2000م ص 208.

(4) نادية عمر السيد، العلاقات بين المرضى والأطباء، مرجع سابق، ص135.

(5) المرجع نفسه، ص266.

الفردية وبين اهتمامات المرضى كجماعة، لأن الطبيب لا يعالج ولا يشرف على علاج مريض واحد وإنما يقوم بعلاج عدد من المرضى، وكعملية تنظيمية يخضع الطبيب في علاجه لروتين خاص يساعده على تنظيم عمله وتوزيع وقته وجهده على عدد لا بأس به من المرضى من أجل علاجهم جميعاً⁽¹⁾.

3 . الصراع بين واجب الطبيب ودوره المعروف والمتوقع وهو مساعدة ومعالجة المريض وبين واجباته وأخلاقيات مهنته كعامل أو موظف يتبع جهة رسمية أخرى⁽²⁾
 (فعلى عاتق الأطباء تقع مسؤوليات معينة مستمدة من أعمال وتصرفات محددة من ناحية المهنة، فطبيب الأمراض العقلية لديه السلطة في أن يحكم على شخص معين بأنه مجنون أو ليس سليماً تماماً من الناحية العقلية، ويدلي بشهادته في المحكمة على ذلك، ويظهر الصراع عندما تطرح الأسئلة التالية، متى يكسر الطبيب حاجز الثقة بينه وبين مريضه ويبلغ عنه الشرطة؟؛ ومتى يستطيع ألا يعطي مدعي المرض *malingerer* شهادة طبية؟؛ وأي المصالح ينبغي الاهتمام بها أولاً مصلحة المريض أو مصلحة الدولة، فكل هذه الأسئلة تجسد أنماطاً لصراع في هذا الموقف.⁽³⁾

4 . الصراع بين الأجيال:

هو ذلك الصراع بين الجيل الجديد، والجيل القديم من الأطباء، فقد يحدث الصراع عندما تتأثر العلاقة بينهما بسبب عدم التفاهم مما يعيق بالتأكيد عملية العلاج، وتكون طبيعة العلاقة بين الأطباء القدماء والأطباء الشباب علاقة مهنة وعلاقة مؤقتة في أغلب الأحيان، حيث يشعر الطبيب الجديد بأنه أقل درجة وأقل خبرة طبية

(¹) فوزية رمضان أيوب، مرجع سابق، ص101.

(²) الوحيشي بيري وعبد السلام بشير الدويبي، مرجع سابق، ص133.

(³) حسنى إبراهيم عبد العظيم، محاضرات في علم الاجتماع الطبي، مرجع سابق، ص115-116.

من الطبيب القديم⁽¹⁾ بحيث تميل الأجيال القديمة من الأطباء بطبعها إلى المحافظة والاستقرار، وإتباع الأساليب والإجراءات التي نشأت عليها منذ بداية عملها، في حين يميل الأطباء الجدد من الشباب إلى التجديد والتغيير، ويبدو أن ذلك لا ينفى وجود قدر من الخبرات المتراكمة لأطباء الجيل القديم⁽²⁾، بالإضافة إلى مقدار المكافأة المادية في الطب بصفة عامة بحيث لا يعمل على تشجيع الأطباء الجدد الذين تدفعهم الرغبة في النجاح والتقدم والتقليل أيضاً من اهتمامهم بالرعاية الطبية، لذلك على الأطباء الشباب أن يدركوا أن الوظيفة والمهمة الأساسية للطبيب هي معالجة ومعاينة المرضى فتوجب عليهم إذاً أن يتعلموا كيف يكونوا أطباء قبل أن يتمكنوا من معالجة الناس⁽³⁾.

5 . الصراع الذي يواجه الطبيب ويتمثل في اهتمام الطبيب بمصالح المريض في مقابل اهتمامه بأسرة المريض أو أقاربه، لأن في بعض المواقف أو حالات المرض يجد المريض نفسه في تعارض ما بين مصالحه ومصالح أسرته، وفي الوقت ذاته يجد الطبيب المشرف على علاج المريض في صراع بين ما يجب أن يفعله في دوره كطبيب وبين ما أن تكون مصلحة المريض فوق كل اعتبار وبين ما تمليه عليه اعتبارات إنسانية أخرى، في أن يعمل على تحقيق مصلحة أسرة المريض⁽⁴⁾

6 . الصراع بين دور الشخص كطبيب، وأدواره الاجتماعية الأخرى وهذا الصراع قد ينشأ في أي دور مهني، وربما في أي دور على الإطلاق، وهو الصراع بين هذا الدور النوعي المتميز وبقية الأدوار التي قد يمارسها الشخص في حياته اليومية⁽⁵⁾

(1) سامي عبد الكريم الأزرق، مرجع سابق، ص156-157.

(2) حسنى إبراهيم عبد العظيم، محاضرات في علم الاجتماع الطبي، مرجع سابق، ص116.

(3) محمد علي محمد وآخرون، مرجع سابق، ص275-276.

(4) فوزية رمضان أيوب، مرجع سابق، ص106.

(5) المرجع نفسه، ص277.

(مثل دوره كأب أو زوج أو صديق، وتزداد حدة الصراع عندما يطغى دوره كطبيب على أدواره الاجتماعية الأخرى، وذلك لأن ظروف المرض والموت لا تأخذ في اعتبارها إجازات نهاية الأسبوع أو العطلات الرسمية، وغالباً ما يتم استدعاء الطبيب في أي وقت وخاصة في ظروف الطوارئ⁽¹⁾).

7 . الصراع الناجم عن ضعف العائد المادي للطبيب:

يعد الدخل الذي يحصل عليه الطبيب رمزاً هاماً لنجاحه، ينتاب الأطباء القلق في الوقت الراهن جراء تدني مستوى الدخل الذي يحصلون عليه رسمياً، وهذا ما يدفعهم إلى البحث عن الوسائل الأخرى لزيادة هذا الدخل ويؤدي ذلك إلى تأثر دور الطبيب بالعامل الاقتصادي الذي يضر بأداء الدور كما يجب⁽²⁾ مما يؤدي ذلك إلى تضاعف حدة الصراع بين المريض والحياة العملية المهنية للطبيب لأن مقدار أو العائد المادي بالنسبة للطبيب لا يساعد الأطباء وخاصة الأطباء الشباب في أداء دورهم على أكمل وجه. لأن المكافأة المالية التي كان يتوقع الطبيب أن يحصل عليه في مجال عمله غير متوقع مما ساهم ذلك في تفجير الصراع الذي ضرب بمصالح الطبيب ومصالح المريض على السواء⁽³⁾.

8 . الصراع بين الطبيب والمريض:

يحدث هذا الصراع نتيجة الاختلاف بين الطبيب والمريض في العلم والثقافة والخبرة وذلك عندما يحاول المريض تشخيص حالته بنفسه دون اللجوء إلى الطبيب لمساعدته في علاج وتشخيص الحالة المرضية لديه، فضلاً عن ذلك عندما يبدأ المريض في توجيه النقد للطبيب في قدرته وكفاءته الطبية ويرجع الاختلاف بين الطبيب والمريض فيما يتعلق بالتشخيص إلى اختلاف الرؤية الطبية لكل منهما

(1) حسنى إبراهيم عبد العظيم، محاضرات في علم الاجتماع الطبي، مرجع سابق، ص116.

(2) حسنى إبراهيم عبد العظيم، محاضرات في علم الاجتماع الطبي، مرجع سابق، ص116-117.

(3) محمد علي محمد وآخرون، مرجع سابق، ص275-276.

بالإضافة إلى الاختلاف الكبير في الخبرة الشخصية لكل من المريض والطبيب¹).

كما أن الاختلافات الثقافية بينهما قد تكون أحد الأسباب الرئيسية لحدوث نوع من التوتر في العلاقة القائمة بين الطبيب والمريض، فعندما يكون الطبيب من بيئة تختلف عن بيئة المريض وعلى ثقافة مختلفة عن ثقافة المريض فهذا يعتبر سبباً وجيهاً في عدم تشخيص المرض وعلاجه بشكل سريع بحيث تكون رموز التحوار بين الأطباء والمرضى غير واضحة وناقصة مما يمكن اعتبارها نقطة أساسية في مشكلة عدم تفهم الأطباء للمرضى ولكي تكون العملية العلاجية والتشخيص سليم لا بد من أن تكون البيئة الثقافية لكل من المريض والطبيب واحدة حتى نتحصل على نتائج مميزة وسليمة⁽²⁾.

كما أن اللغة تلعب دوراً كبيراً في حدوث التوتر في العلاقة بين الطبيب والمريض فمثلاً عندما يكون الطبيب أجنبياً والمريض عربياً حيث تختلف لغة كل منهما عن الآخر، يؤدي هذا بدوره إلى صعوبة في التفاهم وتوطيد العلاقة بينهما وهذا يعتبر عائقاً في عملية العلاج والكشف والاستشارة الطبية⁽³⁾.

كما تبدو الاستشارة الطبية أحد العوامل التي تؤدي إلى حدوث الصراع بين الطبيب والمريض، وذلك عندما تكون الاستشارة غير قادرة على تحقيق التعاون بين الطبيب والمريض، وحيث تكون عاجزة عن القيام بوظيفتها، بسبب سلبية الطبيب اتجاه مرضاه وعندما يكون الوقت المخصص للاستشارة قليلاً، بحيث لا يستطيع الطبيب الحصول على كافة المعلومات التي قد تفيده في تشخيص وعلاج المريض⁽⁴⁾.

(1) طارق السيد، مرجع سابق، ص142.

(2) سامي عبد الكريم الأزرق، مرجع سابق، ص150.

(3) فيصل صالح السلیماني، مرجع سابق، ص216.

(4) علي عبد الرازق حليبي، مرجع سابق، ص207.

كما أن عدم قدرة وإمكانية الطبيب على توجيه الأسئلة الضرورية والكافية للمريض أهم أسباب حدوث التوتر بينهما بحيث تكون بعض الأسئلة التي يوجهها الطبيب للمريض بعيدة كل البعد عن أسباب شكوى ومعاناة المريض، وهذا يقود الطبيب للوقوع في الخطأ بسبب نقص أو قلة المعلومات التي يحصل عليها الطبيب من مريضه (1).

9 . الصراع بين الطبيب والمرضة:

ثمة علاقة واضحة بين الطبيب وهيئة التمريض، واتصالاً مستمراً بينهما، ويتجه الاتصال أساساً من الأطباء إلى هيئة التمريض، وخاصة في حالات العناية المركزة، والجراحة، ويرى الأطباء في الممرضات (مستقبلات) لتعليماتهم وواجبهن الطاعة والتنفيذ بكل دقة وعناية، وهذا الواجب يشرك الممرضات في مسؤولية علاج المرضى، فإذا كانت مسؤولية العلاج مشتركة بين الأطباء وهيئة التمريض فإن أي خطأ في العلاج يعرض الممرضات للمساءلة والعقاب، فالطبيب يتوقع من الممرضة أن تعترف بمسئوليته الكاملة عن خطأ هو في الواقع خطأ مشترك بينهما، والاحتكاك بين الطبيب والمرضة مليء بما يسميه البعض (لعبة الطبيب والمرضة) والمقصود بذلك نوع من التعامل بينهما تستخدم فيه بعض التعبيرات والإشارات بينهما لا يفهمها الآخرون، وعن طريق هذه اللعبة تستطيع الممرضة أن توحى للطبيب بملاحظاتها حول ما وصفه من علاج واقتراحات لتعديل شيء ما في خطة العلاج وتعد ملاحظات الممرضة هامة للغاية لأنهن أكثر تواجد مع المرضى من الأطباء، ولذلك فمن الضروري أن تنقل الممرضات ملاحظتهن للأطباء، ومن الضروري أيضاً أن يستمع الأطباء لهن، غير أنه وفقاً لأصول اللعبة، فعلى الممرضة أن تتظاهر بأنها لا تتدخل على الإطلاق في عملية التشخيص، وأنها

(1) نادية عمر، علم الاجتماع الطبي (المفهوم والمجالات) مرجع سابق، ص120.

غير قادرة على الإدلاء بأية توصية، ومن مظاهر هذه اللعبة أيضاً ذلك الصراع الخفي بين الممرضة والطبيب، ورغبة الطبيب في السيطرة على الممرضة وتحجيم دورها، وممارسة سلطته عليها، وهو ما قد ينعكس سلباً على أداء الممرضة التي ترى أن الطبيب يعاملها باستعلاء، ورغم كل ذلك فإن دور الممرضة يعد دوراً حيوياً يغلب عليه التساند مع الأدوار الأخرى، بل أن نجاح الممرضة في الاطلاع بدورها مرهون بإدراكها لأهمية دورها وضرورته (1).

10 . الصراع بين دور الطبيب ومعتقداته الدينية:

بحيث يواجه الطبيب صراعاً بين دوره كطبيب وبين ما يؤمن به من معتقدات وعقائد وقيم دينية، فمثلاً ما يحصل مع الطبيب عندما يقدم استشارات طبية لمجموعة من النساء المتزوجات بإمكانية استخدام وسائل منع الحمل أو إجراء عملية إجهاض لغرض التخلص من الجنين التي تكون ضد مبادئه الدينية وضد المعتقدات الدينية التي يؤمن بها، وهذا يؤدي إلى صراع في دوره ما يؤثر سلباً على عملية الطبيب (2).

11 . الصراع بين الطبيب والأخصائيين:

إن توتر العلاقة بين الأطباء وبين أعضاء المهن الطبية المعاونة يحدث عندما يحاول أصحاب المهن المعاونة تأكيد وجودهم وإثبات مكانتهم من خلال التزايد المستمر في خبراتهم وثقافتهم ومهاراتهم الخاصة في كيفية استخدام الوسائل والأجهزة الحديثة داخل المستشفى، وهذا بدوره يؤدي إلى نوع من الصراع بينهم وبين الأطباء، لأن الأطباء في هذه الحالة يشعرون بأن هناك من يهدد مكانتهم المتفوقة والمسيطرة على مواقف الطب والعلاج ، فالأطباء لا يرغبون في أن يشاركهم أحد

(1) فوزية رمضان أيوب، مرجع سابق، ص127-128.

(2) الوحيشي بيري وعبد السلام بشير الدويبي، مرجع سابق، ص133.

في المجال الطبي بالرغم من أنهم يعترفون بأهمية وجود هؤلاء المعاونين ويعترفون بقدراتهم ومدى استفادة المرضى من هذه القدرات والخبرات في العلاج⁽¹⁾.

12 . الصراع بين الطبيب وبين إمكانيات المستشفى المادية:

ويحدث مثل هذا الصراع عندما تمنع إدارة المستشفى الطبيب من الاستمرار في محاولة علاج بعض المرضى، وذلك بسبب الارتفاع الكبير في تكاليف العلاج وتشخيص بعض الأمراض التي تحتاج إلى أجهزة تكنولوجية طبية متقدمة باهظة الثمن بالإضافة إلى المرضى الذين يحتاجون خدمات طبية مكثفة، نظراً لإمكانيات المستشفى المحدودة التي لا تسمح بعلاج جميع الحالات التي تفد إليها للعلاج⁽²⁾.

تلك أهم جوانب الصراع في دور الطبيب في نسق الخدمة الصحية، ويتمثل نجاح الطبيب في أداء الدور في مدى قدرته على التغلب على هذه الأنماط من الصراع.

ويلخص مما سبق إلى أهمية دور الطبيب في المجتمع المعاصر، ويتضح أهمية التكامل بين الجانبين الطبي والاجتماعي لهذا الدور، وتزداد أهمية دور الطبيب عندما يسهم في إحداث التغيير الاجتماعي في مجتمعه، في ظل ما يتمتع به الطبيب من مكانة اجتماعية عالية وما اتضح لنا أن الطبيب يواجه مجموعة من أنماط الصراع في أثناء أداء دوره، وهذا الصراع أحد سمات دور الطبيب في حياته المعاصرة⁽³⁾.

(1) فوزية رمضان أيوب، مرجع سابق، ص124-125.

(2) فوزية رمضان أيوب، مرجع سابق، ص151.

(3) حسنى إبراهيم عبد العظيم، محاضرات في علم الاجتماع الطبي، مرجع سابق، ص117.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- الوحيشي بيري وعبدالسلام بشير الدويبي، مقدمة في علم الاجتماع الطبي، منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية، دار المكتب الوطنية، بنغازي.
- 2- محمد الجوهري وآخرون، علم الاجتماع الطبي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 2009م.
- 3- محمد علي محمد وآخرون، دراسات في علم الاجتماع الطبي، دار المعرفة الجامعية 2011 م.
- 4- سامي عبد الكريم الأزرق، العلاقات الاجتماعية بين الأطباء والمرضى، دار الشجرة للنشر والتوزيع، ط1، 2008 م.
- 5- نادية عمر، العلاقات بين الأطباء والمرضى، دراسة في علم الاجتماع الطبي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993.
- 6- عثمان علي إيمين، المرجع في علم النفس الاجتماعي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2007 م.
- 7- نادية محمد السيد عمر، علم الاجتماع الطبي (المفهوم والمجالات)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1996
- 8- حسني إبراهيم عبد العظيم، دور الطبيب في المجتمع الريفي، رسالة ماجستير، كلية الآداب القاهرة، فرع بني سويف، 1995م .
- 9- فيصل صالح السليمانى، التعددية الثقافية والعلاقة بين الطبيب والمريض، رسالة ماجستير، كلية الآداب القاهرة، 1998 م
- 10- زهير أحمد السباعي ومحمد علي البار، الطبيب أدبه وفقهه، دار القلم دمشق، ط5، 2011 م
- 11- حسني إبراهيم عبد العظيم، محاضرات في علم الاجتماع الطبي، كلية الآداب، بني سويف، جامعة القاهرة 2001 م

- 12- عبد المجيد الشاعر وآخرون ، علم الاجتماع الطبي، دار البازوري العلمية للنشر والتوزيع 2000 م
- 13- فوزية رمضان أيوب، دراسات في علم الاجتماع الطبي، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة 1985 م
- 14- قدرى الشيخ علي وآخرون، علم الاجتماع الطبي، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، 2008 م
- 15- طارق السيد، أساسيات في علم الاجتماع الطبي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2008 م،
- 16- إحسان محمد الحسن، علم الاجتماع الطبي، دراسة تحليلية في طب المجتمع، دار وائل للنشر، عمان 2008م
- 17- زهير الأعرجي، النظام الصحي والسياسة الطبية في الإسلام، بحوث في علم الاجتماع الإسلامي ونقد النظرية الاجتماعية الغربية، 1413 هـ
- 18- علي عبد الرازق جليبي، حسن محمد حسن، علم الاجتماع الطبي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 2000م.

كشف العلة بالتفرد عند الإمام أبي حاتم الرازي

إعداد: د. فارس عبد الحميد الفطيسي*

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله، أما بعد:

فإن دراسة منهج الأئمة النقاد من الميادين الخصبة والغنية في علوم الحديث، والتي تحتاج إلى دراسات معمّقة حتى تعود بالنفع الكبير، فإن لهؤلاء العلماء الفضل الكبير في تدوين أصول هذا العلم، وتقعيد قواعده، وتقريع جزئياته بعد ضبط كلياته، ولذا فإن جمع أقوالهم، والتأليف بينها، وإدراك مواطن تباينها واتفاقها، ومحل الخلاف فيها، ومن بعد ذلك التوصل إلى ما هو الراجح، وما هو المعمول به، ومقارنته مع التطبيق العملي له؛ هذا وحده مجال رحب جداً يحتاج إلى صبر كبير، وجهد كثير.

ومهما يكن من شيء فإن الحافظ أبا حاتم الرازي كشف في أحكامه الحديثية عن قضية مهمة جداً ألا وهي قضية (التضعيف بالتفرد)، وهذه القضية من القضايا الجوهرية في علوم الحديث ومباحثه، فهي داخلة في التصحيح والتضعيف دخولا بيتاً، فالتفرد له صلة قوية بعلم العلل فهو كاشف لكثير من علل الحديث، ولذا ترى مسألة التفرد تتصل بشكل وثيق بعدد من أهم أنواع علوم الحديث ك(الحديث الغريب)، (الشذوذ)، و(النكارة)، و(زيادة الثقة)، والتي يحكم الترابط بينها تفرد الراوي إما بأصل الحديث، أو بجزء منه.

* أستاذ الحديث وعلومه بكلية العلوم الشرعية - جامعة طرابلس.

فهذا البحث يشارك مشاركة متواضعة في بيان كشف العلة بالتفرد عند أحد نقاد الحديث ألا هو الحافظ أبو حاتم الرازي، وذلك من خلال صناعته الحديثية، وتطبيقاته العملية التي توضح طريقة استخلاص المنهجية التي يستند إليها النقاد في إعلال رواية المتفرد أو قبوله.

-هيكلية البحث:

قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين على النحو التالي:

التمهيد تضمن ترجمة موجزة للإمام أبي حاتم الرازي.

والمبحث الأول: التفرد وأسبابه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التفرد لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أسباب التفرد.

والمبحث الثاني: وسائل الترجيح والكشف بالتفرد عند أبي حاتم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: وسائل ترجيح قبول التفرد أو رده.

المطلب الثاني: كشف العلة بالتفرد عند الحافظ أبي حاتم الرازي.

خاتمة: ذكرت فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

ذيلت البحث بفهرس للمصادر والمراجع.

تمهيد

تَرْجَمَةٌ مَوْجِزَةٌ لِأَبِي حَاتِمِ الرَّازِيِّ

اسْمُهُ، وَوَلَادَتُهُ، وَطَلَبُهُ:

هو محمد بن إدريس بن المُنْذِرِ بن داود بن مَهْرَانَ، الحَنْظَلِيُّ الرَّازِي.

وُلِدَ هذا الإمام في سَنَةِ حَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَمِئَةً، وَبَدَأَ في كِتَابَةِ الْحَدِيثِ وهو ابنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً؛ وَرَحَلَ رَحْلَتَيْنِ الْأُولَى وهو ابنُ ثَمَانَ عَشْرَةَ سَنَةً؛ وَمَضَى في رَحَلَتِهِ هَذِهِ أَكْثَرَ من سبع سنين، وَرَحَلَ رَحْلَةً ثَانِيَةً في سنة اثنتيْنِ وَأَرْبَعِينَ. وَلاَقَى الشَّدَائِدَ في

رحلته، بل إنه أحصى ما مشى على قَدَمَيْهِ في أول رحلة، فوجد أنه بَلَغَ ما يَقْرُبُ من مسيرة أربعة أشهر سَيْرَ الْجَادِّ، ثم ترك العَدَّ.

شُبُوخُهُ: ومن هؤلاء الشيخ: عمرو بن عليّ الفلاس، وقُتَيْبَةُ ابن سَعِيد، ومحمد بن بَشَّار بُنْدَار، ويحيى بن مَعِين، ويونس بن عبد الأعلى، وأحمد بن حنبل، وأدَمُ بنُ أبي إياس، والرَّبِيعُ بن سُلَيْمان المُرادي، وسَعِيدُ بن أبي مَرِيَم، وعبد الله بن صالح، وعبد المَلِكِ بنُ فُرَيْبٍ وغيرهم كثير.

تَلَامِيذُهُ: حدّث عنه خَلْقٌ كثيرٌ منهم: أبو داود السجستاني، وأبو زُرْعَةَ الدِمَشْقِيّ، وعبد الرحمن بن أبي حاتم ابنه، والنَّسَائِيّ، وابن صاعد، وإبراهيم الحَرَبِيّ، وابن ماجه، وأبو بكر بن أبي الدُّنْيَا وغيرهم كثير.

تَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ: قال أحمدُ بن سَلْمَةَ النُّيسَابُورِيّ: ما رأيتُ بعد إسحاق ومحمد بن يحيى أحفظَ للحديث من أبي حاتم الرازي، ولا أعلمَ بمعانيه.

قال يونس بن عبد الأعلى: أبو زُرْعَةَ وأبو حاتم إماما خراسان. ودعا لهما، وقال: بقاؤهما صلاح للمسلمين.

قال عنه الذهبي: الإمامُ الحافظُ الناقد، شيخُ المحدثين، كان من بحور العلم، طَوَّفَ البلادَ، وبرَعَ في المَنَنِ والإسناد، وجمَعَ وصنَّفَ، وجَرَحَ وعدَّلَ، وصَحَّحَ وعلَّلَ.

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سمعتُ موسى بن إسحاق القاضي يقول: ما رأيتُ أحفظَ من والدك.

وَفَاتُهُ: مات الحافظُ أبو حاتم في شَعْبَانَ سنة سَبْعٍ وسبعين ومئتين، وقيل: عاش ثلاثًا وثمانين سنة.⁽¹⁾

(1) ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (375-349/1)، (204/7)، وتاريخ بغداد للخطيب (73/2-77)، وتهذيب الكمال للمزي (381-390)، سير أعلام النبلاء للذهبي (263-247/13) وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (211-207/2).

المبحث الأول: التفرد وأسبابه.

المطلب الأول: التفرد لغة واصطلاحاً

1- التفرد لغة:

"الفاء والراء والذال أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على وُحدة، من ذلك الفَرْد وهو الوتر، والفارد "والفَرْد: الثَّور المنفرد. وظبيَّةُ فاردٌ: انقطعت عن القطيع، وكذلك السِّدرة الفارْدَةُ، انفردتْ عن سائر السِّدر".⁽¹⁾

"الفَرْدُ ما كانَ وحده يقال: فَرَدَ يَفْرُدُ وانفَرَدَ انفراداً، وأفْرَدْتُهُ: جَعَلْتُهُ واحداً".⁽²⁾

"وتفردت بكذا واستفردته: إذا انفردت به".⁽³⁾

" وَفَرَدَ بِالْأَمْرِ مِثْلَثَّةَ الرَّاءِ وَأَفْرَدَ وَأَنْفَرَدَ وَأَسْتَفْرَدَ: تَفَرَّدَ بِهِ، وَجَاؤُوا فُرَاداً وَفُرَاداً وَفُرَادَى وَفُرَادَ وَفَرَادَ وَفَرَدَى كَسَكْرَى أَي: واحداً بعدَ واحدٍ".⁽⁴⁾

"الفَرْدُ: الوتر وهو الواحد والجمع أَفْرَادٌ... وَأَنْفَرَدَ الرَّجُلُ بِنَفْسِهِ، وَتَفَرَّدَ بِالْمَالِ، وَأَفْرَدْتُهُ بِهِ، وَأَفْرَدْتُ إِلَيْهِ رَسُولاً".⁽⁵⁾

2- التفرد اصطلاحاً:

عرفه الميانشي⁽¹⁾ بقوله: "ما انفرد بروايته بعض الثقات عن شيخه، دون سائر الرواة

عن ذلك الشيخ".⁽²⁾

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (500/4)، مادة (فرد).

(2) كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (24/8) مادة (فرد).

(3) الصحاح للجوهري (81/3) مادة (فرد).

(4) القاموس المحيط للفيروز آبادي ص (305) مادة (فرد).

(5) المصباح المنير للفيومي ص (242) مادة (فرد).

إنّ الميانشي حصر التفرد في حديث الثقة فقط، بينما التفرد يشمل الثقة ومن هو أقل منه، وكذلك أهمل التفرد النسبي، والتفرد إما أن يكون مطلقاً وإما أن يكون نسبياً⁽³⁾، ربما الذي دفع الميانشي لحصر التفرد في حديث الثقة كون رواية الضعيف لا يعتد بها أصلاً إن لم تجد ما تعضدها، بل ربما هذا الراوي الضعيف روايته لا تقبل التقوية والانجبار، ولكنّ المحدثين لم يفرقوا هذه التفرقة عند إطلاقهم للفظلة التفرد بل هي تشمل حديث الثقة والضعيف كما سيأتي بيانه، ولذا فالذهبي⁽⁴⁾ كان أدق إذ قال: "والتفردُ يكونُ لما انفردَ به الراوي إسناداً أو متناً، ويكونُ لما تفردَ به عن شيخٍ معيّن".⁽⁵⁾

فهذا التعريف شمل تفرد الثقة ومن دونه، وذكر فيه التفرد المطلق والنسبي. ومما يجب أن يعلم في هذا المقام أن مطلق التفرد لا يعدّ علة بل التفرد مظنة لوجود العلة، وهي سبيل للكشف عن موطن الوهم والخطأ، وقد يقبل التفرد في الرواية بعد النظر في موطن التفرد، ومكانة المتفرد، وطبقة التفرد وقد يكون التفرد سبيلاً للكشف عن العلة بعد النظر في الأمور السابقة وغيرها فيردّ، فليس لقبول التفرد أو ردّه قانون أو ضابط، بل القبول والردّ مرجعهما إلى القرائن المحتفة بالتفرد

(1) أبو حفص عمر بن عبد المجيد الميانشي، من أهل الحديث، توفي سنة 581 هـ من تأليفه "كراس" في علم الحديث سماه (مالا يسع المحدث جهله) و(تعليقات على الفردوس). ينظر: العبر في أخبار من عبّر للذهبي (255/2)، والأعلام للزركلي (53/5).

(2) ما لا يسع المحدث جهله للميانشي ص (29).

(3) ينظر: نزهة النظر لابن حجر ص (70 و79 و80).

(4) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الذهبي، من كبار المحدثين والمؤرخين في عصره، ولد سنة (673هـ)،

وتوفي سنة (748هـ)، من كتبه: "سير أعلام النبلاء"، و"تذكرة الحفاظ"، و"تاريخ الإسلام". ينظر: الدرر

الكامنة لابن حجر (66-68).

(5) الموقظة ص (7).

فتارة تقود لقبول التفرد وتارة للردّ، قال الحافظ ابن رجب⁽¹⁾: "أما أكثر الحفاظ المتقدمين فإنهم يقولون في الحديث إذا انفرد به واحد وإن لم يرو الثقات خلفه أنه (لا يتابع عليه)، ويجعلون ذلك علة فيه، اللهم إلا أن يكون ممن كثر حفظه، واشتهرت عدالته، وحديثه كالزهري ونحوه، وربما يستتكرون بعض تفردات الثقات الكبار أيضاً، ولهم في كل حديث نقد خاص، وليس عندهم لذلك ضابط يضبطه".⁽²⁾

المطلب الثاني: أسباب التفرد

لا شك أنّ مما يساعد على الحكم على التفرد معرفة سببه ومنشئه، فمعرفة سبب التفرد هي أولى خطوات الحكم على التفرد، فالنقاد يدرسون ملابسات كلّ تفرد على حدة، وهذه الدراسة منهم قائمة على ساق الملكة النقدية التي تنتظر بنظرة هي غاية في العمق والغموض، لكن لا تخلو تلك النظرة من مقدمات وممهّدات، فالتفرد له أسباب ومسببات هي أحد تلك المقدمات لتلك النظرة الناقدة إلى التفرد، وأهم أسباب التفرد هي:

السبب الأول - عدم شهرة المروي عنه:

إن شهرة الراوي بالرواية تجعل منه مقصدا لطلاب الحديث وقصّاده، فإذا قلّت روايته قلّ القصد إليه والتحمل عنه؛ فلذا قد ينفرد بعض الرواة عنه ببعض القليل الذي يرويه بل قد ينفرد أحد الرواة بحديث أو أكثر من ذلك القليل.

(1) أبو الفرج عبد الرّحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، محدث فقيه، ولد سنة (736هـ)، وتوفي سنة (795هـ)، من كتبه: (شرح علل الترمذي)، و(جامع العلوم والحكم)، و(فتح الباري في شرح صحيح البخاري). ينظر: المقصد الأرشد لبرهان الدين ابن مفلح (81/2 و82).

(2) شرح علل الترمذي (582/2).

قال الحاكم⁽¹⁾: "تفرد الزهري عن نيف وعشرين رجلا من التابعين لم يرو عنهم غيره وذكرهم في هذا الموضوع يكثر".⁽²⁾

السؤال هنا: كيف استطاع الزهري أن ينفرد بالرواية عن أكثر من عشرين راويا في عصر تضرب فيه أكباد الإبل لأجل علو السند!!!

قد لا يقبل المدافعة قولي بأن كثيرا من هؤلاء قد كانوا مغمورين في باب الرواية والأداء فقلّ عنهم المتحمّلون بل صار الراوي عنهم واحدا هو الإمام الزهري، وإن نظرت إلى همة أولئك الرجال في ذلك الوقت لكان ليس من جزاف القول أن أقول إن أكثر هؤلاء من غير المشاهير في باب الرواية.

مثال هذا السبب:

ما رواه أهل السنن من طريق حمّاد بن سلمة عن أبي العُشراء عن أبيه أنّه قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا تَكُونُ الذَّكَاءُ إِلَّا مِنَ اللَّبَّةِ⁽³⁾ أَوِ الْخَلْقِ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَوْ طَعَنْتَ فِي فَخِذِهَا لِأَجْزَأَ عَنكَ)).⁽⁴⁾

قال الترمذي⁽¹⁾: "هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة، ولا نعرف لأبي العُشراء عن أبيه غير هذا الحديث واختلفوا في اسم أبي العُشراء".⁽²⁾

(1) أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن حمدويه المعروف بابن البيّج، من أئمة الحديث، ولد سنة 321هـ وتوفي سنة 405هـ، له تصانيف منها: (المستدرک)، (معرفة علوم الحديث). ينظر: تاريخ بغداد للخطيب (473/5)، سير أعلام النبلاء للذهبي (177-163/17).

(2) معرفة علوم الحديث للحاكم ص(229).

(3) هي البومة التي فوق الصدر وفيها تنحر الإبل. ينظر: النهاية في غريب الحديث للجزري (223/4).

(4) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الضحايا، باب ما جاء في ذبيحة المتردية واللفظ له، (62/3)، رقم (2827)، والترمذي في الجامع، كتاب الصيد، باب في الذكاة في الحلق واللبة، (75/4)، رقم (1481)، والنسائي في الكبرى، كتاب الضحايا، باب ذكر المتردية في البئر، (228/7) رقم (4413)، وابن ماجه في سننه، كتاب الذبائح، باب ذكاة الناذ من البهائم، (1063/2)، رقم (3184).

قال الحافظ ابن حجر⁽³⁾: "وَأَبُو الْعُسْرَاءِ مُخْتَلَفٌ فِي اسْمِهِ وَفِي اسْمِ أَبِيهِ، وَقَدْ تَفَرَّدَ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ بِالرِّوَايَةِ عَنْهُ عَلَى الصَّحِيحِ، وَلَا يُعْرَفُ حَالُهُ"⁽⁴⁾.

السبب الثاني: الوهم والخطأ:

وهذا سبب كثير وقوعه من الضعفاء، قليل حدوثه من الثقات، فوقع الوهم من الراوي والذهول يقودان للخطأ في الرواية، ومثال هذا السبب:

ما رواه شعبة عن سلمة بن كهيل عن حُجْرِ أَبِي الْعَبَّاسِ عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وائِلٍ عَنْ أَبِيهِ: ((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} [الفاتحة:7] فقال: آمين، وَخَفَضَ بِهَا صَوْتَهُ))⁽⁵⁾.

قال الإمام مسلم⁽⁶⁾: "أَخْطَأَ شُعْبَةُ فِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ حِينَ قَالَ وَأَخْفَى صَوْتَهُ"⁽⁷⁾.

(1) أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، من أئمة علماء الحديث وحفاظه، ولد سنة 209 وتوفي سنة 279 هـ، له (الجامع) و(العلل). ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (633/2-635)، وشذرات الذهب لابن العماد (173/2).

(2) الجامع (75/4).

(3) أبو الفضل أحمد بن عليّ ابن حجر العسقلاني، من حفاظ الحديث، ولد سنة 773، وتوفي سنة 852 هـ. من كتبه: (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة)، و(لسان الميزان)، و(تهذيب التهذيب). ينظر: الضوء اللامع للسخاوي (36/2-40)، والأعلام للزركلي (178/1).

(4) التلخيص الحبير (331/4).

(5) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (316/4)، والطيالسي في مسنده (360/2)، وعنه البيهقي في السنن الكبرى (57/2) عن شعبة به.

(6) أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، من أئمة المحدثين، ولد سنة 204 وتوفي سنة 261 هـ، له مصنفات منها: (المسند الصحيح)، و(الكنى والأسماء)، و(الأفراد والوحدان). ينظر: سير أعلام النبلاء

للذهبي (559-580)، والأعلام للزركلي (221/7).

(7) التمييز ص(181).

ثم قال: "حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ فَقَالُوا تَنَا وَكَيْعُ تَنَا سُفْيَانُ عَنْ سَلْمَةَ بْنِ كَهِيلٍ عَنْ حَجْرِ بْنِ عَبَّاسٍ عَنْ وَائِلٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [سورة الفاتحة:7] قَالَ آمِينَ يَمْدُ بِهَا صَوْتَهُ.

حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ تَنَا أَسُودُ بْنُ عَامِرٍ تَنَا شَرِيكٌ عَنْ سِمَاكٍ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْهَرُ بِآمِينَ.

قد تَوَاتَرَتْ الرِّوَايَاتُ كُلُّهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَهَرَ بِآمِينَ".⁽¹⁾

السبب الثالث - الرواية بالمعنى:

من المتقرر في علم الحديث أن الراجح جواز الرواية بالمعنى غير أن هذا الجواز مقيد بشروط، قال ابن رجب: "وإنما يجوز ذلك لمن هو عالم بلغات العرب، بصير بالمعاني عالم بما يحيل المعنى، وما لا يحيله".⁽²⁾

وهذه الرواية بالمعنى قد ينشأ عنها تفرد، وذلك أن الراوي الذي روى بالمعنى إنما هو يروي المعنى الذي فهمه من الحديث، فقد يقع أن يفهم الحديث فهما غير صحيح، ثم يروي المعنى الذي فهمه فيحدث تفرده بهذه الرواية الصادرة عن فهم خاطئ، ولكن التفرد كان قرينة تدل على الفهم الخاطئ، والرواية الخاطئة.

مثال هذا السبب: ما رواه سُفْيَانُ بْنُ عَيِينَةَ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الرَّبِيعِ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ)).

وهذا الحديث محفوظ بهذا اللفظ رواه سفيان عن الزهري، ورواه أصحاب سفيان عنه

⁽¹⁾ التمييز ص(181و182).

⁽²⁾ شرح علل الترمذي (427/1).

هكذا، منهم: الإمام أحمد⁽¹⁾، وابن المديني⁽²⁾، وأبو بكر بن أبي شيبة، وعمرو الناقد، وإسحاق بن راهويه⁽³⁾، ومحمد بن يحيى بن أبي عمرو، وعلي بن حجر⁽⁴⁾، وغيرهم.

وتابع أصحاب الزهري ابن عيينة على هذا اللفظ منهم: معمر، وصالح بن كيسان، ويونس

ابن يزيد⁽⁵⁾، وغيرهم.

لكن محمد بن خلاد الإسكندراني⁽⁶⁾ رواه عن أشهب عن ابن عيينة عن الزُّهْرِيِّ عَن مَحْمُودِ ابْنِ الرَّبِيعِ عَن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلَفْظٍ: ((أُمُّ الْقُرْآنِ عَوْضٌ مِنْ غَيْرِهَا وَمَا مِنْهَا عَوْضٌ)).⁽⁷⁾

قال الدارقطني⁽¹⁾: "تفرد به محمد بن خلاد عن أشهب عن ابن عيينة"⁽²⁾

(1) المسند (314/5)، رقم (22729).

(2) البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب وجوب قراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها، (167/2 و168)، رقم (756).

(3) رواه عن ثلاثتهم مسلم في صحيحه كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، (8/2)، رقم (900)، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة - بيروت.

(4) رواه عنهما الترمذي في الجامع، كتاب الصلاة، باب ما جاء أنه لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب، (25/2)، رقم (247).

(5) أخرجه عن ثلاثتهم مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، (9/2)، رقم (901)، (902)، (903).

(6) محمد بن خلاد بن هلال الإسكندراني، قال الذهبي: "لا يُدرى من هو؟"، وقال ابن يونس: "يروي مناكير"، وقد وثقه العجلي، وذكره ابن حبان في الثقات، قال ابن حجر: "وقول الذهبي لا يدرى من هو؟ مع من روى عنه من الأئمة ووثقه من الحفاظ عجب، وما أعرف للمؤلف سلف في ذكره في الضعفاء سوى قول ابن يونس". ينظر: ميزان الاعتدال (537/3)، ولسان الميزان (155/5).

(7) أخرجه الدارقطني في سننه (363/1).

وقال الذهبي: "انفرد بهذا الخبر من حديث عبادة بن الصامت".⁽³⁾

قال ابن حجر: "هذا اللفظ تفرد به ... عن ابن عيينة والمحفوظ من رواية الحفّاذ عن ابن عيينة: (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب) كذا رواه عنه أحمد بن حنبل، وابن أبي شيبة، وإسحاق بن راهويه، وابن أبي عمر، وعمرو الناقد وخلاتق، وبهذا اللفظ رواه أصحاب الزهري عنه معمر، وصالح بن كيسان، والأوزاعي، ويونس بن يزيد وغيرهم، والظاهر أن رواية ... أشهب منقولة بالمعنى".⁽⁴⁾

السبب الرابع - الكذب والوضع وسرقة الحديث:

إن الكشف على وضع الحديث أو الكذب، أو سرقة الحديث له وسائل منها تفرد الواضع أو الكاذب أو السارق بالحديث الذي رواه كل واحد منهم، وطرح ما وضعه الراوي أو كذبه أو سرقه لا يكون لأجل التفرد، بل التفرد أمر كاشف للوضع والكذب، والسرقة، فإنّ الراوي لا يكون له متابع غالباً في كذبه، أو وضعه، أو سرقة.

قال الذهبي: "سرقة الحديث أهون من وضعه واختلاقه، وسرقة الحديث أن يكون محدث ينفرد بحديث، فيجيء السارق ويدّعي أنه سمعه أيضاً من شيخ ذاك المحدث، وليس ذاك بسرقة الأجزاء والكُتب، فإنّها أنحس بكثير من سرقة الرواية، وهي دون وضع الحديث في الإثم".⁽⁵⁾

(1) أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، إمام عصره في الحديث، ولد سنة 306 وتوفي 385هـ، من تصانيفه: (السنن)، و(العلل)، و(المؤتلف والمختلف). ينظر: تاريخ بغداد للخليفة البغدادي (34/12)، الأعلام للزركلي (314/4).

(2) السنن (322/1).

(3) ميزان الاعتدال (537/3).

(4) لسان الميزان (155/5).

(5) تاريخ الإسلام للذهبي (812/5).

مثال هذا السبب:

ما رواه ابن عدي في الكامل من طريق جعفر بن عبد الواحد الهاشمي قال: قال لنا رُوْح بن عبادَة عن شعبة عن سَيَّار عن الشعبي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تَبَاعُوا بِإِلْفَاءِ الْحَصَاةِ))⁽¹⁾.

قال ابن عدي معقبا: "وهذا الحديث معروف بروح بن عبادَة عن شعبة حدّث به عن روح أحمد بن حنبل وعبد الله بن هاشم الطوسي، وجعفر سرقه منهما، وكذلك سرقه أيضا محمد ابن الوليد بن أبان مولى بني هاشم بغدادي وغيرهما"⁽³⁾.

ثم قال: "وهذه الأحاديث التي ذكرتها عن جعفر بن عبد الواحد كلّها بواطيل، وبعضها سرقه من قوم، وله غير هذه الأحاديث من المناكير، وكان يتهم بوضع الحديث، وأحاديث جعفر إما أن تكون تُروى عن ثقة بإسناد صالح ومتمن منكر فلا يكون إسناده ولا متته محفوظا، وإما يكون سرق الحديث من ثقة يكون قد تفرد به ذلك الثقة عن الثقة فيسرق منه فيرويه عن شيخ ذلك الثقة، وإما أن يجازف إذا سمع بحديث لشعبة أو مالك أو لغيرهم ويكون قد تفرد عنهم رجل فلا يحفظ الشيخ ذلك الرجل فيلزمه على إنسان غيره، ولا يكون لذلك الرجل في ذلك الحديث ذكر ولا يرويه"⁽⁴⁾.

وهذا تفصيل يعقد عليه بالخصائص بيّن فيه الحافظ ابن عدي صور الكذب والسرقة والانتحال.

⁽¹⁾ الكامل (154/2).

⁽²⁾ أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، عالم بالحديث ورجاله، ولد سنة 277 وتوفي سنة 365 هـ، من مصنفاته: (الكامل في معرفة الضعفاء)، و(أسماء الصحابة). ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (154/16)، والأعلام للزركلي (103/4).

⁽³⁾ الكامل (155/2).

⁽⁴⁾ المصدر السابق (155/2).

المبحث الثاني: وسائل الترجيح والكشف بالتفرد عند أبي حاتم الرازي.

المطلب الأول: وسائل ترجيح قبول التفرد أو رده.

قد عُلم أن التفرد ليس علة بنفسه، وإنما هو سبب يشير لوجود علة في الحديث وإلا فكف من تفرد من الحفاظ قد قبل، وكف من تفرد من النقد قد سلم، وعلى كل إن كان التفرد هذا هو حاله حيث ليس هناك ضابط مطرد لقبوله أو رده، فإن الأمر لا يخلو بعدئذ من قرائن ترجح قبول التفرد أو رده، وقرائن القبول نفسها أو الرد ليست مطردة في كل تفرد، بل قد يعمل بها في موطن، وقد يتعذر العمل بها في موطن آخر، وهذا شأن القرائن في الغالب، ولكن لا شك أن النظر فيها مما سيهدي الناقد لأحد الأمرين القبول أو الرد.

1- بعض قرائن قبول التفرد:

أ- طبقة المتفرد.

مما هو معلوم في علم الحديث أن كلما علت طبقة الراوي كان ذلك مظنة قلة الخطأ والوهم، ولزوم الصدق ومجانبة الكذب، وهذا وغيره يؤثر بلا شك في قبول التفرد، وإليك هذا النص من الحافظ الذهبي حتى يتضح لك الأمر بجلاء، إذ قال: "... فهؤلاء الحفّاطُ الثقات: إذا انفردَ الرجلُ منهم (من التابعين)، فحديثُهُ: (صحيحٌ)..، وإن كان من الأتباع، قيل: (صحيحٌ، غريبٌ) وإن كان من أصحاب الأتباع، قيل: (غريبٌ، فَرْدٌ)، ويَنْدُرُ نَفْرُدُهُمْ، فتجدُ الإمامَ منهم عنده مِئتا ألف حديث، لا يكادُ ينفردُ بحديثينِ ثلاثة! ومَن كان بعدهم: فأين ما ينفردُ به؟ ما عِلْمُهُ، وقد يُوْجَدُ".⁽¹⁾

ثم قال: "ثم ننتقل إلى اليقظة الثقة، المتوسّطِ المعرفة والطلبِ فهو الذي يُطَلَقُ عليه أنه: (ثقة)، وهُم جُمهورُ رجالِ "الصحيحين"، فتابعيهم إذا انفردَ بالمتن، خرَجَ حديثُهُ

⁽¹⁾ الموقظة ص(77).

ذلك في الصباح، وقد يتوقف كثير من النقاد في إطلاق الغرابة مع الصحة في حديث أتباع الثقات. وقد يوجد بعض ذلك في الصباح دون بعض، وقد يُسمي جماعة من الحفاظ الحديث الذي ينفرد به مثل هُشيم، وحفص بن غياث: (منكرًا)، فإن كان المنفرد من طبقة مشيخة الأئمة، أطلقوا النكارة على ما انفرد به مثل عثمان بن أبي شيبة، وأبي سلمة التَّبُذَكِي، وقالوا: (هذا منكر)⁽¹⁾.

فأنت ترى في هذا النص أثر الطبقة في قبول التفرد أو رده، إذ كلما علت طبقة المتفرد كان ذلك ادعى لقبول تفرده.

ب- خصوصية المتفرد فيمن تفرد عنه.

قد أولى النقاد تمييز الرواة وبيان حالات تمام ضبطهم ومواطن ضعفهم عناية فائقة، حتى إن الواحد تعثره الدهشة العارمة من هذه الدقة المنقطة النظير، فهم قد علموا أن الرواة أنفسهم ليسوا على درجة واحدة في التحمل من بعض شيوخهم، بل ترى الراوي تقبل روايته عن شيخ وربما كان أثبت الناس في ذلك الشيخ وقد ترد في آخر، وكذا الشيوخ أنفسهم ليسوا على درجة واحدة في الأداء لبعض طلابهم، فمنهم من يحدث أحد طلابه أكثر من طلابه الآخرين، بل إن مواطن التحمل ليست واحدة، فمن الرواة من تحمل في موسم الحج مثلاً من أحد الأئمة ومعروف ما في هذه المواسم من الانشغال، والسرعة في التحمل والأداء التي قد تخل بالرواية، إذن لا شك أن ثمة أسباباً كثيرة تجعل من الراوي ذا خصوصية فيمن ينفرد عنه بالرواية من قرابة، أو طول ملازمة وغيرهما، وبعدئذ لا يخامر الناقد غالباً غرابة إذا ما انفرد هذا الراوي بحديث عن شيخ له خصوصية معه جعلته ينفرد برواية ما، قال الإمام مسلم: "وقد يكون من ثقات المُحدثين من يضعف روايته عن بعض رجاله الذين حمل عنهم للتثبيت يكون له في وقت ... والدليل على ما بيئنا من هذا اجتماع أهل

(1) المصدر السابق ص(78).

الْحَدِيثِ وَمِنْ عُلَمَائِهِمْ عَلَى أَنْ أُثْبِتَ النَّاسَ فِي ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، وَكَذَلِكَ قَالَ يَحْيَى الْقَطَّانُ، وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ، وَحَمَّادٌ يَعِدُ عَنْهُمْ إِذَا حَدَّثَ عَنْ غَيْرِ ثَابِتٍ كَحَدِيثِهِ عَنْ قَتَادَةَ وَأَيُّوبَ، وَيُونُسَ، وَدَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدَ، وَالْجَرِيرِيِّ، وَيَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، وَعَمْرُو بْنُ دِينَارٍ وَأَشْبَاهِهِمْ، فَإِنَّهُ يَخْطِئُ فِي حَدِيثِهِمْ كَثِيرًا، وَغَيْرِ حَمَّادٍ فِي هَؤُلَاءِ أُثْبِتَ عَنْهُمْ كَحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ وَعَبْدِ الْوَارِثِ، وَيَزِيدِ بْنِ زُرَيْعٍ، وَابْنِ عُثَيْبٍ".⁽¹⁾

ثم قال: "وعلى هذا المقال الذي وصفنا عن حمَّاد في حسن حديثه، وضبطه عن ثابت حتى صار أثبتهم فيه، جعفر بن برقان عن ميمون بن مهزيان، ويزيد بن الأصم، فهو أغلب الناس عليه، وأعلم بهما وبحديثهما، ولو ذهبت تزن جعفرًا في غير ميمون، وابن الأصم وتعتبر حديثه عن غيرهما، كالزهري، وعمرو بن دينار، وسائر الرجال لوجدته ضعيفًا رديء الضبط والرواية عنهم".⁽²⁾

لقد مثل الإمام مسلم لما ذكرت من خصوصية بعض الرواة في بعض شيوخهم براويين هما حماد بن سلمة، وجعفر بن برقان، وهذه الخصوصية هي أحد أكبر القرائن التي تحمل الناقد على قبول التفرد من الراوي صاحب الخصوصية المذكورة. ج- أن يروي الراوي الحديث بإسناد يوافق به الجماعة ويرويه بإسناد آخر ينفرد به عنهم:

إن الراوي إذا تفرد بشيء قد خالف فيه غيره فإن هذا مظنة لوجود العلة فيما روى، فلا بد عندئذ من النظر والتحقيق ليؤول الأمر إما لقبول أو رد، ولكن ثمة قرائن قد تحمل الناقد على قبول ذلك التفرد المصحوب بالمخالفة، ومن تلكم القرائن أن يروي

(1) التمييز ص (217 و218).

(2) المصدر السابق ص (218).

الراوي الحديث بإسناد يوافق به الجماعة ويرويه بإسناد آخر ينفرد به عنهم؛ لأن هذا مشعر بتيقظ الراوي وأنه على علم بصحة هذه المخالفة التي تفرد بها، فقد روى ما وافق به الجماعة وروى مخالفا فالتسهو عنه بهذا بعيد.

مثاله: حديث عبد الله بن مسعود: ((بَيْنَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَرِبِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَسِيبٍ مَعَهُ فَمَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِيَعْضٍ سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَسْأَلُوهُ لَا يَجِيءُ فِيهِ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِنَسْأَلَنَّهُ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَقَالَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ: مَا الرُّوحُ؟ فَسَكَتَ، فَقُلْتُ: إِنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ فَقُمْتُ، فَلَمَّا انْجَلَى عَنْهُ)) قَالَ: {لَوْ يَسْتَلُونَكِ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا} [سورة الإسراء: 85] قَالَ الْأَعْمَشُ هَكَذَا فِي قِرَاءَتِنَا. (1)

الحديث رواه الأعمش عن إبراهيم النخعي عن علقمة بن قيس عن عبد الله بن مسعود، هكذا رواه جماعة من الرواة عن الأعمش مثل: حفص بن غياث، وعيسى بن يونس، ووكيع، وعبد الواحد بن زياد، وانفرد عبد الله بن إدريس في رواية له بروايته عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود، ولكن عبد الله بن إدريس له رواية أخرى وافق بها رواية الجماعة.

قال الدارقطني: "يُرويه عبد الله بن إدريس، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله، وخالفه وكيع، وعيسى بن يونس، وعلي بن مسهر، فرووه عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب قول الله تعالى: (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) من رواية عبد الواحد بن زياد وهذا لفظه، (6/2714)، رقم (7024) وكذلك من رواية حفص بن غياث، وعيسى بن يونس، ووكيع، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين، باب سؤال اليهود النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح (8/128)، رقم (723) من رواية حفص بن غياث، وعيسى بن يونس، ووكيع عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله، ورواه من طريق ابن إدريس يقول: سمعت الأعمش يرويه عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بنحوه.

وَهُوَ الْمَشْهُورُ، وَلَعَلَّهُمَا صَحِيحَانِ، وَابْنُ إِدْرِيسٍ مِنَ الْأَثْبَاتِ، وَلَمْ يُتَابَعِ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ".⁽¹⁾

قال ابن رجب: "فصححت طائفة الروايين عن الأعمش، وخرجه مسلم من الوجهين"⁽²⁾

ثم قال: "ومما يشهد لصحة ذلك أن ابن إدريس روى الحديث بالإسناد الأول أيضاً، وهذا مما يستدل به الأئمة كثيراً على صحة رواية من انفرد بالإسناد إذا روى الحديث بالإسناد الذي روى به الجماعة، فخرجه ابن أبي خيثمة في كتابه، ثنا عبد الله بن محمد أبو عبد الرحمن الكرمانى، ثنا عبد الله بن إدريس، عن الأعمش، عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: إني لأمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم فذكره".⁽³⁾

فظهر أن رواية الراوي للحديث بإسناد يوافق به الجماعة ثم يرويه بإسناد آخر يفرد به عنهم يعدّ قرينة في قبول الرواية التي تفرد بها عن الجماعة.

2: بعض قرائن ردّ التفرد.

أ- تأخر طبقة الراوي:

قد مرّ الذكر أن الراوي كلما علت طبقة كان مظنة الخطأ والوهم في تفرده بالرواية أقل والعكس صواب، إذ كلما نزلت طبقة الراوي كان مظنة الخطأ والوهم في تفرده بالرواية أكثر، إذ كيف استطاع هذا الراوي المتأخر بعد طبقة أتباع التابعين مثلاً أن يأتي برواية يتفرد بها ولم يظفر بها التابعون ولا أتباعهم؟!، لا شك أن هذه قرينة قوية في ردّ تفرد هذا الراوي المتأخر، إذ يبعد أن يأتي بما لم يأت به الأوائل في

(1) العلال (251/5).

(2) شرح علل الترمذي (2/838 و239).

(3) شرح علل الترمذي (2/839).

هذه البابة، قال الذهبي: "وَمَنْ كَانَ بَعْدَهُمْ (أي بعد التابعين وأتباعهم) فَأَيْنَ مَا يَنْفَرِدُ بِهِ؟! مَا عَلَّمْتُهُ، وَقَدْ يُوجَدُ...!!"⁽¹⁾.

قال البيهقي⁽²⁾: "فمن جاء اليوم بحديث لا يوجد عند جميعهم لم يقبل منه، ومن جاء بحديث معروف عندهم فالذي يرويه لا ينفرد بروايته، والحجة قائمة بحديثه برواية غيره"⁽³⁾.

ب-تفرد من خف ضبطه أو من قلَّتْ روايته عن إمام مشهور: إن من قرأ ردَّ التفرد أن يكون المتفرد قليل الرواية، ليس مشهوراً بالأداء ولا التحمل، ثم يأتي برواية يتفرد بها عن إمام مشهور ضربت إليه أكباد الإبل، وكثر طلابه، وعظمت رغبة الحفاظ في الرواية عنه!!، أو يكون ممن خفَّ ضبطه فلم يكن كاملاً الضبط ثم يأتي برواية يتفرد بها عن إمام مشهور، ولهذا الإمام من التلاميذ الذين بلغوا تمام الضبط، وتمام الحرص على السماع كثرة كاثرة، فهل يتصور غياب هذا عن جميع هؤلاء؟!، لا شك أنه بعيد، ولاربيب أيضاً أن هذا كله قرينة قوية على ردِّ هذه الرواية التي تفرد بها لوجود الوهم والخطأ.

قال الإمام مسلم: "حُكِمَ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالَّذِي نَعْرِفُ مِنْ مَذْهَبِهِمْ فِي قَبُولِ مَا يَنْفَرِدُ بِهِ الْمَحْدَثُ مِنَ الْحَدِيثِ أَنْ يَكُونَ قَدْ شَارَكَ الثَّقَاتَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْحَفِظِ فِي بَعْضِ مَا رَوَوْا، وَأَمْعَنَ فِي ذَلِكَ عَلَى الْمَوَافَقَةِ لَهُمْ، فَإِذَا وَجَدَ كَذَلِكَ ثُمَّ زَادَ بَعْدَ ذَلِكَ شَيْئًا لَيْسَ عِنْدَ أَصْحَابِهِ قَبِيلَتِ زِيَادَتِهِ"⁽⁴⁾.

(1) الموقظة ص (77).

(2) أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، من أئمة الحديث، ولد سنة 384، وتوفي سنة 458هـ، من كتبه: (السنن الكبرى)، و(السنن الصغرى)، و(مناقب الشافعي). ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (18/165-170)، والأعلام للزركلي (1/116).

(3) علوم الحديث لابن الصلاح (4/106).

(4) مقدمة الصحيح (2/1).

ثم قال: "فأما من تراه يعمد لمثل الزهري في جلالتة، وكثرة أصحابه الحفاظ المتقنين لحديثه، وحديث غيره أو لمثل هشام بن عروة، وحديثهما عند أهل العلم مبسوط مشترك، قد نقل أصحابهما عنهما حديثهما على الاتفاق منهم في أكثره، فيروى عنهما أو عن أحدهما العدد من الحديث مما لا يعرفه أحد من أصحابهما، وليس ممن قد شاركهم في الصحيح مما عندهم فغير جائز قبول حديث هذا الضرب من الناس والله أعلم".⁽¹⁾

مثاله: ما رواه قُرَّان بن تَمَّام ⁽²⁾ عن أَيْمَن بن نَابِلٍ عَنْ قُدَّامَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: ((رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَاقَةٍ يَسْتَلِمُ الْحَجَرَ بِمِخْجَنِهِ))⁽³⁾.⁽⁴⁾ قال أبو حاتم: "لم يرو هذا الحديث عن أيمن إلا قُرَّان، ولا أراه محفوظاً، أين كان أصحابُ أيمن بن نابلٍ، عن هذا الحديث؟!!"⁽⁵⁾.

فقد ردَّ أبو حاتم تفرّد قُرَّان؛ لأن هذا التفرد كان عن أيمن بن نابل، وأيمن إمام له طلابٌ كثير فأين كانوا عن هذا الحديث؟!، فكان ذلك قرينة تدل على وهم قُرَّان.

ج- التفرد بسلوك الجادة المطروقة.

إن للأئمة طرقاً معروفة وسبلاً معهودة يروون منها غالب أحاديثهم وهو ما يعرف بالجادّة، وأما مخالفة الجادّة تكون بأن لأحد الأئمة طريقاً مشهورة يروي بها أحاديثه، ولكن قد يقع له حديث من طريق أخرى فيروي الحديث من هذه الطريق التي لم تُعهَد، فهنا تكون مزلة القدم إذ قد يأتي الذي يروي عنه فيروي الحديث من الطريق

(1) المصدر السابق (2/1).

(2) قُرَّان بن تَمَّام الأسدي، صدوق ربما أخطأ، ينظر: التقريب لابن حجر (454/2).

(3) المحجّن: عصا معقفة الرأس. ينظر: النهاية لابن الأثير (951/1).

(4) رواه من هذه الطريق الإمام أحمد في مسنده (413/3)، رقم (15451)، وأبو يعلى في مسنده (229/2).

(5) العلال لابن أبي حاتم (302/3).

المشهوره والجادة المطروقة إذ اعتاد على الرواية عن ذلك الإمام من تلكم الطريق المشهوره، فيكون حينئذ قد سلك الجادة وتفرّد بالحديث بروايته من الطريق المشهور، فإذا ما خالفه غيره ممن تقبل روايته فروى عن ذلك الإمام من الطريق الآخر، كان ذلك قرينة قويّة على وهم من سلك الجادة، إذ غالباً من خالف الجادة يعلم صحت ما رواه إذ معه زيادة علم، قال المعلمي اليماني: "وهكذا الخطأ في الأسانيد أغلب ما يقع بسلوك الجادة، فهشام بن عروة غالب روايته عن أبيه عن عائشة، وقد يروي عن وهب بن كيسان عن عبيد بن عمير فقد يسمع رجل من هشام خبراً بالسند الثاني ثم مضي على السامع زمان فيشبهه عليه فيتوهم أنه سمع ذلك الخبر من هشام بالسند الأول على ما هو الغالب المألوف، ولذلك تجد أئمة الحديث إذا وجدوا راويين مختلفاً بأن روي عن هشام خبراً واحداً جعله أحدهما عن هشام عن وهب عن عبيد، وجعله الآخر عن هشام عن أبيه عن عائشة، فالغالب أن يقدموا الأول ويخطئوا الثاني، هذا مثال ومن راجع كتب علل الحديث وجد من هذا ما لا يحصى".⁽¹⁾

مثاله: ما رواه مالك عن صفوان بن سليم أنه بلغه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِعِيره فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ إِذَا انْقَى وَأَشَارَ بِإِصْبُعِيهِ الْوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ)).⁽²⁾

خالف الإمام مالك سفیان بن عيينة فقد رواه عن صفوان بن سليم عن امرأة يقال لها أنيسة عن أم سعيد بنت مرة الفهري عن أبيها عن النبي صلى الله عليه وسلم.⁽³⁾

(1) التنكيل (826/2 و827).

(2) الموطأ للإمام مالك رواية يحيى الليثي (1383/5).

وهذا إسناد مرسل.

(3) أخرجه الحميدي في مسنده (370/2)، والبخاري في الأدب المفرد (60/1)، والطبراني في المعجم الكبير

(320/20).

قال ابن رجب: "ورجّح الحفاظ كأبي زرعة، وأبي حاتم قول ابن عينة في هذا الإسناد على قول مالك."

قال الحميدي: قيل لسفيان: إن عبد الرحمن بن مهدي يقول: إن سفيان أصوب في هذا الحديث من مالك. قال سفيان: وما يدريه، أدرك صفوان؟ قالوا: لا، لكنه قال: إن مالكا قال: عن صفوان، عن عطاء بن يسار، وقال سفيان: عن أنيسة عن أم سعيد بنت مروة، عن أبيها، فمن أين جاء بهذا الإسناد؟! فقال سفيان: ما أحسن ما قال، لو قال لنا صفوان، عن عطاء بن يسار كان أهون علينا من أن يجيء بهذا الإسناد الشديد".⁽¹⁾

إذن مخالفة الجادة قرينة على مزيد حفظ من الراوي المتقن، وسلوك الجادة مع وجود المخالفة من متقن قرينة على وهم من سلك الجادة. والله أعلم

المطلب الثاني: كشف العلة بالتفرد عند الحافظ أبي حاتم الرازي.

فقد تقرر سابقا أن التفرد ليس علة في نفسه يرد به حديث الراوي بل هي سبيل كاشفة لحال ضبط الراوي لتلك الرواية التي انفرد بها، وهل يقبل من مثله التفرد أو لا؟ وقد ظهر هذا الأمر جليا في منهج الأئمة النقدة، وأحكام جهابذة الحديث ومن أولئك الإمام أبي حاتم الرازي رحمه الله، ولا ريب أن الوقوف على الصنعة الحديثية لهذا الإمام في التعامل مع تفرد الرواة ليرسم نهجا لاجبا للمتأخرين للقص على آثار الأئمة المتقدمين الذين بينوا لنا اصطلاحات هذا الفن الجليل، ووسائل الحكم على الرواية وطرائق الحكم على الراوي، وإليك جملة صالحة من التطبيقات العملية للإمام أبي حاتم الرازي في الكشف عن العلة من خلال تفرد الراوي بالرواية عن شيخه:

في إسناده أنيسة وهي لا تعرف، وأم سعد مقبولة. ينظر: التقريب لابن حجر (2/744 و757).
⁽¹⁾ شرح علل الترمذي (2/842 و843).

1- فقد روى محمد بن عمرو بن علقمة، قال: حدثني ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن فاطمة بنت أبي حبيش: أنها كانت تستحاض، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا كان دم الحيضة، فإنه دم أسود يعرف، فإذا كان ذلك فأمسكي عن الصلاة، فإذا كان الآخر فتوضئي وصلي، فإنما هو عرق".⁽¹⁾

قال أبو حاتم الرازي حين سأله ابنه عن هذا الحديث: "لم يتابع محمد بن عمرو على هذه الرواية، وهو منكر".⁽²⁾

وها هنا ينبغي التأمل فقد تفرد الراوي الصدوق⁽³⁾ عن ثقة من مشاهير الثقات ولا يوجد هذا الحديث عند أحد من تلاميذ ذاك الراوي الثقة بل تفرد به الراوي الصدوق دون سائر أقرانه، فإن محمد بن عمرو تفرد به وهو صدوق عن الإمام الزهري، فأين مشاهير تلاميذ الزهري عن هذا الحديث؟! فمحمد بن عمرو لا يُحتمل من مثله التفرد، فكيف ينفرد بحديث عظمت الحاجة إليه جدا ولم يروه أحد من تلاميذ الزهري عنه سواه، فهو حديث لا يُعرف غيره في جعل اللون هو الفارق بين دم الحيض والاستحاضة.

فتفردُ الراوي براوية لا يُحتمل من مثله التفرد بها كُشفَتْ لأبي حاتم الرازي عن نكارة هذا الحديث، فحكم عليها بأنها رواية منكورة.

(1) أخرجه أبو داود (رقم: 286، 304) _ ومن طريقه: البيهقي في "الكنز" (1/ 325) والدارقطني (1/

206، 207) من طريق محمد بن المثنى، قال: حدثنا محمد بن أبي عدي، عن محمد بن عمرو. وقد تابع خلفُ بن سالم ابنَ المثنى فيما أخرجه الدارقطني (1/207) عن خلف بن سالم، حدثنا محمد بن أبي عدي، بإسناده نحوه.

(2) علل الحديث لابن أبي حاتم (1/576).

(3) تقريب التهذيب لابن حجر ص(534).

1- روى عُقْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، عَنِ عَصَامِ بْنِ قُدَامَةَ عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِبَعْضِ نِسَائِهِ: لَيْتَ شِعْرِي! أَيْتُكُنَّ صَاحِبَةَ الْجَمَلِ الْأَدْبَبِ يَقْتُلُ حَوْلَهَا خَلْقَ كَثِيرٍ، تَتَجَوَّعُ بَعْدَهَا كَادَتْ".⁽¹⁾

قال ابن أبي حاتم: "سألتُ أَبِي عَنْ حَدِيثِ رِوَاةِ الْأَشَّجِ"⁽²⁾، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ خَالِدٍ، عَنِ ابْنِ قُدَامَةَ - يَعْنِي: عَصَامَ عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِبَعْضِ نِسَائِهِ: ((لَيْتَ شِعْرِي! أَيْتُكُنَّ صَاحِبَةَ الْجَمَلِ الْأَدْبَبِ يَقْتُلُ حَوْلَهَا خَلْقَ كَثِيرٍ، تَتَجَوَّعُ بَعْدَهَا كَادَتْ)).

قَالَ أَبِي: لَمْ يَرَوْهُ هَذَا الْحَدِيثَ غَيْرُ عَصَامٍ، وَهُوَ حَدِيثٌ مُنْكَرٌ".⁽³⁾

فالحافظ أبو حاتم الرازي بين أن الحديث تفرد به عصام بن قدامة البجلي عن عكرمة وحكم على أثر ذلك بنكارة الحديث، وابن قدامة لا بأس به كما قال غير واحد من أهل الحديث⁽⁴⁾، وشيخ الراوي وهو عكرمة مولى ابن عباس من الثقات المكثرين⁽⁵⁾ ولهم تلاميذ كثير، كما أن عصام ابن قدامة كوفي وعكرمة مدني ولم يلازم عكرمة فلا يحتمل من مثله التفرد، فلاشك أن هذا التفرد يكشف عن علة ونكارة في إسناده.

3- روى سَعِيدُ بْنُ بَشِيرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ نَا الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَرَوِيُّ نَا أَبُو حَفْصٍ النَّبِّيسِيُّ نَا سَعِيدُ بْنُ بَشِيرٍ حَدَّثَنِي مَنْصُورٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ أَبِي

(1) أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" (451/2) والبخاري في "مسنده" (680/4)، والطحاوي في "شرح المشكل" (76/4) عن عصام به.

قال البخاري: "لا نعلمه يُروى عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد".

(2) عبد الله بن سعيد الأشج، ينظر: تقريب التهذيب لابن حجر ص (457).

(3) علل الحديث (589/6 و590).

(4) تهذيب التهذيب لابن حجر (122/3).

(5) تقريب التهذيب لابن حجر ص (610).

سَلَمَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: ((لَقَدْ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْبَلُنِي إِذَا خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ وَمَا يَتَوَضَّأُ)). (1).

قال ابن أبي حاتم: "سألت أبي عن حديث رواه سعيد بن بشير، عن منصور بن زاذان، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن عائشة: كان النبي يقبل إذا خرج إلى الصلاة ولا يتوضأ؟

فقال أبي: هذا حديث منكّر لا أصل له من حديث الزهري، ولا أعلم منصور بن زاذان سمع من الزهري، ولا روى عنه.

وحفظي عن أبي أنه قال: إماماً أراد: الزهري، عن أبي سلمة، عن عائشة: "أن النبي كان يقبل وهو صائم"، قلت لأبي: الوهم ممن هو؟، قال: من سعيد بن بشير". (2).

نظر أبو حاتم الرازي في سند هذا الحديث فوجد متنا انفرد به منصور بن زاذان الذي لا يعرف له رواية عن الزهري، بل سماع منه كما تقدم من كلام أبي حاتم، فليس سبيل إلا أن يعصب هذا الخلل برأس سعيد ابن بشير وهو راو محله الصدق (3) ثم تبين سبب هذا الخطأ وهو أن سعيداً قد انقلب عليه المتن وأن الصواب رواية الزهري، عن أبي سلمة، عن عائشة هو متن آخر يشبه هذا المتن فكشف التفرد وعدم المتابعة على هذه الرواية الخلل الواقع من خطأ الراوي بتركيب إسناد لمتن آخر مع ضميمة الرواية عن منصور الذي لم يرو عن الزهري ولم يسمع منه أصلاً، كما أن سعيداً خالف رواية الثقات بل كان الزهري يفتي بخلاف هذه الرواية التي رواها من طريق الزهري كما سيأتي بيانه:

(1) أخرجه الطبراني في "مسند الشاميين" (81/4)، وابن عدي في "الكامل" (375/3)، والدارقطني في "السنن" (135/1).

(2) علل الحديث (565/1).

(3) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (7/4).

قال الطبراني: "لَمْ يَرَوْ هَذَا الْحَدِيثَ عَنِ الزُّهْرِيِّ إِلَّا مَنْصُورٌ، تَفَرَّدَ بِهِ سَعِيدُ بْنُ بَشِيرٍ". (1)

وقال ابن عدي: "لا أعلم رواه عن منصور غير سعيد بن بشير". (2)
 وقال الدارقطني: "تفرد به سعيد بن بشير، عن منصور، عن الزهري، ولم يتابع عليه، وليس بقوي في الحديث، والمحفوظ عن الزهري، عن أبي سلمة، عن عائشة: أن النبي كان يقبل وهو صائم. وكذلك رواه الحفاظ الثقات عن الزهري، منهم معمر وعقيل وابن أبي ذئب، وقال مالك، عن الزهري: في القبلة الوضوء، ولو كان ما رواه سعيد بن بشير، عن منصور، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن عائشة، صحيحاً - لما كان الزهري يفتي بخلافه" (3)

وقال الدارقطني أيضاً: "تفرد به سعيد بن بشير، عن منصور بن زاذان، عن الزهري، وخالفه عقيل بن خالد، وابن أبي ذئب، ويزيد بن عياض، ومعمر بن راشد، فرووه عن الزهري، عن أبي سلمة، عن عائشة: أن النبي كان يقبل وهو صائم، ولم يذكر الوضوء". (4)

4- روى شبابة (5) عن شعبة عن بكير بن عطاء عن عبد الرحمن بن يعمر: ((أنَّ النبيَّ نهى عن الدُّبَاءِ وَالْمُرَقَّتِ)). (1)

(1) "مسند الشاميين" (81/4).

(2) "الكامل" (375/3).

(3) السنن (135/1).

(4) العلل (142/9).

(5) شبابة بن سوار المدائني الخراساني ثقة حافظ رمي بالإرجاء توفي سنة 206هـ. ينظر: تقريب التهذيب لابن حجر (263).

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: "هَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ، لَمْ يَرَوْهُ غَيْرُ شَبَابَةٍ، وَلَا يُعْرَفُ لَهُ أُصْلٌ". (2)

قال الترمذي: "سألت محمد بن إسماعيل؟ فقال: هذا حديث شابة عن شعبة، لم

يعرفه إلا من حديث شابة. قال محمد: ولا يصحُّ هذا الحديث عندي". (3)

وقال أيضا: "هذا حديث غريب من قِبَلِ إسناده، لا نعلم أحداً حدث به عن شعبة غير شابة، وقد روي عن النبي من أوجه كثيرة أنه نهى أن ينتبذ في الدُّبَاءِ والمزَّقَتِ، وحديث شابة إنما يُسْتَعْرَبُ؛ لأنه تفرَّد به عن شعبة، وقد روى شعبة وسفيان الثوري بهذا الإسناد عَنْ بُكَيْرِ بْنِ عَطَاءٍ عَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ أَنَّهُ قَالَ: "الْحُجُّ عَرَفَةٌ"، فهذا الحديث المعروف عند أهل الحديث بهذا الإسناد". (4)

وقال ابن عدي مبينا أن هذا الحديث من مناكير شابة وقال: "ولا أعلم رواه عن شعبة في الدُّبَاءِ غير شابة، وإنما روى شعبة بهذا الإسناد، عَنْ بُكَيْرِ بْنِ عَطَاءٍ، عَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْمَرَ فِي ذِكْرِ الْحُجِّ". (5)

وقال ابن رجب: "وأما حديث النهي عن الدُّبَاءِ والمزَّقَتِ فهو بهذا الإسناد غريبٌ جداً، وقد أنكره على شابة طوائف من الأئمة، منهم: الإمام أحمد، والبخاري، وأبو

(1) أخرجه ابن ماجه في "سننه"، كتاب الأشربة، ب بابِ التَّهْمِي عَنْ نَبِيذِ الْأَوْعِيَةِ، رقم (3404) والنسائي في السنن الكبرى كتاب زَكُرُ الْأَوْعِيَةِ الَّتِي تُهْمِي عَنْ الْإِنْتِيَاذِ فِيهَا، باب التَّهْمِي عَنْ نَبِيذِ الدُّبَاءِ وَالْمَزَّقَتِ، رقم (5628)، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" (227/4).

(2) العلال (449/4).

(3) العلال الكبير (49 و48/4).

(4) العلال الصغير ص (759).

(5) الكامل (72/5).

حاتم، وابن عدي. وأما ابن المديني فإنه سئل عنه؟ فقال: "لا ينكر لمن سمع من

شعبة - يعني: حديثاً كثيراً - أن ينفرد بحديث غريب".⁽¹⁾

نستخلص من هذه النقول أن تفرد شباة بهذا الإسناد كشف لنا عن علة هذا الحديث، وهو أن شباة وهو من الثقات انقلب عليه متن الحديث وجعل لهذا الإسناد الذي ساقه متنا آخر بل هذا الإسناد جاء في حديث الحج، وأيضا أن شعبة لم يرو بهذا الإسناد سوى حديثا واحدا وهو حديث الحج، وتلاميذه كثر وتفرد شباة بهذا الحديث، فهذا التفرد من شباة بهذه الرواية كشف لأبي حاتم الرازي العلة وهو انقلاب المتن على الراوي.

الخاتمة:

الحمد لله أولا وآخرا، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

بعد هذا التطواف في ميدان الكشف عن العلة بتفرد الراوي، وإبرازه من خلال الصناعة الحديثية عند الحافظ أبي حاتم الرازي، يمكن لي أن أستخلص أهم النتائج وهي:

1-دقة المنهج الحديثي عند نقاد الحديث، وعمق نظرتهم عند محاكمة الروايات والحكم عليها.

2-إن تقوية الروايات وتضعيفها لا يتوقف على ظاهر السند، ولا على حال الرواة جرحا وتعديلا فحسب، بل منهج المحدثين يدرس كل قرينة تحف الرواية التي يراد الحكم عليها.

3-للتفرد أسباب كثيرة يجب على الدارس أن يحيط بها علما ليعلم سبب التفرد إذا ما أطلق من أحد النقاد.

(1)- شرح علل الترمذي (93/2).

-
- 4- لترجيح قبول التفرد قرائن كثيرة، وهذه القرائن قد تؤثر في رواية، فتدفع لقبول التفرد، وقد لا تؤثر في رواية أخرى شيئاً، وكذلك الأمر بالنسبة لقرائن ردّ التفرد.
- 5- الحافظ أبو حاتم الرازي في إعلاله للروايات بالتفرد يسلك مسلك الأئمة والجهابذة في دراسة كل ما يحيط بالرواية من قرائن ليستخلص بعد ذلك حكماً عليها، وهذا أمر ظاهر من خلال الأمثلة التطبيقية المدروسة في هذا البحث.

قائمة المصادر والمراجع

- الأدب المفرد لمحمد بن إسماعيل البخاري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثالثة، 1409هـ، دار البشائر الإسلامية-بيروت.
- الأعلام لخير الدين الزركلي، الطبعة الخامسة عشر، 2002م، دار العلم للملايين-بيروت.
- أمالى ابن شاهين جمعه أبو الحسين بن المهدي، ت: بدر البدر، الطبعة الأولى 1415 هـ، دار ابن الأثير - الكويت.
- البدر المنير لعمر بن علي بن أحمد المصري المعروف بابن الملقن، ت: مصطفى أبو الغيط، وعبد الله بن سليمان، وياسر بن كمال، الطبعة الأولى، 1425هـ دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض.
- تاريخ الإسلام لمحمد بن أحمد الذهبي، ت: بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، 2003 م، دار الغرب الإسلامي - تونس.
- تاريخ بغداد لأحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية- بيروت.
- تذكرة الحفاظ لمحمد بن أحمد الذهبي، الطبعة الأولى، 1419هـ، دار الكتب العلمية- بيروت.
- تقريب التهذيب، لأحمد ابن حجر العسقلاني، ت: محمد عوامة، الطبعة الأولى، 1986، دار الرشيد-سوريا.
- التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد لمحمد بن عبد الغني ابن نقطة البغدادي، ت: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى 1408هـ، دار الكتب العلمية-بيروت.
- التلخيص الحبير لأحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى 1419هـ، دار الكتب العلمية-بيروت.

- تلخيص تاريخ نيسابور لأحمد بن محمد بن الحسن المعروف بالخليفة النيسابوري، عزّبه عن الفرسية د. بهمن كريمي، الناشر كتابخانة ابن سينا - طهران.
- التمييز لمسلم بن الحجاج القشيري، ت: محمد مصطفى الأعظمي، الطبعة الثالثة 1410هـ، مكتبة الكوثر - السعودية.
- التنكيل لعبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ت: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، سنة النشر 1406هـ، المكتب الإسلامي - دمشق.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ليوسف بن عبد الرحمن المزي، ت: بشار عواد معروف الطبعة: الأولى، 1980م، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- الجامع لمحمد بن عيسى الترمذي، ت: أحمد شاکر، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- جزء السراج خرج زاهر بن طاهر الشحامي، ت: حسين عكاشة، الطبعة الأولى 1425هـ، الفاروق الحديثة - مصر.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لأحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، ت: محمد عبد المعيد ضان، سنة النشر 1392هـ، مجلس دائرة المعارف العثمانية - الهند.
- الزيادات على كتاب المزني لعبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري، ت: خالد ابن هايف بن عريج المطيري، الطبعة الأولى 1426 هـ، دار أضواء السلف - الرياض.
- سنن ابن ماجه لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت.
- سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي بيروت.
- سنن الدارقطني لعلي بن عمر الدارقطني، ت: السيد عبد الله هاشم يمانى، تاريخ النشر 1386هـ، دار المعرفة - بيروت.

- سنن النسائي الكبرى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ت: عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، الطبعة الأولى، 1411هـ، دار الكتب العلمية بيروت.
- شذرات الذهب لعبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- شرح علل الترمذي لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ت: همام عبد الرحيم سعيد، الطبعة الأولى، 1407هـ، مكتبة المنار - الأردن.
- شرح مشكل الآثار لأبي جعفر أحمد بن محمد المصري المعروف بالطحاوي، ت: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى - 1415 هـ، مؤسسة الرسالة-بيروت.
- الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري، الطبعة الرابعة 1990م، دار العلم للملايين - بيروت.
- صحيح ابن خزيمة لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، ت: محمد مصطفى الأعظمي، سنة النشر 1390هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.
- صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري، ت: مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة 1407هـ، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت.
- صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة - بيروت.
- الضعفاء لمحمد بن عمر العقيلي، ت: عبد المعطي أمين قلعجي، الطبعة الأولى، 1404هـ، دار المكتبة العلمية - بيروت.
- الضوء اللامع لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار مكتبة الحياة - بيروت.
- الطبقات السنية في تراجم الحنفية لتقي الدين بن عبد القادر الغزّي المصري، ت: عبد الفتاح محمد الحلو، دار الرفاعي - مصر.

- طبقات الشافعية لعلي بن عبد الكافي السبكي، ت: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الثانية، 1413هـ، دار هجر-مصر.
- طبقات الفقهاء لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، ت: إحسان عباس الطبعة الأولى 1970م، دار الرائد العربي - بيروت.
- طبقات المحدثين بأصبهان لعبد الله بن محمد ابن حيان الأنصاري، ت: عبد الغفور عبد الحق البلوشي الطبعة الثانية، 1412هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- العبر في أخبار من عبّر لأحمد بن محمد الذهبي، ت: صلاح الدين المنجد، سنة النشر 1984م، مطبعة حكومة الكويت - الكويت.
- العلل الواردة في الأحاديث النبوية لعلي بن عمّر الدارقطني، ت: محفوظ الرحمن زين الله الطبعة الأولى، 1405هـ، دار طيبة-الرياض.
- فتح الباري لأحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، سنة النشر 1379هـ، دار المعرفة - بيروت.
- القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة الثامنة، 1426هـ، مؤسسة الرسالة- بيروت.
- الكامل لعبد الله بن عدي الجرجاني، ت: يحيى مختار غزاوي، الطبعة الثالثة، 1409هـ، دار الفكر - بيروت.
- كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، ت: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال.
- كشف الأستار عن زوائد البزار لعلي بن أبي بكر الهيثمي، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى، 1399هـ، مؤسسة الرسالة- بيروت.
- لحظ الألفاظ بذيل طبقات الحفاظ لمحمد ابن فهد الهاشمي، الطبعة الأولى 1419هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

- ما لا يسع المحدث جهله لعمر بن عبد المجيد الميائشي، ت: صبحي السامرائي، تاريخ النشر 1387هـ، شركة الطبع الأهلية - بغداد.
- مسند أبي داود سليمان بن داود الطيالسي، ت: محمد بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى 1419هـ، دار هجر للطباعة-السعودية.
- مسند الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل، الطبعة الأولى، مؤسسة قرطبة - القاهرة.
- المصباح المنير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي، ت: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية- بيروت.
- المعجم الكبير لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، 1404هـ، مكتبة العلوم والحكم - الموصل.
- معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبد السلام محمد هارون، تاريخ النشر 1399هـ - دار الفكر - بيروت.
- معرفة السنن والآثار لأحمد بن الحسين البيهقي، ت: عبد المعطي أمين قلعجي، الطبعة الأولى 1412هـ، دار الوعي - حلب.
- معرفة علوم الحديث لمحمد بن عبد الله الحاكم، ت: السيد معظم حسين، الطبعة الثانية 1397هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
- المغني عن حمل الأسفار لأبي الفضل محمد بن عبد الرحيم العراقي، ت: أشرف عبد المقصود، سنة النشر 1415هـ، مكتبة طبرية - الرياض.
- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد لبرهان الدين إبراهيم بن محمد ابن مفلح ت: عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، الطبعة الأولى، 1410هـ، مكتبة الرشد - الرياض.
- الموطأ للإمام مالك رواية يحيى الليثي، ت: محمد مصطفى الأعظمي، الطبعة الأولى 1425هـ، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان.

-
- الموقظة لأحمد بن محمد الذهبي، ت: عبد الفتاح أبو غُدّة، الطبعة الثانية، 1412هـ، مكتبة المطبوعات الإسلامية- حلب.
- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر لأحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، ت: علي بن حسن الحلبي، الطبعة العاشرة 1427هـ، دار ابن الجوزي- الرياض.
- النهاية في غريب الحديث لأبي السعادات المبارك ابن محمد الجزري، ت: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، سنة النشر 1399هـ، المكتبة العلمية - بيروت.
- وفيات الأعيان لأحمد بن محمد ابن خلكان، ت: إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار صادر- بيروت.

تحرير معاني الألفاظ

إعداد: د. مسعود حامد بشر*

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾⁽¹⁾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾⁽²⁾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾⁽³⁾.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وسلم - وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد: ينبغي للناظر في العلم فقها وأصولاً، تعلماً وتعليماً، أن يحرر معاني الألفاظ، تحريراً بالغا، وأن يفصل فصلاً تاماً بين مراد الله - عز وجل - من كلامه، ومراد رسوله - صلى الله عليه وسلم - من خطابه، وبين مراد المؤصّلين

* عضو هيئة التدريس بكلية العلوم الشرعية (بنين) جامعة طرابلس.

(1) سورة آل عمران، الآية: (102).

(2) سورة النساء، الآية: (1).

(3) سورة الأحزاب، الآيتان: (70، 71).

والمُقَدِّينَ من كلامهم وألفاظهم التي وضعوها واصطلحوا عليها؛ لأن التمييز بين ذلك كله يمنع من حدوث الخلل في الفهم عن الله، وعن رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وفي الفهم عن الأئمة من علماء الأصول والفقهاء، بل ويمنع من الخلط بين كلام الأئمة وما أرادوه من كلامهم مع بعضهم البعض، على اختلاف أزمנתهم ومذاهبهم التي ينتمون إليها، وما مرت به تلك الأعصار من أحداث، فأنتجت عبارات مردُّ فهمها دراسة تلك الأحداث في عصرها الذي حدثت فيه، وهذا ليس بمحل عناية في هذا البحث، وإنما هو تحرير معاني الألفاظ التي أراد المُسْتَعْمِلُ منها الوصول إليها، أي المستعمل لتلك الألفاظ، وما أراد بها من معاني، وليس هذا البحث على سبيل الاستقصاء في هذا الأمر، وإنما هي أمثلة تدل على ما ورائها، وهي بحول الله وقوته ثلاثة أمثلة أو ثلاث مسائل:

الأولى: اختلاف الناس في مسمى العلم.

الثانية: بيان مدلول لفظ السنة.

الثالثة: اختلافهم في معنى الفقه.

الرابعة: في الفصل بين التحريم والكرهية.

المسألة الأولى

اختلاف الناس في مسمى العلم

لقد وردت كثير من نصوص الكتاب العزيز، والسنة المطهرة، على فضل العلم وأهله، وشرفه وشرف منزلته، وما أُعدَّ لأهله من النعيم والرضوان قال الله - عز وجل - : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «... وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ

(1) سورة الزمر، الآية: (9).

طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ،.....»⁽¹⁾، لكن ما هو العلم الذي مدحه الله في كتابه، ومدحه النبي - صلى الله عليه وسلم - في سنته، وقد سبقت الإشارة في المقدمة، بأنه: لا بد من تحرير معاني الألفاظ، وإلا حدث الخلل، فالكلُّ يَدَّعي بأن العلم الممدوح في الكتاب والسنة هو علمه الذي يشتغل به، حتى وإن كان مخالفا لهما، فالمتكلمون يقولون بأن: العلم الممدوح في الكتاب والسنة هو علم الكلام، وقالت الصوفية: هو علم الإخلاص وآفات النفوس، وقال الفقهاء هو علم الحلال والحرام، ويقول المفسرون والمُحَدِّثُونَ: هو علم الكتاب والسنة وكلام السلف، قال ابن قدامة في مختصر منهاج القاصدين: "فقد كان يطلق: - أي لفظ العلم - على العلم بالله تعالى وبآياته، أي: نعمه وأفعاله في عباده، فخصوه وسموا به في الغالب المناظر في مسائل الفقه، وإن كان جاهلاً بالتفسير والأخبار"⁽²⁾.

فينبغي للمسلم أن يحزر معاني الألفاظ التي كان السلف يستعملونها تحريراً تاماً قبل أن يتلقى باسمها ما لا يمت لها بصلة من قريب أو بعيد، حتى لا يقع في خلط عظيم. وقد قال ابن رجب - رحمه الله - بعد أن ذكر أنواعاً من العلوم: "فالعلم النافع من هذه العلوم كلّها ضبط نصوص الكتاب والسنة وفهم معانيها، والتقيّد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم من معاني القرآن والحديث، وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام والزهد والرقائق وغير ذلك، والاجتهاد على تمييز صحيحه من سقيمه أولاً، ثم الاجتهاد على الوقوف على معانيه وتفهمه ثانياً، وفي ذلك كفاية لمن عقل، وشغل لمن بالعلم النافع عُنِيَ واشتغل"⁽³⁾.

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم (2699)، 2074/4.

(2) ابن قدامة، ص(28).

(3) فضل علم السلف على علم الخلف، لابن رجب، (72-78).

ثم قال: ومن وقف على هذا وأخلص القصد فيه لوجه الله - عز وجل - واستعان عليه، أعانه وهدهاه ووقفه وسدده وفهمه وأهمه، وحينئذ يثمر له هذا العلم ثمرته الخاصة به وهي خشية الله، كما قال - عز وجل - : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾⁽¹⁾، إلى أن قال - رحمه الله - : فأصل العلم، العلم بالله الذي يوجب خشيته ومحبته والقرب منه والأنس به والشوق إليه، ثم يتلوه العلم بأحكام الله وما يحبه ويرضاه من العبد من قول أو عمل أو حال أو اعتقاد⁽²⁾.

فتبين لنا مما تقدم ذكره بأن مدلول "لفظ العلم" في الكتاب والسنة، تَعَلُّمٌ ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة، عقيدة وشريعة، علماً وعملاً، منهاجاً وسلوكاً، بل إن من أهل العلم من سمى إهمال العمل على مقتضى العلم جهلاً، والجهل نقيض العلم أو ضده، فبالمخالفة مع العلم بكونها مخالفة، يُعَدُّ مرتكبها جاهلاً، قال ابن القيم - رحمه الله - : "الجهل نوعان: عدم العلم بالحق النافع، وعدم العمل بموجبه ومقتضاه، فكلاهما جهل لغةً وعرفاً وشرعاً وحقيقة. قال موسى - عليه السلام - ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾⁽³⁾. لما قال له قومه ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾⁽⁴⁾، أي: من المستهزئين، وقال يوسف الصديق ﴿وَالْأُتْرُقُفُ عَنِّي كَيْدُهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾⁽⁵⁾، أي من مرتكبي ما حرمت عليهم، وسُمِّيَ عدم مراعاة العمل جهلاً، إما لأنه لم ينتفع به، فَنَزَلَ منزلة الجهل، وإما لجهله بسوء ما تُجني عواقب فعله⁽⁶⁾.

(1) سورة فاطر، الآية (28).

(2) فضل علم السلف على علم الخلف، لابن رجب، (72-78).

(3) سورة البقرة، الآية (67).

(4) سورة البقرة: الآية (67).

(5) سورة يوسف، الآية (33).

(6) مدارج السالكين، لابن القيم، ص172.

وخلاصة القول في مفهوم لفظ العلم والمراد منه ما قاله ابن حجر العسقلاني - رحمه الله -: "والمراد بالعلم: العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته، ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره، وتنزيهه عن النقائص، ومدار ذلك على التفسير، والحديث، والفقهاء"⁽¹⁾.
 وإنه وإن كان لا مشاحة في الاصطلاح، إلا أن عدم البيان والتفرقة بين ما اصطلح عليه مؤخرًا وما كان معمولاً به من قبل، أدى إلى خلط عظيم، ولفظ "العلم" من هذا القبيل، فلا أقل من أن يعرف المسلم بذلك، ما يروم ويقصد، فيقع بحول الله وقوته على الصواب بقدره الملك الوهاب.

المسألة الثانية

بيان مدول لفظ السنة

لا يخفى على أحد مكانة السنة من هذا الدين، إذ هي الوحي الثاني الذي أوحاه الله - عز وجل - على رسوله - صلى الله عليه وسلم - وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، فهي المبينة لمجمل القرآن، والمفصلة لما ورد فيه من معاني وأحكام، والمخصّصة لعامه، والمقيدة لمطلقه، وفيها بيان ما أشكل من القرآن، قال الله عز وجل: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾⁽²⁾، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾⁽³⁾، ولا شك أنها داخلة في الحفظ الذي تكفل الله تعالى به لشريعته ودينه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾⁽⁴⁾.

(1) فتح الباري لابن حجر، 1/141.

(2) سورة النحل، الآية: (44).

(3) سورة النحل، الآية: (89).

(4) سورة الحجر، الآية: (9).

وقد أمر الله تعالى عباده باتباع نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - وطاعته والقصي على أثره، قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾⁽¹⁾، وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾⁽²⁾، وقد تواترت الأحاديث في ذلك أيضاً، ومن ذلك: ما ثبت في الصحيحين من رواية أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ...))⁽³⁾، وعن المقدام بن معدي كَرِب الكندي - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((...أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ))⁽⁴⁾.

فهذه هي مكانة السنة من ديننا الإسلامي الحنيف، وأما تعريفها فاختلاف فيه العلماء على حسب ما تناولوه من العلوم، فالكلُّ نظر إليها بمنظار العلم الذي يشتغل به، فالأصوليون بحثوا عن معناها بحيث إن النبي - صلى الله عليه وسلم - هو المشرع الذي يضع القواعد والأحكام للمجتهدين، وعلماء الحديث بحثوا عنها من حيث إن - النبي صلى الله عليه وسلم - هو الأسوة والقُدوة، فنظروا في جميع أحواله، سواء أثبت من ذلك حكماً أم لا، وعلماء الفقه بحثوا عن أقوال وأفعال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - التي لا تخرج أقواله وأفعاله عن الدلالة على حكم شرعي، من وجوب أو تحريم أو إباحة أو غير ذلك، ومن المقررات الثابتة لدى أهل العلم، أنه لا مشاحة في الاصطلاح، وأن اتخاذ أهل كل علم مصطلحات خاصة

(1) سورة آل عمران، الآية: (32).

(2) سورة النساء، الآية (80).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، [النساء: 59]، رقم (7137)، 61/9، ومسلم، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، رقم (1835)، 1466/3.

(4) أخرجه ابن ماجة في سننه، باب تعظيم حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والتغليظ على من عارضه، رقم (12)، 6/1، قال الألباني: صحيح.

معلمهم أمر لا نزاع فيه ولا خلاف حوله، غير أن التداخل بين مصطلحات العلوم المختلفة يطرأ في كثير من الأحيان، بل قد يحدث أن تختلف مدلولات اللفظ الشرعي الواحد بين المتقدمين والمتأخرين، وهذا التداخل في الاصطلاح حول مدلول اللفظ الواحد وقع للفظ: (السنة)، ويتبين هذا بتعريفها لغة واصطلاحاً باصطلاح أهل كل علم، على اختلاف مشاربهم وأغراضهم.

أولاً- تعريف السنة في اللغة:

قال ابن منظور: " السُّنَّةُ: السَّيْرَةُ، حَسَنَةٌ كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً؛ قَالَ خَالِدُ بْنُ عُنْبَةَ الْهَدَلِيُّ:

فَلَا تَجْزَعَنَّ مِنْ سِيْرَةِ أَنْتِ سِيْرَتِهَا فَأَوْلُ رَاضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيْرُهَا

وَسَنَّتُهَا سَنًّا وَاسْتَنَّتْهَا: سِيْرَتِهَا، وَسَنَنْتُ لَكُمْ سُنَّةً فَاتَّبِعُوهَا. وَفِي الْحَدِيثِ: ((مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً....))، يُرِيدُ مَنْ عَمَلَهَا لِيُقْتَدَى بِهَا فِيهَا، وَكُلُّ مَنْ ابْتَدَأَ أَمْرًا عَمِلَ بِهِ قَوْمٌ بَعْدَهُ قَبْلَ: هُوَ الَّذِي سَنَّه؛ قَالَ نُصَيْبٌ:

كَأَنِّي سَنَنْتُ الْحُبَّ، أَوْلُ عَاشِقٍ مِنَ النَّاسِ، إِذْ أَحْبَبْتُ مِنْ بَيْنِهِمْ وَ حِدِي⁽¹⁾

ثانياً- تعريف السنة اصطلاحاً:

نبدأ باصطلاح الأصوليين، قال الأمامي: "السنة قد تطلق على ما صدر عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - من الأدلة الشرعية مما ليس بمثلوه، ولا هو معجز، ولا داخل في المعجز، وهذا النوع هو المقصود بالبيان ها هنا، ويدخل في

(1) لسان العرب لابن منظور، فصل السين المهملة، 225/13.

ذلك أقوال النبي - صلى الله عليه وسلم - وأفعاله وتقاريره⁽¹⁾. فانظر إلى ما قاله الآمدي: "وهذا النوع هو المقصود بالبيان ها هنا" أي: علم أصول الفقه، وبهذا القول يتحرر لفظ السنة عند الأصوليين على الحد الذي عرّفه به الآمدي وغيره من جمهور الأصوليين.

والسنة في اصطلاح المالكية هي ما واظب عليه - صلى الله عليه وسلم - وأمر به من غير الحاجة وأظهره في جماعة قال صاحب المرافي: **وسنة ما أحمد قد واظبا عليه والظهور فيه واجباً⁽²⁾**

وأما تعريف السنة على اصطلاح الفقهاء فقد قال الشوكاني في معرض الكلام عن لفظ السنة وتعريفها: "وأما في عرف أهل الفقه وإنما يطلقونها على ما ليس بواجب، وتطلق على ما يقابل البدعة كقولهم فلان من أهل السنة"⁽³⁾.

وأما تعريف السنة عند المحدثين فهي كل "ما أثار عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من قول أو فعل، أو تقرير، أو صفة خُلقية أو خُلقية، أو سيرة سواء أكان ذلك قبل البعثة كتحتته في غار حراء أم بعدها، والسنة بهذا المعنى مرادفة للحديث النبوي"⁽⁴⁾.

فيما مر من تحرير معنى لفظ السنة عند الأصوليين، والفقهاء والمحدثين، يتميز لك لفظ السنة عند كل أحد منهم، فلا يشتبه عليك الأمر عند قراءة مؤلفاتهم، والبحث فيها، بل علينا أن نراعي سياق لفظ السنة عند الإطلاق، من حيث هي قسيمة الكتاب العزيز من الأدلة، فيقال: ومن الأدلة الكتاب والسنة، وكذلك عندما

(1) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (241/1).

(2) نشر البنود على مراقبي السعود لعبد الله بن إبراهيم العلوي 49/1.

(3) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، للشوكاني، 95/1.

(4) الحديث والمحدثون لمحمد أبو زهرة، ص10.

تطلق في مقابل البدعة، فيقال بدعة وسنة، وهذا مما اشتهر في القرن الثالث الهجري، عندما ظهرت البدع ونجم ناجمها، وظهرت الفرق كالخوارج والقدرية وغيرهم، فأخذ أهل العلم يطلقون لفظ السنة على أصول الاعتقاد الصحيح السليم، والمنهج السوي المستقيم، وأخذوا يألفون في ذلك مصنفات عديدة، نصره للملة، وحيطة لأصول اعتقاد هذا الدين، من أن يختلط بعقائد أهل البدع والأهواء، ويظهر هذا تماما فيما وسموا به مصنفاتهم في هذا الأمر العظيم، فقد سموها باسم السنة، كأصول السنة للإمام أحمد، والسنة لابنه عبد الله، والسنة للخليل، وأصول السنة لابن أبي زمنين، وشرح السنة للبرهاري وغيرهم، ولعل هذا المعنى هو الذي أشار إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله: ((مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِبَائِكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ))⁽¹⁾.

المسألة الثالثة

اختلاف الناس في مسمى الفقه

قال ابن الأثير - رحمه الله - : "الفقه في الأصل: الفهم، واشتقاقه من الشَّقِّ والفتح، يُقَالُ: فِقِهَ الرَّجُلُ - بالكسر - يَفْقَهُ فِقْهًا، إِذَا فَهَمَ وَعَلِمَ، وَفَقَهُ - بالضم - يَفْقَهُ إِذَا صَارَ فِقِيهًا عَالِمًا.

وقد جعله العرف خاصاً بعلم الشريعة، وتخصيصاً بعلم الفروع منها"⁽²⁾.

قلت: العرف هنا ليس بحاكم ولا يُصار إليه، وتخصيص العلم بالفروع لا دليل عليه.

(1) أخرجه أبو داود في سننه، باب في لزوم السنة، رقم (4607)، 4/200.

(2) النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق الأستاذين طاهر الزاوي ومحمود الطناحي (3/465).

فقد روى الدارمي عن عمران المنقري، قال: قلت للحسن يوماً في شيء: ما هكذا قال الفقهاء، قال: ويحك! هل رأيت فقيهاً؟ إنما الفقيه الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، البصير بأمر دينه، المدوام على عبادة ربه⁽¹⁾.

ولفظ الفقه، كلفظ العلم، من الألفاظ التي وقع التنازع في مدلولها، وحُرِّفت عما هي لها، فلفظ "الفقه": "تصرفوا فيه بالتخصيص، لا بالنقل والتحويل؛ إذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة في الفتاوى، والوقوف على دقائق عللها، واستكثار الكلام فيها، وحفظ المقالات المتعلقة بها، فمن كان أشدَّ تَعَمُّقاً فيها وأكثر اشتغالاً بها يُقال: هو الأَفْقَه.

ولقد كان اسم الفقه في العصر الأول مُطلقاً على علم طريق الآخرة، ومعرفة دقائق آفات النفوس، ومفسدات الأعمال، وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة، واستيلاء الخوف على القلب ويدلك على ذلك قوله عز وجل: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ...﴾⁽²⁾.

وما يحصل به الإنذار والتخويف هو هذا الفقه، دون تفرعات الطلاق والعتاق واللعان والسلم والإجارة؛ فذلك لا يحصل به إنذارٌ ولا تخويفٌ، بل التجرد له على الدوام يُقسي القلب، وينزع الخشية منه، كما تشاهد آلاف من المتجردين له، وقال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾⁽³⁾، وأراد به معاني الإيمان دون الفتاوى⁽⁴⁾.

وفي رواية لمسلم عن طريق عبد الله بن عامر التَّخْصُّبي قال: سمعت معاوية يقول: إياكم وأحاديث إلا حديثاً كان في عهد عمر؛ فإن عمر كان يخيف

(1) "صحيح الترغيب والترهيب للألباني (31/1).

(2) سورة التوبة، الآية: (122).

(3) سورة الأعراف، الآية: (179).

(4) تهذيب إحياء علوم الدين للأستاذ عبد السلام هارون 38/6.

الناس في الله - عز وجل، سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم وهو يقول: "من يرد الله به خيراً يفقه في الدين"⁽¹⁾.

قوله صلى الله عليه وسلم: "من يرد الله به خيراً يفقه في الدين" فيه فضيلة العلم والتفقه في الدين، والحث عليه وسببه أنه قائدٌ إلى تقوى الله - عز وجل - .

وهذا يدل على أن من لم يفقه في دينه لم يرد به خيراً كما أن من أراد به خيراً ففقه في دينه، ومن فقهه في دينه فقد أراد به خيراً، إذا أريد بالفقه العلم المستلزم للعمل وأما أن أريد به مجرد العلم فلا يدل على أن من فقه في الدين فقد أريد به خيراً؛ فإن الفقه حينئذٍ يكون شرطاً لإرادة الخير، وعلى الأول يكون موجباً، والله أعلم⁽²⁾.

فينبغي للناظر في معنى الفقه أن يحزر معنى هذا الكلمة تحريراً بالغاً، وأن يفصل فصلاً تاماً بين مراد الله - عز وجل - منها، ومراد رسوله - صلى الله عليه وسلم - وبين مراد الأصوليين والفقهاء والمقعدين من كلامهم وألفاظهم التي وضعوها، لأن التمييز بين ذلك كله يمنع من حدوث الخلل في الفهم بل ويمنع الخلط كما بينا ذلك في المقدمة، والله أعلم.

(1) صحيح مسلم بشرح النووي 127/7.

(2) ينظر مفتاح السعادة لابن القيم، تحقيق علي حسن عبد الحميد 246/1.

المسألة الرابعة

الفصل التام بين التحريم والكراهية

قال صاحب المراقي:

ثم الخطاب المقتضي للفعل جزماً فإيجابُ لدى ذي النقل

وغيره النذب وما الترك طلب جزماً فتحریم له الإثم انتسب

أولاً مع الخصوص أولاً مع ذا خلاف الأولى وكراهةً خذاً⁽¹⁾

وقال شرف الدين العمريطي في: "نظم الورقات" لأبي المعالي إمام

الحرمين:

والحكم واجب ومندوب وما أبيض والمكروه مع ما حرم

وطريق العلم بها التتبع والاستقراء، وذلك لأن الشرع إما أن يأمر بالشيء، أو ينهى عنه، أو أن يسكت، فهذه أقسام ثلاثة، فإن أمر بالشيء فإما أن يأمر به على سبيل الإلزام، أو على سبيل الاختيار، فالأول واجب، والثاني مندوب.

وما نهى عنه إما أن ينهى عنه على وجه الإلزام بالتارك، وإما على سبيل الاختيار، فالأول حرام، والثاني مكروه، وإما أن يسكت فهذا مباح، فقد جاء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما يروى عنه أنه قال: ((...وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ عَفْوٌ))⁽¹⁾⁽²⁾،

(1) فضل علم السلف على علم الخلف، لابن رجب، (72-78).

(2) أخرجه أبوداود في سننه، باب ما لم يذكر تحريمه، رقم (3800)، 3/354، قال الألباني: صحيح الإسناد.

فهذا هو الاصطلاح الذي مشى عليه الأصوليون لفظ الكراهة والتحريم، حيث أنهم يفضلون فصلا تاما بين الكراهة والتحريم ، فالمكروه عندهم ما تركه أرجح من فعله، ومع فعله ليس على فاعله عقاب ولا ذم وإنما عليه العتاب ، وإن تركه فله الثواب، والمحرم ما تركه حتم لازم وعلى فعله العقاب وتركه الثواب، ولكن من تتبع كلام الأئمة فإنه لا يجد هذا الفصل التام بين التحريم والكراهة، بل إنهم قد يطلقون الكراهة على الشيء ويريدون تحريمه كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وإنه وإن كان لا مشاحة في الاصطلاح، إلا أن ذلك يحدث خلطا عظيما، عندما يكون هذا الاصطلاح الحادث عند المتأخرين، حاكما على ألفاظ المتقدمين من الأئمة، ويزيد هذا الخلط أكثر عندما يكون هذا الاصطلاح الحادث حاكم على ألفاظ الكتاب والسنة، والأصل أن يكون الكتاب والسنة حاكما على كل أحد.

قال الشيخ الألباني - رحمه الله -: "إن من الواجب على أهل العلم أن ينتبهوا للمعاني الحديثة التي طرأت على الألفاظ العربية التي تحمل معاني خاصة معروفة عند العرب، هي غير هذه المعاني الحديثة؛ لأن القرآن نزل بلغة العرب فيجب أن تفهم مفرداته وجمله في حدود ما كان يفهم العرب الذين أنزل عليهم القرآن، ولا يجوز أن تفسر بهذه المعاني الاصطلاحية الطارئة التي اصطلح عليها المتأخرون، وإلا وقع المفسر بهذه المعاني في الخطأ والتقول على الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - من حيث لا يشعر"⁽²⁾.

وهذا الخلاف بين أصل ما دلت عليه ألفاظ الكتاب والسنة، والمعنى الاصطلاحي الحادث أحدث خلطا عظيما، كما مر ذكره ومنه: "الفصل التام بين الكراهة والتحريم" فالأئمة ربما أطلقوا لفظ الكراهة على المحرم ولكن المتأخرين فهموا ذلك بميزان الاصطلاح عندهم، قال ابن القيم - رحمه الله - " وقد غلط كثير من المتأخرين من

(1) ينظر نشر البنود 34/1 وما بعدها.

(2) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، للألباني، ص37.

أتباع الأئمة على أئمتهم بسبب ذلك، حيث تورع الأئمة عن إطلاق لفظ التحريم، وأطلقوا لفظ الكراهة، فنفى المتأخرون التحريم عما أطلق عليه الأئمة الكراهة، ثم سهل عليهم لفظ الكراهة وخفت مؤنته عليهم فحمله بعضهم على التنزيه، وتجاوز به آخرون إلى كراهة ترك الأولى، وهذا كثير جدا في تصرفاتهم؛ فحصل بسببه غلط عظيم على الشريعة وعلى الأئمة، وقد قال الإمام أحمد في الجمع بين الأختين بملك اليمين: أكرهه، ولا أقول هو حرام، ومذهبه تحريمه، وإنما تورع عن إطلاق لفظ التحريم لأجل قول عثمان. وقال في رواية ابنه عبد الله: لا يعجبني أكل ما ذبح للزهرة ولا الكواكب ولا الكنيسة، وكل شيء ذبح لغير الله، قال الله عز وجل:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَالْحُمُّ الْخَنْزِيرُ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾⁽¹⁾، فتأمل كيف قال: " لا يعجبني" فيما نص الله سبحانه على تحريمه، واحتج هو أيضا بتحريم الله له في كتابه.

ومن هذا أيضا نص الإمام الشافعي على كراهة تزوج الرجل بنته من ماء الزنا، ولم يقل قط إنه مباح ولا جائز، والذي يليق بجلالته وإمامته ومنصبه الذي أحله الله به من الدين أن هذه الكراهة منه على وجه التحريم، وأطلق لفظ الكراهة لأن الحرام يكرهه الله ورسوله؛ وقد قال تعالى عقيب ذكر ما حرمه من المحرمات من عند قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبِّيكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ إلى آخر الآيات؛ ثم قال: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ

(1) سورة المائدة، الآية: (3).

سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا»⁽¹⁾، وَفِي الصَّحِيحِ: ((إِنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- كَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ))⁽²⁾⁽³⁾.

ويعد: فهذا ما من الله - تبارك وتعالى - به من الأمثلة التي أردت أن أبين بها (تحرير معاني الألفاظ) لتكون دليلاً واضحاً على أهمية هذا الأمر، وأنه يجب التفتن والانتباه إليه، حتى يكون الأمر، مستقيماً على الجادة، ولا يقع الخلل، ولا يحدث الخطل والزلل، والله من وراء القصد، ولا حول ولا قوة إلا به، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الخاتمة

قبل أن نطوي صفحات هذا البحث لا بد لنا من الإشارة إلى أهم النتائج وهي: معرفة لغة الصحابة - رضي الله عنهم - وعادتهم في الكلام، حيث أن النبي صلى الله عليه وسلم يخاطبهم بها، مما يُعين المسلم على تحرير معاني الألفاظ، حيث كانت العربية سليقتهم والمعاني الصحيحة مركوزة في فطرتهم وعقولهم.

دخول العجمة على العرب بمخالطتهم للأعاجم، وترجمة كتب من سبقوهم كالفرس واليونان، هو الذي اضطر العلماء إلى هذه المصطلحات الطارئة، لغرض البيان والتوضيح.

عصور الضعف والجمود التي تعرض لها المسلمون هي التي أدت إلى التعصب والنقلد الأعمى، ومن ثم حدثت الفرقة ووقع الخلاف.

(1) سورة الإسراء، الآيات: 33-38.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، باب قوله تعالى: «لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ الْخَافًا»، رقم (1477)، 124/2.

(3) إعلام الموقعين لابن القيم، 43-39/1.

بتحريير معاني الألفاظ، تتميز العلوم والمعارف بعضها عن بعض، فلا يحدث أي تداخل بين علم وعلم، ولا فن وفن من فنون العلم، فيستعمل كل مصطلح مقرون بمعناه فيما يناسبه من العلوم.

وقد قال شيخ الإسلام - رحمه الله - : "ومن لم يعرف لغة الصحابة التي كانوا يتخاطبون بها ويخاطبهم بها النبي - صلى الله عليه وسلم - وعادتهم في الكلام وإلا حَرَّفَ الكلم عن مواضعه فإن كثيرا من الناس ينشأ على اصطلاح قومه وعادتهم في الألفاظ ثم يجد تلك الألفاظ في كلام الله أو رسوله أو الصحابة فيظن أن مراد الله أو رسوله أو الصحابة بتلك الألفاظ ما يريد به بذلك أهل عادته واصطلاحه ويكون مراد الله ورسوله والصحابة خلاف ذلك. وهذا واقع لطوائف من الناس من أهل الكلام والفقهاء والنحو والعمامة وغيرهم، وآخرون يتعمدون وضع ألفاظ الأنبياء وأتباعهم على معاني أُخر مخالفة لمعانيهم ثم ينطقون بتلك الألفاظ مريدين بها ما يعنونه هم ويقولون: إنا موافقون للأنبياء!!

وهذا موجود في كلام كثير من الملاحدة المتفلسفة والإسماعيلية، ومن ضاهاهم من ملاحدة المتكلمة والمتصوفة..... ومن عرف الأنبياء ومرادهم علم بالاضطرار أن هذا ليس هو ذلك"⁽¹⁾.

(1) مجموع الفتاوي لابن تيمية، 1/175.

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

-الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الأمدي (المتوفى: 631هـ)، المحقق: عبد الرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - لبنان.

-إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة: الطبعة الأولى 1419هـ - 1999م.

-إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1411هـ - 1991م.

-تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: 1420هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الرابعة.

-الحديث والمحدثون، المؤلف: محمد أبو زهرة، الناشر: دار الفكر العربي، الطبعة: القاهرة في 2 من جمادى الثانية 1378هـ.

-سنن ابن ماجة، المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

-سنن أبو داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

-شرح نظم الورقات في أصول الفقه، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، الناشر: دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية: 1432هـ.

-صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

-صحيح مسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

-فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، عن الطبعة التي حقق أصلها العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الحديث - القاهرة، الطبعة: 1424هـ - 2004م.

-فضل علم السلف على علم الخلف، المؤلف: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى: 795هـ)، تحقيق محمد بن ناصر العجمي، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة: 1431هـ - 2010م.

-لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى.

-مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، المحقق: أنور الباز - عامر الجزار، الناشر: دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، 1426 هـ / 2005 م.

-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، تحقيق: عاطف صابر شاهين، الناشر: دار الغد الجديد - القاهرة، الطبعة الأولى: 1433هـ - 2012م.

-نشر البنود على مراقي السعود: العلامة عبد الله بن إبراهيم العلوي (1233هـ) تحقيق وتوثيق: أحمد بن عبد الكريم نجيب، من إصدارات ديوان الشناقطة - دار المذهب القاهرة.

-المغني لابن قدامة المقدسي، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة.

دور الخطاب الديني في حل المشكلات الاجتماعية

إعداد: أ. سعاد علي الرفاعي

المقدمة:

كثر الحديث في الوقت الحالي عن العديد من المشكلات الاجتماعية التي بدأت تظهر في المجتمع مؤخرًا، ومن أبرز تلك المشكلات التعصب والانحرافات الأخلاقية والاجتماعية، وتغييب القيم والأخلاق التي حافظت على النظام الاجتماعي الذي ظل متماسكًا في ظل التغيرات الاجتماعية وخاصة الأسرة بحكم أنها المكون الأول لهذا المجتمع، وظهور العديد من السلوكيات المنافية لقيم المجتمع، ولقد كان للخطاب الديني أثر في ظهور نمط تربوي يساهم في حل العديد من المشكلات المعاصرة التي يعاني منها المجتمع، ويتجلى البعد التربوي في دور الخطاب الديني في توجيه السلوك في الحياة العامة والخاصة بوصفه ثقافة وعبادة. كما يعتبر الخطاب الديني ركن من أركان العملية التربوية وركيزة أساسية فيها؛ لما يحتويه من قيم أصيلة ومعاني سامية وتوجيهات رنانة تستهدف تهذيب الإنسان، والارتقاء بسلوكه، حيث يعم الأمن والطمأنينة المجتمع⁽¹⁾، كما يحظى الخطاب الديني المعاصر بقدرة بالغة على التأثير في توجيه وتشكيل فكر وسلوك ووجدان المجتمع، حيث تركز عليه جميع القيم والمبادئ الاجتماعية التي تغرس في الفرد من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، وبذلك فالخطاب الديني المعاصر يظهر في الوقت الحالي على أنه شكل من أشكال التواصل بين الناس وقوة رئيسية يمكنها توجيه السلوك، فالخطاب الديني هو الأساس الذي يعتمد عليه غالبية المجتمع؛ لصقل ثقافتهم ومعارفهم (2008).

(1) - حفصة، جرادي وبشير، بنت حبيب، أهمية الخطاب الديني في التنمية الاجتماعية، مجلة إنسانة للبحوث والدراسات، (2016) ص (1).

وبذلك يعد الخطاب الديني من أهم الوسائل التي يمكنها تعزيز القيم والفصل في جميع القضايا التي تثير الجدل خصوصاً في المجتمعات التي يشكل فيها الدين مركز قوى كالمجتمعات العربية، فالخطاب الديني ليس مجرد كلمات تلقى، وعبارات متداولة، ولكن الخطاب الديني هو رسالة ذات محتوى فكري وديني واجتماعي له أهدافه وغاياته ودلالاته المؤثرة على التفكير الإنساني باعث عن التشكل في الفعل الإنساني لدى الشخص المخاطب الأفراد المخاطبين، حيث يهتم الخطاب الديني بكل كلمة يتم النطق بها، وكل جملة يتم كتابتها تحمل وجهة نظر معينة ومحددة من الشخص المتكلم بها أو الكاتب للخطبة من حيث فرضها نية التأثير على السامع أو القارئ والمتلقي للخطبة من حيث الاهتمام بالظروف والملابسات التي تمت بها وصيغت منها. (1) .

يعتبر الدين أهم وأقوى وسيلة من وسائل الضبط في الحياة الاجتماعية، من خلالها ما يقوم به من وظائف في حياة الفرد والمجتمع واستقرار النظم الاجتماعية، ولذلك اهتم علماء الاجتماع بدراسته ووضعه على قمة النظم الاجتماعية، والدين نظام اجتماعي شامل لا يسمح لأي فرد أن يكون له رأياً خاصاً فيه، أو يسلك سلوكاً خارجاً عليه. فالدين يضبط سلوك الأفراد في المجتمع بالثواب والعقاب لا في الحياة الدنيا فحسب بل في الدار الآخرة أيضاً، والخطاب الديني هو أحد أهم الوسائل التي من خلال عام يتم تبليغ الناس بالتعليم الدينية التي من شأنها ان تضبط سلوكهم وتوجههم (2)

(1) - حينامة، العيد وبوحليبة، سارة ، الخطاب الديني بين أساليب النجاح والمشكلات التي تواجهه، مجلة دراسات في علوم الإنسان والمجتمع، (2019) ص (4).

(2) - الأوقاتي، بسمه خليل نامق وكاظم، احمد عدنان ، وحدة الخطاب الديني والسياسي: الحرية بين الالتزام الوطني وتحديات الفوضى والجيل الرابع، مجلة بحوث الشرق الأوسط ، (2020) ص (54).

حيث إن الخطاب الديني هو أحد أهم الوسائل التي من خلالها يتم نقل المعلومات والمعارف المتعلقة بالدين لدى الناس وخاصة في مجتمعاتنا العربية، حيث إن أغلب الأفراد يكونون أفكارهم وثقافتهم الدينية من خلال ما يتلقوه من الخطاب الديني سواء المسموع أو المرئي؛ ليصبح الدين بذلك أداة ضبط اجتماعي، لها فاعليتها في ضبط سلوك الأفراد، فحياة الجماعة والتنظيم الاجتماعي لا يمكن أن يستقر بفعل قوة القوانين الوضعية فقط، بل لا بد من الردع الروحي والإيمان بالقيم الاجتماعية والخوف من غضب الله تعالى، وبالتالي يصبح لهذه السلطة الروحية قوة تفوق قوة القانون وأحكامه أو مظاهر السلطة المادية الأخرى (1).

لذلك ترى الباحثة إنه لا بد من الإشارة إلى أهمية الثقافة الدينية السوية الداعية للخطاب الديني المرن والمتطور الذي يحاكي الواقع ويهدف إلى حالة من التعايش الإنساني وقبول الآخر من جهة، ومن جهة أخرى الداعي إلى الانخراط في حالة البناء والتطور وعدم الانغلاق والانعزال عن الواقع والتأثير في أهم مرتكزاته الإنسانية، وذلك لتقديم الدعوة للاستفادة من النماذج التي حققت نهضة اقتصادية وعلمية وعملية بعد أن باغتها الحروب والدمار ودُمّرت كل مقدراتها، لكنها نهضت من جديد من خلال رسالة أمل وإيمان بالحياة والمستقبل وبطاقات أبنائها وإمكانياتهم، مستخدمة بذلك الخطاب الديني المبدع في كل المجالات بدلاً من الخطاب المتطرف الذي يلبس عباءة دينية وغالباً ما يكون في إطار متوقع في قصص تاريخية تختلف ظروف حدوثها بالكامل عن ظروف الحياة في التاريخ المعاصر مما يجعل النتيجة تصب في طريق الهدم والصدام مع الواقع بدلاً من التطوير والبناء، ونحن نسعى في الوقت الحالي إلى خطاب ديني يجمع بين الأصالة والمعاصرة يوازن بين النصوص النقلية ومتطلبات العصر المعاصرة، ومن

(1) - الصفار، حسن موسى ، الخطاب الديني والوظيفة الاجتماعية، اطباف للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، (2022) ص 1.

خلال قوة التأثير هذه، والتي يتمتع بها الخطاب الديني على مر العصور وخاصة في مجتمعاتنا العربية يمكن أن يسهم بشكل كبير في حل المشكلات الاجتماعية المتعددة التي يعاني منها المجتمع، والتي تشكل خطراً يعوق تقدمه واستقراره وتحقيق أمن أفرادها ومن هذا المنطلق اهتم الباحثة بدراسة الخطاب الديني، ودوره في حل المشكلات الاجتماعية التي تواجه المجتمع في الوقت الحالي؛ وذلك لتحقيق أمن واستقرار المجتمع.

المبحث الاول

أولاً-مشكلة البحث:

يتجه المهتمون بالخطاب الديني إلى الانتقال به إلى نقلة نوعية تجعله يسهم بدور كبير في حل المشكلات الاجتماعية، وتصويب الافكار المغلوطة، والمساهمة بفاعلية في استقرار المجتمعات وتقبل الاختلافات والتنوعات الفكرية والثقافية، وتشير العديد من الدراسات على أهمية الخطاب الديني في نشر الوعي، ونبذ العنف وتحقيق الاستقرار والرخاء الاجتماعي، ونشر قيم التسامح والتعاون بين أفراد المجتمع؛ مما يساهم بنصيب كبير في حل المشكلات الاجتماعية داخل المجتمع، ومن هذه الدراسات دراسة حفصة وبشير (2016) ودراسة فياض (2017) دراسة عبد والهيتي (2018) ودراسة صالح وشاهين (2018) ودراسة على (2018) ودراسة سلمان (2018) ودراسة سعيد (2018) ودراسة حنا مينة وأبو حلبية (2019) ودراسة أمين (2020) ومن هذا المنطلق تبلورت مشكلة البحث في التساؤل الرئيس التالي: ما هو دور الخطاب الديني في حل المشكلات الاجتماعية؟ وللإجابة على هذا التساؤل يجب الإجابة على عدد من الأسئلة الفرعية الآتية:

ما هو تعريف الخطاب الديني المعاصر؟ وما هي أهميته؟ وما هي أسسه؟

ما هي سمات الخطاب الديني الفعال في حل المشكلات الاجتماعية؟

ما أهم المشاكل الاجتماعية التي يمكن أن يساهم الخطاب الديني في حلها؟

ما هو واقع الخطاب الديني حالياً في المجتمع؟

ما هي العوامل التي تعوق الخطاب الديني في القيام بدوره في حل المشكلات؟

ما العوامل التي تجعل الخطاب الديني مؤثراً في المجتمع؟

ما هي الطرق التي من خلالها يتم الاستفادة وتوظيف الخطاب الديني في حل

المشكلات الاجتماعية؟

ثانياً - أهمية البحث:

يكتسب البحث أهميته من أهمية الموضوع الذي يتناوله وتتحد أهمية البحث في عدد

من النقاط كالتالي:

يعد البحث أثراً للمكتبة العربية بما يتناوله من متغيرات بحثية، حيث يقدم تأصيل

نظري لما يتناوله البحث من متغيرات.

يلفت نظر الباحثين إلى أهمية ودور الخطاب الديني في المجتمع وكيفية مساهمته

في حل المشكلات الاجتماعية.

يقدم البحث عدد من التوصيات والمقترحات التي من شأنها أن تزيد من فاعلية

الخطاب الديني للحل المشكلات الاجتماعية.

ثالثاً - أهداف البحث:

يهدف البحث إلى هدف رئيس وهو التعرف على دور الخطاب الديني في حل

المشكلات الاجتماعية؛ ولتحقيق هذا الهدف الرئيسي لا بد من تحقيق عدد من

الأهداف الفرعية كالتالي:

التعريف على مفهوم الخطاب الديني المعاصر وأهميته وأسس.

التعرف على هو واقع الخطاب الديني حالياً في المجتمع.

التعرف على سمات الخطاب الديني الفعال في حل المشكلات الاجتماعية.

التعرف على أهم المشاكل الاجتماعية التي يمكن أن يساهم الخطاب الديني في حلها.

التعرف على العوامل التي تعوق الخطاب الديني في القيام بدوره في حل المشكلات.

التعرف على العوامل التي تجعل الخطاب الديني مؤثراً في المجتمع.

التعرف على الطرق التي من خلالها يتم الاستفادة وتوظيف الخطاب الديني في حل المشكلات الاجتماعية.

رابعاً - مصطلحات البحث:

مفهوم الخطاب الديني يشير إلى فهم الدين في ضوء معطيات العصر بما يضمن وجود الإنسان المتصالح مع عصره والمشارك فيه بكفاءة وفعالية ونسبة الخطاب إلى الدين المقصود منه الخطاب الذي يعتمد على مرجعية دينية في مخاطبته وأحكامه وبياناته⁽¹⁾.

وتعرف الباحثة الخطاب الديني بأنه هو الخطاب الذي يقدمه المتخصص في العلوم الشرعية للناس للشرح أحكام الشريعة الإسلامية من خلال القرآن والسنة. المشكلات الاجتماعية

(1) - الخزعلي، أمل هندي، الخطاب الإسلامي المعاصر: واقع التطرف ودعوات التجديد، مجلة كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، (2015) ص (12).

تعرف المشكلات الاجتماعية على أنها مجموعة من المعوقات أو سلوكيات سلبية التي لها العديد من العواقب والنتائج السلبية المترتبة عليه وتؤثر على أعداد كبيرة من الأفراد في داخل المجتمع ونحتاج إلى معالجة⁽¹⁾.

ويعرف الباحثة المشكلات الاجتماعية في بحثه على أنها مجموعة من العقبات والمعوقات غير مرغوب فيها تعوق المجتمع عن التقدم والتطور وتهدد أمنه واستقراره، حيث تؤثر نتائجها على عدد كبير من الأفراد.

خامساً- منهج البحث:

تتبع الباحثة المنهج الوصفي التحليلي لتحقيق أهداف البحث؛ وذلك من خلال تحليل الدراسات السابقة والأدبيات المرتبطة بموضوع البحث، حيث من خلال اتباع المنهج التحليلي تتمكن الباحثة من أن تقدم عدد من التوصيات والمقترحات التي تساهم في تفعيل الخطاب الديني الحالي في حل المشكلات الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع بما يحقق السعادة والرفاهية لأفراده.

سادساً- الدراسات السابقة والإطار النظري:

دراسة صالح وشاهين (2018) والتي تهدف إلى التعرف على الخطاب الديني المعتدل، ودوره في تعزيز السلم المجتمعي، كما تهدف الدراسة إلى تأصيل خطاب ديني اعتدل وترسيخ معانيه في نفوس المسلمين، ولقد اعتمد الباحث ان في دراسته على المنهجية النظرية الاستدلالية، حيث قام الباحث بالتدليل على مضامين الدراسة من خلال الاستدلال من القرآن والسنة، ولقد توصلت الدراسة أن من أهم أهداف الخطاب الديني هو تحقيق العدالة في المجتمعات بموازين الدين الإسلامي ونبذ التطرف وأوصت بضرورة تجديد الخطاب الديني بما يتناسب مع المتغيرات الاجتماعية.

(1)- البغدادي، محمد، المشكلات الاجتماعية، مكتبة القلم، الأردن، (2021) ص 1.

دراسة سعيد (2018) والتي تهدف إلى التعرف على أثر التوسط والاعتدال في الخطاب الديني وتحقيق التنمية المجتمعية، واتبع الباحثة المنهج الاستنباطي والمنهج التحليلي، ولقد قدمت الدراسة نماذج للخطابات الدينية المعتدلة التي كانت لها كبير الأثر في حل المشكلات واستقرار المجتمعات، ولقد أسفرت الدراسة على أن الدين الإسلامي اتسم بالوسطية والاعتدال والبعد عن المغلاة في كافة أحكامه وتشريعاته

دراسة علي (2018) والتي تهدف إلى التعرف على دور الخطاب الديني المعتدل في نشر التسامح الإسلامي وأثره في استقرار المجتمع وتنميته، حيث تهدف الدراسة إلى الكشف عن قيمة الخطاب الديني (القران والسنة) وقدرته على إحداث ثورة فكرية بين أفراد المجتمع؛ وذلك للتحقيق السلام وال عمران واستخدمت الباحث المنهج التحليلي، وذلك لتوضيح التصرف والتشدد الفكري وبيان أثره في مواجهة التصرف، ولقد أوضحت الدراسة أهمية الخطاب الديني للنشر الوعى الفكري.

دراسة أمين (2020) والتي هدفت إلى التعرف على دور الخطاب الديني المعتدل في نشر قيم التسامح والسلام، واعتمدت الباحث في دراسته على المنهج الوصفي التحليلي من خلال حديد سمات وخصائص الخطاب الديني المعتدل، واستنتج أثره في تحقيق أمن وتماسك المجتمع.

وتوصلت الدراسة إلى أن الخطاب الديني في المرحلة الراهنة يحتاج إعادة تقييم نظرا للمشكلات التي يتعرض لها الخطاب الديني نتيجة الجمود الفكري الذي تعاني منه بعض المنصات التي تقدم الخطاب الديني، كما توصلت الدراسة أيضا أن الخطاب الديني المعتدل يؤدي إلى تحقيق الأمن الإنساني ويحقق التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة.

المبحث الثاني

أولاً- مفهوم الخطاب الديني:

مفهوم الخطاب الديني من المفاهيم الحديثة نسبياً في علم الاجتماع عامة والعلوم اللغوية والاجتماعية خاصة، تتعدد التعريفات والمفاهيم التي تناولت معنى الخطاب الديني، حيث قدم العديد من الباحثين عدة من المفاهيم لمتغير الخطاب الديني كالتالي:

يعرفه أبو زيد (1995) على أن الخطاب الديني هو كل سلوك أو تصرف يكون الدافع إليه الانتماء إلى دين معين، سواء أكان هذا الخطاب مسموعاً أو مكتوباً أو كان ممارسة عملية يلقيه الفرد أمام الآخرين.

كما يعرف مسعود (2018) على أن الخطاب الديني المقصود به ما يصدر عن رجال الدين من أقوال أو نصائح أو مواقف سياسية من قضايا العصر، ويكون مستندهم فيها إلى الدين الذي يدينون به.

يعرف عبد الصمد (2021) الخطاب الديني على أنه المقصود به الدعوة إلى الله تعالى وإلى الإيمان بالرسول والافتداء بهم وبمنهجهم في إقامة الدين الحق واتباع أوامر الخالق واجتتاب نواهيه وتربية القلب وتنظيم حياة المجتمعات وتوطيد التعامل الإيجابي والفعال مع مقتضيات الأحوال والظروف المتغيرة للحياة الاجتماعية بمراحلها ومستوياتها، وذلك حتى يوجه الخطاب الديني العقل لإدراك المقاصد في الدين في الأحكام التي يدعو إليها وينير له طريق الحق.

كما يوجد من الباحثين والدارسين من يعرفه على أنه الخطاب الإلهي متمثلاً في القرآن والسنة الصحيحة، وهو بذلك الفعل البشري الهادف إلى تبليغ ونشر تعاليم الدين ودعوة الأفراد إلى الالتزام بأحكامه وتشريعته⁽¹⁾

(1) - فياض، خالد وفهد، وجدان ، الخطاب الديني تحديات الجمود وأفاق التجديد، مركز تريندز للبحوث والاستشارات، السعودية، (2022) ص 1.

وتري الباحثة المقصود بالخطاب الديني هو كل ما يصدر عن رجال الدين من أقوال أو أفعال أو نصائح أو مواقف سياسية واجتماعية من قضايا العصر، حيث يكون الغاية أو الدافع منها وإليها هو انتمائهم إلى الدين الذي يدينون به ويمشون على خطاه، والغاية منه نشر السلام والتغيير المطلوب بعيداً عن المشي به في عماية أو ضلالة، وبذلك تري الباحثة أن مفهوم الخطاب الديني ينحصر معناه في مجمل التعريفات والمفاهيم حول السعي لنشر دين الله عقيدة وشريعة وأخلاقاً، ومعاملات وبذل الجهد في ذلك، لتعليم الناس ما ينفعهم في الدارين وبذل أقصى الجهد والطاقة من أجل خدمة هذا الدين الحنيف، كما أن المسلمون بصورة عامة لا يوجد في تراثهم ما يسمى (رجال الدين) وإنما المصطلح الشائع عندهم هو أهل العلم والعلماء والمفكرين، وأهل الذكر وعلماء الشريعة الإسلامية أي أهل الاجتهاد وأهل الفتوى المفتون أي إنهم لا يوجد فرق بينهم من حيث الانتساب إلى الدين فكلمهم مسلمون، وإنما الفرق والتفاوت والاختلاف الذى يحدث بين العلماء والعامة، أي المعنى من ذلك أن العلماء وحدهم هم الذين يحق لهم أن يتكلموا باسم الاسلام ويبينوا ويوضحوا أحكامه للناس حتي يتم الرجوع إليهم في كل القضايا الدينية أي المسائل التي لا تكون معلومة لدى عامة الأفراد.

ثانياً - أسس الخطاب الديني الفعال:

من الأمور الهامة هو أنه يجب أن يقدم الخطاب الديني من خلال مجموعة من الضوابط والأسس التي يجب أن يلتزم بها ويراعيها كانت يوكل إليه أمر الخطاب الديني، ومن الأمور الهامة في هذا المجال من الذى يجب عليه أن يقدم الخطاب الديني في مجتمعنا، حيث من المفارقات العجيبة في العصر الحالي نجد العديد من غير المختصين بالعلوم الدينية والشريعة يقدمون الخطاب الديني رغم إننا في عصر يقصد التخصص إلا أن الخطاب الديني ترك أمامه الباب مفتوحاً على مصراعيه؛ ليقدم أناس ليس من أهل الاختصاص الخطاب الديني؛ لذا سوف توضح الباحثة في

بحثها عدد من الضوابط التي يجب أن نراعيها عند تقديم الخطاب الديني ومن أهمها ما يلي:

أولاً: الاختصاص والمعرفة بالعلوم الدينية والشريعة والقواعد والأحكام والامام بظروف العصر ومشكلاته.

ثانياً: الوضوح والسلاسة بعيد عن الغلظة واستخدام لغة تعبيرية سلسة وغير معقدة يفهما أكبر عدد من المتلقين.

ثالثاً: لابد أن ما يتم تقديمه في الخطاب الديني أن يكون له أساس وسند شرعي صحيح وقوى كما أن من يقدم الخطاب الديني سواء كان مسموعاً أو مكتوباً يجب أن يبتعد عن الأسانيد الضعيفة، وأن يمتلك مهارات التفكير الناقد؛ ليفرق بين العالي والتمين والغث الموضوع، والذي لا يعتد به ويشك في سنده.

رابعاً- مراعاة حال المتلقين أو المخاطبين، حيث يكون خطابه الديني مرتبط بمشكلاتهم وواقعهم يسهم في حلها حتى يمس قلوبهم، ويؤثر فيهم فلا يضيع وقتهم فيما لا يفيدهم⁽¹⁾.

لذا ترى الباحثة أنه لابد من أن يقدم الخطاب الديني ينبغي أن يكون على دراية بعناصر هذا الخطاب وهي أولاً: أدوات الاتصال والتواصل، فلا يكتفي مقدم الخطاب الاكتفاء بالمهارة اللغوية فقط للتأثير في الناس، ولكن لابد من أن يكون على دراية ومعرفة بوسائل التواصل الاجتماعي الفيس بوك وتويتر وغيرها من التطبيقات التي أصبحت ذات تأثير فعال في حياة الناس وسلوكهم، كما على مقدم الخطاب الديني اختيار المضمون للرسالة الدعوية التي يريد ان يوصلها للأفراد من خلال خطابه فلا يقتصر خطابه على موضوعات تقليدية مثل إظهار محاسن الأديان والجنة والنار إلى غير ذلك، بل يجب أن يتطرق إلى الموضوعات التي

(¹)- السلمى، عباس بن نامي (2008)، تجديد الخطاب الديني مفهومه وضوابطه، الناشر مركز التميز البحثي، المملكة العربية السعودية، ط1.

تمس الأفراد وتتصل بحلول لمشكلاتهم، كما يجب على مقدم الخطاب الديني أن يمتلك من الوسائل ما يمكنه من قياس ردود أفعال المتلقين لخطابه، ومدى قوة استجاباتهم؛ لما يقدمه الخطاب الديني من أفكار وكيفية تفاعلهم معها، فمثل هذه المؤشرات القياسية للتفاعل الجماهير مع الخطاب الديني تجعل القائمين عليه على دراية بمدى جدوى خطابهم وهل هم على المنحى السليم من خلال قوة التأثير أم أن التفاعل بسيط، وبذلك يدركون أنهم في حاجة ماسة للتطوير وتصحيح خطابهم مما يؤدي إلى فاعلية أكبر للخطاب الديني المعاصر وتتدارك للأخطاء.

ثالثاً - أهمية الخطاب الديني:

وتتضح أهمية الخطاب الديني في مجتمعنا في كونه يمتلك القوة على تحريك المشاعر والانفعالات الايجابية اتجاه القضايا التي قد يتناولها الخطاب الديني، ويقدمها للأفراد، فبذلك يمتلك الخطاب الديني القدرة على بناء الثقافة الايجابية اتجاه القضايا المتناولة، ولعل من ضمن النماذج على ذلك إذا تناول الخطاب الديني أهمية العمل وقديسته، فان هذا من شأنه أن يخلق حالة من التفاعل في نفس المتلقي؛ للعمل والاجتهاد وضرورة غزارة الإنتاج، وهكذا في كل قضية تمس المتلقي، وترتبط بواقعة المعاش يتفاعل معها التفاعل الإيجابي، وتدفع الناس وتوجه سلوكهم إلى المزيد من الانجازات أي أن قوة الخطاب الديني تظهر في مضمون الرسالة التي يقدمها للأفراد.⁽¹⁾

وتظهر أهمية الخطاب الديني في كونه احد الركائز الهامة التي يعتمد عليها العمل الديني، فالمهتمون والمتخصصون في العلوم الدينية يستخدمون الخطاب الديني

(1) - الرجبي، محمود احمد محمد ، اتجاهات الخطاب الإسلامي في المواقع الالكترونية الإخبارية: تحليل مضمون موقع البصلة الإخباري، رسالة ماجستير، كلية الأعلام، جامعة الشرق الأوسط، الأردن (2012) .

كوسيلة للنشر الثقافة والمعارف الدينية وما تدعو إليه الأديان من قيم اخلاقية سامية واحكام للتنظيم حياة الناس⁽¹⁾.

هنا تري الباحثة أنه لابد من الإشارة إلى أهمية الخطاب الديني التوعوي الذي يهدف إلى قراءة واعية للواقع المعاش، لتوفير القدرة على إيجاد الحلول المناسبة لمشكلات الواقع وتحدياته، خاصة في ظل التحول الكبير في السلوك الديني الذي بات يرتكز على أسس فقهية متقدمة تجلب العديد من المهالك في ظل اختراقات وتحريف لتفسيراتها، ولذلك باتت نحتاج لإعادة النظر وتقييم لحيثياتها ، حتى ينتج عنها خطوات عملية لمواجهة التطرف الفكري الناتج عن الخلل الذي أصاب الخطاب الديني المعاصر بشكل عام، وبذلك تري الباحثة أن الخطاب الديني هو البيان الذى من خلاله يتمكن الأفراد من التعرف على عقيدتهم وشريعتهم ومعاملتهم، وبذلك فالخطاب الديني يوتر في فكرهم ويوجه سلوكهم نحو قضاياهم .

رابعاً- أهم المشكلات الاجتماعية التي يمكن أن يساهم الخطاب الديني بفاعلية في حلها:

لقد اهتم علماء الاجتماع أهمية قصوى لدراسة الدين في تحليلاتهم لأسس الحياة الاجتماعية، وأسس الفعل الاجتماعي، والممارسة الاجتماعية عبر الحياة بصفة عامة، وذلك بالرغم من اختلاف نظرتهم إلى الدين إلا أنهم يكادوا ان يجمعوا على الدين وخطابه أحد أهم الحقول الحياة الاجتماعية، إن لم يكن الحقل الرئيسي في كثير من الأحيان. وجاء البحث الحالي إلى التعرف على طبيعة الدور الذى يمكن ان يسهم في حل المشكلات الاجتماعية من خلال الافكار التي يبثها الخطاب الديني في المجتمع، وما إذا كانت هذه الافكار تحمل قيما سامية لذا يجب الا يكون

(1)- فياض، محمد احمد ، الخطاب الديني لوسائل التواصل والاشاعات المتحققة لدى الشباب الجامعي،

مجلة كلية الفنون والاعلام، (2017) ص (5).

الخطاب الديني تقليدياً وإنما يجب ان يكون خطاباً مواكباً لكل التطورات المتجددة والمتطورة التي تؤثر بالأفراد حيث يجب العمل على صقله وإعادة صياغته حسب وجهة النظر المتجددة. في إطار يتناسب مع الزمان والمكان ومختلف الجماعات البشرية اي يكون ذلك الخطاب هو الخطاب الديني المتجدد اي الخطاب ذو التأثير الايجابي على المجتمع البشري وهو الذي يستفاد منه جميع الأفراد في المجتمع لتلك الخطابات والمتأثرين بها للحصول على التغيير الاجتماعي المطلوب التي تسعى اليه كل المجتمعات وتود تحقيقه، حيث ان الركيزة الاساسية التي يستند عليها الخطاب الديني هي انطلاقه من رؤية فكرية تستند عليها آراء وافكار الخطيب حيث ان الخطاب قيمة علمية يجب ان يبنى على فهم عميق ونظرة موضوعية⁽¹⁾.

ومن خلال ذلك أن الغاية من تناول الباحثة لموضوع البحث هو معرفة الدور الكبير للخطاب الديني في حل المشكلات الاجتماعية المطلوب كون الدين هو من أكبر الدعائم البشرية الداعمة للإصلاح والتغيير فهو قانون رباني قائم على الوحدة البشرية والعدالة الاجتماعية والابتعاد عن كل الفوارق الطبقية وتحقيق مجتمع متسامي قائم على الوحدة والإصلاح والتغيير المتجدد إلى الافضل في كل عصر من العصور. لكن تحتاج هذه العملية إلى الترويج الصحيح بما يتفق مع دعائم الاسلام من خلال الامانة التي يحملها اصحابه والتي تحتاج إلى الصدق والعدالة في الممارسة والابتعاد عن كل ما يعيق دور الدين وطريقه في الإصلاح فأن صلاح الامة هو من صلاح دينها وثباته⁽²⁾.

(1)- صالح، عبد الجبار حميد وشاهين، نافع حميد صالح ، الخطاب الديني المعتدل ودوره في تعزيز السلم المجتمعي، مجلة الانبار للعلوم الإسلامية، (2018) ص (37).

(2)- علي، هيثم عبد الرحمن عبد القادر ، خطاب الاعتدال والتسامح الإسلامي وأثره في استقرار المجتمع وتميمته، مجلة جامعة الانبار للعلوم الاسلامية، (2018) ص (37).

والقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة حافلة بالعديد والعديد من القضايا الاجتماعية التي قامت بذكرها وقامت بمناقشتها حيث لا توجد سورة من سور القرآن دون ذكر قضية اجتماعية يدعو الله فيها عباده إلى الاقتداء والاهتداء بها واتباعها في الحياه اليومية للمسلم حتى تسقيم، فقد تحدث القرآن الكريم عن آداب الزيارات والالتقاء والتكافل والتضامن الاجتماعي والذكاة وقضايا الزواج والطلاق والميراث كما في خطابه عالج العديد من المشكلات الاجتماعية كالبطالة والفقر والجرائم كالقتل والاعتداء على الآخر والسرقه بالإضافة الى قضايا تخص المرأة وحقوقها وحرمتها إلى غير ذلك من القضايا والمشكلات الاجتماعية التي تمس حياة الفرد بشكل مباشر، ومن أهم المشكلات التي يواجهها الخطاب الديني ويسعى إلى حلها قضية الإرهاب والعنف لا شك بأنه في ظل التحديات التي تواجه العالم خاصة فيما يتعلق بانتشار ظاهرة العنف والإرهاب التي تكون غالباً ذات مرجعية دينية، وغالبا ما تلصق بالدين الإسلامي، وما يصاحب ذلك من جهل للمفاهيم التي جاءت بها الدين الإسلامي وتعاليمه الداعية في مجملها للتجديد والتطور الحياتي حسب الأزمنة الحياتية وذلك لتجنب المشاكل والنزعات العدوانية التي تثير الفتن والصراع بين مختلف الثقافات التي تؤدي في النهاية إلى تدمير الحضارة الإنسانية ولا نستطيع تغيير مثل هذه المفاهيم المغلوطة إلا من خلال الخطاب لديني الفعال والمؤثر في العقول الذي يمتلك القدرة على تعديل الافكار وتغييرها من خلال تقديم الأدلة والبراهين والحجج المدعومة من النص القرآني والسنة النبوية الصحيحة⁽¹⁾.

وترى الباحثة أن المشكلات الاجتماعية التي يمكن أن يسهم في حلها الخطاب الديني عديدة وكثيرة حيث من خلال الخطاب الديني نقدم التوعية بالتنشئة

(1) - محمد، بن حليمة. الخطاب الديني في المجتمع الإسلامي مقارنة سوسيو دينية للواقع الخطاب الديني في المؤسسات الدينية: مؤسسة المسجد نموذجاً، مجلة حوليات جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية، (2017) ص (21).

الاجتماعية القويمة والسليمة بحيث ننشئ جيل صالح قادر على تحقيق أمن وتقديم المجتمع كما من خلال الخطاب الديني يمكن ان نبرز أهمية وقديسية الاسرة للحفاظ عليها من التفكك والتشرد الذي يهددها في الوقت الحالي ومما يهدد مستقبل الابناء والمجتمع من خلال الخطاب الديني تتمكن من نشر القيم الخاصة بالحب والسلام وتقبل الآخر ونبذ الحقد والعنف والكرهية حتى يكون مجتمعنا أمن مستقرا من خلال الخطاب الدين يخرج جيل يحتفي بالأمانة والصدق ويحتذى بأخلاق الانبياء والصالحين من خلال الخطاب الديني المعتدل الذي يملك من الخصائص والسمات ما يمكنه من التأثير في الاخرين قد يستقيم الفرد وبالتالي المجتمع ككل لذلك لا بد من بمراجعة الطرق والاساليب التي يقدم بها الخطاب الديني في الوقت الحالي في عصر السماوات المفتوحة امام جميع الافكار والمعتقدات

البحث الثالث

أولاً- واقع الخطاب الديني الحالي والمشكلات التي تعوق القيام بدوره في حل المشكلات الاجتماعية:

تري المهتمون بالخطاب الديني أن الخطاب الديني في الوقت الحالي يعاني من العديد من المشكلات التي تعوق فاعليته في حل المشكلات الاجتماعية، ولكي نصل بالخطاب الديني إلى ما نصل إليه من فاعلية في حل الازمات والمشكلات التي يعاني منها المجتمع لابد من رصد واقع الخطاب لديني الحالي، وأهم المشكلات التي يعاني منها والعمل على حلها وتصويبها، ومن أهم هذه الأخطاء والمشكلات التي يعاني منها الخطاب الديني الحالي ما يلي:

أولاً: النقل من كتب أهل العلم دون مراعاة حال المخاطبين حيث إن الكثير من الخطباء والوعاظ والدعاة في الدروس وخطب الدينية في المناسبات المختلفة ينقلون من كتب أهل العلم دون أن يراعوا حال المخاطبين، فيقع التنافر الشديد بين الطرح وبين عقلية المتلقي، فمما لا شك فيه أن الثقافة العقلانية المعاصرة لها تأثير كبير

على عقول كثير من الناس في هذا الزمان، تجعلهم ينفرون بشدة مما يتنافى مع معطيات هذه الثقافة المعاصرة، وهذا لا يتطلب منا إخفاء الحقائق السمعية أو التتكر لما قد يتنافى مع مفاهيم بعض الناس من حقائق الدين، وإنما يتطلب منا ألا نستغرق مع العلماء السابقين فيما استغرقوا فيه من تفسير للنصوص التي أخبرتنا بالغيوب والسمعيات، خاصة إذا كان كثير من تفسيراتهم معتمد على روايات ضعيفة، ومصدر الخلل عند كثير من المسلمين هو وجود خلط بين ما هو مقدس وشرعي، ومتفق عليه، وبين ما هو محاولة بشرية اجتهادية قد تكون خطأ، وقد تكون صواباً، ومن هنا قد يقع البعض لإخضاع النص للفعل البشري فيقع العدوان على النص من قبل غير الفقهاء أو أن يرفعوا الفعل البشري الذي هو اجتهاد فقيه أو عالم إلى منزلة النص فيصبح بمنزلة الذي لا يسأل عما يفعل ولا يستدرك عليه ولا يراجع أو يصوب. (1)

وبذلك فنجد أن هناك فرق بين النص الشرعي والفعل البشري، فالنصوص الشرعية ثابتة لا مجال للخوض فيها (كالنص القرآني ما ثبت من أحاديث صحيح لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم) والأفعال البشرية التي هي اجتهادات مجموعة من العلماء متغيرة تبعا لتغيرات الزمان والمكان، إلا أنه وفي كثير من الأحيان ترى بعض الدعاة والخطباء يتقصون شخصية أحد العلماء القدامى، فإذا تكلم أحدهم في موضوع ما فلا بد أن يأتي بكل الروايات التي تتعلق بهذا الموضوع، سواء كانت صحيحة أم ضعيفة، وربما تكون موضوعة، إما تقليدًا محضًا أو إظهارًا لغزارة العلم وسعته وأنه يحفظ كل هذه الروايات، مما يجعل المسمع أو المتلقي يتشتت بين هذه الروايات ويخلط بينها وبين النصوص التي لا مجال للخلط فيها فيعطها نفس القدسية وسلك بناء على ما تلقاه من معلومات دون التأكد من صدقها أو مدى

(1) - السلمي، عباس بن نامي، تجديد الخطاب الديني مفهومه وضوابطه، الناشر مركز التميز البحثي،

المملكة العربية السعودية، (2008) ص 1.

صحتها⁽¹⁾ كما انه توجد الكثير من التفاسير وكتب التاريخ التي تحمل الكثير من الخير والحق والصدق ممتلئة بالعديد والعديد من الروايات الضعيفة والحكايات السقيمة والأخبار الغريبة والأحوال العجيبة، من مثل ما يقوله أحد رواة التفسير القدماء أن هو جبل يحيط بالأرض، وما يرويه بعضهم في قصة بدء الخليفة، وغير ذلك مما لا يمكن أن يصدق عقل لذلك لا بد للداعية أو من يقوم بإنتاج الخطاب الديني ان يكون لديه مهارات التفكير الناقد الذى يمكنه بين ما هو عثر وما هو ضعيف وبذلك يتمكن الداعية العاقل من التميز بين ما هو صحيح وما هو عليل وسقيم، وينقي كلامه من الروايات الهزيلة والضعيفة التي يلون بها البعض كلامهم؛ فيخرج كلامهم كثير الألوان ولكن دون أن يكون بين هذه الألوان الكثيرة انسجام أو توافق، كما إن الداعية الواعي الحكيم يتوجب عليه أحياناً أن يكتفم بعض ما يعلم أو يسكت عن بعض ما قرأه أو سمعه، ولا يسارع إلى تبليغه وإذاعته؛ لعلمه أن الوقت أو الطرف لا يناسب، أو أن المخاطب لا يرقى إلى فهم ما يطرح⁽²⁾.

ثانياً: اعتماد الخطاب الدعوي المجرد دون الربط بواقع المجتمع ودون التعرض لمشكلاته ومتطلباته مما يفقد الخطاب الديني المساهمة في حل هذه المشكلات الاجتماعية بفاعلية ويجعل تلقي الناس له مقطوعاً عن الاستجابة والعمل، وجعل الخطاب الديني والاستجمام النفسي على أحسن تقدير، وبذلك فإن المجتمع لا يمكن أن يتفاعل مع الخطاب الديني حتى يشعر فيها بالطابع العملي التفاعلي، وحتى ترتبط بهوموم وطموحاته، وحتى يكون فيها العلاج لمشكلاته وأزماته، أما أن تظل

(1) - الزعبي، شذى صخر ، دور الخطاب الديني في تشكيل الثقافة الأمنية من وجهة نظر رجال الدين، المؤتمر الخامس: صنع القرار في التنمية مقاربات واصوات، 20-22 يناير، المعهد العربي للبحوث والدراسات، تونس (2018).

(2) - الرجبي، محمود احمد محمد ، اتجاهات الخطاب الاسلامي في المواقع الالكترونية الاخبارية: تحليل مضمون موقع البصلة الاخباري، رسالة ماجستير، كلية الاعلام، جامعة الشرق الأوسط، الاردن (2012).

المواظب المجردة محلقة في سماء الدعوة فهذا يعني أنها ستظل في عليائها محلقة مرفرفة دون أن تحرك الواقع أو تؤثر فيه مما يفقد الخطاب الديني قوته الكبيرة في التأثير في المجتمع كونه أداة تحرك السلوك وتوجهه في كثير من الامور ونحو العديد من القضايا (1).

ثالثاً: سيطرة المذهبية الفكرية والفقهية على عقلية مقدم الخطاب الديني أو الداعية، واحتباسه في تعاليمها، وعدم قدرته على الخروج عن إطارها، مما يعطي خطابها الديني صبغة حزبية، تضطر المخاطب إلى التبكير باتخاذ موقف نفسي من طرحه، وتقلل من قناعة الجمهور بما يقول، الأمر الذي يؤدي حتماً إلى تخلف الاستجابة والتفاعل الإيجابي للأفراد مع الخطاب الديني، كما ان الانتماء إلى أي أو حزب أو جماعة أو طائفة، ما دام في الجملة على منهج أهل السنة لا يوجد فيه أي فيه اعتراض ، بل العديد من الباحثين والمهتمين بالعمل الدعوى يرون أنه واجب التمكين للدين لا يتم إلا بعمل جماعي منظم، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فالعمل ضمن أطر دعوية ضرورة دعوية، بشرط عدم التعصب، وعدم نبذ الآخر، أما الذي نحذر منه فهو أن يتحول خطاب الداعية في البلاغ العام بدعوة الإسلام، وفي الخطب والدروس العامة إلى بوق لحزبه وفكره هو فقط دون تقبل الرأي أو الفكر الآخر مما يمهد لبيئة اجتماعية يسودها التعصب والكراهية، وهذا ما لا يرضى عنه الدين الإسلامي في أصوله المباركة التي دائماً وأبداً ما تدعو إلى نبذ التعصب والعنف والكراهية بين الناس؛ لأن هذا المسلك يضيق على المخاطبين

(1) - فياض، خالد وفهد، وجدان ، الخطاب الديني تحديات الجمود وأفاق التجديد، مركز تريندز للبحوث والاستشارات، السعودية، (2022) ص1.

بالدعوة ما وسعه الدين عليهم، فتتفر منه فطرحهم، وتاباه طباعهم، ومن ثم لا يتأثرون به، بل ربما يكون لديهم موضع تهمة (1).

رابعاً: الاختلاف الكثير بين الذين يقدمون الخطاب الديني في كثير من القضايا والأحكام بشكل يثير الاضطراب والارتباك لدى الجمهور المتلقي مما يؤدي إلى ما يشبه الفوضى الفكرية والفقهية أو الضبابية وعدم وضوح الرؤية والتشويش في عقل المتلقي للخطاب الديني، وهذا بلا شك يؤدي إلى نتائج سيئة على القوة التأثيرية للخطاب الديني فتقل منها ومن تأخر الفناع لذي الجمهور المتلقي وتنتهي بأن يفقد الخطاب الديني القوة التأثيرية للناس حيث ان المتلقي يجد العديد من الاختلافات بين الآراء الدعوية أو مقدمي الخطابات الدينية فلا يعرف ايها يتبع، وإذا كان الخلاف في جانب من جوانبه أمراً مقدراً لا مفر منه، لكون العقول تختلف في طرائق التفكير، ولكون النصوص حمالة ذات وجوه عدة وقد تحمل بين طياتها اكثر من معنى، فإننا نستطيع أن نضيق من دائرة هذا الاختلاف ونقل منها، ونخفف من حدتها، ونجعلها مقصوره على الفروع دون الأصول، ونضطره إلى أن يكون محصوراً في البحث العلمي وأروقة الدراسات الأكاديمية بين العلماء والفقهاء الدارسين والباحثين داخل المؤسسات والكليات العلمية، ونحفه بكوكبة من آداب الاختلاف، ونجتهد في التماس الحق والتجرد له بقطع النظر عن هوية قائله، وهذا يستلزم إخلاصاً شديداً وتجرّداً فريداً أما أن نجعل الخلاف على مرى ومسمع العوام والغير متخصصي في العلوم الشرعية والعلوم الدينية أو نفتعله، ثم نسوغه في مساجلات ومناظرات، ثم نذريه في سماء الدعوة وفضاء الإعلام؛ فهذا هو الخطر الأسود الذي يرتدي ثياباً بيضاً حيث انه يخلق من الفوضى والتشكيك ما لا يطيقه المجتمع نحو الدين ويجعل الأفراد المتلقين لمثل هذه المناظرات وهم من غير

(1) - عدلاوي، على ، الخطاب الديني المعاصر واشكالية العقل والنقل، مجلة الخطاب والتواصل، (2016)

ص (2).

المختصين في حالة من التشويش تؤثر على معتقداتهم الدينية وتضرب الثوابت الربانية لديهم مما يزلزل عقائدهم ويجعلهم في حيرة من امرهم، صحيح أن مقدم الخطاب الديني قد يضطر إلى الرد والدفع، وذلك إذا ما كان هناك من يعيث بحقائق الدين عبثاً لا يصح السكوت عليه، ولكن ليكن هذا بقدر الضرورة، ولا يكون ذريعة لتلبية داعي الهوى في النقد والتجريح والتهجم على الناس، واشغال عقولهم بقضايا غير ذي أهمية لهم تعوقهم عن الاستجابة الايجابية للخطاب الديني وتقلل من تفاعلهم مع هذا الخطاب مما يجعلهم يصدون عنه فيصبحون مدبرين لا مقبلين (1)

خامساً: التركيز على قضايا قديمة قد عفي عنها الزمن غير معاصرة، مما قد سبقت معالجتها في الماضي، وترك وتجاهل القضايا الحديثة والمعاصرة والتي هي تمس الناس ويهتمون بها فيتجاهلها الخطاب الديني ويرتد إلى الماضي ويركز عليه تاركا الحاضر دون اهتمام، وهو لون من ألوان الهروب من المواجهة، وصورة من صور النقل من كتب العلماء دون تمييز بين ما نحن بحاجة إليه وما لسنا بحاجة إليه حيث ان العلماء في الماضي كانوا يقدمون خطابا مع عصرهم لا ومع القضايا التي كانت في ذلك الوقت وليس من المنطق ان يظل الخطاب الديني يقدم هذه القضايا ويهتم بها ويعالج ما يمر به المجتمع من خلال ما طرح في الماضي من افكار واجتهادات فاين نحن الان من تقديم خطاب ديني معاصر يمس قضايانا ومشكلات مجتمعنا ويعالجها بما يطلبه العصر الحديث تاركين الماضي للاستفادة منه فقط وليكن سبيل ولكن ليس غاية في حد ذاته، ولا يفعل هذا إلا من لا يتحمل

(1) - محمد، مصابيح ، الخطاب الديني المعاصر واشكالية المرجعية بين الصوفية والسلفية، مجلة دراسات

معاصرة، (2018) ص (3)

المسئولية الدعوية، ومن يعيش الماضي ولا يكثر بالحاضر، ومن يضيع رسالة الخطاب الديني في كلام غير مفيد يبدو وكأنه مفيداً⁽¹⁾.

وتقدم الباحثة نموذج من النماذج للقضايا الفكرية القديمة التي ما زال العديد من المقدمين للخطاب الديني مهتمون بها وقد يخرجون في المنابر والقنوات الاعلامية ويتحدثون فيها للعامه هي قضايا الصفات والاشارة ورائهم فيها إن السابقين يوم أن بالغوا في الاهتمام بمسائل الصفات وبالرد على الأشاعرة ومن شابههم، كانت تلك المسائل يومها تمثل فتنة عصرهم وقضاياها الساخنة والشاكة والتي كان يجب ان يتصدوا لها فهل مثل هذا الخطاب الديني يهم الجمهور المتلقي في الوقت الحالي ام لا؟ فحن أيضاً لدينا قضايا معاصرة تحتاج منا أن نتصدى لها ونعالجها بنفس الاهتمام الذي عالج به السابقون قضاياهم، وهذا ما يجب ان نقنضي به في ان نكون مثل السابقين في معالجة القضايا المعاصرة والمشكلات التي يعج بها مجتمعنا وتعوق وتقوض استقراره وأمنه مثل قضايا الارهاب والتعصب الذي ربط بالإسلام ظلماً وبهتاناً والاسلام منه براء ، والدفاع عن المسلمين المستضعفين وغير ذلك من القضايا التي تهمل كل مقدم للخطاب الديني ليقوم بدوره دون استرخاء للنشر الوعى الدعوى بالمنهج المعتدل والسليم والذي كان دائماً ما يتخذه الدين الإسلامي وسيلة للنشر الحب وبعث الأمن والطمأنينة في النفوس ولا يعني هذا ترك القضايا القديمة تركاً كلياً، وإنما المقصود هو ألا نأسرنا هذه القضايا ونركز عليها وتستولي على اهتمامنا وتفكيرنا على حساب قضايا معاصرة أكثر خطورة منها وتستوجب جهدنا

سادساً: طريقة واسلوب مقدم الخطاب الديني كثير من الدعاة يبني وعظه وإرشاده على طريقة واحدة كالترهيب والترغيب، ويغفل عن طريقة القرآن التي تتسم

(1) - (الأوقاتى، بسمة خليل نامق وكاظم، احمد عدنان ، وحدة الخطاب الديني والسياسي: الحرية بين الالتزام الوطني وتحديات الفوضى والجيل الرابع، مجلة بحوث الشرق الأوسط، (2020) ص (54).

بالشمولية والعمق، فالقرآن هو كتاب الله الذي نزل لإسعاد البشرية وهدايتها، وهو خطاب من خلق الإنسان ويعلم أسراره وأحواله وما ينفعه وما يضره، ويعلم مداخل نفسه ومسارها، فلا شك أن طريقته في خطاب الناس ودعوتهم أسلم طريقة وأقربها لفطرة هذا الإنسان فينبغي على الداعية أن يسترشد بطريقة القرآن، في مخاطبته للفطرة، وفي ربط الإنسان بالكون وما فيه من آيات، وفي طريقته في الإقناع، وفي جمعه بين مخاطبة العقل ومخاطبة المشاعر، وفي بنائه على قاعدة الربوبية المتمثلة في الخلق والرزق والإنعام، وغير ذلك مما تميز به الأسلوب القرآني، كما أن مقدم الخطاب الديني لأبد من أن يمتلك المهارات الزمة للتقديم خطاب ديني للجمهور يمس العقول والقلوب ويؤتي ثماره في اراحة الناس وحل مشكلاتهم التي يعانون منها (1) فمن الملاحظ أن الخطاب الدعوى عند كثير من المقدمين للخطاب الديني خطاباً لا يمكن توقع أو حساب طريقه أو مسلكه، فهو خطاب مضطرب، مرّة يبشر ويتفائل بشدة، وفجأة ينقّر ويسخط ويتشامخ، مرّة يتحمس ويقوى، وأخرى يضعف ويحبط وينهزم!! ومرات كثيرة يحترار بماذا ينطق؟ مما ينتقل اضطرابه هذا للمتلقي فيكون خطاباً دينياً غير فعال وغير مؤثر، كذلك ضعف القدرات والمهارات الخطابية، كالقدرة على الإقناع، والقدرة على جذب الانتباه، والقدرة على التأثير وإثارة المشاعر، ومهارة تصريف القول بين وعظ وإقناع وسرد وتقرير وغير ذلك من المهارات للتقديم خطاب ديني فعال ومؤثر في الأفراد (2).

سابعاً: حصر الخطاب الديني في كثير من الأحيان على استهداف فئة الشباب المستقيم القريب من الدعاة والمتعاطف مع الإسلام بطبعه، وإغفال البقية ممن هم

(1) - عدلأوي، على ، الخطاب الديني المعاصر واشكالية العقل والنقل، مجلة الخطاب والتواصل، (2016)

ص (2).

(2) - محمد، مصابيح ، الخطاب الديني المعاصر واشكالية المرجعية بين الصوفية والسلفية، مجلة دراسات

معاصرة، (2018) ص (3)

أحوج إلى ذلك الخطاب. ولذا يلاحظ أن الأسلوب المتبع لا يتغير، لأن الفئة المستفيدة منه واحدة، وقد تصل رسالة خاطئة للدعاة من خلال ما يروونه من الحماس لدى من يستمعون إليهم، فيستمترون في نفس الاتجاه بنفس الأساليب والوسائل لظنهم أن الدعوة تؤتي أكلها بسبب ذلك الاستحسان الملاحظ على وجوه المخاطبين، أو المسموع ثناءً من بعضهم. والنتيجة جهود مهدرة، وشحن زائد دون منهج علمي يراعي التكامل والشمول في محتوى الخطاب الديني، وكذلك تداول محدود للمعرفة والدعوة إلى الخير، وغياب الجزء الأكبر عن مواطن الإصلاح وسُبل الهداية، إن مرد ذلك كله إلى عدم وضوح المنهج، ذلك المنهج النبوي المنضبط، الذي يجعل أصحابه غير محتارين لأنهم لم يفاجئوا بالأحداث، ويعرفون طبيعة طريقته⁽¹⁾.

ومن خلال توضيح واقع الخطاب الديني الحالي وما يعانيه من مشكلات تعوق أداء دوره في حل المشكلات الاجتماعية في كثير من الأحيان لذا تری الباحثة أنه ينبغي على المؤسسات الدينية في الدولة من تدارك مثل هذه المشاكل والمعوقات التي تجعل من واقع الخطاب الديني خطاباً غير ذي فاعلية في كثير من الأحيان والعمل على حلها وذلك لتصحيح مسار هذا الخطاب الديني ليحتفظ بقوته التأثيرية التي كانت على مر العصور.

ثانياً- العوامل التي تجعل الخطاب الديني مؤثراً في المجتمع.

يكتسب الخطاب الديني في مجتمعاتنا الإسلامية مكانة خاصة وموقعية خطيرة في التأثير، فهو الذي يصوغ العقل الجمعي، ويوجه السلوك العام؛ لما يمثله هذا الخطاب في نظر الأفراد من التعبير عن أوامر الدين وأحكامه؛ فهو الناطق الرسمي عنه، والمفصح عن مكنوناته، ولغته المعبرة عن واقعه، والواجهة الإعلامية له. وقد

(1) - فياض، خالد وفهد، وجدان ، الخطاب الديني تحديات الجمود وأفاق التجديد، مركز تريندز للبحوث

والاستشارات، السعودية، (2022)ص1

أولى علماء الاجتماع على مر العصور أهمية كبرى للخطاب الديني فلم يُهمل أو يغفل عن تقنيته وتحديد أطره مضموناً وأسلوباً؛ لما للغة الخطاب ومحتواه من أثر واضح في قبول الآخر أو عدم قبوله؛ لأنّ الخطاب هو مفتاح القلوب والعقول أو مغلقها، وهو المرآة التي تعكس صورتنا أمام الأمم والحضارات الأخرى، فمن خلاله تتشكل الصور وترسم الانطباعات وعلى إثره تنقش التّقويمات عن أمتنا وديننا وثقافتنا⁽¹⁾ وتوجد العديد من العوامل الهامة التي تكسب الخطاب الديني هذه القوة التأثيرية الكبيرة على الأفراد ومنها ما يلي.

أولاً: التوافق والانسجام مع العقل، والاستناد للأدلة والتّدعيم بها: حيث شجب عند تقديم الخطاب الديني أن يكون ما يحتويه الخطاب الديني مبرهن عنه بالدليل من القرآن والسنة، وليس كلاماً مرسلًا غير مثبت حيث إن ثنائيتة العقل والدين هي الأساس في حركة الدين والدّعاة إليه، ولقد جاء الأنبياء من أجل أن يثيروا لهم دفائن العقول وقد علّمنا القرآن الكريم في كثيرٍ من آياته البحث عن الدليل، إذ إنّه يطلب كراراً ومراراً الدليل والبرهان من منكري حقائقه، كقوله تعالى: " قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (النمل: 64)، والخطاب الديني هو الذي ينبغي أن يعكس ما عليه حقيقة العلاقة بين العقل والدين؛ إذ الدين هو سيّد العقلاء، ولا يمكن أن يأتي بشيء يخالف العقل والفطرة، بل لا يقبل إلا ما انسجم معهما، ولذلك اشتهرت هذه العبارة: (نحن أبناء الدليل أينما مال نميل)، وقد أمرنا في خطابنا الديني ألا نتكلّم إلا عن دليل وهو المقصود بالقول السديد أي: (الكلام المدعوم بالدليل) في الآية الكريمة: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا" (الأحزاب: 70) فكلمنا

(1) - عز العرب، إيهاب حفطي. ادوات تجديد الخطاب الديني ضوابطه وأثاره: دراسة نقدية تحليلية، مجلة

كلية اللغات والترجمة، جامعة الازهر، (2020) ص (18).

كان الخطاب الديني يحمل الدليل لما يقدمه من مضمون كلما كان اكثر تأثيرا واقناعا للأفراد المخاطبين به (1).

ثانيا: الدعوة الى الخير من خلال الخطاب الديني ومحاكاة الفطرة الإنسانية فالدين هو الفطرة، والفطرة هي التي تقود إلى الدين، فكل ما في الدين من رؤى وأحكام - واجبات ومحرمات- توافق الفطرة الإنسانية، وكل ما لا يوافقها فهو ليس من الدين، وكل ما تمجّه الفطرة السليمة فهو مما يمجّده الدين. والخطاب الذي يحاكي ما تنزع إليه الفطرة الإنسانية السليمة فهو خطاب ديني، وأما الخطاب الذي تنفر منه النفوس الطيبة ويعارض الفطرة السليمة فليس خطاباً دينياً. فلا يكفي كون الدين فطرياً لتتشدّ إليه النفوس وتقبله العقول، بل لا بدّ أن يمتلك بالإضافة إلى ذلك خطاباً جذاباً ينسجم ويتوافق مع تلك الفطرة وينسجم مع معطيات العقل ويكون بمستوى الرسالة وطموحاتها حيث نجد ان الخطاب الديني الذي يدعو الى الحب والأمن والسلام ونشر المحبة يكون اكثر تأثيرا من الخطاب الذي يدعو في مضمونه الى القتل والعنف والدمار².

ثالثاً- أن يكون الخطاب الديني خطابا أي يعتمد على كتاب الله وذلك لكون كلام البشر لا يخلو عادة من الاشتباه والخطأ إلا إذا اتّصل بالوحي الإلهي المعصوم، وإنّ أوضح ما يميّز الخطاب الديني هو اعتماده القرآن الكريم في طرحه وأبحاثه، كما كان النبي، وإنّ القرآن دستور الحياة ومصدر التشريع الأول، وهو الذي جعله الله تبيانا لكل شيء، فكل ما تحتاجه البشرية في طريق صعودها إلى السماء موجود بين دفتي هذا الكتاب العزيز، ولهذا كان لا بد من التأكيد على كون

(1) - نسيمه، الحاج ميمون. تجديد الخطاب الديني في عصر العولمة، مجلة المركز الجامعي، الجزائر، (2016) ص(2).

(2) - كبير، الشيخ. الخطاب الديني بين سلبية الجمود وضرورة التجديد، مجلة المركز الجامعي، الجزائر، (2016) ص(2).

الخطاب الديني معتمد على القرآن والسنة النبوية وذلك لدرء الاختلاف والتشتت الذى يحدث التشوش والبلبلة بين عوام الناس مما يقلل من تأثير الخطاب الديني في المجتمع، كما يجب الاستفادة القصوى من معين السنّة المطهّرة التي ثبت صدق اسنادها حيث إنها ثاني مصدر للتشريع والعلم والمعرفة السّماويّة بعد القرآن الكريم هي السنّة المطهّرة، الغنيّة بالمعارف والعلوم والحقائق العلميّة والعملية⁽¹⁾.

رابعاً: مواكبة العصر لابد أن يكون الخطاب الديني خطاباً معاصراً مرتبطاً بواقع المجتمع المعاش يحتوى فى مضمونه ما يعانىه المجتمع من مشكلات وأن يكون مضمون الخطاب الدينيّ يجاري العصر، وهو ما يعبر عنه بـ (التأثر بالزّمان والمكان)، فكما أنّ هناك دوراً للزّمان والمكان في عملية الاجتهاد عند من يقدمون الخطاب الديني كلما كان مؤثراً وفعالاً، حيث القضايا التي كانت متناولة قديماً قد لا تناسب القضايا والمشكلات في الوقت الحالي وعصر العولمة وعصر السماوات المفتوحة وعصر انتشار تطبيقات التواصل الاجتماعي وما ترتب عليها من ظهور العديد من المشكلات الاجتماعية التي لم تكن موجودة في الماضي وأنّ لتغيّر الزّمان والمكان تأثيراً بيّناً على الأحكام الشرعيّة، إمّا من خلال تأثيره على موضوعاتها أو متعلقاتها أو لمساهمتها في خلق فهم جديد للنصوص الدينيّة، فكذا في الخطاب الدينيّ⁽²⁾.

خامساً: من العوامل الهامة والتي تؤثر في فاعلية الخطاب الديني مستوى شكل وصياغة الخطاب ولغته فإنّ استعمال المفردات المتداولة فعلاً والمصطلحات الحديثة واللغة الواضحة اليوم من أهمّ العوامل التي تؤدي إلى خطاب ناجح ومؤثر

(1) - بريقع، كمال. خصائص تجديد الخطاب الديني من القرآن الكريم، مجلة الجامعة الاسلامية ، مصر ،

(2016) ص(46).

(2) - عز العرب، ايهاب حفطي. ادوات تجديد الخطاب الديني ضوابطه وأثاره: دراسة نقدية تحليلية، مجلة

كلية اللغات والترجمة، جامعة الازهر، (2020) ص (18).

في المجتمع والخطاب الديني الذي يكن محتواه منتما العصر هو الخطاب الذي يستخدم لغته، ويعيش قضاياها واهتماماته، ويستفيد من وسائله وتقنياته. ولذلك فمن الضروري أن يُنقن المبلِّغ والخطيب لغة عصره ويطلع على ثقافته ويدرس الواقع ويقرأ في كتاب الحياة بقدر ما يقرأ في المتن والحواشي ليعرف مَنْ يُخاطب؟ وكيف يُخاطب؟ ومن الطبيعي أن الخطاب هو التعبير الحي عن ثقافة المبلِّغ والمرأة التي تعكس ثقافته وذهنيته (1).

ثالثاً- الطرق التي من خلالها يتم توظيف الخطاب الديني في حل المشكلات الاجتماعية.

توجد العديد من الطرق التي تساهم في توظيف الخطاب الديني في حل المشكلات الاجتماعية وتذكر الباحثة منها ما يلي:

أولاً: الشمولية والاستيعاب لمناحي الحياة: الخطاب الديني هو خطاب يعكس المنظومة الدينية بكل أبعادها، فهو خطاب لتنظيم حياة الفرد والمجتمع والأمة والعالم، فهو شامل لجميع جوانب الحياة. السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية. وفق منظور إسلامي شامل، فهو المنهاج الذي يُنظم حياة الأفراد في كل أنحاء الحياة لذلك لا بد من تقديم خطابا دينيا شامل يمس حياة الافراد في كافة جوانبها (2).

ثانياً: اعتماد أسلوب الحوار الهادئ والابتعاد عن ثقافة العنف في الخطاب الديني من أهم عناصر الخطاب العلمي صاحب الفكر الرّصين والأدلة المتينة هو الانفتاح وتقبل الآخر في مقام البحث ، وتقبل النقد، فالخطاب الديني حيث هو الذي يعطي

(1) - عبد السيد، بلسم محمد صعبكان. اثر لغة الإعلام الحديث في توجيه الخطاب الديني: دراسة في لغة

الخطاب الديني في العراق، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، (2019) ص (37).

(2) - الكاهية، مريم. تجديد الخطاب الديني والنهضة الحضارية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، لبنان،

(2021) ص (14).

فرصة حقيقية للاستفهام والتساؤل والمعرفة الحقيقية التي من خلالها يتم توظيف الخطاب الديني في حل المشكلات الاجتماعية عن طريق الاقتناع بالأسلوب الهادئ بعيد عن التعنيف والرّجر والغضب (1).

ثالثاً: الأمانة في النّقل، ورفض غير الموثوق فإنّ ميزة من ميز الخطاب المنسوب للدين هو الدقّة والأمانة في النّقل، فإنّ الدين أحرص ما يكون في مسألة تناقل المعارف والمعلومات، ويعمل بقاعدة {فَتَنبِتُونَا} فلا ينبغي نقل كلّ ما يسمعه الإنسان ومن أيّ كان، كما أن مسؤولية الخطاب الديني مراعاة المستوى الذهني والثقافي للمتلقين حيث إنّ الخطاب الذي يستهدف هداية الناس ويسعى للأخذ بأيديهم إلى سبيل الخير والهدى والامن والاستقرار لذلك لا يجوز أن يكون الخطاب الديني خطايا استعراضياً لإظهار مقام المتحدّث العلمي وقدراته الذهنيّة؛ لأنّه يؤدّي إلى نقض الغرض، وهل أعظم وأعلم وأذكى من الأنبياء والأئمّة؟! وهم الذين نزلوا لمستوى عقول الناس وخاطبهم بقدرها، فالخطاب السهل اليسير الواضح من عوامل الجذب والأنس الهامة التي يمكن توظيفها لجعل الخطاب الديني مؤثراً حيث ان الخطاب الديني السهل والواضح يصل مضمونه إلى اكبر عدد من الأفراد مما يزيد من حجم دوره في حل المشكلات الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع (2).

رابعاً: لا بد ان يتبع الخطاب الديني المنهجية العلميّة وفق أصول البحث العلميّ: الخطاب الدينيّ ليكون مقبولاً لا بدّ أن يسير طبقاً لمناهج البحث وأصوله وقواعده،

(1) - نسيمة، الحاج ميمون. تجديد الخطاب الديني في عصر العولمة، مجلة المركز الجامعي، الجزائر، (2016) ص (2).

(2) - كبير، الشيخ. الخطاب الديني بين سلبية الجمود وضرورة التجديد، مجلة المركز الجامعي، الجزائر، (2016) ص (2).

بحيث تكون أفكاره مشبعة بالأدلة والشواهد المؤثرة، ومنسقا في محاور ونقاط، فهذا يجعله أكثر فائدة وأقدر على الإقناع والتأثير⁽¹⁾.

وترى الباحثة انه توجد العديد من العوامل المؤثرة في توظيف الخطاب الديني في حل المشكلات الاجتماعية حيث ترى الباحثة إنه ولا بد أن يتوفر في الخطاب الديني عدد من الأمور الهامة وهي كالتالي:

أولاً: اختيار موضوعات تلامس هموم المجتمع ومواكبة قضايا العصر.

ثانياً: بالاجتهاد في بحث كل موضوع من خلال المصادر المتوفرة من الكتب والصحف والمجلات ومواقع الإنترنت.

ثالثاً: استشارة ذوي التخصصات في المواضيع التي تتطلب اهل العلم ومشورتهم .

رابعاً: بذل الجهد في منهجية البحث، واختيار أفضل الأساليب والعبارات المناسبة لطيب الكلام ولين الحديث والابتعاد عن التشجج من أهم العوامل المؤثرة في الخطاب الديني حيث إن الوظيفة الأساس للخطاب الديني هي حسن الكلام وطيب الحديث والوسطية في اللغة وعدم الانفعال والعصبية والتوتر، فإذا ما كان الخطاب متشججاً كان منفراً ومرفوضاً يكشف عن ضحالة في المحتوى وسطحية في الطرح وإذا كان لين الكلام مطلوباً .

خامساً- الابتعاد عن إهانة المخاطبين وتحقيرهم: يتوهم بعض الخطباء أو المتحدثين أن من علامات قوة الخطيب هو توجيه التوبيخ بغلظة أو التقرع والإهانة للمستمعين، وهذا وهم، بل هو خلاف خلق الإسلام والنبي،

سادساً- الامتناع عن بذاءة اللسان وسخف القول فالخطاب الديني هو الناطق عن الدين فكراً وأخلاقاً، فإما أن يرفع الخطاب الدين في نفوس الناس وإما أن يضعه بلزوم التكبر أي الخطاب الديني إما أن يستقطب الناس للدين وإما أن ينفرهم منه

(1) - بريقع، كمال. خصائص تجديد الخطاب الديني من القرآن الكريم، مجلة الجامعة الاسلامية ،

مصر، (2016) ص (46).

رابعا- نتائج البحث والمقترحات:

نستنتج من البحث أن الخطاب الديني الفعال في حل المشكلات الاجتماعية هو الخطاب الذي يسير وفق ضوابط معينة ترجع إلى صفة الخطاب والتي من أهمها الوضوح بحيث يتمكن عامة الناس من فهمه، من خلال توافر السند الشرعي له ومراعاة حال المخاطبين والعمل على ترتيب الأحكام بحسب أهميتها وأولويتها وسيره على اسس صحيحة، وبذلك يتمكن الخطاب الديني من المساهمة بفاعلية في حل المشكلات الاجتماعية التي يعاني منها أفراد المجتمع ونبذ التعصب للمذاهب والطوائف الدينية التي بدأت تنسب كل ما تفعله إلى اسم الدين وأحكام الله فيجب ان يقوم الخطاب الديني على اسس العلم والعدالة وفقه النفس ومعرفة مقاصد الشريعة واحوال الناس وبذل غاية الجهد في معرفة الحق وكذلك عدم اشغال الناس بما يضيع أوقاتهم من قضايا خلافية يجب ان تبحث بين الباحثين والمتخصصين داخل اروقة العلم.

كما يشير البحث الحالي إلى اننا بحاجة إلى خطاب ديني يؤكد على ضرورة التعامل الايجابي مع الآخر اي التعامل السليم مع أفراد المجتمع من خلال تفهم الآراء والافكار ودراسة السلوك النفسية والاجتماعية للأفراد بعيداً عن الانغلاق الذاتي الذي لا يحترم السلم الاجتماعي، ومن خلال التأصيل النظري للموضوع البحث اسفر البحث عن عدد من التوصيات والمقترحات التي من شأنها ان تفعل دور الخطاب الديني في حل المشكلات الاجتماعية كالتالي:

-لابد ان يتضمن الخطاب الديني ضرورة التعامل الايجابي مع الآخر اي التعامل السليم مع أفراد المجتمع من خلال تقيل الآراء والافكار المغايرة لنا طالما انها لا تمثل مخافة للشريعة الاسلامية، ويلتزم مقدم الخطاب الديني بالسلوك القويم بعيدا

عن العنف والتطرف في اللفظ أو الفعل وبعيداً عن الانغلاق الذاتي الذي لا يحترم السلم الاجتماعي.

- العمل على احترام التخصص والابتعاد عن إبداء النظر بلا دليل حيث نشهد حالة فوضوية في عصرنا الحاضر حيث كثر المفتون والنّاطقون باسم الإسلام، فكلّ يتكلّم باسم الدّين، وغير خفيّ ما نراه من تجاذبات للخطاب الدّينيّ بين أطراف متعدّدة ومدارس متنوّعة ومن البديهيّ عدم تمكّن جميع الناس من التّخصّص والاجتهاد في قضاياها، فيتعيّن تخصّص فئة معيّنة خاصّة ضمن ضوابط وشروط وعليه فإنّ إبداء الرّأي والنّظر لكي يكون علمياً لا بدّ أن يخضع لتلك الضّوابط والشّروط الخاصّة بعملية الاجتهاد، وهي في كلّ علم بحسبه، وهو مبدأ ضرورة احترام التّخصّصات وألا يتكلّم المرء في ما لا يملك علمه.

- العمل على تحديث الفكر وتطوير الرؤية بكل ما هو جديد ونقدم خطاب الديني معتدل مرتبط بما يعاني منه المجتمع من مشكلات كي يلقي اذاناً صاغية وقلوباً واعية لا بد ان يمس الموضوعات التي تهم المجتمع.

- العمل على ممارسة الاجتهاد الفقهي لتقديم الخطاب الديني بكل ثقة وبخلاف ذلك فأنا نبقى من حيث نحن لا نتغير ولا نتجدد وقانعين بالتبعية نعانى من مشكلات التخلف والطائفية والتطرف وكل ما يسيئ لنا ويعمل على دمار مجتمعنا دينياً واخلاقياً حيث تمر بنا مواكب الامم وهي حاملة السيادة والقيادة ونحن نكتفي بمجرد اعلان السخط والرفض والانتكار لذا لا بد من العمل على بناء جيل من علماء الدين واعيين بمشاكل مجتمعهم قادرين على اعمال التفكير الناقد لهذه المشكلات والمساهمة في حلها من خلال تقديم خطابا دينيا فعال.

- أن يكون الخطاب الديني إيجابياً في كل مناحي الحياة وينفع جميع الناس من خلال تحقيق التنمية المستدامة، والعدالة الاجتماعية، والقضاء على البطالة، والاهتمام بالبيئة والمحافظة عليها. حيث إن الخطاب الديني هو جزء من الدين الإسلامي الكامل والشامل لكل ما يحتاجه الناس في حياتهم. منوع ومتجدد.

- لا بد ان يقدم خطاب دينيا مناسباً للجميع من مفكرين ومتقنين ورياضيين وعلماء ومتعلمين وأغنياء وفقراء. يتضمن مواجهة المفسد قبل جلب المنافع والمصالح حيث ان الخطاب الديني يجب ان ينطلق من القاعدة الاساسية التي تتضمن جلب المصالح وتكميلها ودفع المفسد وتقليلها التي جاءت بها الشريعة الإسلامية أي يجب على الخطاب الديني ان يراعي كل ما اتت به الشريعة الإسلامية والقوانين الدينية العادلة أي يعطي كل حكم ما يستحقه من الاهتمام ويفرق بين ثوابت الدين وأصوله التي لا يدخلها تغيير لا في الشكل ولا في المضمون.

- تجنب سلبيات الخطاب الديني من أجل نشر الخير بشكل أفضل وميسر وسهل من خلال التزامه بمبادئ الدين والشريعة ودعوة الناس لذلك، من خلال البحث في موروثنا الإسلامي واستشراف المستقبل، فمن لا ماضي له لا حاضر له أيضاً من خلال التوسط والاعتدال وجعلهما منهج حياتنا لأنهما يقودانا إلى بر الأمان.

- يجب على المهتمين بالخطاب الديني ومن يقومون به من الخطباء وعلماء الدين وكل من يساهم في انتاج الخطاب الديني، أن تتسع صدورهم للنقد والتقويم، وأن يجتهدوا في تحقيق التطور والنقد في مستويات أدائهم، وأن يتبادلوا الآراء والتجارب فيما بينهم، عبر اللقاءات والمؤتمرات وورش العمل والتواصل المباشر، وهو ما يمارسه ذو التخصصات والاهتمامات المشتركة في مختلف المجتمعات المتقدمة،

وذلك لضمان تقديم خطاب ديني معاصر ومرتبب بمتطلبات المجتمع ومشكلاته لا منفصل عنه حتى يصبح ذا تأثير اكثر فاعلية في الأفراد.

- يجب أن يتم وضع رقابة على وسائل الإعلام التي تقدم الخطاب الديني وذلك لضمان عدم اصدار أي فتوة دون الرجوع إلى دار الإفتاء والمؤسسات الدينية المسؤولة عن ذلك فلا يجوز ترك المجال مفتوحا امام هذه القنوات للإصدار الفتاوى

الخاتمة

في نهاية البحث نجد أهمية الخطاب الديني في المجتمع أهمية قصوى وبالغة حيث يعتبر الركيزة الأساسية التي من خلاله الأفراد يكونوا ثقافتهم الدينية والتي تسهم في توجه سلوكهم فيما بعد فعندما ينشأ الأفراد على تلقي خطاب ديني معتدل يدعو لنشر القيم الإنسانية السامية كالحب والتسامح والتعاون في الفرد يصبح بذلك مواطن صالحا يحمل بداخله قيم الحب والسلام وينشرها اينما وجد، فينبذ الحقد والكراهية والتعصب والعنف، وهذا على عكس الأفراد الذين تلقوا خطاب ديني عدائي يدعو إلى التعصب ويكفر الآخر ولا يتقبله ويزرع بذور التطرف والعنف في النفوس، مما يزيد من مشكلات المجتمع حيث تنتشر البغضاء والكراهية بين الأفراد، مما تصبح البيئة المجتمعية بيئة خصبة للنشر التطرف والعنف والانحراف الأخلاقي بين أفرادها، فمن خلال ما تم الاطلاع عليه من دراسات وأدبيات سابقة مرتبطة بموضوع البحث تبين ان الخطاب الديني من أهم الادوات واكثرها فاعلية في حل المشكلات الاجتماعية اذا تم تطويره وتوجيهه بالطرق السليمة، فإنه يسهم في تكوين أفراد قادرين على تحقيق الأمن والاستقرار لمجتمعاتهم، وبذلك فالبحث الحالي يشير مدى إسهام الخطاب الديني المعتدل في عملية حل المشكلات التي تواجه المجتمع حيث يسعى من وراء الخطاب الديني العمل على بناء المجتمع المسلم الأخلاقي الخاضع لأوامر الله والقيم الاخلاقية السامية لما لها من دور فعال في توجيه أفراد

المجتمع وتحقيق بناء المجتمع العامل المقدس المهتم بالعلم كأساس للرفي والتطورالمجتمع الذى ينبذ العنف والجريمة ويحرم القتل. كما توضح الباحثة أن من شروط من يقدم الخطاب الديني أن يكون أن يكون مخلصاً يبتغي في ذلك الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى، وأن يكون عالماً بالدين وأصوله، كما يجب أن يمتلك الأسلوب المناسب والحكمة والموعظة الحسنة. أن يتحلى بالصبر والتحمل لما قد يواجهه من مشاكل وعقبات، أن يكون رحيماً بالناس، أن يكون قدوة حسنة وهي من أبلغ صور التبليغ للرسالات الدينية، كما أن الباحثة ترى أن الخطاب الديني لكي يكون خصال يجب أن يكون ريانى المصدر والمنشأ أي أن يستمد الخطاب الديني قيمه ومبادئه من التعاليم الإسلامية التي أمر بها الله ورسوله، كما يجب أن يكون الخطاب الديني خطابا عالمي وعام لجميع البشر، حيث إنه لا بد أن يكون للناس كافة، وليس لفئة معينة من الناس، دون تفريق على أساس الجنس أو اللون أو غيره، كما يقول الله عز وجل في محكم تنزيله: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" (الأنبياء:107) كذلك يجب أن يكون الخطاب لديني خطاباً وسطي، حيث يراعى الخطاب الديني التوازن وبين الحقوق والواجبات في جميع جوانب الحياة بدون تشدد ولا غلو كذلك يجب أن يكون خطابا إيجابي في كل مناحي الحياة، وينفع جميع الناس، والمتمثل في تحقيق التنمية والعدالة الاجتماعية، والقضاء على البطالة، والاهتمام بالبيئة والمحافظة عليها. شامل لجميع جوانب الحياة: حيث إن الخطاب الديني هو جزء من الدين الإسلامي الكامل والشامل لكل ما يحتاجه الناس في حياتهم. منوع ومتجدد كذلك ينبغي أن يكون الخطاب الديني مناسب لجميع فئات الناس مختلفون وكل منهم له مذهب مختلف؛ لذلك لا بد أن يكون الخطاب مناسباً للجميع من مفكرين ومتقنين ورياضيين وعلماء ومتعلمين وأغنياء وفقراء

قائمة المصادر و المراجع

- أبو زيد، نصر حامد (1995)، نقد الخطاب الديني، الناشر مكتبة مدبولي، مصر، ط1.
- البغدادي، محمد (2021)، المشكلات الاجتماعية، مكتبة القلم، الأردن، ط1.
- حني، عبد اللطيف (2008)، اليات الخطاب الديني المعاصر أمام تحديات العولمة، المركز الجامعي الطارف لكلية الآداب للغات.
- السلمى، عباس بن نامي (2008)، تجديد الخطاب الديني مفهومه وضوابطه، الناشر مركز التميز البحثي، المملكة العربية السعودية، ط1.
- الصفار، حسن موسى (2022)، الخطاب الديني والوظيفة الاجتماعية، أطياف للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1.
- عز العرب، ايهاب حفطي (2020). أدوات تجديد الخطاب الديني ضوابطه وأثاره: دراسة نقدية تحليلية، مجلة كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، ع(18).
- فياض، خالد وفهد، وجدان (2022)، الخطاب الديني تحديات الجمود وأفاق التجديد، مركز تريندز للبحوث والاستشارات، السعودية، ط1.
- أمين، رضا عبد الواحد (2020)، الخطاب الديني المعتدل ودوره في نشر قيم السلام والتسامح، مجلة البحوث الاعلامية، كلية الاعلام، جامعة الأزهر، ع (53).
- الأوقاتي، بسمة خليل نامق وكاظم، أحمد عدنان (2020)، وحدة الخطاب الديني والسياسي: الحرية بين الالتزام الوطني وتحديات الفوضى والجيل الرابع، مجلة بحوث الشرق الأوسط، ع (54).
- بريقع، كمال (2016). خصائص تجديد الخطاب الديني من القرآن الكريم، مجلة الجامعة الإسلامية، مصر، ع(46).
- حفصة، جرادي وبشير، بنت حبيب (2016)، أهمية الخطاب الديني في التنمية الاجتماعية، مجلة انسانة للبحوث والدراسات، ع (1).

- حينا، العيد وبوخلبية، سارة (2019)، الخطاب الديني بين أساليب النجاح والمشكلات التي تواجهه، مجلة دراسات في علوم الإنسان والمجتمع، ع (4).
- الخرزلي، أمل هندي (2015)، الخطاب الإسلامي المعاصر: واقع التطرف ودعوات التجديد، مجلة كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ع (12).
- الرجبي، محمود أحمد محمد (2012)، اتجاهات الخطاب الإسلامي في المواقع الإلكترونية الأخبارية: تحليل مضمون موقع البصلة الاخباري، رسالة ماجستير، كلية الإعلام، جامعة الشرق الأوسط، الأردن.
- الزعيبي، شذى صخر (2018)، دور الخطاب الديني في تشكيل الثقافة الأمنية من وجهة نظر رجال الدين، المؤتمر الخامس: صنع القرار في التنمية مقاربات واصوات، 20-22 يناير، المعهد العربي للبحوث والدراسات، تونس
- سعيد، محمد حامد محمد (2018)، أثر التوسط والاعتدال في الخطاب الديني في تحقيق التنمية المجتمعية، مجلة جامعة الانبار للعلوم الاسلامية، ع (37).
- سلمان، محمود العربي (2018)، الاثار المترتبة على الخطاب الديني، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، ع (37).
- صالح، عبد الجبار حميد وشاهين، نافع حميد صالح (2018)، الخطاب الديني المعتدل ودوره في تعزيز السلم المجتمعي، مجلة الانبار للعلوم الإسلامية، ع (37).
- عبد السيد، بلسم محمد صعبكان (2019). أثر لغة الإعلام الحديث في توجيه الخطاب الديني: دراسة في لغة الخطاب الديني في العراق، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، ع (37).
- عبد الصمد، حنان عبد الله (2021). معالجة المواقع الصحفية لقضية تجديد الخطاب الديني في الخطابات الرئاسية، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، ع (77).

عبد، عبد الستار، عايش والهيثي، محمد نيهان إبراهيم رحيم (2018)، الاعتدال في الخطاب الديني تأصيلاً وتطبيقاً، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، ع (37).

عدلاوي، على (2016)، الخطاب الديني المعاصر وإشكالية العقل والنقل، مجلة الخطاب والتواصل، ع (2).

على، هيثم عبد الرحمن عبد القادر (2018)، خطاب الاعتدال والتسامح الإسلامي، وأثره في استقرار المجتمع وتنميته، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، ع (37).

فياض، محمد احمد (2017)، الخطاب الديني لوسائل التواصل والاشاعات المتحققة لدى الشباب الجامعي، مجلة كلية الفنون والاعلام، ع (5).

الكاوية، مريم (2021). تجديد الخطاب الديني والنهضة الحضارية، مجلة الاداب والعلوم الانسانية، لبنان، ع(14).

كبير، الشيخ (2016). الخطاب الديني بين سلبية الجمود وضرورة التجديد، مجلة المركز الجامعي، الجزائر، ع(2).

محمد، بن حليلة (2017) الخطاب الديني في المجتمع الإسلامي مقارنة سوسيو دينية للواقع الخطاب الديني في المؤسسات الدينية: مؤسسة المسجد نموذجاً، مجلة حوليات جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية، ع(21).

محمد، مصابيح (2018)، الخطاب الديني المعاصر وإشكالية المرجعية بين الصوفية والسلفية، مجلة دراسات معاصرة، ع (3)

مسعود، فلوسي (2018)، حصيلة البحث العلمي والدرس الفكري في قضايا الخطاب الديني الاسلامي، مجلة التبيان، ع (41)،

نسيمة، الحاج ميمون (2016). تجديد الخطاب الديني في عصر العولمة، مجلة المركز الجامعي، الجزائر، ع(2).

العلاقة بين ممارسات إدارة الموارد البشرية والأداء التنظيمي من خلال

التوسط لدوافع دور العمل: نموذج مفاهيمي

إعداد: د. حسن سعيد زيدان

المقدمة:

تسعى منظمات القطاع العام في البلدان النامية إلى إدخال تغييرات وتحسينات لتحسين مستوى أدائها. من الواضح أن هذه المنظمات تبحث باستمرار عن طرق وأساليب جديدة للتطوير، والتي يمكن أن تساعد في تحقيق الفعالية والكفاءة وفقا لي^[1]. حظي أداء المنظمات العامة في البلدان حول العالم، ولا سيما في البلدان النامية، باهتمام كبير من الباحثين والممارسين في جميع أنحاء العالم^[2]. علاوة على ذلك، تواجه العديد من البلدان النامية حاليًا تحديات متميزة تمنع التحفيز الاقتصادي والنمو ويمكن أن تكون في شكل منظمات ضعيفة، ومعدل بطالة مرتفع، وبنية تحتية سيئة، ونقص في الوصول إلى التمويل إلى جانب اللوائح غير الفعالة والقوانين ذات الصلة وعلي^[3]. تتميز بعض البلدان النامية باقتصادات كبيرة، في

(1) Demircioglu, M. A., & Audretsch (2017). شروط الابتكار في مؤسسات القطاع العام. سياسة البحث، 46.

(2) O Cheong, J .. (2020). وسيط آثار الصمت التنظيمي بين التمر في مكان العمل والأداء التنظيمي بين الممرضات. مجلة التقارب الرقمي ، 18.

(3) Srivastava, A. P., & Dhar, R. L (2016). أثير تبادل الأعضاء القياديين وممارسات إدارة الموارد البشرية والتمكين النفسي على أداء الأدوار الإضافية. المجلة الدولية للإنتاجية وإدارة الأداء..

حين أن البعض الآخر لديه اقتصاديات صغيرة، ويفتقر إلى المدخلات الوسيطة المنتجة محليًا والمعدات الرأسمالية اشارة الي^[1].

كان الأكاديميون والممارسون في نقاش مستمر حول أهمية ممارسات إدارة الموارد البشرية في أداء المنظمات وفقا الي الباحثين^[2]. الحجة المؤيدة للمساهمات الإيجابية لممارسات إدارة الموارد البشرية في الأداء تنص على أن الأول قادر على تحويل الموارد البشرية إلى أصول استراتيجية، مع الأخذ في الاعتبار إمكانية التكامل بين ممارسات وموارد المنظمة^[3].

تستمر الحجة من خلال التأكيد على أن مشاركة ممارسات إدارة الموارد البشرية يمكن أن تحدد نجاح المنظمة وفقا الي^[4]، حيث تساعد هذه الممارسات في تحقيق الأهداف التنظيمية من حيث الربحية وتعظيم ثروة المساهمين، عائد كبير على الأصول / حقوق الملكية والعمليات الفعالة وتقديم خدمات العملاء الممتازة^[5].

تعكس ممارسات إدارة الموارد البشرية طريقة فريدة لتشكيل وتشكيل مواقف وسلوكيات الموظفين لتعزيز الأداء التنظيمي تبعا الي^[6] ^[1] أشارت الدراسات السابقة

(1) Zahonogo, P (2016). التجارة والنمو الاقتصادي في البلدان النامية: شواهد من أفريقيا جنوب الصحراء. مجلة التجارة الأفريقية..

(2) الدلين، ابراهيم، & عبدالرحمن. (2020). نجاح شركات الاتصالات الأردنية من خلال رأس المال الاجتماعي وإدارة الموارد البشرية. تكنولوجيا الحالة الصلبة.

(3) عبدالرحمن، عمر. صالح، عمر & عبادي (2020). تأثير ممارسات إدارة الموارد البشرية والرضا الوظيفي على نية دوران الموظف. رسائل علوم الإدارة.

(4) Wood, S (). إدارة الموارد البشرية والأداء التنظيمي. إدارة الموارد البشرية .

(5) Dar, A. T., Bashir, M., Ghazanfar, F., & Abrar, M دور الوسيط لتحفيز الموظف فيما يتعلق بممارسات إدارة الموارد البشرية بعد الاختيار والأداء التنظيمي. المجلة الدولية للإدارة والتسويق.

(6) Al Azzam, A., & Jaradat, S. A. أثر عملية توظيف الموارد البشرية على فاعلية الجامعات الأردنية (دراسة تجريبية على الجامعات الأردنية). المجلة العالمية لإدارة الموارد البشرية.

السابقة علي سبيل المثال [2][3]. [4] إلى أن سلوكيات الموظفين تتشكل من خلال ممارسات إدارة الموارد البشرية وأنها تؤثر على أداء المنظمات. لذلك، يجب على المنظمات اتباع استراتيجيات إدارة الموارد البشرية لتعزيز دوافع الموظفين وإنتاجيتهم [5].

في هذا الصدد، تلعب الدوافع دورًا رئيسيًا في أداء الموظف وأداء المؤسسة [6] وبالتالي، من الضروري للشركة تحقيق تحفيز الموظفين من خلال أدوات إدارة الموارد البشرية [7] [1] مثل إثراء الوظائف والأمن الوظيفي ومستوى الراتب المناسب والحوافز لتعزيز أداءهم وتحقيق أهدافهم الثابتة.

- (1) إبراهيم ، س.ب ، حامد ، أ. ، بابكر ، ب ، وعلي أي.س (2015). جودة إدارة علاقات العملاء وولاء العملاء: دليل من عملاء البنك السوداني. الأكاديمية الدولية للبحوث.
- (2) الكيلاني (2017). ممارسات إدارة الموارد البشرية والأداء التنظيمي في مؤسسات القطاع العام. مجلة الدراسات التجارية الفصلية.
- (3) Farouk, S., Abu Elanain, H. M., Obeidat, S. M., & AlNahyan M (2016).
- ممارسات إدارة الموارد البشرية والأداء التنظيمي في القطاع المصرفي الإماراتي: دور الوسيط للابتكار التنظيمي. المجلة الدولية للإنتاجية وإدارة الأداء..
- (4) Zamanan, M., Alkhalidi, M., Almajroub, A., Alajmi, A., Alshammari, J., & Aburumman, O (2020). تأثير ممارسات إدارة الموارد البشرية ورضا الموظفين على نية المغادرة. رسائل علوم الإدارة.
- (5) Faisal, M., Mook Lee, S., Malul, M., & Shoham, A- (2015). البراعة السلوكية: تأثير مخططات الحوافز على إنتاجية وتحفيز وأداء الموظفين في البنوك التجارية. إدارة الموارد البشرية.
- (6) Zameer, H., Ali, S., Nisar, W., & Amir, M (2014). تأثير الدافع على أداء الموظف في صناعة المشروعات في باكستان. المجلة الدولية للبحوث الأكاديمية في علوم المحاسبة والتمويل والإدارة.
- (7) Jouda, A. A., Ahmad, U. N. U., & Dahleez, K. A (2016). أثر ممارسات إدارة الموارد البشرية على أداء الموظف: حالة الجامعة الإسلامية في غزة (IUG) في فلسطين. المجلة الدولية للإدارة والتسويق.

على مستوى الشركات، تعتبر الإدارة التنظيمية ذات أهمية قصوى بين المديرين والممارسين^[2]. وهذا صحيح بشكل خاص بعد إصلاحات المنظمة واعتماد التكنولوجيا الجديدة، مما يجعل إدارة الأداء أحد المكونات المركزية التي يتعين على المنظمات قياسها وتنفيذها. تحقيقاً لهذه الغاية، يمكن استخدام ممارسات إدارة الموارد البشرية لتعزيز الأداء بين الموظفين وفي نهاية المطاف، أداء المنظمة. من المناسب للمؤسسات أن تقر وتقبل أهمية تحفيز الموظفين على زيادة أدائهم ولهذا السبب يركز اغلبية المدراء في المؤسسات على ممارسات إدارة الموارد البشرية . لذلك، يجب تعزيز ممارسات إدارة الموارد البشرية في المؤسسة من خلال توظيف المواهب وإدارتها لتحسين أدائها^[3].

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم نموذج مفاهيمي للعلاقة بين ممارسات إدارة الموارد البشرية والأداء التنظيمي من خلال التوسط في دور تحفيز العمل. قد يجد الأكاديميون والممارسون نتائج هذه الدراسة قيمة في توفير نظرة أعمق لدور ممارسات إدارة الموارد البشرية في الأداء التنظيمي. علاوة على ذلك، قد تكون نتائج هذه الدراسة ذات قيمة للباحثين الآخرين للإشارة إلى المعلومات المتعلقة بدور ممارسة إدارة الموارد البشرية في الأداء التنظيمي، والتي يمكن من خلالها تقييم الأساليب السابقة لحل استفسارات الإدارة المماثلة ويمكن مراجعة البحوث. يتم تمكين الباحثين من تحديد العيوب المنطقية وأخطاء الافتراض وأسئلة الإدارة التي لم

(1) الأحد ، أحمد ، فوزي ، عمر ، حميد & أزهير ، م. (2018). تأثير ممارسات إدارة الموارد البشرية على الأداء التنظيمي والاستدامة في الصناعات التحويلية النيجيرية: إطار بحثي. رسائل العلوم المتقدمة.
(2) Abosede, J., Eze, B., Sowunmi, B., & M. (2018). إدارة الموارد البشرية وأداء البنوك في نيجيريا. مجلة إرفستيا لجامعة فارنا للاقتصاد.

(3) Taamneh, A., Alsaad, A. K., & Elrehail, H (2018). ممارسات إدارة الموارد البشرية والطبيعة متعددة الأوجه لأداء المنظمة. مجلة الوسط الاوربي للأعمال..

يتم تناولها بشكل كافٍ من خلال أهداف وتصميمات الدراسات السابقة. تساهم هذه الدراسة في الأدبيات المخصصة للدور الوسيط لتحفيز العمل على العلاقة بين ممارسات إدارة الموارد البشرية والأداء التنظيمي.

الدراسات السابقة:

2 - 1- ممارسات إدارة الموارد البشرية:

تُعرّف ممارسات إدارة الموارد البشرية على أنها نهج استراتيجي متكامل و متماسك لتوظيف وتطوير ورفاهية الأشخاص العاملين في المنظمات^[1]. وفي الوقت نفسه، حدد^[2]. ممارسات إدارة الموارد البشرية على أنها العملية التي تبني الإدارة من خلالها القوى العاملة وتحاول إنشاء الأداء البشري الذي تحتاجه المنظمة. وفقاً^[3]. يمكن تعريف ممارسات إدارة الموارد البشرية على أنها الي جاذب الموظفين وتحفيزهم والاحتفاظ بهم لضمان بقاء المنظمة.

من الدراسات السابقة، أثبتت أن تنفيذ ممارسات إدارة الموارد البشرية هو نهج حاسم يمكن من خلاله توليد نتائج إيجابية والحفاظ عليها. وفقاً الي^[4]، فإن تأثير إدارة الموارد البشرية على الأداء يتوقف إلى حد كبير على استجابة الموظفين لممارسات

(1) Armstrong, M. B., Landers, R. N., & Collmus, A. B (2016). التلعب التوظيف والاختيار والتدريب وإدارة الأداء: لعبة التفكير في إدارة الموارد البشرية. في البحوث الناشئة والاتجاهات في التلعب.

(2) Boxall, P., & Purcell, J (2011). الإستراتيجية وإدارة الموارد البشرية. ماكملان للتعليم العالي الدولي.

(3) Schuler, R. S., & Jackson, S. E (1987). ربط الاستراتيجيات التنافسية بممارسات إدارة الموارد البشرية. أكاديمية وجهات نظر الإدارة.

(4) Guest, D (2002). إدارة الموارد البشرية وأداء الشركة ورفاهية الموظف: بناء العامل في إدارة الموارد البشرية. مجلة العلاقات الصناعية.

إدارة الموارد البشرية، وعلى هذا النحو، سيكون التأثير وفقاً لتصوير الموظفين لمثل هذه الممارسات. في هذا الصدد كان لوجود نظام قوي للاختيار، والتدريب والتطوير، والتطوير الوظيفي، وإدارة الأداء، ونظام المكافآت علاقة إيجابية بأداء المنظمات .

هناك العديد من ممارسات إدارة الموارد البشرية التي تم فحصها في الأدبيات. على سبيل المثال، أجرى فحصاً لتأثير ممارسات إدارة الموارد البشرية على أداء الموظفين من خلال الممارسات بما في ذلك التوظيف والاختيار والتدريب والتطوير والتعويضات والحوافز وتقييم الأداء. علاوة على ذلك، ركز^[1]. أيضاً على آثار ممارسات إدارة الموارد البشرية وهي التعويض والتخطيط الوظيفي وتقييم الأداء والتدريب ومشاركة الموظفين على أداء الموظفين. وبالمثل^[2] فحصوا ممارسات إدارة الموارد البشرية للاختيار والتدريب والتطوير، والتطوير الوظيفي وإدارة الأداء ونظام المكافآت على أداء المنظمات.

تمت مناقشة ممارسات إدارة الموارد البشرية لتسهيل التفاعلات الإيجابية، ولا سيما المديرين في دراستهم واهتمامهم باحتياجات مرؤوسهم^[3]. ومع ذلك، لا يوجد توافق في الآراء بشأن ما يشكل بالضبط من ممارسات إدارة الموارد البشرية وعلى مدار السنوات العديدة الماضية، تم اقتراح ممارسات مختلفة وصياغة بدون إجماع على أي منها أو مجموعة منها تشكل جانباً من جوانب إدارة الموارد البشرية. في هذه

-
- (1) إمني ، م ، وحسن ، ز . (2015). تأثير ممارسات إدارة الموارد البشرية على الاحتفاظ بالموظفين في صناعة البيع بالتجزئة في جزر المالديف. المجلة الدولية للمحاسبة والأعمال والإدارة.
- (2) رنا ، محمد ه ، & مالك ، م . (2017). أثر ممارسات الموارد البشرية على الأداء التنظيمي. المجلة الدولية الإسلامية في الشرق الوسط في الادارية و المالية.
- (3) Gould-Williams, J (2007). ممارسات الموارد البشرية والمناخ التنظيمي ونتائج الموظفين: تقييم علاقات التبادل الاجتماعي في الحكومة المحلية. المجلة الدولية لإدارة الموارد البشرية.

الدراسة، يتم قياس إدارة الموارد البشرية من خلال ممارستها في الاختيار، والتدريب والتطوير، والتطوير الوظيفي، وإدارة الأداء، ونظام المكافآت.

يشير الاختيار إلى عملية اتخاذ القرار فيما يتعلق باختيار أفضل المتقدمين المناسبين من بين العديد من المتقدمين لشغل منصب وظيفي. الاتجاه العام في عالم الأعمال هو توظيف الأشخاص ذوي التفكير المماثل، ونتيجة لذلك، يتم تطوير منظمة متجانسة وغير مرنة تفتقر إلى التنوع والقدرة على التكيف. الفرضية الأساسية في عملية الاختيار هي تحديد الحد الأقصى من المعلومات المحتملة المتعلقة بالمرشحين لتحديد ما إذا كانوا مناسبين للوظيفة، مع الأخذ في الاعتبار أن هناك عوامل تؤثر على البحث عن المعلومات^[1]. في هذا الصدد، يتم اختيار المرشحين باستخدام طرق مختلفة لتقييم مدى ملاءمة دورهم (02) وتشمل الأساليب المقابلات الفردية ولجان المقابلات ولوحات الاختيار ومراكز التقييم. يمكن أن تواجه عمليات التوظيف التي تتبناها المؤسسات في كثير من الأحيان عقبات لا حصر لها في التنفيذ على الرغم من الخطة الراسخة لاختيار فرق الإدارة المؤهلة وإشراكها في العمليات.

يلعب التدريب والتطوير دورًا رئيسيًا في ضمان امتلاك الموظفين للمهارات والمعرفة والقدرات المناسبة لإكمال الوظيفة. لذلك، فإن اختيار النوع المناسب من التدريب يضمن حصول الموظفين على المهارات المناسبة لإدارة الأعمال، والتي يتم تحديثها باستمرار من خلال أفضل ممارسات الموارد البشرية. من أجل تلبية متطلبات العمل الحالية والمستقبلية، اتخذت عملية التدريب والتطوير موقفًا استراتيجيًا كما دعت إليه

(1) Kaye, B (2005). بناء ثقافة التنمية. التميز القيادي.

العديد من الدراسات ؛ على سبيل المثال، حدد^[1]. ممارسات التدريب والتطوير في القضايا عبر الوطنية. افترض^[2]. أن جزءًا كبيرًا من مستوى الأداء التنظيمي يعتمد على التدريب وهناك حاجة لتطوير الموظفين بناءً على خطة التدريب والتطوير لزيادة إنتاجيتهم وجودة عملهم. علاوة على ذلك، فإن مثل هذه الاستراتيجية تخفف من معدل دوران الموظفين وتغييهم وتساعد في تحفيز الموظفين. لكي تكون في صدارة المنافسة، يجب اعتبار التدريب والتطوير من قبل أي منظمة على أنها الجوهر ويجب دمجها في استراتيجيات المنظمة المرتبطة بأهداف العمل والأداء.

التطوير الوظيفي هو برنامج تدخل في مجال الموارد البشرية ولا يستلزم مجرد تسريع التطورات المهنية من خلال نظام منظم، حيث يتم تقسيم أعضاء المنظمات إلى مستويات السلطة والالتزامات والمزايا المالية والوقت الذي يقضونه في الوظيفة، ولكن أيضًا وظائف لتسهيل استباقية العمال للتغيير والشعور بالثقة في أن التغييرات في المنظمة تناسب البيئة الجديدة^[3]. كما أنه يزيد من فرص العمل إلى أقصى حد ويزيد من تنوع المهام المتاحة للموظفين، مما يضيف المزيد من القيمة إلى المنظمة من خلال تطويرهم وولائهم لموظفيها. تساعد الخطة الفعالة للتطوير الوظيفي في حصد المواهب من المجموعة الداخلية، مما يمكن المنظمة من موازنة مهارات وكفاءات الموظفين مع أهداف المنظمة. كما يسمح للمديرين باتخاذ قرارات مستنيرة

(1) Stavrou, E. T., Brewster, C., & Charalambous, C (2010). إدارة الموارد البشرية وأداء الشركات في أوروبا من منظور أنظمة الأعمال: أفضل ملاءمة أم أفضل ممارسة أم كليهما ؟. المجلة الدولية لإدارة الموارد البشرية.

(2) Apospori, E., Nikandrou, I., Brewster, C., & Papalexandris, N (2008). إدارة الموارد البشرية والأداء التنظيمي في شمال وجنوب أوروبا. المجلة الدولية لإدارة الموارد البشرية.

(3) Thite, M (2001). ساعدنا ولكن ساعد نفسك: التناقض في الإدارة المهنية المعاصرة. التنمية المهنية الدولية.

عندما يتعلق الأمر بتخطيط المكافآت والتعاقب، والتوظيف، والاحتفاظ بالعاملين، وهو ما يحافظ في الواقع على التزام العمال وتوجيههم نحو النتائج المرجوه^[1].

تتعلق إدارة الأداء بإجراء مقارنة بين الأهداف المحددة مسبقًا والمخرجات الفعلية للموظفين. يشير هذا إلى أنه إذا كانت الشركة تحقق النتائج المرجوة، فإن الموظفين في الواقع يحققون الأهداف على النحو الأمثل - وإلا، فقد يكون هناك بعض الموظفين ذوي الأداء الضعيف وغير القادرين على الوصول إلى أهدافهم المستهدفة^[2]. تشير إدارة الأداء إلى نهج استراتيجي ومتكامل تجاه الأداء الفردي والجماعي الذين يحاولون تقديم الأفضل للنجاح التنظيمي. من ناحية أخرى، أشار^[3] إلى المكافآت على أنها الفوائد والأحكام الملموسة الكاملة التي يتلقاها الموظف كجزء من علاقة العمل. لا تتعلق المكافآت فقط بالمفهوم القديم للدفع أسبوعيًا بعد أسبوع، بل هو مخطط قيم شامل أوصى به صاحب العمل للموظف. التعويض (الراتب الأساسي، الحوافز قصيرة وطويلة الأجل)، المزايا (الفوائد الصحية، الحياة العملية، وغيرها)، والوظائف (التدريب والتطوير والتطوير الوظيفي).

(1) Kapel, C., & Shepherd, C. (2004). تخلق السلام المهنية لغة مشتركة لتحديد الوظائف.

مراسل الموارد البشرية الكندي.

(2) Stredwick, J. (2000). مواءمة المكافآت مع الأهداف التنظيمية - تجربة متعددة الجنسيات. مجلة

الأعمال الأوروبية.

(3) Khan, I., & Baloch, Q. B. (2017). الأجر المستند إلى الأداء: وسيط للعلاقة بين سلوك

الموظف في مكان العمل وإنتاجية المنظمة. مجلة العلوم الإدارية.

2-2- الأداء التنظيمي:

يعد الأداء التنظيمي من أهم المتغيرات في مجال الإدارة ومؤشر المنظمة الناجحة وفقاً الي^[1]. يشير الأداء التنظيمي إلى المخرجات أو النتائج الفعلية للمؤسسة وفقاً لمخرجاتها أو أهدافها وغاياتها المقصودة. في الدراسة، تم إنشاء علاقة إيجابية وهامة بشكل عام بين ممارسات إدارة الموارد البشرية والأداء التنظيمي وعلى سبيل المثال^[2]. & ^[3]. كما أن للمشاركة العالية في ممارسات إدارة الموارد البشرية دور إيجابي في الأداء التنظيمي وفقاً الي^[4]، وفي الوقت نفسه، كشفت وجهات النظر المتنافسة لتأثير إدارة الموارد البشرية على الأداء التي تدعمها نظرية AMO أن أنشطة إدارة الموارد البشرية زادت من قدرات وتحفيز الموظفين وتزويدهم بالسبل التي يمكنهم من خلالها المشاركة والتأثير بشكل إيجابي على أداء المنظم^[5]. تشير وجهات النظر المختلطة إلى تضارب في المصالح بين المنظمة والموظفين وقد تمت مناقشة أنشطة إدارة الموارد البشرية لتسهيل زيادة الإنتاجية والربحية بين المنظمات، مما يؤدي إلى إبطال أو إبعاد مصالح الموظفين.

- (1) غيث ، ع ، متيا ، س ، ميسون ، ع ، وعبدالمك ، ت. (2018). الدور الوسيط للثقافة التنظيمية في العلاقة بين أداء الموظف والسوابق في قطاع الفنادق. مجلة المراجعات حول الاقتصاد العالمي.
- (2) Abdullah ، N. S. ، Alodat ، A. Y. ، Aburumman ، O. J. ، Hoque ، A. S. M. M. ، & Ige ، A. J. A. (2019). آثار المسؤولية الاجتماعية والبيئية للمؤسسات على أداء الشركات الصغيرة والمتوسطة : دور الوسيط للثقافة التنظيمية. في المؤتمر الدولي لبحوث الدراسات العليا.
- (3) أمين ، محمد ، إسماعيل ، رشيد & سليمان. (2014). أثر ممارسات إدارة الموارد البشرية على الأداء. مجلة إدارة الجودة الشاملة.
- (4) Moideenkutty ، U. ، Al-Lamki ، A. ، & Sree Rama Murthy ، Y (2011). ممارسات إدارة الموارد البشرية والأداء التنظيمي في عمان. مراجعة شؤون الموظفين.
- (5) Van De Voorde ، K. ، Paauwe ، J. ، & Van Veldhoven ، M (2012). رفاهية الموظف وعلاقة إدارة الموارد البشرية بالأداء التنظيمي: مراجعة الدراسات الكمية. المجلة الدولية لمراجعات الإدارة.

أجبرت البيئة التنافسية الديناميكية في السوق الشركات على أن تكون استباقية في تحديد واعتماد استراتيجيات لضمان استدامتها وبقائها^[1] ^[2] يعتمد الأداء التنظيمي إلى حد كبير على استخدام ممارسات إدارة الموارد البشرية الناجحة في جذب وتطوير واستبقاء الموظفين المؤهلين والملتزمين والمشاركين، وقد تم ذكر هذه الفرضية مرارًا وتكرارًا في الأدبيات السابقة علي سبيل المثال.

ممارسات إدارة الموارد البشرية هي أهم عناصر المنظمة التي تعمل على تحسين أدائها^[3] & ^[4] في الحقيقة ان ممارسات إدارة الموارد البشرية لها علاقة مهمة وإيجابية مع الأداء التنظيمي^[5] (وبنفس الطريقة، تؤثر ممارسات إدارة الموارد البشرية بشكل إيجابي على أداء المنظمات^[6]. زيادة على ذلك، فإن عملية الاختيار

-
- (1) غيث أحمد (2020). دراسة الميزة التنافسية بين تبادل المعرفة والمشاركة في العمل وسلوك المواطنة التنظيمية في الجامعات الأردنية. مجلة للأثار المصرية / علم المصريات.
- (2) Salleh, A. M. M., Omar, K., Aburumman, O. J., Mat, N. H. N., & Almhairat, A. M. (2020). تأثير التخطيط الوظيفي والرضا الوظيفي على نية دوران الموظف. قضايا الأعمال والاستدامة.
- (3) إدريس ، وهاب ، وجابر . (2016). ممارسات إدارة الموارد البشرية والأداء التنظيمي: نموذج مفاهيمي لأداء الشركات المستحوذة. في وقائع المؤتمر الدولي الأول لإدارة الأعمال .
- (4) يوسف ، هزريل & غيث (2021). فحص مقياس مشاركة ISA كوسيط بين دور رضا الاتصال التنظيمي والأداء في المستشفيات الأردنية. مجلة علم النفس والتعليم.
- (5) Goodarzi, H. T., & Bazgir, R (2015). أثر ممارسات إدارة الموارد البشرية على الأداء التنظيمي. المجلة الهندية لعلوم الحياة الأساسية والتطبيقية.
- (6) Aguta, U. I., & Balcioglu, H -R (2015). تأثير ممارسات إدارة الموارد البشرية على الأداء التنظيمي: حالة البنوك الخاصة في شمال قبرص. المجلة الدولية للأعمال والعلوم الاجتماعية.

كمارسات إدارة الموارد البشرية وعلاقتها بالأداء التنظيمي مهمة في كل مؤسسة^[1].

أشار^[2] إلى أن الاختيار له تأثير إيجابي على الأداء التنظيمي. كما ذكر الباحثين^[3]. إلا أن اختيار الموظف يحدد أداء المنظمة إلى مستوى كبير وهو أمر لا بد منه لتحقيق الأهداف التنظيمية.

^[4]دعموا العلاقة الإيجابية بين التدريب والتطوير والأداء التنظيمي. و زيادة على ذلك، وجدوا ان^[5] ^[6] and. علاقة إيجابية مهمة بين التدريب والتطوير والأداء التنظيمي. ومن منظور آخر^[7]. إذا تعرض الموظفون لتدريب المنهجي، فيمكن عندئذٍ تحقق مستوى كبير في الأداء التنظيمي. من ناحية أخرى، تتمتع الإدارة

-
- (1) Harky, Y. F. M (2018). أهمية التوظيف والاختيار على الأداء التنظيمي: حالة المنظمات المملوكة للقطاع الخاص في أبيجيل ، شمال العراق. المجلة الدولية للبحوث والمراجعة المعاصرة.
- (2) Ekwoaba, J. O., Ikeije, U. U., & Ufoma, N (2015). تأثير معايير التوظيف والاختيار على الأداء التنظيمي. المجلة العالمية لإدارة الموارد البشرية.
- (3) Saviour, A. W., Kofi, A., Yao, B. D., & Kafui, L.-A (2017). تأثير ممارسات التوظيف والاختيار الفعالة على الأداء التنظيمي (دراسة حالة في جامعة غانا). المجلة العالمية لأبحاث الإدارة والأعمال..
- (4) منصور ، شاه، & طيبه. (2015). تأثير التدريب والتطوير على أداء المنظمة مع دور الوسيط في النية للإفلاج عن التدخين كتكلفة لجودة الموارد البشرية. المجلة الأوروبية على الإنترنت للعلوم الطبيعية والاجتماعية.
- (5) Emeti, C. I (2015). آثار التدريب / التطوير على أداء شركات تصنيع الطلاء في ولاية ريفرز. المجلة الأوروبية للأعمال والعلوم الاجتماعية.
- (6) Weru, J. W., Iravo, M. A., & Sakwa, M (2013). العلاقة بين التدريب والتطوير على أداء الشركات المملوكة للدولة. المجلة الدولية للبحوث الأكاديمية في الأعمال والعلوم الاجتماعية.
- (7) Ndibe, B. C., & Campus, E. N. U. G. U (2014). تأثير تدريب الموظفين على الأداء التنظيمي في شركات تعبئة المشروبات الغازية في ولاية إينوجو ، نيجيريا. كلية إدارة الأعمال ، حرم إينوجو بجامعة نيجيريا.

المهنية بعلاقة إيجابية وهامة مع الأداء التنظيمي بطريقة يكون للأول تفسير مهم إحصائيًا للأخير^[1] بالإضافة إلى ذلك وجد ان علاقة إيجابية ذات دلالة إحصائية بين التطوير الوظيفي والأداء التنظيمي.

في مجال الإدارة، تؤثر إدارة الأداء على أداء المؤسسات^[2]. عن علاقة إيجابية مهمة بين إدارة الأداء والأداء التنظيمي، ونفس الشيء كان مدعومًا من قبل. وايضا وفقا الي^[3]. إن العلاقة بين إدارة الأداء والأداء التنظيمي مهمة وتستند إلى النتائج المذكورة أعلاه. من جانب أخرى، ثبت أن نظام المكافآت له تأثير كبير وإيجابي على الأداء التنظيمي ؛ وفي الوقت ذاته،. وجد ان^[4]. علاقة إيجابية ذات دلالة إحصائية بين نظام المكافآت والأداء التنظيمي.

2-3- تقييم العمل:

يشير تحفيز العمل إلى عملية توجه الأداء وتحافظ عليه إشارة الي^[5] أيضا أشارو^[6] أشارو^[6] إلى أن الدافع هو قوى نفسية تحدد اتجاه مستوى الجهد الذي يبذله الفرد،

-
- (1) Lyria, R. K., Namusonge, G. S., & Karanja, K (2017). تأثير الإدارة المهنية على الأداء التنظيمي للشركات المدرجة في سوق نيروبي للأوراق المالية. مجلة الموارد البشرية والقيادة.
- (2) Listiani, T., & Kartini, D (2015). تأثير إدارة أداء التطبيق على الأداء التنظيمي للشركة المحلية (دراسات في غرب اندونيسيا - جافا). المجلة الدولية للبحوث العلمية والتكنولوجية.
- (3) Nirmala, R., & Mekoth, N (2015). العلاقة بين إدارة الأداء والأداء التنظيمي. المجلة الدولية الدولية للبحوث في الإدارة والعلوم الاجتماعية والتكنولوجيا.
- (4) David et al (2018). تأثير ممارسات إدارة الموارد البشرية على الأداء التنظيمي والاستدامة في الصناعات التحويلية النيجيرية: إطار بحثي. رسائل العلوم المتقدمة.
- (5) صالح ، س.م ، زهاري ، أس.م ، سعيد ، ن.س.م ، م ، علي ، س.ر.أو (2016). تأثير دافع العمل العمل على الالتزام التنظيمي في مكان العمل. مجلة العلوم البيئية والبيولوجية التطبيقية.
- (6) Andriani, S., Kesumawati, N., & Kristiawan, M. (2018). تأثير القيادة التحويلية ودوافع العمل على أداء المعلمين. المجلة الدولية للبحوث العلمية والتكنولوجية.

وهو مستوى المثابرة الذي يحافظ عليه في مواجهة المشاكل. يمكن أيضًا وصف مفهوم التحفيز بأنه السبب وراء سلوك الأشخاص في الوظيفة - إنه التحفيز الذي يدفع الأشخاص إلى القيام بالأشياء من خلال الحوافز والحوافز. أشار كل من [1] إلى أن الدافع يوجه سلوكيات معينة نحو تحقيق الهدف. علاوة على ذلك، أوضحت العديد من الدراسات السابقة على سبيل المثال، [2]. [3] أن الموظف المتفاعل لديه ميول أكثر إنتاجية بعمل مقارنة بنظرائه غير المتحمسين.

تحفيز الموظفين في العمل مهم ويؤثر بشكل كبير على أداء الموظفين [4]. وبالتالي، وبالتالي، يمكن القول أن التحفيز يعزز الأهداف التنظيمية ويحسن الإنتاجية والأداء معا [5]. في هذا الصدد، كشف [6] عن وجود علاقة مهمة بين التحفيز والأداء التنظيمي في أن دافع العمال أثر بشكل كبير على أداء العمال. علاوة على ذلك، وجد أن الدافع له تأثير إيجابي على أداء الموظف والأداء التنظيمي [7].

-
- (1) Sansone, C., & Harackiewicz, J. M. (2000). الدافع الداخلي والخارجي: البحث عن الدافع والأداء الأمثل:.
- (2) Pancasila, I., Haryono, S., & Sulisty, B. A. (2020). آثار دافع العمل والقيادة تجاه الرضا عن العمل وأداء الموظف: دليل من إندونيسيا. مجلة المالية الآسيوية والاقتصاد والأعمال.
- (3) Afful-Broni, A. (2012). العلاقة بين الدافع والأداء الوظيفي في جامعة المناجم والتكنولوجيا ، تاركوا ، غانا: دروس القيادة. التربية الإبداعية.
- (4) Emeka, N., Amaka, O., & Ejim, E. P. (2015). تأثير دافع الموظف على الأداء التنظيمي التنظيمي لشركات تصنيع مختارة في ولاية إينوجو. المجلة العالمية للإدارة والدراسات السلوكية .
- (5) Ochola, G. O. (2018). تحفيز الموظف ، استراتيجية تحسين الأداء التنظيمي (مراجعة لتأثير دافع الموظف على الأداء التنظيمي). العلوم.
- (6) Muogbo, U. (2013). تأثير تحفيز الموظفين على الأداء التنظيمي (دراسة لبعض الشركات المختارة في ولاية أنامبرا نيجيريا). المجلة الدولية للهندسة والعلوم.
- (7) Abubakari, A.-R., & Adam, B. (2018). تقييم آثار دافع الموظف على الأداء التنظيمي لـ XXX Limited. المجلة الدولية للإدارة وبحوث الأعمال.

يعد تحديد العوامل الرئيسية التي تحفز الموظفين في مكان العمل أمرًا ضروريًا للمؤسسة للاعتراف بها وفهمها من أجل التأثير على السلوك بين الموظفين نحو الأداء العالي بمساعدة الاستراتيجيات المناسبة.^[1] تؤثر ممارسات إدارة الموارد البشرية بشكل إيجابي على الأداء التنظيمي المتصور، وفي هذه العلاقة، يُفترض أن يكون للدافع تأثير وسيط. وفقًا ، فإن الدافع يعزز ممارسات إدارة الموارد البشرية (الحوافز المالية)، والتي بدورها تؤثر على الإنتاجية والأداء في اتجاه إيجابي. أيضًا، يتوسط دافع العمل العلاقة بين التطوير الوظيفي والأداء^[2]. في دراسة أخرى ذات صلة، وجد أن الدافع للعمل له تأثير وسيط على التأثير غير مباشر للتطوير الوظيفي على الأداء التنظيمي^[3]. علاوة على ذلك، فإن ممارسات إدارة الموارد البشرية لها تأثير كبير على أداء الموظف ولكن من خلال التأثير الوسيط لدوافع العمل^[4]،^[5].

- Du Plessis, A., Munyeka, W., Chipunza, C., Samuel, M., Naidoo, K., Keyser, (1) M E Gura, (2015). إدارة الموارد البشرية وابحاث البيئة في جنوب إفريقيا: التطبيق و النظرية المعاصرة.
- (2) Sapta, I. K. S., & Sudja, I. N (2018). تأثير التطوير الوظيفي والقيادة على أداء الموظف مع تحفيز العمل كمتغيرات متداخلة على السيرة الذاتية.
- (3) Manggis, I. W., Yuesti, A., & Sapta, I. K. S (2018). تأثير التطوير الوظيفي والثقافة التنظيمية على أداء الموظف مع الدافع للعمل كمتغير متداخل في التعاون في قرية دينباسار (Denpasar Village). المجلة الدولية للبحوث والمراجعة المعاصرة.
- (4) Rumasukun, S. F. A., Rante, Y., Wambrau, O. O., & Bharanti, B. E (2015). أثير استراتيجية وكفاءة إدارة الموارد البشرية على أداء الموظف بوساطة دافع العمل والالتزام التنظيمي وثقافة العمل (دراسة لدى مسؤول إدارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات في مقاطعة بابوا). المجلة الدولية للاختراع التجاري والإدارة.
- (5) Abd Halim et al (2018). دورالوسيط للثقافة التنظيمية في العلاقة بين أداء الموظف والسوابق في في قطاع الفنادق. مجلة المراجعات حول الاقتصاد العالمي.

3- الإطار النظري وتطوير الفرضيات:

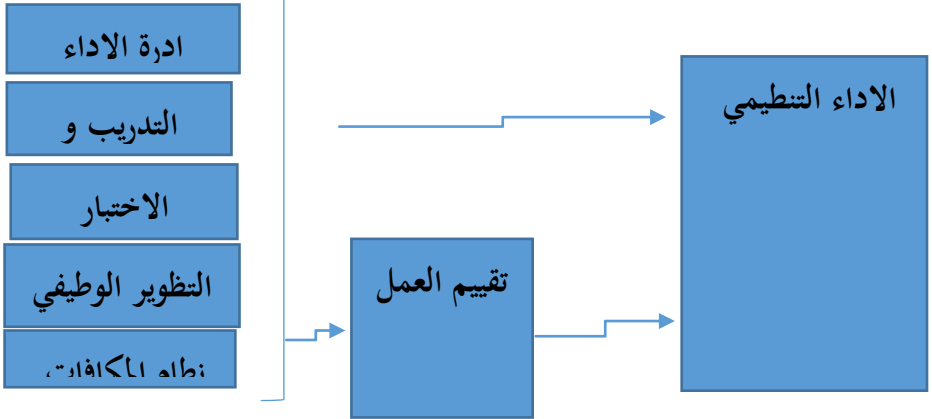
الهدف الرئيسي من هذه الدراسة هو تقديم نموذج مفهوم للعلاقة بين ممارسات إدارة الموارد البشرية والأداء التنظيمي من خلال التوسط في دور تحفيز العمل. في الدراسة الحالية، تشكل ممارسات إدارة الموارد البشرية (الاختيار، وبرامج التدريب والتطوير، والتطوير الوظيفي، وإدارة الأداء، والمكافأة) المتغيرات المستقلة للدراسة، بينما يشكل بناء الأداء التنظيمي المتغير التابع. أخيراً، تتوسط بنيات دافع العمل العلاقة بين المتغيرات المستقلة والتابعة. تم تطوير نموذج مفاهيمي لهذه الدراسة بواسطة نظرية التبادل الاجتماعي.

وأشار الباحثون إلى أن نظرية التبادل الاجتماعي تقوم على مبدأ المعاملة وفقاً الي & [1] [2]؛ [3]. يشير مبدأ المعاملة بالمثل إلى التبادل المتكافئ للالتزامات الإيجابية أو السلبية بين أي طرف لذلك، إذا قدمت المنظمات سلوكاً إيجابياً مثل أنظمة الاختيار المناسب، وبرامج التدريب والتطوير الكافي، وأنظمة التطوير الوظيفي العادلة والسريعة، وأنظمة إدارة الأداء العادلة، والمكافآت والمزايا العالية، ومستوى عالٍ من التحفيز في بيئة العمل، وبالتالي الموظفين سوف يتصرفون بشكل مشابه ويلتزمون بالسلوكيات الإيجابية بمستوى عالي من الأداء، مما يساهم في تعزيز وتحسين الأداء التنظيمي. يوضح الشكل (1).

- (1) (Abd Halim et al 2018). دور الوسيط للثقافة التنظيمية في العلاقة بين أداء الموظف والسوابق في قطاع الفنادق. مجلة المراجعات حول الاقتصاد العالمي.
- (2) Ghaith, A., & Mutia, S (2019). تأثير المتغيرات السلوكية على سلوك المواطنة التنظيمية مع الرضا الوظيفي كمعتدل لدى فنادق الخمس نجوم الأردنية. المجلة الدولية للأخلاق والأنظمة.
- (3) Karim, D.N., Majid, A.H.A., Omar, K., Aburumman, O.J (2021). التأثير الوسيط لعدم الثقة الشخصية على العلاقة بين السياسة التنظيمية المتصورة والنبذ في مكان العمل في مؤسسات التعليم العالي. هيليون.

3-1- النموذج المفاهيمي لهذه الدراسة:

ممارسات ادارة الموارد البشرية



الشكل 1: نموذج مفاهيمي لهذه الدراسة

لذلك، يتم استخلاص الفرضيات التالية من المناقشة أعلاه:

الفرضية (1): توجد علاقة إيجابية بين ممارسات إدارة الموارد البشرية (الاختبار، وبرامج التدريب والتطوير، والتطوير الوظيفي، وإدارة الأداء، والمكافأة) والأداء التنظيمي.

الفرضية (2): توجد علاقة إيجابية بين ممارسات إدارة الموارد البشرية (الاختبار، وبرامج التدريب والتطوير، والتطوير الوظيفي، وإدارة الأداء، والمكافأة) ودوافع العمل

الفرضية (3): توجد علاقة ايجابية بين دافع العمل والأداء التنظيمي.

الفرضية (4): دافع العمل يتوسط العلاقة بين ممارسات إدارة الموارد البشرية (الاختيار، برامج التدريب والتطوير، التطوير الوظيفي، إدارة الأداء، والمكافأة) والأداء التنظيمي.

الخاتمة:

الهدف الرئيسي من هذه الدراسة هو تقديم نموذج مفاهيمي للعلاقة بين ممارسات إدارة الموارد البشرية والأداء التنظيمي من خلال التوسط في دور تحفيز العمل. ممارسات إدارة الموارد البشرية هي المحرك الرئيسي لتحفيز العمل والأداء التنظيمي، من خلال أنظمة الاختيار المناسبة، وبرامج التدريب والتطوير الكافية، وأنظمة التطوير الوظيفي العادلة والسريعة، وأنظمة إدارة الأداء العادلة، والمكافآت والمزايا العالية، ومستوى عالي من التحفيز في عمل البيئة التي تساهم في تعزيز وتحسين الأداء التنظيمي. دعمت نظرية التبادل الاجتماعي هذه العلاقات، حيث يتأثر الأداء التنظيمي بممارسات إدارة الموارد البشرية (الاختيار، برامج التدريب والتطوير، التطوير الوظيفي، وإدارة الأداء والمكافأة) وتحفيز العمل. لذلك، يجب على المنظمات تطوير استراتيجيات قوية لتعزيز وتحسين الأداء التنظيمي. وزيادة علي ذلك، فإن القصد من هذه الورقة هو اكتشاف العوامل التي تؤثر على الأداء التنظيمي، وحث المزيد من الدراسات المستقبلية حول هذه العوامل، لتقديم نظرة عامة لما تحتاجه المنظمة لتحديد القضايا ذات الصلة بالأداء التنظيمي. علاوة على ذلك، يجب أن تدرس الدراسات المستقبلية الإطار المقترح باستخدام الأساليب الإحصائية المتقدمة من أجل دراسة الفرضيات السابقة وتقديم النتائج لمساعدة صانعي القرار في المنظمات، وكذلك فحص ممارسات إدارة الموارد البشرية الأخرى. مثل تمكين الموظف والعمل الجماعي والأمن الوظيفي ومشاركة المعلومات والوصف الوظيفي وتأثيرها على تحفيز العمل والأداء التنظيمي.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- Demircioglu, M. A., & Audretsch, D. B. (2017). شروط الابتكار في مؤسسات القطاع العام. سياسة البحث، 46 (9)، 1681-1691.
- 2- Cheong, J. O. (2020). وسيط آثار الصمت التنظيمي بين التتمر في مكان العمل والأداء التنظيمي بين الممرضات. مجلة التقارب الرقمي، 18 (1)، 169-175.
- 3- Srivastava, A. P., & Dhar, R. L. (2016). تأثير تبادل الأعضاء القياديين وممارسات إدارة الموارد البشرية والتمكين النفسي على أداء الأدوار الإضافية. المجلة الدولية للإنتاجية وإدارة الأداء.
- 4- Zahonogo, P. (2016). التجارة والنمو الاقتصادي في البلدان النامية: شواهد من أفريقيا جنوب الصحراء. مجلة التجارة الأفريقية، 3 (2-1)، 41-56.
- 5- الدلين، ابراهيم، & عبدالرحمن. (2020). نجاح شركات الاتصالات الأردنية من خلال رأس المال الاجتماعي وإدارة الموارد البشرية. تكنولوجيا الحالة الصلبة، 63 (5)، 8049-8057.
- 6- عبدالرحمن، عمر. صالح، عمر & عبادي (2020). تأثير ممارسات إدارة الموارد البشرية والرضا الوظيفي على نية دوران الموظف. رسائل علوم الإدارة، 10 (3)، 641-652.
- 7- Wood, S. (2018). إدارة الموارد البشرية والأداء التنظيمي. إدارة الموارد البشرية، 74-97.

- 8- Dar, A. T., Bashir, M., Ghazanfar, F., & Abrar, M. (2014). دور الوسيط لتحفيز الموظف فيما يتعلق بممارسات إدارة الموارد البشرية بعد الاختيار والأداء التنظيمي. *المجلة الدولية للإدارة والتسويق*، 4 (3)، 224.
- 9- Al Azzam, A., & Jaradat, S. A. (2014). أثر عملية توظيف الموارد البشرية على فاعلية الجامعات الأردنية (دراسة تجريبية على الجامعات الأردنية). *المجلة العالمية لإدارة الموارد البشرية*، 2 (1)، 16-29.
- 10- إبراهيم، س.ب، حامد، أ.، بابكر، ب، وعلي أ.ي.س (2015). جودة إدارة علاقات العملاء وولاء العملاء: دليل من عملاء البنك السوداني. *الأكاديمية الدولية للبحوث*، 6 (1)، 252.
- 11- الكيلاني (2017). ممارسات إدارة الموارد البشرية والأداء التنظيمي في مؤسسات القطاع العام. *مجلة الدراسات التجارية الفصلية*، 8 (3)، 65.
- 12- Farouk, S., Abu Elanain, H. M., Obeidat, S. M., & AlNahyan M. (2016). ممارسات إدارة الموارد البشرية والأداء التنظيمي في القطاع المصرفي الإماراتي: دور الوسيط للابتكار التنظيمي. *المجلة الدولية للإنتاجية وإدارة الأداء*. 65 (6)، 773-791.
- 13- Zamanan, M., Alkhalidi, M., Almajroub, A., Alajmi, A., Alshammari, J., & Aburumman, O. (2020). تأثير ممارسات إدارة الموارد البشرية ورضا الموظفين على نية المغادرة. *رسائل علوم الإدارة*، 10 (8)، 1887-1894.
- 14- Faisal, M., Mook Lee, S., Malul, M., & Shoham, A. (2015). البراعة السلوكية: تأثير مخططات الحوافز على إنتاجية وتحفيز وأداء الموظفين في البنوك التجارية. *إدارة الموارد البشرية*، 54 (S1)، s45-s62.

- 15- Zameer, H., Ali, S., Nisar, W., & Amir, M. (2014). تأثير الدافع على أداء الموظف في صناعة المشروبات في باكستان. المجلة الدولية للبحوث الأكاديمية في علوم المحاسبة والتمويل والإدارة، 4 (1)، 293-298.
- 16- Jouda, A. A., Ahmad, U. N. U., & Dahleez, K. A. (2016). أثر ممارسات إدارة الموارد البشرية على أداء الموظف: حالة الجامعة الإسلامية في غزة (IUG) في فلسطين. المجلة الدولية للإدارة والتسويق، 6 (4).
- 17- الأحمد، أحمد، فوزي، عمر، حميد & أزهير، م. (2018). تأثير ممارسات إدارة الموارد البشرية على الأداء التنظيمي والاستدامة في الصناعات التحويلية النيجيرية: إطار بحثي. رسائل العلوم المتقدمة، 24 (6)، 3832-3835.
- 18- Abosede, J., Eze, B., & Sowunmi, M. (2018). إدارة الموارد البشرية وأداء البنوك في نيجيريا. مجلة إزفستيا لجامعة فارنا للاقتصاد، 62 (2)، 117-130.
- 19- Taamneh, A., Alsaad, A. K., & Elrehail, H. (2018). ممارسات إدارة الموارد البشرية والطبيعة متعددة الأوجه لأداء المنظمة. مجلة الوسط الاوربي للأعمال. 13 (3)، 334-315.
- 20- Armstrong, M. B., Landers, R. N., & Collmus, A. B. (2016). التلعيب التوظيف والاختيار والتدريب وإدارة الأداء: لعبة التفكير في إدارة الموارد البشرية. في البحوث الناشئة والاتجاهات في التلعيب (ص 140-165). IGI العالمية.
- 21- Boxall, P., & Purcell, J. (2011). الإستراتيجية وإدارة الموارد البشرية. ماكميلان للتعليم العالي الدولي.
- 22- Schuler, R. S., & Jackson, S. E. (1987). ربط الاستراتيجيات التنافسية بممارسات إدارة الموارد البشرية. أكاديمية وجهات نظر الإدارة، 1 (3)، 207-219.

- 23- Guest, D. (2002). إدارة الموارد البشرية وأداء الشركة ورفاهية الموظف: بناء العامل في إدارة الموارد البشرية. مجلة العلاقات الصناعية، 44 (3)، 335-358.
- 24- إمني، م، وحسن، ز. (2015). تأثير ممارسات إدارة الموارد البشرية على الاحتفاظ بالموظفين في صناعة البيع بالتجزئة في جزر المالديف. المجلة الدولية للمحاسبة والأعمال والإدارة، 1 (1)، 1-28.
- 25- رنا، محمد ه، & مالك، م. (2017). أثر ممارسات الموارد البشرية على الأداء التنظيمي. المجلة الدولية للاسلامية في الشرق الوسط في الادارية و المالية.
- 26- Gould-Williams, J. (2007). ممارسات الموارد البشرية والمناخ التنظيمي ونتائج الموظفين: تقييم علاقات التبادل الاجتماعي في الحكومة المحلية. المجلة الدولية لإدارة الموارد البشرية، 18 (9)، 1647-1627.
- 27- Kaye, B. (2005). بناء ثقافة التنمية. التميز القيادي، 22 (3)، 18.
- 28- Stavrou, E. T., Brewster, C., & Charalambous, C. (2010). إدارة الموارد البشرية وأداء الشركات في أوروبا من منظور أنظمة الأعمال: أفضل ملاءمة أم أفضل ممارسة أم كليهما؟. المجلة الدولية لإدارة الموارد البشرية، 21 (7)، 933-962.
- 29- Apospori, E., Nikandrou, I., Brewster, C., & Papalexandris, N. (2008). إدارة الموارد البشرية والأداء التنظيمي في شمال وجنوب أوروبا. المجلة الدولية لإدارة الموارد البشرية، 19 (7)، 1187-1207.
- 30- Thite, M. (2001). ساعدنا ولكن ساعد نفسك: التناقض في الإدارة المهنية المعاصرة. التنمية المهنية الدولية.
- 31- Kapel, C., & Shepherd, C. (2004). تخلق السلام المهنية لغة مشتركة لتحديد الوظائف. مراسل الموارد البشرية الكندي، 14 (12)، 15-16.

- 32- J Stredwick, (2000). موازنة المكافآت مع الأهداف التنظيمية - تجربة متعددة الجنسيات. مجلة الأعمال الأوروبية، 12 (1)، 9-19.
- 33- Khan, I., & Baloch, Q. B. (2017). الأجر المستند إلى الأداء: وسيط للعلاقة بين سلوك الموظف في مكان العمل وإنتاجية المنظمة. مجلة العلوم الإدارية، 11 (1).
- 34- غيث، ع، متيا، س، ميسون، ع، وعبدالملك، ت. (2018). الدور الوسيط للثقافة التنظيمية في العلاقة بين أداء الموظف والسوابق في قطاع الفنادق. مجلة المراجعات حول الاقتصاد العالمي، 6، 489-497.
- 35- A. Hoque، O.J، Aburumman، A. Y.، Alodat، N. S.، Abdullah، A. JA، & Ige، S.M M. (2019). آثار المسؤولية الاجتماعية والبيئية للمؤسسات على أداء الشركات الصغيرة والمتوسطة: دور الوسيط للثقافة التنظيمية. في المؤتمر الدولي لبحوث الدراسات العليا (2019 12)، جامعة سلطان زين العابدين (UniSZA)، Kuala Terengganu، ماليزيا، ديسمبر.
- 36- أمين، محمد، إسماعيل، رشيد & سليمان. (2014). أثر ممارسات إدارة الموارد البشرية على الأداء. مجلة إدارة الجودة الشاملة، 26 (2)، 125-142.
- 37- غيث، ع، إيناس، ع، موتيا، س، وعبدالملك، ت. (2018). أثر ممارسات إدارة الموارد البشرية والثقافة التنظيمية والتحفيز وإدارة المعرفة على الأداء الوظيفي بأسلوب القيادة كمتغير معتدل في قطاع البنوك التجارية الأردنية. مجلة المراجعات حول الاقتصاد العالمي، 6، 477-488.
- 38- Moideenkutty، U.، Al-Lamki، A.، & Sree Rama Murthy، Y (2011). ممارسات إدارة الموارد البشرية والأداء التنظيمي في عمان. مراجعة شؤون الموظفين، 40 (2)، 239-251.

- 39- Van De Voorde, K., Paauwe, J., & Van Veldhoven, M. (2012).
رفاهية الموظف وعلاقة إدارة الموارد البشرية بالأداء التنظيمي: مراجعة الدراسات الكمية.
المجلة الدولية لمراجعات الإدارة، 14 (4)، 391-407.
- 40- غيث أحمد (2020). دراسة الميزة التنافسية بين تبادل المعرفة والمشاركة في العمل
وسلوك المواطنة التنظيمية في الجامعات الأردنية. مجلة للأثار المصرية / علم
المصريات، 17 (6)، 7422-7434.
- 41- Salleh, A. M. M., Omar, K., Aburumman, O. J., Mat, N. H. N.,
& Almhairat, M. A. (2020). تأثير التخطيط الوظيفي والرضا الوظيفي على نية
دوران الموظف. قضايا ريادة الأعمال والاستدامة، 8 (1)، 218.
- 42- إدريس، وهاب، وجابر . (2016). ممارسات إدارة الموارد البشرية والأداء التنظيمي:
نموذج مفاهيمي لأداء الشركات المستحوذة. في وقائع المؤتمر الدولي الأول لإدارة الأعمال
(2014 AiCoBM) (ص 127-137). سبرينغر، سنغافورة.
- 43- يوسف، هزريل & غيث (2021). فحص مقياس مشاركة ISA كوسيط بين دور
رضا الاتصال التنظيمي والأداء في المستشفيات الأردنية. مجلة علم النفس والتعليم، 58
(2)، 11362-11369.
- 44- Goodarzi, H. T., & Bazgir, R. (2015). أثر ممارسات إدارة الموارد
البشرية على الأداء التنظيمي. المجلة الهندية لعلوم الحياة الأساسية والتطبيقية، 5 (52).
- 45- Aguta, U. I., & Balcioglu, H. (2015). تأثير ممارسات إدارة الموارد
البشرية على الأداء التنظيمي: حالة البنوك الخاصة في شمال قبرص. المجلة الدولية
للأعمال والعلوم الاجتماعية، 6 (6)، 251-268.

- 46- Harky, Y. F. M. (2018). أهمية التوظيف والاختيار على الأداء التنظيمي: حالة المنظمات المملوكة للقطاع الخاص في أربيل، شمال العراق. المجلة الدولية للبحوث والمراجعة المعاصرة، 9 (02).
- 47- Ekwoaba, J. O., Ikeije, U. U., & Ufoma, N. (2015). تأثير معايير التوظيف والاختيار على الأداء التنظيمي. المجلة العالمية لإدارة الموارد البشرية، 3 (2)، 22-33.
- 48- Saviour, A. W., Kofi, A., Yao, B. D., & Kafui, L. (2017). تأثير ممارسات التوظيف والاختيار الفعالة على الأداء التنظيمي (دراسة حالة في جامعة غانا). المجلة العالمية لأبحاث الإدارة والأعمال.
- 49- منصور، شاه، & طيبه. (2015). تأثير التدريب والتطوير على أداء المنظمة مع دور الوسيط في النية للإقلاع عن التدخين كتكلفة لجودة الموارد البشرية. المجلة الأوروبية على الإنترنت للعلوم الطبيعية والاجتماعية، 4 (4)، ص 787-797.
- 50- Emeti, C. I. (2015). آثار التدريب / التطوير على أداء شركات تصنيع الطلاء في ولاية ريفرز. المجلة الأوروبية للأعمال والعلوم الاجتماعية، 4 (3)، 66-74.
- 51- Weru, J. W., Iravo, M. A., & Sakwa, M. (2013). العلاقة بين التدريب والتطوير على أداء الشركات المملوكة للدولة. المجلة الدولية للبحوث الأكاديمية في الأعمال والعلوم الاجتماعية، 3 (9)، 57.
- 52- Ndibe, B. C., & Campus, E. N. U. G. U. (2014). تأثير تدريب الموظفين على الأداء التنظيمي في شركات تعبئة المشروبات الغازية في ولاية إينوجو، نيجيريا. كلية إدارة الأعمال، حرم إينوجو بجامعة نيجيريا.

الكفارات وطبيعتها في الشريعة الإسلامية

إعداد: د. أحمد علي معتوق*

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه أجمعين، إلى يوم الدين.

أما بعد ،،،

فالكفارات جمع كفارة، والكفارة مشتقة من الكفر وهو الستر، فيقال: الليل كافرًا؛ لأنه يستر الأشياء بظلامه، والمزارع كافرًا، لأنه يستر البذور بالتراب، وأما من ناحية الاصطلاح فالكفارات عرفت بأنها: اسم لأشياء مخصوصة أوجبها الشارع عند ارتكاب مخالفات مخصوصة، والكفارات تتنوع إلى عدة أنواع، منها كفارة الظهار، وكفارة القتل الخطأ، وكفارة اليمين، وكفارات الإفطار في شهر رمضان، وكفارة الحلق في الإحرام وغيرها من الكفارات، ومن شروط الكفارات الاستطاعة في أدائها، فلا تكلف نفس إلا وسعها، وهذا من رحمة الله على عباده، وأيضًا فيها التخيير والانتقال إلى الأخف فالأخف، ولهذا اخترت هذا البحث في الكفارات لتوضيح أحكامها، لأن أغلب الناس لا تعرفها، ومن ثم فقد أعددت لهذا الموضوع خطة تتكون من مباحث ومطالب.

فالمبحث الأول: خصصته في تعريف الكفارات وطبيعتها في:

* عضو هيئة تدريس بقسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية الخمس - جامعة المرقب.

المطلب الأول: تعريف الكفارة.

المطلب الثاني: طبيعة الكفارة.

المبحث الثاني: أنواع الكفارات وشروطها.

المطلب الأول: أنواع الكفارات.

المطلب الثاني: شروطها.

المبحث الثالث: مشروعية الكفارة والحكمة من تشريعها.

المطلب الأول: مشروعية الكفارة.

المطلب الثاني: الحكمة في تشريعها

المبحث الرابع: طرق اداء الكفارة وحالات سقوطها.

المطلب الأول: طرق اداء الكفارة.

المطلب الثاني: حالات سقوطها.

الخاتمة.

قائمة المراجع.

المبحث الأول

تعريف الكفارات وطبيعتها

المطلب الأول تعريف الكفارة

أولاً- تعريف الكفارة من حيث اللغة:

الكفارة لغة مشتقة من الكفر وهو الستر، فمثلاً يسمى الليل كافرًا، لأنه يستر الأشياء بظلامه وكذلك يسمى المزارع كافرًا؛ لأنه يستر البذور بالتراب، إذاً فالكفر هو كل ما يستر غيره ومن ثم نجد المغفرة تكفر الذنوب.

ثانياً - من حيث الاصطلاح فقد عرفت بتعريفات عديدة منها:

أنها اسم لأشياء مخصوصة أوجبها الشارع عند ارتكاب مخالفات معينة، وكذلك عرفت بأنها: الأفعال التي نص عليها الشارع في الكتاب والسنة.⁽¹⁾

وعرفت أيضا بأنها: العقوبة المقررة على المعصية بقصد التكفير عن إتيانها⁽²⁾

إذاً من خلال هذه التعريفات، يمكن أن نصل إلى تعريف للكفارة بأنها: عقوبة مقدرة على مخالفة محددة بنص من الشارع، سواءً كان النص من الكتاب أو السنة، والمخالفات مثل إفساد الإحرام، أو إفساد الصوم، أو الحنث في اليمين، أو الوطء

¹ - بداية المجتهد ونهاية المقتصد، محمد بن أحمد ابن رشد دار الكتب الحديثة - الاميرية ببولاق - مصر

ج 2 ص 633

² - من أسنى المطالب شرح روض الطالب، أبي يحيى زكريا الانصاري، منشورات المكتبة الاسلامية، الطبقة

الأولى، ج 2 ص 633

في الظهار، أو القتل الخطأ، أو الوطء في الحيض عند بعض الفقهاء، وغيرها من الجرائم.

المطلب الثاني - طبيعة الكفارة:

الكفارة ذات طبيعة مزدوجة، فهي من ناحية تعتبر عبادة إذا فرضت على عمل لا يعتبر معصية، ومن ناحية أخرى تعتبر جزاء إذا فرضت على معصية أو مخالفة لأمر نهى الشارع عنه، وهي ما تسمى أحيانا بجرائم الكفارات، فهي إذاً دائرة بين العقاب والعبادة ومن ثم تسمى بالعقوبة التعبدية.

وعقوبة الكفارة قد تصحبها عقوبة أخرى مقدرة، كالدية في القتل الخطأ، وقد تصحبها عقوبة غير مقدرة كالتعزير في الظهار⁽¹⁾.

المبحث الثاني أنواع الكفارات وشروطها:

المطلب الأول: أنواع الكفارات

تتنوع الكفارات إلى عدة أنواع، وذلك بحسب نوع موجبها ولا تسقط إلا بأدائها، أو بأحد الأسباب المسقطه لها، والتي سنذكرها لاحقاً إن شاء الله، ولا يتم التكفير لمن تجب عليه الكفارة إلا بأحد هذه الأنواع التالية والتي هي: العتق . والصيام . والإطعام - والكسوة.

¹ - شرح فتح القدير - كمال الدين محمد بن عبد الله ابن الهمام، الطبعة الأولى - المكتبة التجارية الكبرى ج

أولاً- فالعتق: المقصود به تحرير الرقاب المملوكة، وذلك بشراء العبد، أو الأمة من صاحبه، أو ممن يملكه، وإطلاق سبيله بترك صراحه، ليصبح حراً طليقاً، وهذا هو هدف الإسلام وما يحث عليه، ليقضي على العبودية الموجودة في الجاهلية⁽¹⁾.

وذلك حيث جعل العتق من أحد الأنواع الواجب التكفير بها عند الاستطاعة، في معظم الكفارات، ككفارة القتل الخطأ، وكفارة الحنث في اليمين، وكفارة الظهار، وكفارة الوطء في رمضان، إلا أنه يشترط في عتق الرقبة عدة شروط يجب مراعاتها عند التكفير سوف يتم ذكرها.

ثانياً- الصيام:

ومن ضمن أنواع الكفارات الصيام، والذي يختلف من كفارة إلى أخرى، فأحياناً يكون الصيام شهرين أي ستون يوماً، كما في كفارة القتل الخطأ، والجماع في نهار شهر رمضان، وأحياناً يكون الصيام ثلاثة أيام، ككفارة الحنث في اليمين، وكفارة الحلق في الإحرام.

ثالثاً- الإطعام:

الإطعام يختلف باختلاف الكفارة الموجبة له، فمنها إطعام ستين مسكيناً، كما في كفارة الظهار، وكفارة القتل الخطأ، ومنها إطعام عشرة مساكين، كما في كفارة الحنث في اليمين، وقد يكون الإطعام لستة مساكين، كما في كفارة الحلق في الإحرام، وقد تكون نسك أي ذبح ذبيحة (أي ذبح شاة)

¹ - الإشباه والنظائر - جلال الدين عبد الرحمن السيوطي - إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي

رابعاً - الكسوة:

والكسوة تعتبر من ضمن أنواع الكفارة، كما في كفارة اليمين، فكفارتها إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم، أي كسوة عشرة مساكين، وهذا من باب التوسعة والتخفيف في التكفير من الله على عباده؛ لأن كفارة اليمين كثيرة الوقوع من البشر، فجعل التكفير فيها على التخيير وليس على الترتيب، فيقدر ما يستطيع الإنسان أن يكفر عن يمينه، إما بالعنق أو بالصيام أو بالإطعام أو بالكسوة.

المطلب الثاني - شروط الكفارة:

وهي نوعان شروط في المكفر، وشروط في الكفارة نفسها.

أولاً - شروط المكفر:

ومن شرط المكفر هو شرط الاستطاعة، فإذا كانت الاستطاعة متوافرة على دفع قيمة الكفارة في العتق، زائدة عن الحاجة يجب التكفير بها، الانتقال وإذا لم يستطع دفع قيمة الأولى، فينتقل إلى ما بعدها، من الإطعام أو الصيام أو الكسوة.⁽¹⁾

ثانياً - شروط في الكفارة:

وتتلخص في الآتي:

أولاً - إذا كانت الكفارة عتق يجب أن تكون الرقبة مؤمنة، فلا تجزئ الكافرة، وذلك لقوله تعالى في كفارة القتل الخطأ (ومن قتل مؤمناً خطأً فحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله)⁽²⁾

ثانياً - أن تكون الرقبة سليمة من العيوب، كالأعمى، والهرم والعرج الشديدين.

¹ المبادئ الشرعية في أحكام العقوبات - عبد السلام محمد الشريف، دار الغرب الاسلامي - بيروت ص

ثالثاً- أن تكون كاملة الملك، وذلك بالألا تكون مشتركة، وبألا يكون فيها عقد حرية كالمكاتب.

رابعاً- أن تكون مما يستقر الملك عليها بعد الشراء احترازاً من السابق عتقه، أو ممن يعتق عليه⁽¹⁾، وحيث إن الرق قد اندثر اليوم في العالم كله تقريباً، ولم يصبح له وجود، فينتقل إلى النوع الذي بعده كما ذكرنا⁽²⁾.

خامساً- في كفارة الإطعام يجب أن تكون من غالب قوت البلد، وزائدة عن الحاجة، وأن تكفي أو تغطي المطلوب، وإذا كانت صياماً فيشترط فيها القدرة على الصيام، وإلا فينتقل إلى غيره كالإطعام فهو اخف.

المبحث الثالث- مشروعية الكفارات والحكمة من تشريعها.

المطلب الأول- مشروعية الكفارات:

الكفارات مشروعة من الكتاب كقوله تعالى: (فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم)⁽³⁾

وقوله تعالى: (ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله)⁴

وقوله تعالى: (والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة مؤمنة)⁵

¹ التشريع الجنائي الإسلامي - عبد القادر عودة - دار الكتاب العربي بيروت - ج 1 ص 683

² عودة - المرجع السابق - ج 1 ص 684

³ سورة المائدة الآية 91

⁴ سورة النساء ، الآية : 90

⁵ سورة المجادلة ، الآية : 3

من السنة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في كفارة الحلق في الإحرام (فليحلق وليكفر عن ذلك)¹ وكذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم لكعب بن عجرم (احلق وصم ثلاثة أيام)² وقوله صلى الله عليه وسلم : لخولة بنت مالك بن ثعلبة عندما جاءته تستكي من زوجها الذي ظاهرها فقال لها بعد نزول الوحي في تكفير ظهار زوجها لها، بأن يعتق رقبة، قالت: لا يجد، قال: وليصوم شهرين متتابعين، قالت: يا رسول الله، إنه شيخ كبير في السن ما به من صيام، قال: فليطعم ستين مسكيناً، قالت: ما عنده من شيء يتصدق به، قالت: فأني بعرق من تمر، قلت: يا رسول الله، فإني أعينه بعرق آخر، قال: قد أحسنت اذهبي، فاطعمي بها ستين مسكيناً، وارجعي الى ابن عمك³

وفي الاجماع أجمع الصحابة وفقهاء المسلمون على مشروعية الكفارة.

المطلب الثاني: الحكمة من مشروعية الكفارات:

الحكمة من مشروعية الكفارة، هي رفع أو مسح الذنوب عن الأفعال أو المعاصي، والتيسير، ودفع المشقة في استخراجها، فمن كفر عن معصيته أعفاه الله من العقاب الآخروي⁴، وجعل التكفير على الخيار، فيختار الأخف منها في دفعها إذا لم ينص على ترتيبها.

¹ الجامع الصحيح للإمام أبي الحسن ابن مسلم - كتاب الحج باب إجازة حلق الرأس - منشورات المكتب التجاري - بيروت - لبنان ج 4 ص 21

² الجامع الصحيح للإمام أبي الحسن ابن مسلم - كتاب الحج باب إجازة حلق الرأس - منشورات المكتب التجاري - بيروت - لبنان ج 4 ص 21

³ صحيح مسلم - كتاب الحج ، باب إجازة حلق الرأس في الاحرام ، ج4 ص 21

⁴ عبد القادر عودة ، التشريع الجنائي الاسلامي ج 1 ص 685 وما بعدها

المبحث الرابع: طرق أداء الكفارة وحالات سقوطها.

المطلب الأول: طرق أداء الكفارة:

والتي تتمثل في الطرق التالية:

أولاً- طريقة العتق:

والمقصود به تحرير الرقاب المملوكة، وذلك بشراء العبد أو الأمة من صاحبه، أو ممن يملكه وإطلاق صراحه حتى يصبح حراً، وهذا هو هدف الاسلام وما يحث عليه ليقضي على العبودية الموجودة في الجاهلية¹ وبهذا جعل العتق من أحد الأنواع الواجب التكفير بها عند الاستطاعة، في معظم الكفارات، ككفارة القتل الخطأ، وكفارة الحنث في اليمين، وكفارة الظهار، وكفارة الوطء في رمضان، إلا أنه يشترط في عتق الرقبة عدة شروط يجب مراعاتها عند التكفير والتي منها:

1- يجب أن تكون الرقبة مؤمنة، فلا تجزي الكافرة لقوله تعالى: (تحرير رقبة مؤمنة)²

2- أن تكون الرقبة سليمة من العيوب كالعمى، أو الهوم أو العرج الشديدين

3- أن تكون كاملة الملك فلا تجزي المشتركة، وألاً يكون فيها عقد حرية كالمكاتب³

¹ الأشباه والنظائر ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، دار إحياء الكتب العربية - عيسى النياحي الحلبي

وشركاؤه - القاهرة ، ص 246

² سورة النساء الآية : 90

³ التشريع الجنائي الاسلامي ، عبد القادر عودة ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، ج 1 ص 683

ثانياً - طريقة الإطعام:

فالإطعام يختلف باختلاف الكفارة الموجبة له، فمنها الواجب إطعام ستين مسكيناً، كما في كفارة الظهار، والقتل الخطأ، ومنها ما يوجب إطعام عشرة مساكين، كما في كفارة الحنث في اليمين، واليك البيان لكل منها.

أ- إطعام كفارة اليمين، والأصل فيها قوله تعالى (فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم)

والمقصود من قوله تعالى (من أوسط ما تطعمون أهليكم) هو الوسط من الطعام، قال ابن عباس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، هو من أعدل ما تطعمون أهليكم، وقال عطاء هو من أمثل ما تطعمون أهليكم، أما الأقل المجزئ منها فقد اختلف فيه الفقهاء إلى الآراء التالية:

فقال مالك والشافعي: كل مسكين مدا بمد النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الحنفية: يعطي صاع من الحنطة أو صاع من غيرها.

وقال الحنابلة وبعض الفقهاء كابن عباس، وزيد بن ثابت، وابن عمر وغيرهم: بأنه مد في البر، ونصف صاع فيما عداه، ويعتبر رأي المالكية هو الرأي الراجح من وجهة نظري من تلك الآراء، ومما يؤيد ذلك رأي أبي هريرة، وعطاء، والأوزاعي، بأن الإطعام هو مد من مد النبي صلى الله عليه وسلم من أي نوع كان، والإطعام، كما يقول معظم الفقهاء، يجب أن يكون من الحبوب والثمار التي تجزئ في الفطرة، ومن غالب قوت البلد.¹

¹ كفاية الطالب الرياني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني لعلي أبي الحسن المالكي الشاذلي ج 2، مكتبة

ب- الإطعام في كفارة الجماع في نهار رمضان، والأصل في هذه الكفارة هو ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة أنه قال: (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، بعرق فيه تمر، فقال: تصدق بهذا، قال: على أفقر مني، فما أهل بيت أحوج إليه منا، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه، ثم قال: اذهب فأطعمه أهلك)¹.

ج- الإطعام في كفارة الظهار

تسقط كفارة الظهار بإطعام ستين مسكينا، والأصل في شرعية ذلك الكتاب والسنة فمن الكتاب قوله تعالى، (فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا)².

ومن السنة قول الرسول صلى الله عليه وسلم (لخولة بنت مالك بن ثعلبة عندما جاءتة تشتكي من زوجها الذي ظاهاها، فقال لها بعد نزول الوحي عليه في تكفير ظهار زوجها لها بأن يعتق رقبة، قالت: لا يجد، قال: وليصوم شهرين متتابعين، قالت: يا رسول الله إنه شيخ كبير ما به بصيام، قال: فليطعم ستين مسكينا، قالت: ما عنده من شيء يتصدق به، قالت: فأتى بعرق من تمر، قلت يا رسول الله: فإني أعينه بعرق آخر، قال: قد أحسنت اذهبي فاطعمي بها عنه ستين مسكينا وارجعي إلي ابن عمك)³

¹ صحيح مسلم : ج3 ص 138 وما بعدها

² سورة المجادلة ، الآية :4

³ صحيح مسلم المرجع السابق

وأتفق الفقهاء على إن الإطعام لا يجب إلا بعد العجز عن الصوم، وذلك وفقاً للترتيب الوارد في الآية الكريمة¹.

د- الإطعام في كفارة الحلق في الإحرام

فمن احتاج إلى الحلق في الإحرام، وحلق إما لمرض، أو لأذى من رأسه كالقمل وغيره فقال الرسول صلى الله عليه وسلم (فليحلق وليكفر عن ذلك) بفدية أو صيام ثلاثة أيام، أو بتصدق بثلاث أصع من غالب قوت البلد، على ستة مساكين، أو نسك، وهو ذبح شاة، والأصل في ذلك قوله تعالى (فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك)²

ومن السنة قول الرسول صلى الله عليه وسلم لكعب بن عجرة، عندما وجد القمل يتناثر من علي وجهه، فقال له: عليه الصلاة والسلام أيؤذيك هوان رأسك، فقال: نعم قال: احلق وصم ثلاثة أيام، أو إطعام ستة مساكين، أو تنسكه أن تدبح شاة³، والإطعام في هذه الكفارة، على التخيير وليس على الترتيب، وفقاً لنص الآية والمفهوم من حرف أو، وذلك باتفاق الفقهاء⁴ وبالتالي فالإطعام في كفارة الحلق يكون لستة مساكين، فتعطى للفقراء؛ لأنها صدقة، وذلك بحسب استطاعة المكفر.

¹ المذهب في فقه الشافعية - أبي إسحاق إبراهيم الشيرازي . الطبعة الثانية دار المعرفة للطباعة والنشر -

بيروت لبنان - ج 2 ص 117

² سورة البقرة الآية: 195

³ أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحج ، باب إجازة حلق الرأس ج4 ص 21

⁴ عودة ، التشريع الجنائي الاسلامي ج1 ص 686

ثالثاً - طريقة الصيام:

ومن ضمن أنواع الكفارات الصيام، والذي يختلف من كفارة إلي أخرى فأحياناً يكون الصيام سنتين يوماً، كفارة القتل الخطأ، والجماع في نهار رمضان، حيث قال الله تعالى في كفارة القتل الخطأ، (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليماً حكيماً)¹

وفي كفارة الظهر قال تعالى (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا)²

وفي كفارة الجماع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين)³.

أما في كفارة صيام ثلاثة أيام كالحنث في اليمين الله، قال الله تعالى (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام، ذلك كفارة أيمانكم إذا حلقتم)⁴.

وكذلك في الحلق في الإحرام، وكفارته صيام ثلاثة أيام، حيث قال صلى الله عليه وسلم لععب بن عجرم (احلق وصم ثلاثة أيام)⁵.

والصيام يكون في الكفارات الأولى على الترتيب، ولا ينتقل إلى غيره إلا إذا عجز عنه المكفر، أما في الكفارات الأخيرة، فيكون الصيام فيها على التخيير، أحياناً

¹ سورة المائدة الآية 91

² سورة المجادلة ، الآية 4

³ صحيح مسلم كتاب الصيام ج2 ص 111

⁴ سورة المائدة ، الآية 91

⁵ صحيح مسلم كتاب الحج ، باب إجازة حلق الرأس في الاحرام ج4 ص 21 وما بعدها

يصوم المكفر ثلاثة أيام إذا أراد، وأحياناً أخرى ينتقل من الصيام إلى الإطعام، وذلك بحسب قدرته على التكفير.

رابعاً - طريقة الكسوة:

والكسوة تعتبر كذلك من ضمن أنواع الكفارة في كفارة اليمين، حيث قال الله تعالى ((فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم))¹.

وعليه فقد وسّع الله على عباده في هذه الكفارة، وخفف من دائرة التكفير؛ لأنها كثيرة الوقوع من البشر، وبالتالي لم يجعل التكفير عنها في خصلة واحدة بل جعل التكفير منها عدة أمور وهي: العتق، والصيام، والكسوة، والإطعام، وكذلك جعل هذا الأمر على التخيير، وليس على الترتيب، وهذا كله من باب التيسير على عباده.

المطلب الثاني - أسباب سقوط الكفارة:

أولاً - أسباب السقوط العامة، وهي:

أ - الأداء، ويقصد به إخراج الكفارة، وهو عتق الرقبة، أو الصيام، أو الإطعام، فإذا عجز عن ترتيب الأداء نقل على التخيير والبدل، فينتقل إلى أخرى إن عجز عن الأولى، وذلك بحسب قدرة الشخص على الأداء، وبالأداء تسقط الكفارة، إلا أن هذا الأداء مشروط بتوافر النية معه، وهو نية الأداء للكفارة، فإذا لم يصاحب الأداء النية، فقيل: عند معظم الفقهاء أنها لا تجزئ؛ لأن النية شرط صحة، وذلك لقول الرسول صلى الله عليه وسلم "إنما الأعمال بالنيات .." وتبقى في ذمته، ولكن لا يجب اقتران النية بنوع من أنواع الكفارة، بل يجب نية أداء الكفارة² فقط، فلو نوى

¹ سورة المائدة ، الآية 91

² عودة ، التشريع الجنائي الاسلامي ، ج1 ص 688 وما بعدها

أداء الكفارة بعنق رقبة إلا أنه بعد ذلك قام بالصيام أو بالإطعام، فيكفي ذلك وتسقط الكفارة، وعليه فالأداء يعتبر سبباً من أسباب سقوط الكفارة.

ب- العجز عن الأداء:

إن من شروط الكفارات عند بعض الفقهاء هي القدرة على الأداء، فتسقط عنه عند الأداء للكفارة، أما إيجاب الفعل على العاجز ممتنع¹، ومن ثم فيشترط في التكفير القدرة عليه، وذلك لقوله تعالى " فمن لم يستطع " ولهذا جعل للتكفير أنواع، فإذا عجز عن الأولى انتقل إلى الثانية، وإذا عجز عن الأولى والثانية انتقل إلى الثالثة، وهكذا، قال الكاساني: العجز في الأنواع الأولى وهي العتق والإطعام شرط لوجوب الصوم، وذلك لقوله تعالى في كفارة الظهر، والقتل الخطأ " فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين"²

وقال البعض الآخر من الفقهاء بأن العجز لا يسقط الكفارة، بل تبقى في ذمته دينياً، ويلزم بأدائها إذا أيسر حاله، واختلف الفقهاء كذلك في وقت العجز، هل هو المقصود به وقت الأداء أو وقت الوجوب إلى رأيين:

الرأي الأول- وهو لأبي حنيفة وأصحابه ويقول بالعجز وقت الأداء:

أما الرأي الثاني وهو للشافعي رحمه الله وغيره من الفقهاء، ويقول فيه: بأنه المقصود بالعجز وقت الوجوب حتى ولو كان موسراً وقت الأداء ، والذي نراه شرطاً لوجوبها.

¹ الجزيري ، كتاب الفقه على المذاهب الأربعة قسم الأحوال الشخصية ج 2 ص 511

² سورة المجادلة ، الآية 4

بعد تحقق ركنها الذي يتحقق به التكفير، وهو الفعل المخصوص للتكفير¹، وعليه عند تخلف شرط القدرة وهو العجز تتخلف الكفارة، وتسقط لمن يقول بالسقوط، أو تبقى في الذمة لمن يقول بعدم سقوطها بالعجز، إلا أن الرأي الراجح هو القائل بالسقوط، لأن الكفارة عبادة، والعبادة تسقط بالعجز، كالحج إذا فقد عنصر الاستطاعة، أو الزكاة إذا فقد شرط النصاب، وذلك لقوله تعالى (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)

إن المعترف في التكفير من حيث القدرة من عدمها هو وقت الأداء؛ لأن هذا الوقت يتحدد فيه حالة الإنسان وقدرته على التكفير من عدمه، وذلك لأن القدرة تعتبر بقدر استطاعتها والله أعلم .

ج- الموت:

والموت يعتبر سبباً من الأسباب لسقوط الكفارة، فالإنسان إذا مات سقطت عنه الكفارة ولا تنتقل إلى ورثته؛ لأن الكفارة فيها جانب العقاب، والعقاب يعتبر شخصي أي يقتصر على ذات الشخص نفسه دون غيره، وبهذا إذا مات الشخص انتهت شخصيته وسقط كل ما يتعلق بها من واجبات وعقوبات وغيرها².

د- تسقط الكفارة لعدم التكليف، فالتكليف شرط في وجوب العبادات والعقوبات والتي منها الكفارة، فإذا كان الشخص مجنوناً، أو معتوهاً، أو صغيراً، فلا يكلف بشيء من الكفارات حتى وإن ارتكب موجبها، كالحنث في اليمين، أو الإفطار في نهار رمضان، أو القتل الخطأ وغيرها من جرائم الكفارات؛ لأن التكليف مرفوع عنهما

¹ الجزيري كتاب الفقه على المذاهب الأربعة قسم الاحوال الشخصية ص 511

² عودة، التشريع الجنائي الاسلامي، ج1 ص 685

برفع القلم لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم " رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يبلغ وعن المجنون حتى يفيق من جنونه وعن النائم حتى يستيقظ"¹

ثانياً- أسباب السقوط الخاصة والتي هي:

أولاً- التخيير في أداء الكفارة، وتسقط الكفارة، بالمقدور، ولا يلزم فيها بما هو ليس في المقدور، وعليه فإن كان المكفر قادراً على الصوم فيكفي التكفير بالصوم. حتى وإن سبق الإطعام، وإن كان قادراً على الإطعام فيكفي فيه الإطعام، حتى وإن كان سبقه الصوم وكذلك إن كان قادراً على العتق فيجزئ التكفير بالعتق، وهكذا فيكفي في سقوط الكفارة بما هو في مقدور الشخص، بحسب قدرته واستطاعته على الأداء بدون النظر إلى الترتيب وبدون تكليف الشخص بما هو في غير مقدوره، وهذا من رحمة الله ولطفه على عباده، فلا يحملهم بما لا يطيقون.

وتظهر هذه الرحمة في التخيير، الذي ينص عليه المولى جل جلاله في جواز التكفير بأحد الأنواع التي يجب التكفير بها في كل كفارة.

وهذا التكفير اختلف فيه الفقهاء إلى رأيين وهما:²

الرأي الأول: وهو لمالك، ومذهب السنة والجماعة بأن الكفارة على التخيير بين الخصال الثلاثة، ولهذا فالواجب فيها هو أحد الأشياء المذكورة في آية التكفير، لأن كلمة (أو) عندهم الواردة في الآية تدل على التخيير وليس على الترتيب، وذلك

¹ أخرجه أبو داود في كتاب الحدود - باب المجنون يسرق أو يصيب حدا سنن ابو داود - ج4 ص 559

² بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع - علاء الدين أبي بكر الكساني - الطبعة الأولى شركة المطبوعات

العلمية - مصر ج6 ص 2896

حيث قال ابن عباس: وما كان في كتاب الله (أو) إلا وهو مخير فيه، وما كان (فمن لم يجد) إلا وهو على الترتيب.

الرأي الثاني: وهو للجمهور وغيرهم من الفقهاء، بأن الكفارة على الترتيب، وذلك (أو) تفيد الترتيب، الأول فالأول كما هو موجود في آية الحرابة في ترتيب العقوبات الواجبة فيها على المحارب، وبذلك تعتبر عقوبات بدلية، فلا ينتقل إلى غيرها إلا إذا عجز عن الأولى، وهكذا على سبيل الترتيب وفقاً لقوله تعالى: (فمن لم يجد)، وهذا كما قال المعتزلة بأنه أمر بالكل على سبيل البدل، وعليه فالراجح هو ما ذهب إليه أصحاب الرأي الأول؛ لأن كلمة .

(أو) إذا دخلت على أفعال يراد بها واحد منها لا الكل¹، وذلك على سبيل التخيير في الأداء بحسب القدرة والاستطاعة، ومما يؤيد ذلك هو قوله تعالى: ((فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم))²

وغيرها من الكفارات كالجماع، ومن ثم فإن الشخص لا يلزم في التكفير إلا بما هو في مقدوره، ولا يلزم بما هو ليس في مقدوره.

ثانياً- البر وفعل المحلوف عليه

ومن أسباب سقوط الكفارة البر، أي فعل المحلوف عليه، فإن حلف بأنه لا يدخل دار فلان ولم يدخلها فعلاً، فلا تجب عليه الكفارة؛ لأن كفارة اليمين لا تجب إلا في

¹ الكاساني بدائع الصنائع ج ص 2901

² سورة المائدة ، الآية 91

الحنث، كأن حلف بألا يدخل دار فلان ودخلها، فيعتبر حانثاً في يمينه، وتجب عليه الكفارة، أما إذا لم يحنث بأن فعل المحلوف عليه، فلا تجب عليه الكفارة¹.

وكذلك إذا حلف بألا يفعل كذا ووكل في فعله، فيعتبر حانثاً حتى وإن لم يفعله بنفسه عند مالك وأبو ثور، إلا إذا عقد نيته على مباشرته بنفسه فلا يحنث، وقال الشافعي: لا يحنث إلا أن ينوي في يمينه أن لا يستتيب في فعله، أو يكون ممن لم تجر عاداته بمباشرته²، وإن حلف بمستحيل، فإذا كانت الاستحالة عقلية كرد أمس أو شرب الماء الذي في الكوز ولا ماء فيه، فقال مالك: لا تتعدد بيمينه ولا تجب فيها كفارة، أما إذا كانت الاستحالة هي من العادة، كالصعود إلى السماء، أو حلف ليطلق امرأته إذا هي ماتت، فهذه الأمثلة ميؤوس منها، وبالتالي يعتبر حانثاً وتلزمه الكفارة³، وبهذا تجب الكفارة في حالة الحنث، ولا تسقط عنه إلا بالتفكير، أو بفعل المحلوف عليه أي بأبرار القسم، وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بأبرار القسم، وهذا الأمر على سبيل النذب لا على سبيل الوجوب، بدليل أن العباس جاء برجل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليبياعه على الهجرة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا هجرة بعد الفتح) وقال العباس: أقسمت عليك يا رسول الله لتباعدني، فوضع النبي يده في يده وقال: أبررت قسم عمي ولا هجرة⁴، وعليه فإبرار القسم من قبل الغير يعتبر مندوباً، كأن حلف شخص لآخر بالادخل الدار فابر هذا الآخر بالقسم ولم يدخلها.

¹ الفقه على المذاهب الأربعة - عبد الرحمن الجزيري الطبعة الأولى - دار الفكر - بيروت - لبنان قسم

الاحوال الشخصية ص 512

² الجزيري الفقه على المذاهب الأربعة ص 510

³ الكاساني بدائع الصنائع ج 6 ص 2896

⁴ المغني - لأبي محمد بن حمد ابن قدامة المقدسي - دار المنار - الطبعة الثالثة 1367 هـ . ج 9

ثالثاً- سقوط كفارة الظهارة بالفرقة، أو بمضي الفترة المحددة:

والظهار وهو أن يقول شخص لزوجته أنت على كظهر أمي، وبهذا اللفظ يحرم على الشخص التمتع بزوجته، وتلزمه الكفارة إن أراد العودة إليها، ولا تسقط عنه إلا بأدائها أو بتطبيق زوجته المظاهر منها.

ومن ثم فالفرقة تعتبر أحد أنواع سقوط الكفارة¹، ولهذا قال الحنفية لا تجب عليه الكفارة إلا عند عزمه على استباحة وطئها لقوله تعالى: (ثم يعودون لما قالوا) أي يعودون لتحليل ما حرمه بالظهار، فإذا لم يعودوا إلى ذلك وأرادوا الفرقة فلا كفارة عليهم، وكذلك تسقط كفارة الظهار بمرور الزمن، كأن ظاهاها لفترة محدودة كشهر أو شهرين وانقضت تلك الفترة ولم يطئها فيها، فتسقط عنه الكفارة بمضي تلك الفترة²

الخاتمة

بعد أن بينت مفهوم الكفارة، بأنها اسم لأشياء أو لأفعال مخصوصة التي أوجبها الشارع عند إرتكاب معاصي مخصوصة، وأن هذه المعاصي تختلف أحدهما عن الأخرى، وكل منها منصوص عليها بالقرآن، أو السنة، وجعل الله الكفارات كرخص يستعملها مرتكب المعصية لمحو هذا الذنب أو الإثم، بطرق خفيفة وميسرة بدون مشقة، وباختيار ما هو في الاستطاعة منها، وتسقط أحيانا عن الانسان بالعجز عن أدائها، وهي في نفس الوقت عقوبات بدنية أو مالية رادعة، حتى يبتعد عنها المسلم

¹ شرح المجلة - سليم رستم باز البناني - دار احياء التراث العربي - بيروت لبنان - الطبعة الثالثة ص

² المغني - لأبي محمد عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسي - دار المنار الطبعة الثالثة 1367 هـ ج9

ولا يرتكبها مرة أخرى، فهي ذو طبيعة مزدوجة تعبدية تفعل لله تعالى، وكذلك عقابية تمنع الانسان من معاودة ارتكاب فعلها، ومنها نصل إلى النتائج التالية:

1 - كون هذه الكفارات جابرة أي تكفر الذنوب والمعاصي عن المسلم.

2- تكون هذه الكفارات في مقدور الإنسان، وفي اختياره لأدائها.

3- كون هذه الكفارات تعبدية تفعل لوجه الله تعالى، أي هي حق واجب لله تعالى.

4- هذه الكفارات محصورة في معاصي معينة منصوص عليها في القرآن والسنة.

5- هذه الكفارات عقوبتها خفيفة، لا ترتقي إلى مرتبة الحد، وتختلف عن التعزير في أحكامها

6- كون هذه الكفارات واجبة الاداء عند حصول معصيتها، ولا تسقط إلا بأحد مُسقطاتها المذكورة او بالعجز عن أدائها .

قائمة المصادر والمراجع

الأحاديث

- 1- الجامع الصحيح للإمام ابي الحسن مسلم بن الجامع ابن مسلم، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر بيروت- لبنان
- 2- سنن أبي داود للأمام الحافظ ابي داود سليمان بن الاشعث- الطبعة 1952 مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده- مصر.
- 3- بداية المجتهد ونهاية المقتصد محمد بن أحمد بن رشد دار الكتاب الحديث الأميرية ببولاق مصر.
- 4- أسنى المطالب شرح روض الطالب- أبي يحيى زكريا الانصاري منشورات المكتبة الإسلامية .
- 5- شرح فتح القدير كمال الدين محمد بن عبد الله بن الهمام -الطبعة الأولى المكتبة التجارية الكبرى .
- 6- المبادئ الشرعية في أحكام العقوبات- عبد السلام محمد الشريف، دار الغرب الاسلامي بيروت .
- 7- التشريع الجنائي الإسلامي - عبد القادر عودة، دار الكتاب العربي بيروت لبنان.
- 8- كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني- لعلي ابي الحسن المالكي الشاذلي مكتبة الخانجي- القاهرة.

- 9- المهذب في فقه الشافعية لأبي إسحاق إبراهيم الشيرازي - الطبعة الثانية دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان.
- 10- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع علاء الدين أبي بكر الكاساني - الطبعة الأولى شركة المطبوعات العالمية- مصر.
- 11- الفقه على المذاهب الأربعة- عبد الرحمن الجزيري، الطبعة الأولى دار الفكر بيروت لبنان.
- 12- المغني - لأبي محمد عبد الله بن محمد ابن قدامة المقدسي، دار المنار، الطبعة الثالثة، 1367 هـ .
- 13- شرح المجلة سليم رستم باز اللبناني- دار احياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.
- 14 - الأشباه والنظائر جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار احياء الكتب العربية- عيسى الباب الحلبي وشركاؤه - القاهرة.
- 15- الشريعة الإسلامية - بدران أبو العينين بدران مؤسسة شباب الجامعة - الإسكندرية.

الفلسفات التربوية وعلاقتها بالمنهاج التربوي*

إعداد: د. أسامة الحراري أبوخريص

المقدمة:

انصب اهتمام كثير من الفلسفات القديمة والحديثة على الجانب التربوي لحياة الإنسان، وبرزت آراؤها واتجاهاتها الفكرية التي ظهرت من خلال كتابات ومؤلفات فلاسفتها، هذه الآراء والاتجاهات تنوعت واختلفت من حيث المبدأ والطريقة، ولكنها انفقت حول نفس الهدف، وهو تنظيم العملية التربوية للإنسان، والذي اختزل في عناصر العملية التعليمية (المعلم والمتعلم أو الطالب ثم المنهاج الدراسي)، ويرجع العلماء والفلاسفة الباحثين في هذا المجال آلية ربط الفلسفة بالتربية إلى اختلاف وتنوع بيئة وثقافة ومعتقدات هؤلاء الفلاسفة الذين حاولوا بثتى الطرق والوسائل تطويع مصطلح التربية مع مصطلح الفلسفة ليطلق عليها فلسفة التربية، وإن البحث الجاد في طبيعة العملية التربوية يقود الباحث حتماً إلى اجتياز خطوة على قدر كبير من الأهمية، وهي الوقوف على طبيعة الإنسان وتكوينه الذاتي باعتبار البحث في الطبيعة الإنسانية أمر هام للفلسفة؛ لأن الإنسان أو الكائن البشري ركن أساسي في أي عملية تربوية بحيث لا تتم هذه العملية ولا تتحقق بدون الإنسان .

مشكلة البحث: تكمن مشكلة البحث في دور الفلسفات القديمة والحديثة وعلاقتها بالمنهاج التعليمية، وفي كيفية وآلية تطبيق هذه النظريات الفلسفية وتطويرها عبر العملية التعليمية، وأي هذه النظريات لها الطابع العملي في التوافق بين المعلم

* محاضر بقسم الفلسفة -كلية التربية يفرن -جامعة الزنتان.

والمتعلم والمنهج؟ وهل استطاعت بعض المدارس توظيف هذه الآراء والاتجاهات وتطبيقها على أرض الواقع؟

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى تفسير العلاقة القائمة بين مفهوم الفلسفة والتربية، وكذلك تتبع أهم النظريات الفلسفية وعرض اتجاهاتها حول المبادئ الأساسية لعملية التربية من خلال المعلم والتلميذ والوسائل التعليمية حتى تتضح الصورة عند المتلقي حول الكيفية التي توصلت إليها كل نظرية أو مدرسة فلسفية وطريقة التفكير في هذا الاتجاه.

أهمية الدراسة: تكمن أهمية البحث في عرض أهم المدارس والنظريات الفلسفية التي تناولت مفهوم التربية وعلاقته بالمنهاج الدراسي وسبل تطوير العملية التربوية من خلال العلاقة التبادلية بين مفهوم الفلسفة والتربية.

منهجية الدراسة: لقد انتهج الباحث المنهج التحليلي المقارن.

تقسيمات البحث:

ومن خلال ذلك تم تقسيم البحث إلى مبحثين، حيث تناول المبحث الأول مفهوم الفلسفة، ثم مصطلح التربية في اللغة والاصطلاح، ثم مفهوم فلسفة التربية وأهميتها، ومفهوم المنهاج لغة واصطلاحاً، في حين أن المبحث الثاني تناول البحث في أهم الفلسفات التربوية القديمة والحديثة مستهلاً ذلك بالفلسفة المثالية والتي يؤكد أصحابها بأن التربية هي مجهود الإنسان للوصول إلى هزيمة الشر وكمال العقل، وهي بدل مجهود أكبر من الأجيال القديمة لنقل العادات الطيبة والأخلاق الحسنة إلى الأجيال القادمة، ثم الفلسفة الواقعية والتي يمثلها الفيلسوف اليوناني أرسطو ومن أبرز مبادئها أن التربية عملية تدريب للإنسان على العيش بواسطة معايير خلقية مطلقة لتوجه الإنسان العاقل إلى الطريق السليم في حياته وعلاقته بالآخرين،

أما الفلسفة التربوية الطبيعية والتي من أبرز روادها المفكر الفرنسي جان جاك روسو والتي تنص على تنظيم العملية التربوية من خلال عناصر ومبادئ رئيسية وهي المعلم والمتعلم والمنهاج وطريقة التدريس، ثم جاء الحديث على الفلسفة البرجماتية التي ظهرت في القرن التاسع عشر وتدعو التربية البرجماتية إلى تحرير العقول من الأفكار والآراء التقليدية الجامدة والانطلاق نحو التحرر نحو التجديد والابداع الفكري في كل المستويات، أما الفلسفة التربوية الوجودية والتي ظهرت في القرن العشرين لم تختلف مبادئها كثيراً عن الفلسفة الطبيعية إلا إنها ركزت على دور المنهج في العملية التربوية، وينبغي أن يكون وحدة لا تتفصل مواده بعضها عن بعض؛ لأنه الأساس في الربط بين الطالب والمعلم .

أولاً: ما هي الفلسفة ؟

الفلسفة مصطلح يوناني الأصل مكون من كلمتين: الأولى (Philo) والتي تعني الحب، والثانية (sophy) وتعني الحكمة ، فالفلسفة هي حب الحكمة أو محبة الحكمة، وينسب بعض المؤرخين هذا الاصطلاح إلى فيثاغورس، الذي أطلق على نفسه لقب الفيلسوف، في حين أرجعه البعض إلى سقراط، وهناك آخرون ينسبون هذا المصطلح لأفلاطون حيث استخدمها في وصف سولون وسقراط (1) .

هذا المصطلح وإن أكد عليه الكثير من الفلاسفة إلا أنه وجد في الاتجاه المقابل معارضة من بعض الفلاسفة حول هذه التسمية ليخلق نوعاً من التناقض والاختلاف بين الفلاسفة حول هذا المصطلح والذي لازال قائماً إلى هذا اليوم .

أما تعريف الفلسفة في الاصطلاح فقد اختلف العلماء نظراً لتنوع المواضيع التي تنصب تحت اهتمام ودراسة الفلسفة كالوجود والمعرفة والقيم والعقل والنفس واللغة

¹ -رجب بودبوس، تبسيط الفلسفة، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع، بنغازي، ص 13 - 15 .

والتي لا تركز الفلسفة على جانب منها بل تدرس الحقيقة بكل جوانبها، إذ تبحث في ماهية الشيء ومصدره وكيونته والتي تركز فيها على الإنسان باعتباره محور الدراسة وخصوصاً في مسائل تتعلق بالنفس الإنسانية ووجودها، إذ أن الفلسفة تتطرق إلى طبيعة النفس البشرية وتدرس الغاية من هذه الحياة إلى آخر القضايا الجوهرية في حياة الناس.

لقد ظهرت تعريفات كثيرة للفلسفة ولعل أبرزها ما جاء به فلاسفة اليونان، فقد شاع في تاريخ الفلسفة بأنها الحقل المعرفي الذي تتناوله العقول الخاصة ويتلذذ بها صفوة من العلماء الذين لهم القدرة على النظر في ماهية الأشياء ويترفعون عن الأشياء المادية التي تصرف العقول عن مهمتها الحقيقية في

اللاتيني، ويرى بأن العدالة تتحقق في الانسجام بين هذه الطبقات والتزامها بالوظائف الموكلة إليها وهو بذلك يسوغ للفلسفة مفهوماً أرسطوياً قائماً على النخبة (1).

أما الفيلسوف اليوناني أرسطو فقد عرف الفلسفة بأنها: " علم المعنى الأكثر شيوعاً لكلمة علم " ويفسر هذا المعنى فيقول " الفلسفة هي علم المبادئ والأسباب الأولى، وغايتها البحث عن الحقيقة بأكثر أساليب التفكير نظاماً، ويقصد أرسطو بذلك أنها علم الوجود الذي يدرس الموجودات، وأهم هذه الموجودات هو الإنسان (2).

أما الفارابي فيعرف الفلسفة بأنها " العلم بالموجودات بما هي موجودة ".

أما الكندي فإن الفلسفة هي علم الأشياء بحقائقها الكلية، والكلية هي إحدى الخصائص الجوهرية للفلسفة.

¹ - أفلاطون، الجمهورية، ترجمة (حنا الخباز)، دار القلم، بيروت، ص 83 .

² - عيسى الشماس، مدخل إلى علم الانسان، ط2، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، ص 38 .

ويرى ابن رشد " أن التفكير بالموجودات على إنها مصنوعات، وكلما كانت المعرفة بالمصنوعات أتم كانت المعرفة بالصنائع أتم.

في حين يقول إيمانويل كانط " أن الفلسفة هي المعرفة الصادرة من العقل ⁽¹⁾.

فهم حقيقة وإدراك هذا العالم، ورسخ أفلاطون في كتابه الجمهورية هذا المفهوم عندما قسم المجتمع إلى ثلاثة أقسام وفقاً للأنفس البشرية وهي النفس العاقلة وفضيلتها الحكمة، أما وظيفتها فهي البحث في ماهية الأشياء وممارسة الفلسفة ويمثلها طبقة الحكام السياسيين في المجتمع وهم الفلاسفة، أما النفس الغضبية وفضيلتها الشجاعة ويمثلها طبقة الجنود والحراس، في حين أن النفس الشهوانية والتي وظيفتها العفة ويمثلها طبقة عامة الناس في المجتمع اليوناني

ثانياً: مفهوم التربية: فالتربية لغة من الفعل ربا يربو أي زاد ونما ، ومصدر الفعل رى يربي أي نشأ ونما ، فالتربية إذاً في اللغة هي النمو والتشئة والزيادة ، ويعود مفهوم التربية إلى ثلاثة أصول وهي " ربا " أي يربو بمعنى نما ، والأصل الثاني هي " رب " ومعناه نشأ وترعرع ، والأصل الثالث " ربي " بمعنى أصلحه وتولى أمره ورعاه ⁽²⁾.

ومعنى نما ينمو نجده في القرآن الكريم في قوله تعالى " فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج " ⁽³⁾ .

¹ - إيمانويل كانط ، نقد العقل العملي، ترجمة (غانم هنا)، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، ص 19 .

² - ابن منظور، لسان العرب، تحقيق (عبد الله العلي)، دار المعارف، بيروت، المجلد الأول، الالف والراء ص 1101.

³ - سورة الحج ، الآية (5) .

وفي اللغة الفرنسية مصطلح أو لفظ التربية مشتقة من كلمة (education) والتي تدل على القيادة والهيمنة والتحول من حال إلى حال آخر، كما تعني العلم المعين على إخراج الطفل من حالته الأولية التي كان عليها في البيت والأسرة ومساعدته على تحصيل الفضائل والقيم من المحيط القريب منه. (1)

أما اصطلاحاً: عرفت التربية بعدة تعاريف منها: تعريف سقراط " بأنها صياغة النفس الإنسانية وطبعها على الحق والخير والجمال وتيقين مجتمع أفضل " (2).

1 - تعريف (رونيه اوبير) (*) هي " عبارة عن مجموعة من التأثيرات والأفعال التي يمارسها الإنسان برغبة إرادية على إنسان آخر ، وغالباً ما يمارسها الكبار على الصغار (3) .

أما الغزالي فقد عرفها بانها " تهذيب لنفوس الناس من الأخلاق المحمودة " أو هي " مفتاح السعادة الأبدية " أو هي " الوسيلة التي توصل الإنسان إلى درجات الكمال " ، لأن هدف التربية من وجهة نظر الغزالي هو الفضيلة والتدين ويقول " على المعلم أن ينبه المتعلم على أن الغرض من طلب العلوم التقرب إلى الله تعالى دون الرياسة والمباهاة " (4).

أما التربية في معناها الاصطلاحي في العصر الحديث هي عملية تكيف الفرد مع البيئة، ويعرفها المفكر الفرنسي (إميل دوركايم) (*) 1858 - 1917 ، بأنها الفعل

1 - فاروق عبده ، معجم مصطلحات التربية، دار الوفاء للطباعة والنش، الاسكندرية ، ص 12

2 - معن زيادة ، الموسوعة الفلسفية ، المجلد الأول ، الانماء العربي ، بيروت ، ص 249 .

• - فيلسوف ومفكر فرنسي ولد 1885 ، أبرز مؤلفاته التربية العامة ، وفلسفة التربية .

3 - عبدالله الدائم ، التربية عبر التاريخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ص 65 .

4 - الغزالي ، رسالة في المعرفة ، تحقيق (مهند الاعسم) ، دار الكتب والوثائق ، بغداد ، ص 18 .

• فيلسوف وعالم فرنسي أحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث ، أرسى قواعد منهج دراسة المجتمع

الذي يتم ممارسته من قبل الأجيال الكبيرة على الأجيال الصغيرة التي لم تعد بعد للحياة الاجتماعية " أي هي عبارة عن إدماج الفرد في المجتمع من أجل خدمة المجتمع . (1)

أما المفكر الأمريكي (جون ديوي) 1859 - 1952 ، " بأن التربية هي عملية النمو والتعلم والبناء والتجديد المستمر في الحياة " لتكون التربية عملية حياة لا بد أن ترتبط بشؤون الحياة وتتم عن طريق التفاعل مع الآخرين لاكتساب الخبرة. (2)

ثالثاً: فلسفة التربية: تتفق فلسفة التربية مع الفلسفة العامة في طبيعتها ووظيفتها النظرية والتطبيقية فهي من الجانب النظري تتناول الطبيعة الإنسانية؛ لأن مجال اهتمامها هو المتعلم بوصفه فرداً من المجتمع ، فالمعلم والمتعلم كلاهما يحتاج إلى فهم العالم المحيط به ، هذا الفهم الذي يقود العقل الإنساني خلال عمليات التربية والتعليم إلى تنسيق العلاقة بين الأفكار التربوية وغيرها من الأفكار الأخرى ، أما من الناحية العملية فنقوم بتحديد الغايات التي تهدف التربية إلى تحقيقها وتسعى للوصول إليها . (3)

مفهوم فلسفة التربية: تنوعت وتعددت تعريفات فلسفة التربية بحسب المدارس والاتجاهات الفلسفية وبحسب آراء وتوجهات الفلاسفة، ومن هذه التعريفات تعريف (فينيكس) " إن فلسفة التربية هي تطبيق الطريقة والنظرة الفلسفتين في ميدان الخبرة

¹ - مسعودة الخالدي، التربية والبيداغوجيا في فكر دوركايم، مجلة جيل للعلوم الإنسانية، العدد 50 ، ص 71 .

² - جون ديوي ، الديمقراطية والتربية، ترجمة (متى عفراري و زكريا ميخائيل)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ص 330 - 338 .

³ - فلسفة التربية المفهوم والأهمية، مصطفى محمد، جامعة سوهاج، المجلة التربوية، العدد 51

المسمى التربية المتضمنة البحث عن المفاهيم التي تنسق بين المظاهر المختلفة للتربية في خطة شاملة وتوضيح المصطلحات التربوية " .

أما تعريف بوشامب " (•) إنها مجموعة من الافتراضات أو المقترحات، وتتكون من نظرة فلسفية إلى طبيعة الإنسان والمعرفة والأهداف وطبيعة المجتمع " .

في حين عرفها النجيجي " هي النشاط الفكري المنظم الذي يتخذ الفلسفة وسيلة لتنظيم العملية التربوية وتوضيح القيم والأهداف التي ترنو إلى تحقيقها في إطار ثقافي وفكري معين " . (1)

وعرفها سمعان " بأنها النشاط الذي يقوم به المربون والفلاسفة لتوضيح العملية التربوية وتنسيقها ونقدها وتعديلها في ضوء مشكلات الثقافة وتناقضاتها " . (2)

أهمية فلسفة التربية: تعتبر فلسفة التربية قاعدة لرئيسية تعتمد عليها المؤسسات التربوية ، حيث * تساهم هذه الفلسفة في تحديد الأدوات والأساليب وبناء النظام الخاص بالتعليم ووسائل التدريس ومكونات المناهج وأهدافها ومبادئ التقييم والتنظيم.

* تساعد فلسفة التربية على توضيح طبيعة النشاطات التربوية وتحويلها من نشاطات عشوائية إلى وظائف محددة في أهدافها .

* تدعم فلسفة التربية التوافق بين البيئة والأفراد مما يعزز التوافق بين العملية التربوية والظروف البيئية .

• مفكر أمريكي ولد 1899 م ، وضع موسوعة في نظرية المنهج الفلسفي .

1 - محمد لبيب النجيجي ، مقدمة في فلسفة التربية ، ط2 ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ص 32.

2 - صادق سمعان ، الفلسفة والتربية ، ط1 ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ، ص 177 .

* تسهم فلسفة التربية في طرح الأسئلة الخاصة بالتربية ووضع المقترحات التي بدورها تكون فاعلة لدعم النمو التربوي والتخلص من التناقض بين الجانب التطبيقي والجانب النظري في المجال التربوي .

رابعاً: تعريف المنهاج:

معنى كلمة المنهاج مأخوذة من (نهج) ومنهاج بمعنى: الطريق الواضح، وجاء في منجد اللغة والإعلام كلمة نهج، ونهج الرجل نهجاً، بمعنى انبهر، ومنه أنهج فلاناً، ونهج الأمر بمعنى أبانه، وجاء منه الطريق الواضح ومنه منهج ومنهاج التعليم أو الدروس (1).

وجاء في قوله تعالى " لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً " (2). بمعنى الطريق الواضحة.

أما في معناه الاصطلاحي فقد اختلف العلماء حول تعريف المنهاج وخاصة في الحقل التربوي نظراً للتداخل بين مفهوم المنهج ومفهوم المنهاج، فالمنهاج هو مجموعة حقائق ومعلومات ومفاهيم منظمة بشكل جيد حيث يسهل فهمها وتعلمها، أو مجموعة من المواد الدراسية وموضوعاتها التي يتعلمها التلاميذ .

أما جونسون (1908) فيعرفه على أنه " سلسلة منظمة ومتتابعة من المهارات التي سيتعلمها التلميذ " ، أو مجموعة الأساليب التقليدية العامة التي يتلقاها التلميذ من قراءة وكتابة وقواعد ولغة ومنطق ورياضيات. (3)

ويعرفه ألفريد بينيه (1857): بأنه " بيان مفصل عن العلوم التي تلقى في المدرسة.

¹ - لويس معلوف، المنجد في اللغة، المجلد الرابع، باب النون، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ص 842.

² - سورة المائدة، الآية 48.

³ - أحمد جودة، المنهج المدرسي ، ط2، دار الفكر ، عمان ، ص 32.

أما ديفيد هيرست (1946) وهو عالم اجتماع بريطاني فيقول بأنه " برامج الأنشطة الموضوعية التي تساعد الطلاب على تحقيق أقصى ما يستطيعون من الأهداف والغايات " .

الفلسفات التربوية:

1 - فلسفة التربية المثالية: يرجح أغلب العلماء بأن جذور هذه الفلسفة ترجع إلى الفيلسوف اليوناني (أفلاطون) 427 - 347 ق . م ، حيث تعتمد الفلسفة المثالية على أن العقل أو الروح هو جوهر هذا العالم ، وأن الحقيقة الأزلية ذات صفة عقلية ، حيث يتفق أفلاطون مع سقراط في أن أهم مطالب العصر هو ضرورة وضع قانون أخلاقي تسيير عليه البشرية في الحياة ، كما يؤكد على أن الفلسفة ليست بالعقل وليست بمجرد الحكمة بل هي حب الحكمة ، وقد توصل أفلاطون في بحثه عن الحقيقة التي تقسر الكون وتحكم ظواهره المادية والمعنوية على مبدئين جوهريين هما : أ - أزلية الأفكار ودور العقل الإنساني : حيث يرى بأن الأفكار أزلية وكونية وإن العقل هو أداة فهم الأفكار ، وبذلك وجه عنايته بالفكر والمعرفة ، لأن الإنسان لا يستطيع توجيه أفعاله نحو الخير إلا إذا أدركه ، لأن المعرفة أساس الفضيلة ، ووظيفة النفس أو العقل هي البحث عن الحقيقة الروحية المطلقة التي ينطوي عليها الكون ويتألف منها مثال الخير

ب - عالم الروح وعالم المادة : إن العالم المادي الذي نعيش فيه كما يرى أفلاطون هو عالم الاشباح الفانية ولا يستحق الاهتمام ، أما العالم الذي يستحق الاهتمام به هو عالم القيم الروحية والمثل العليا لأنها حقائق خالدة تتمثل في الخير والجمال ، ويؤكد بأن الخير هو الحق وكلاهما يتضمنان الدين والأخلاق ⁽¹⁾ .

¹ - يوسف الشين، الفلسفة المثالية، ط 1 ، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ص 13 ، 15 .

يؤكد أصحاب الاتجاه المثالي أو الفلسفة المثالية أن التربية هي مجهود الإنسان للوصول إلى هزيمة الشر وكمال العقل ، وهي بدل مجهود أكبر من الأجيال القديمة لنقل العادات الطيبة والأخلاق الحسنة إلى الأجيال القادمة ، والتربية من وجهة نظر المثالية هي مساعدة المتعلم في الحياة للتعبير عن طبيعته الخاصة ، وقد حددت الفلسفة المثالية جملة من الأهداف لمفهوم التربية منها :

1 - اهتمام التربية المثالية على العقل باعتباره أساس الواقع الإنساني ، أي إن أحكام الإنسان يجب أن تصدر عن العقل حتى يصل الإنسان إلى أعلى درجات الكمال الروحي ويصل بدورها إلى الكمال المطلق والهدف الأعلى وهو السعادة والخير للفرد والجماعة .

2 - إن الأهداف التربوية تختلف باختلاف الطبقة التي ينتمي إليها الفرد، فالأهداف التربوية للفلاسفة تختلف وتتميز عن الأهداف التربوية عند طبقة الجنود والعمال، لأن طبقة الفلاسفة والعلماء لها الدور البارز في تنمية البشرية من خلال التنمية العقلية للإنسان وخلق المواطن المثقف.

3 - تعتمد المثالية التربوية على المنهج الثابت وذلك بنقل المعرفة من جيل إلى جيل آخر، فهي بدورها تعتمد على مبادئ ثابتة تتمثل في الأخلاق والمنطق والدين والعلوم.

4 - إن التربية المثالية اعتمدت على طرق التدريس التي تهدف إلى حشو عقول التلاميذ حشواً ميكانيكياً، فوظيفة المعلم هو تلقين المعلومات وما على المتعلم إلا أن يحفظها ويخزنها في عقله

5 - بالرغم من تقسيم المجتمع إلى طبقات إلا أن المثالية تهدف إلى التربية الفردية والجماعية، حيث تعتبر المعلم أهم عناصر العملية التعليمية، ويمثل القدوة للتلاميذ

سواء في الجانب العملي أو الجانب الأخلاقي، وهو من يجهز البيئة الملائمة للتلاميذ ويرشدهم بنظرياته ودروسه إلى أقصى درجات الكمال الذاتي (1).

6 - أما التلميذ في نظر الفلسفة المثالية هو كائن روحي وهو من أهم ركائز العملية التعليمية، وتقول بأن دور التلميذ سلبي يجب عليه الطاعة والانضباط وتلقي المعرفة من المعلم وحفظها واسترجاعها ووظيفته الحقيقية هي الجلوس في حالة الصمت والانصات لتلقي المعارف من أجل حفظها واستيعابها (2).

بالرغم من النواحي الإيجابية التي قدمتها فلسفة التربية المثالية في عملية التربية فقدت وجهت لها بعض الانتقادات منها، اخفاقها في فهم طبيعة المتعلم والنظر إليه على أنه عقل وروح خالصة والاهتمام بالمعرفة أو تنمية العقل فقط على حساب التنمية الجسدية، كما يؤخذ عليها التقصير في فهم وظيفة المدرس على أساس دوره الأساسي في نقل الفكر والتراث عبر الأجيال، وكذلك اهتمامها بالعلوم النظرية على حساب العلوم التجريبية.

2 - **فلسفة التربية الواقعية** : يرى الفلاسفة والعلماء بأن الفلسفة الواقعية تختلف بنظرتها للعالم عن الفلسفة المثالية، وتعتقد الفلسفة الواقعية بأن العالم الطبيعي أو الواقعي، عالم التجربة الإنسانية هو المجال الوحيد الذي يجب أن نولي اهتماماً أكبر، فهي من هذا المنطلق ترفض عالم المثل الذي نادى ودعت إليه الفلسفة المثالية ويمثل هذه الفلسفة الفيلسوف اليوناني أرسطو الذي ابتعد كثيراً عن نظرية المثل التي نادى بها أستاذه أفلاطون، حيث استند على الفكرة الواقعية والتي مفادها دراسة الواقع والذي أساسه المادة معتمدة على الخواص الخاضعة لإحكام العقل،

1 - علي أبو العينين، الأصول الفلسفية للتربية، دار الفكر، عمان، ص 284.

2 - نعيم جعيني، الفلسفة وتطبيقاتها التربوية، دار وائل للنشر، عمان، ص 125.

وهي بذلك لا تريد الاستغناء عن الأشياء وطبيعتها في سبيل الذات، لأنها بذلك تريد الحد من سطوة وسيطرة الذات واتجاهاتها الشخصية في الحكم على الأشياء وتقر بحقيقة المادة، لأن الحقيقة موجودة في عالم الأشياء الفيزيقية أي العالم الواقعي، فكل ما هو موجود في العالم الخارجي ليس مجرد أفكار في العقول تدركها في الخيال، بل هي موجودة وجوداً حقيقياً في حد ذاتها مستقلة عن العقل رافضة مصطلح الميتافيزيقا تفسير حقائق الأشياء بأفكار لا تتطابق مع الواقع الذي نعيش فيه لأن الطبيعة ذات وجود مستقل⁽¹⁾.

لقد أشار أرسطو إلى الطبيعة الإنسانية التي تسعى إلى تحقيق السعادة ويقول " إن الهدف الذي يسعى إليه الناس هو السعادة ونحن نحقق السعادة عندما نؤدي وظيفتنا، ولأن الانسان هو الحيوان العاقل، ووظيفته هي أن يعقل الأمور، فإنه تبعاً لذلك تكون الحياة السعيدة هي تلك الحياة التي يحكمها العقل"⁽²⁾.

لقد وضع أصحاب الاتجاه الواقعي جملة من المبادئ العامة لفلسفة التربية الواقعية منها:

- 1 - لا تؤمن بوجود قوى فطرية موروثه قبل الولادة، بل تؤكد على إن الإنسان محكوم بتأثير البيئة الطبيعية والاجتماعية على الوراثة.
- 2 - تؤمن الواقعية بأن الفرد هو أساس الكيان الاجتماعي، فإن الحرية الفردية لا تتحقق إلا في حالة تمتع الفرد بجميع الامتيازات والحقوق الخاصة، وهذا لا يكون في ظل استبداد الحكومة على الأفراد.

¹ - شبل بدران ، أسس التربية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ص 197 .

² - هاني عبدالمنعم ، المستقبلية والمجتمع المصري ، دار الهلال ، ص 118 .

3 - التربية عملية تدريب للإنسان على العيش بواسطة معايير خلقية مطلقة لتوجه الإنسان العاقل إلى الطريق السليم في حياته وعلاقته بالآخرين.

4 - تؤكد المدرسة الواقعية على العلوم الطبيعية والتجريبية ودورها في حياة البشرية في النواحي العلمية، لأنها تصنع عجلة التقدم والرقي التي تبدأ من المؤسسات والمدارس التعليمية باعتبارها النواة الأولى نحو الابداع والتحضر.

5 - تؤكد المدرسة الواقعية على النظرة الترابطية فيقوم المعلم بتقسيم موضوع درسه إلى عناصره الأساسية وتحديد المثيرات والاستجابات لتحقيق أقصى استفادة للمتعلمين أو التلاميذ والاستفادة من المادة التعليمية بعيداً عن الميول والرغبات بل تحقيقاً للتوازن الفكري ، وتحقيق طريقة التدريس بأن تكون ملائمة لشخصية المتعلم وإعداده للحياة من خلال مبدأ التسامح والتوافق والانسجام مع البيئة المادية والثقافية .

6 - ترى المدرسة الواقعية إن التربية بيد المعلم بوصفه ناقلاً للتراث الثقافي، وهو الذي يحدد المعرفة في العملية التربوية.

إن فلسفة التربية الواقعية أهملت بعض الجوانب الهامة في عملية البناء التربوي، وبالرغم من تأكيدها على دور التلميذ في العملية التربوية إلا أنها لم تهتم بميوله ورغباته واعتبار هذه الميول والرغبات هي مجرد أشياء ثانوية عارضة.

3 - **فلسفة التربية الطبيعية:** أو فلسفة الطبيعة جاءت من الكلمة اللاتينية *Philosophia Naturalis*) وكانت الدراسة الفلسفية للطبيعة والفضاء الكوني المادي والتي كانت سائدة قبل تطور العلوم الحديثة ، وهي المقدمة الأولى للعلوم الطبيعية مثل الفيزياء وساهمت الفلسفة الطبيعية بشكل كبير في فهم العديد من الظواهر ، وبالتالي ربطها في المجالات المختلفة لمناهج الحياة ، كما ساهمت في

ظهور مناقشات وجدالات علمية فتحت المجال نحو الاختراع والاستكشاف لكشف أسرار الكثير من الوقائع الطبيعية ، كما أدت هذه الاكتشافات والتطورات الحديثة في العلوم إلى ظهور المناقشات الجديدة في الفلسفة الطبيعية ، والتي أدت بدورها إلى فهم الكثير من العلوم التي لها دلالة الربط مع الفلسفة .

يعتبر الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو (1712 - 1778) أهم رواد الفلسفة الطبيعية في القرن الثامن عشر ، وأبرز مؤلفاته عن التربية كتابه أميل حيث يقول " إن كل ما خرج من بين يدي خالق الأشياء حسن خبير وكل شيء يفسد بين يدي الإنسان " (1).

التطبيقات التربوية للفلسفة الطبيعية: حيث قسمت تطبيقاتها إلى خمسة عناصر رئيسية هي :

أ - المعلم: والذي في نظرها الشاهد المحايد المعاون للطفل ويهيئ له فرصاً لتنمية طبيعته الخيرة ، ويجب أن تتوفر في المعلم صفات الإخلاص الصبر والصدق والحكمة .

ب - المتعلم : أو ما يسمى بالمتلقي وهو الاهتمام بميول الأطفال على أساس أن التعلم عملية طبيعية ، والغرض منها تشجيع الفرد على التعلم ، فهذه الفلسفة جعلت التلميذ مركز العملية التربوية بدلاً من المعلم واعتمدت الفلسفة على التربية كوسيلة لخلق التلميذ الطبيعي الكامل .

ج - المنهج: وتعتمد هذه الفلسفة في عملية المنهاج للتركيز على الاستعدادات الفطرية لدى الطفل ونحو ميوله، وذلك من خلال تنمية الطبيعة الذاتية للطفل وتتم من خلال استخدام الأنشطة والخبرات اللازمة للنمو، ويتألف المنهاج من العلوم

¹ - جان جاك روسو، إميل، ترجمة (نظمي لوقا)، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ص 21 .

الطبيعية من خلال الممارسة الحياتية وليس عن طريق الكتاب، حيث يقول روسو " إن تجربة الطفل هي المصدر الوحيد للمعرفة وليس الكتاب المدرسي لأن الطبيعة هي الكتاب الوحيد الذي يتولى رعاية الطفل وتنقيفه.

د - طرق التدريس: وتعتمد طرق التدريس على ثلاثة مبادئ رئيسية وهي:

1 - مبدأ النمو: وهي إن وظيفة المعلم توجيه النمو الطبيعي للطفل، حيث لا يجبر التلميذ على التعليم.

2 - مبدأ النشاط: ويتعلق هذا المبدأ بنشاط الطفل الذاتي حيث يتم تعويده بالاعتماد على نفسه في الأشياء التي يستطيع القيام بها لوحده.

3 - مبدأ الفردية: بمعنى ضرورة السماح لكل طفل النمو وفقاً لطبيعته الفردية، أي يجب أن تتكيف التربية مع حاجات الطفل ولا تجبره على التكيف مع التربية العامة للمجتمع.

4 - التدرج في التعلم: أكد روسو على أهمية التدرج في التعلم وأهمية مدى النضج في تعرف المتعلم لما يراد له ولما يريده هو من خبرات وتجارب في أثناء تعلمه.

هـ - السلوك: ترفض النظرية الطبيعية استخدام العنف أو أسلوب القوة الغاشمة في التعلم أو في حفظ النظام، وإنما تلجأ إلى القانون الطبيعي الذي يربي الطفل وفق القوانين التي تتوافق مع نوااميس الطبيعة البشرية.

و - التنمية: يعتقد الطبيعيون أن التربية هي الحياة، لذا تدعو إلى ضرورة تنمية قدرات الأطفال وفقاً لطبيعته وذلك من خلال تحرير طاقات الإنسان الطبيعية وتنمية

تلقائية الطفل عبر تقسيم مراحل النمو وتقليل القيود المفروضة على نشاطه وابداعاته (1).

لقد وضع المفكر الفرنسي جان جاك روسو مجموعة من المبادئ في عملية التدريس حملت في طياتها بعض العيوب من ضمنها فكرة إبعاد الطفل عن المجتمع وتركه في أحضان الطبيعي أمر غير واقعي، لأن الطفل بحاجة إلى الآخرين في ميوله ونموه، كما خالف روسو قاعدة علماء النفس والتربية في تقسيم مراحل نمو وتربية الطفل، حيث جعل لكل مرحلة خصائصها ووسائل تعليمها منفصلة عن الجانب الوجداني.

4 - فلسفة التربية البرجماتية: إن لفظ برجماتية أو براغماتية مشتق من أصول يونانية وتعني عمل، وتؤخذ منها كلمتا مزاولة وعملي، أو (pramirikos) والتي تعني العملية (2).

يعتبر (تشارلز بيبريس) أول من أدخل هذا اللفظ في الفلسفة سنة 1878 م، وعرفت البرجماتية بأنها تيار أو مذهب فلسفي يرى بأن معيار صدق الآراء والأفكار إنما هو في قيمة عواقبها عملاً، وأن المعرفة أداة لخدمة مطالب الحياة، وتعتبر الفلسفة البرجماتية ثورة في الفلسفة التي تعتمد على المبادئ النظرية أي التفكير العقلي المجرد لتحقيق حقائق الأشياء ، لأنها تعتقد بأن كل الأشياء يجب اختبارها لإثبات صحتها أو بطلانها بشكل عملي، ودعا فلاسفة البرجماتية وفي مقدمتهم "

¹ - جورج مور، النظرية المعرفية والميتافيزيقية، ترجمة (محمد أحمد صادق)، ط1، القاهرة، 1986، ص

62 .

² - ميادة الباسل، التطبيقات التربوية للفلسفة البرجماتية، مجلة التربية، جامعة الأزهر، العدد 65، ص

295.

جون ديوي " إلى اعتماد التجارب العملية خلال تعليم الطلاب والتلاميذ بإشراف ومراقبة وتوجيه

المعلمين حتى يلتمس الطالب واقع وحقيقة الأشياء كما هي عليه ويتفاعل معها بشكل مباشر، ويجب على المعلم ألا يتقيد بطريقة واحدة لعرض الدرس بل يختار الطريقة المناسبة. (1)

تؤكد فلسفة التربية البرجماتية على إن الإنسان كائن طبيعي يعيش في بيئة اجتماعية وبيولوجية ويستجيب إلى المثيرات البيولوجية والاجتماعية، هذه الطبيعة الإنسانية يجب أن تكون طبيعة محايدة فهو لا خير و لا شر بفطرته وإنما لديه الاستعداد بين الأمرين، واعتبرت التربية هي الحياة وليست إعداد للحياة، والتربية السليمة هي التي تحقق النمو المتكامل من خلال استبعاد الطرق الشكلية في التدريس والاعتماد على ميول الأطفال والاهتمام بالطالب من النواحي الجسمية والعقلية والخلقية.

أهداف فلسفة التربية البرجماتية:

- 1 - العمل على تنويع التعليم والدعوة إلى توفير خيارات واسعة أمام المتعلمين من خلال التنوع في طرق ووسائل التعليم.
- 2 - المساعدة في توجيه قرارات المتعلمين في المؤسسة التربوية من خلال الحوافز المادية والمعنوية وأثرها على الجانب الفكري والعقلي.
- 3 - تدعو التربية البرجماتية إلى تحرير العقول من الأفكار والأراء التقليدية الجامدة والانطلاق نحو التحرر نحو التجديد والابداع الفكري في كل المستويات.

¹ - مصطفى زيادة، الفكر التربوي واتجاهاته، ط3، مكتبة الرشد، الرياض، ص 240.

4 - تشجيع العاملين في القطاع التربوي على المشاركة الفاعلة والجادة في بحث وحل المشكلات الاجتماعية ووضع الحلول المناسبة لها .

5 - التأكيد على دور وأهمية عامل الخبرة في قطاع التعليم، وذلك لما لها من أدوار فعالة في عملية نقل الخبرات والتجارب السابقة إلى الأجيال اللاحقة. (1)

6 - دور أخلاقيات المهنة وتتجسد في تقديم المعلم كل ما يمتلك من قدرات وإمكانات وتسخيرها في خدمة المتعلم والتي بدورها تعود بالفائدة على العملية التعليمية بشكل عام.

تعرضت فلسفة التربية البرجماتية للنقد في رفضها التخطيط للعملية التعليمية ومراحلها الأمر الذي جعلها تبعد عناصر العملية التربوية عن بعضها، عدم تقيدها بمعايير روحية فليس في رأيها وجود سابق للقيم والمعايير الروحية تقدم التلميذ للمعرفة بدلاً من أن تقدم المعرفة للتلميذ .

لقد ركزت الفلسفة البرجماتية على المتعلم باعتباره هو أساس العملية التربوية والتي انعكست فيها الصورة على تنظيم المنهج باعتباره المعيار الذي تقاس به عملية تلقي المتعلمين، والغاية عند البرجماتية بناء التربية على الفعاليات الذاتية للمتعلم ، بما في ذلك استعداداته الفطرية وعاداته المكتسبة ، وينبغي أن يكون قابلاً للتحويل إلى طريقة للتعاون مع فعاليات المتعلمين .

ومن خلال ما قدمته البرجماتية في الاتجاه التربوي يمكن القول بأنها ركزت على الإنسان في قواه الفطرية والمكتسبة وكذلك المثبرات البيولوجية والاجتماعية لأنها ترفض كون الإنسان كائناً روحياً ، كما تركز على المتعلم باعتباره المحور الأساسي

¹ - محمد محمود، فلسفات التربية التقليدية، دار الميسرة للنشر والتوزيع، عمان، ص 112.

في بناء المنهج وتنفيذه ، وبالتالي فهي ترفض التخطيط للعملية التعليمية ومراحلها لأن المعرفة هي عملية تفاعل بين الانسان وبيئته ، فالإنسان لا يقتصر على مجرد استقبال المعرفة بل يصنعها وإن وصول الإنسان في اكتشاف حقائق الأشياء تأتي من خلال عملية التحليل والتفسير الواقعي والخبرة الذاتية للفرد للتعامل مع العالم الخارجي

5 - فلسفة التربية الوجودية : يركز مفهوم الفلسفة الوجودية على أن الإنسان فرد حر له الحق في تكوين جوهر خاص به وشكل مميز لحياته ، سميت الوجودية بأسماء كثيرة أبرزها (فلسفة العدم ، الفلسفة الانحلالية ، فلسفة التفرد) حيث ظهرت الفلسفة الوجودية في البداية كحركة أدبية وفلسفية في القرن العشرين وانقسمت إلى قسمين الوجودية الدينية وتسمى بالوجودية المسيحية واعتبرت أن الرب قادر على حل مشاكل الإنسان وسميت بالنزعة التفاؤلية ، والوجودية الملحدة والتي تنكر وجود الله ، ومن أبرز فلاسفة الوجودية هايدجر وجان بول سارتر ونييتشه فإن نقطة بداية الفرد تتحدد بما يسمى الموقف الوجودي أو شعور بفقدان التوجه والارتباك أو الفرع في عالم عبثي بلا معنى ، فالتربية هي عملية فردية لتحقيق ذاتية الفرد ، وإن هدف التربية هو تحقيق الذات . (1)

التطبيقات التربوية للفلسفة الوجودية :

1 - المعلم: وظيفة المعلم هي أن يثير ميول المتعلم وذكائه ومشاعره وتعطي الحرية للطالب في اختيار المحتوى والأسلوب المناسب وهو ما يولد لديهم الحماس والدافعية نحو الابداع ، وبذلك تضع الوجودية أمام المعلم ثلاث مهمات يجب ان ينميها في شخصية الطلبة وهي " النظام ، والقدرة على النقد ، والقدرة على الإنتاج "

¹ - شبل بدران ، أسس التربية ، مرجع سابق ، ص 267 .

2 - المتعلم: تؤكد على حرية التلميذ في اختياراته التعليمية أي اختيار ما يتعلم ومكان وطريقة تعلمه ويتحمل مسؤولية هذا الاختيار، وترى بأن الطفل مخلوق مفع بالمشاعر والفكر لذا يتوجب ربط المعرفة بكيانه الشخصي، حتى يتوصل إلى فهم أكثر اكتمالاً مع طبيعته الخاصة. (1)

3 - المنهاج: تركز على تصميم المنهج للفرد بصفته الشخصية وليس الاجتماعية، لأن المنهج في نظر الوجودية هو الركيزة الأساسية التي عن طريقها تتحقق الأهداف، ومن المواد التي يتوجب على التلميذ أن يتعلمها القراءة والكتابة والحساب ولكن ليس على حساب المثل العليا والأخلاق لأن التعليم وسيلة نحو التربية الصحيحة وليس مجرد تلقي العلوم فقط. (2)

4 - طرق التدريس: تعتمد الوجودية على الطريقة السقراطية التي تبتعد عن الطرق الكلاسيكية في تلقي العلوم عن طريق التلقين أو المحاضرات أو المقررات الدراسية، بل تعتمد على التفكير والمناقشة وحرية التعبير والابتكار، كما تركز على التعليم الفردي وأفضليته على التعليم الجماعي.

يمكن القول بأن الفلسفة الوجودية قد بالغت في أمرين هاميين: الأول عندما أعطت التلميذ الحرية المطلقة في اختيار طريقة ومكان التعلم، فهي بهذا الشكل ألغت دور طرف من أطراف العملية التعليمية الذي له الخبرة في تحديد المنهج الصحيح للطالب، أما الأمر الثاني تركيزها على الفردية واهمالها دور الجماعة؛ لأن المجتمع هو الأصل في عملية التنمية التربوية ولولا ترابط العمليات الأساسية في المجتمع

¹ - ماك كالنسر، نشأة الحرية في التربية، ترجمة (أمين قنديل)، ط1، مكتبة النهضة، القاهرة، ص 94.

² - محمد سعيد حسنين، التربية أصول وأساليب، دار الفكر، القاهرة، ص 22.

لما تمت وتوافقت عملية التربية في بناء المجتمعات القائم على التطور والاختراع والابداع.

الخاتمة:

وفي خاتمة هذا البحث يعرض الباحث جملة من النقاط السلبية أو مجموعة من الانتقادات التي تلخص ما توصل إليه من حقائق وأفكار حول مقارنة المدارس الفلسفية ونظرياتها حول مفهوم التربية، ومن أبرز هذه النقاط ما يلي:

1 - لم يتفق الفلاسفة والعلماء حول تحديد تعريف جامع لمفهوم فلسفة التربية، وذلك لعدة أسباب أبرزها التنوع الفكري والثقافي والاختلاف الديني، أضف على ذلك التنوع الفلسفي مثل الفلسفة المثالية والواقعية والطبيعية وغيرها.

2 - ظهرت أساليب متنوعة في طريقة الجمع بين الفلسفة والتربية أو بصفة أدق كيف تعاطت كل فلسفة من الفلسفات مع مفهوم التربية على نطاق العملية التعليمية والتربوية.

3 - تعرضت المدارس والنظريات الفلسفية لكثير من الانتقادات، وإن كانت هذه الانتقادات مختلفة من فلسفة إلى أخرى حسب تناولها للموضوع، حيث اعتبرت هذه الانتقادات بمثابة الجوانب السلبية لكل فلسفة، والسبب في ذلك يرجع لتأثر كثير من الفلاسفة بآراء النظريات الفلسفية السابقة من جهة، أو بالبيئة المحيطة به في تقييم العملية التربوية من جهة ثانية.

4 - أما أهم النقاط السلبية للفلسفة المثالية هي الفشل في فهم طبيعة المتعلم عندما اعتبرته مجرد عقل ورح وإهمال الجسم ودوره في عملية المعرفة والتنمية، وكذلك يوجه لها النقد في تركيز اهتمامها بالعلوم النظرية على حساب العلوم التجريبية.

5 - تعرضت الفلسفة الواقعية للنقد من خلال في واحدة من دعائم العملية التربوية وهو التلميذ عندما اعتبرت أن الميول والرغبات مجرد أشياء ثانوية ليس لها دور بارز في عملية التنمية التربوية.

6 - لقد وضع الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو مجموعة من المبادئ الأساسية التي يرى بأنها تدعم عملية التدريس، هذه المبادئ لم تسلم من النقد عندما أكد على فكرة إبعاد الطفل عن المجتمع وتركه في أحضان الطبيعي أمر غير واقعي .

7 - تعتبر فلسفة التربية البرجماتية من أكثر الفلسفات تناقضاً في مواقفها، فهي تدعو من جهة إلى دور التربية في العملية التعليمية، ولم تحدد بذلك أهداف معينة، كما تشجع الطلبة على الجري وراء رغباتهم وأهملت الجانب الأكاديمي ودوره الفاعل للطلاب.

8 - أما فلسفة التربية الوجودية فقد لخصت آراءها في أربعة عناصر هي المعلم والمتعلم والمنهاج وطرق التدريس، إلا أنها بالغت في إعطاء دور المتعلم على حساب المعلم عندما أكدت بأن ليس للمعلم دور كبير في العملية التعليمية، بل يتمحور دوره حول إثارة انتباه وميل الطالب.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- المصادر :

ابن منظور، لسان العرب، تحقيق (عبدالله العلي)، دار المعارف، بيروت،
المجلد الأول، الألف والراء.

أفلاطون، الجمهورية، ترجمة (حنا الخباز)، دار القلم، بيروت، 1986م.

الغزالي، رسالة في المعرفة، تحقيق (مهند الأسم)، دار الكتب والوثائق، بغداد،
1990م.

إيمانويل كانط، نقد العقل العملي، ترجمة (غانم هنا)، مركز دراسات الوحدة
العربية، بيروت، 1998م.

جان جاك روسو، إميل، ترجمة (نظمي لوقا)، الشركة العربية للطباعة والنشر،
القاهرة، 1958م.

جورج مور، النظرية المعرفية والميتافيزيقية، ترجمة (محمد أحمد صادق)، ط1،
القاهرة، 1986م.

جون ديوي، الديمقراطية والتربية، ترجمة (متى عفاوي وزكريا ميخائيل)، مطبعة
لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1946م.

ويس معلوف، المنجد في اللغة، المجلد الرابع، باب النون، المطبعة الكاثوليكية،
بيروت، 1939م.

- المراجع :

أحمد جودة، المنهج المدرسي، ط2، دار الفكر، عمان، 2004م.

رجب بودبوس، تبسيط الفلسفة، ط1، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع، بنغازي، 1996م.

شبل بدران، أسس التربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993م.

صادق سمعان، الفلسفة والتربية، ط1، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1962م.

عبدالله الدائم، التربية عبر التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت 1975م.

علي أبو العينين، الأصول الفلسفية للتربية، دار الفكر، عمان، 1994م.

عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان، ط2، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2004م.

فاروق عبده، معجم مصطلحات التربية، دار الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندرية، 2004م.

ماك كالنسر، نشأة الحرية في التربية، ترجمة (أمين قنديل)، ط1، مكتبة النهضة، القاهرة.

محمد سعيد حسنين، التربية أصول وأساليب، دار الفكر، القاهرة، 1987م.

محمد لبيب النجيجي ، مقدمة في فلسفة التربية ، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، 1967م.

محمد محمود ، فلسفات التربية التقليدية ، دار الميسرة للنشر والتوزيع ، عمان ، 2013

مصطفى زيادة، الفكر التربوي واتجاهاته، ط3، مكتبة الرشد، الرياض، 2006م.

معن زيادة، الموسوعة الفلسفية، ط2، المجلد الأول، الانماء العربي، بيروت، 1986م.

نعيم جعيني، الفلسفة وتطبيقاتها التربوية، دار وائل للنشر، عمان، 2004م.

هاني عبدالمنعم، المستقبلية والمجتمع المصري، دار الهلال، 1986م.
يوسف الشين، الفلسفة المثالية، ط 1، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1998م.

الدوريات:

مسعودة الخالدي، التربية والبيداغوجيا، مجلة جيل للعلوم الإنسانية، لبنان، العدد
50، 2017م.

مصطفى محمد، فلسفة التربية المفهوم والأهمية، جامعة سوهاج، المجلة التربوية
العدد 51، 2018م.

ميادة الباسل، التطبيقات التربوية للفلسفة البرجماتية، مجلة التربية، جامعة الأزهر،
العدد 65، 1997م.

بعض المشاكل التي تعاني منها المستشفيات العامة وآثارها على المرضى في المجتمع

إعداد: د. نجوى مصطفى الأحمر *

المقدمة:

إن رسالة الطب في الحياة لا يجوز أن تقف عند حد دراسة الطب وتعلمه، ومزاولة المهنة، ومكافحة الأمراض بل على الطبيب والمرضى واجبات نحو البيئة والوسط الاجتماعي الذي يعمل ويعيش فيه، وفي الحقيقة أدرك الأطباء طوال تاريخ عملهم أنه يوجد ارتباط وثيق بين المرض والبيئة الاجتماعية، وأخذ هذا الإدراك ينعكس على النظرية والتطبيق، ومنذ بداية القرن العشرين ظهر الاهتمام من جانب الطب اعتراف مباشر بتأثير العوامل الاجتماعية في المرض والصحة، ولا شك أن ممارسة الطب تشير إلى أهمية إدراك الطبيب لدور العوامل الاجتماعية والثقافية في ظهور الأمراض، وأهمية العلاقات الاجتماعية في علاجها والوقاية منها.

ولموضوع البحث وهو المستشفى العام أهمية خاصة في المجتمع، وذلك من خلال طبيعة المستشفى كتنظيم معاصر تتوفر فيه الاستجابة المباشرة لاحتياجات أفراد المجتمع المتغيرة، وتختلف المستشفيات فيما بينها اختلافاً كبيراً في أنواع مبانيها، وفي الحجم والموارد المتاحة وأنواع الخدمات الاجتماعية وفيما تقدمه لمرضاهم من خدمات طبية وما يتعلق بالعاملين بها.

مشكلة البحث:

تعتبر المستشفيات العامة شأنها شأن غيرها من أنواع الخدمات الطبية والتنظيم الصحي تعمل في ظل ضغوط إدارية واجتماعية وتختلف عما يؤثر في غيرها من جماعات وأفراد وتفرض توقعات على أعضائها تختلف من واحد لآخر، حيث تعاني العديد من

* عضو هيئة التدريس بقسم الفلسفة وعلم الاجتماع. كلية الآداب. جامعة المرقب. الخمس

المستشفيات بعض المشاكل في ظل المؤثرات والمتغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي يتعرض لها المجتمع، والتعرف على المستشفيات العامة باعتبارها نسق إجتماعي منظم داخل المجتمع يضم بداخله عدة عناصر منها فريق طبي يؤدي خدمات صحية مختلفة لخدمة المرضى، وأفراد المجتمع الذين يترددون على المستشفى العام لتقديم العلاج بالطرق العلمية الصحيحة من خلال الإجراءات المنظمة لتقديم الخدمات الطبية الجيدة والرعاية الصحية لأفراد المجتمع رغم القصور والمشاكل التي قد يتعرض لها المرضى من أخطاء طبية، ونقص في المستلزمات الطبية التي يحتاجها المرضى داخل هذه المرافق الصحية . وتتخلص مشكلة البحث في الأسئلة الآتية:

- ماهي أهم المشاكل التي تعاني منها المستشفيات العامة، والتي تعرقل سير عمله اداخل المجتمع؟

- كيف يمكن الرفع من مستوى أداء وخدمات هذه المستشفيات العامة وفق المعايير الطبية لتحقيق رضا المرضى عن الخدمات التي تقدم لهم؟

تساؤلات البحث:

1. ماهي المشاكل التي تعاني منها المستشفيات العامة، وما آثارها على أفراد المجتمع ؟
2. كيف يمكن معرفة رضا أفراد المجتمع عن الخدمات الطبية التي تقدمها المستشفيات العامة وماتتميز به من مميزات ؟
3. هل مازال أفراد المجتمع يترددون على المستشفيات العامة للعلاج، وتلقي الخدمات الطبية اللازمة؟ وهل تستقبل المستشفيات العامة المرضى في أي وقت، وفي جميع الظروف ؟
4. كيف يمكن أن نعزز ثقة أفراد المجتمع بالمستشفيات العامة وخدماتها في ظل الظروف والمتغيرات التي يمر بها المجتمع؟
5. هل تساعد المستشفيات العامة خاصة التعليمية منها على إجراء الدراسات والبحوث العلمية بداخلها؟
6. كيف يمكن مواجهة الفساد والتجاوزات والأخطاء الطبية المتكررة التي تحدث داخل المستشفيات العامة؟

7. هل تقوم المستشفيات العامة بواجباتها وخدماتها التي يتوقعها منها الأفراد والهدف الذي أنشئت من أجله ؟

أهداف البحث:

1. التعرف على المشاكل التي تعاني منها المستشفيات العامة داخل المجتمع، وتأثير تلك المشاكل على أفراد المجتمع، والتي تعترض سير عمل المستشفى، وتعرقل تقديم الخدمات الطبية للمرضى.

2. التعرف على الخدمات الطبية التي تقدمها المستشفيات العامة داخل المجتمع من خلال فريق طبي متخصص ومساعدین لهم وما يوجد به من أجهزة، ومعدات طبية.

3. يهدف البحث إلى تسليط الضوء على المستشفيات العامة، وتوضيح صورتها بشكل علمي لأفراد المجتمع، وذلك من خلال المميزات والمعايير التي يتميز بها عن غيرها من المستشفيات داخل المجتمع.

4. معرفة العلاقة بين المرضى والأطباء والفريق الطبي المساعد لهم داخل المستشفى من خلال ترددهم على المستشفى وتلقيهم الخدمات الطبية والعلاج .

5. العمل على النهوض بالمستشفيات العامة والعمل على رفع مستوى أدائها داخل المجتمع ونشر التوعية والتثقيف بأهمية المستشفيات العامة ودورها كنسق منظم يهتم بصحة أفراد المجتمع.

6 . يهدف البحث إلى القضاء على الفساد الإداري والطبي داخل المستشفى العام، والقضاء على المخالفات والتجاوزات والأخطاء الطبية المتكررة.

أهمية البحث:

إن الصحة الجيدة شرط أساسي لقيام الفرد بوظيفته في المجتمع، فإذا كانت الصحة سليمة يستطيع الفرد القيام بأنواع مختلفة من النشاطات في حياته اليومية، وإذا كان الشخص مريضاً، فإنه سوف يقل نشاطه وأعماله اليومية، ويكون مشغولاً بحالته الصحية.¹

¹ نادية محمد السيد عمر، علم الاجتماع الطبي (المفهوم والمجالات)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،

مصر، 2005، ص 22، 23 .

وتتمثل أهمية البحث في الآتي:

1. العمل على معالجة المشاكل والعراقيل التي تعترض سير عمل المستشفى، وتعرقل أدائه لمهامه الطبية، وتكون عائقاً أمام أفراد المجتمع عند تلقي الخدمات الطبية.
2. العمل على زيادة الوعي لدى أفراد المجتمع بأهمية المستشفيات العامة، والوظائف التي تقدمها من خلال تردهم على المستشفى العام .
3. تتمثل أهمية المستشفى العام بأنه يأوي المريض، ومؤشراً دالاً على الصحة في المجتمع ومكاناً للبحث والدراسة العلمي للوقوف على الأسباب وفهمها، وتقديم العلاج من أجل الأصحاء والمرضى.
4. تتمثل أهمية المستشفى العام في التشخيص المبكر للمرض ومعرفة عوامل اضطراب الصحة وبالتالي العلاج السريع ومقاومة المرض والوقايه منه.
5. أهمية الإدارة بالمستشفى باعتبارها نسق اجتماعي منظم داخل المجتمع، وتنعكس أهميتها على المستشفى وعلى العاملين به في تقديم وظائفهم ومهامهم دون صراع وتوتر .

مجالات البحث:

تقتصر مجالات البحث على الإطار النظري فقط حيث تم توضيح المشكلات التي تعاني منها المستشفيات العامة وآثارها على المرضى وأفراد المجتمع، من خلال التعرف على المستشفيات العامة كنسق اجتماعي منظم والخدمات الطبية التي تقدمها المستشفيات العامة لأفراد المجتمع، والتعرف على علاقة المرضى بالفريق الطبي داخل المستشفى العام، ومدى رضاهم عن الخدمات التي تتوفر بالمستشفى العام، وما يقوم به من خدمات علاجية أو إدارية، والتعرف على المستشفى العام وأهدافه، وتقسيم العمل بداخله ومدى أدائه لوظائفه.

منهج البحث:

المنهج هو الطريقة التي تستخدم في دراسة ظاهرة أو موضوع، ومنهج البحث هو طريقة البحث أو الخطة التي يضعها الباحث بعناية لكي يصل إلى حل لمشكلة بحثه، وهذه الخطة لا

توضع بطريقة عشوائية، وإنما تتم على أساس بعض القواعد والاجراءات والأساليب التي تحكم سلوك الباحث العلمي والمنهج العلمي هو السمة المميزة للعلم.¹

وتم اتباع المنهج الوصفي التحليلي في معالجة موضوع (بعض المشاكل التي تعاني منها المستشفيات العامة وآثارها على المرضى) وقد استعانت الباحثة بالمادة العلمية من المراجع والكتب والدراسات المنجزة في هذا المجال لضمان حد أدنى من الدقة والموضوعية بتطبيق هذا المنهج لإستخلاص نتائج البحث.

مفاهيم البحث:

المفاهيم هي تصورات أو رموز، فالناس في كل مكان يفكرون ويتعاملون بمجموعات كبيرة من المفاهيم التي تشير إلى أشياء أو ظواهر في العالم الخارجي، ويعبرون عن هذه المفاهيم باللغة المعتادة فالمفاهيم هي أفكار مهمة عن الناس والعمليات والأشياء، وهي تجريدات وأساليب للتصنيف.²

المستشفى:

يعتبر المستشفى نسقاً اجتماعياً وثقافياً يسهم في حث أعضاء النسق الطبي على التركيز على العوامل الأخرى المؤثرة في آلام المريض ومرضه، وفي الشفاء والاتجاه العام نحو الآخرين، وبالتالي يساعد النسق في فهم المرضى الذين يدخلون المستشفى ومساعدتهم، ويقدم هذا الفهم مداخل جديدة لرعاية المرضى وأفكاراً جديدة عن دور الأطباء و الممرضات والفنيين والعمال في تدعيم النسق السلوكي بالمستشفى، أو تعديله لتطوير أداء الخدمة الصحية.³

المستشفى العام:

المستشفى العام يوصف بأنه ذلك النوع من المستشفى الذي عادة ما يكون كبيراً، ويقع في مركز حضري يحاول تقديم مجموعة شاملة من الخدمات الفنية ويستقبل مرضاه بين قاعدة السكان

¹ . محمد علي محمد وآخرون، دراسات في علم الاجتماع الطبي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2012، ص 30، 31.

² . المرجع السابق ، ص 33 ، 34.

³ . علي المكاوي، علم الاجتماع الطبي (مدخل نظري)، دار النصر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009، ص

العريضة، ويهتم بتدريب هيئته الفنية، وخاصة الأطباء في مجال البحث والرعاية الطبية والتعليم المهني، وتتكون هيئته في معظمها من متخصصين عادة ما ينتمون إلى مدرسة طبية.¹
الصحة:

الصحة حالة من التوازن الناتجة من تكيف العوامل البيولوجية مع بعضها لمواجهة العوامل الضارة، والتكيف عملية إيجابية يقوم بها الإنسان من موقف لآخر حفاظاً على الحالة الصحية العامة.²

تعريف منظمة الصحة العالمية: الصحة هي حالة من التحسن الجسدي والعقلي والاجتماعي الكامل، وليست مجرد غياب المرض أو العلة.³

مفهوم المرض: يمثل المرض كما وصفته الموسوعة البريطانية إنحرافاً ضاراً ومؤدياً عن البناء الطبيعي أو الحالة الوظيفية للكائن الحي حيث تظهر عليه علامات وأعراض تدل على أن حالته غير طبيعية.⁴

فريق العمل الطبي:

عبارة عن مجموعة من الأفراد المتخصصين في مجالات مختلفة، وكل تخصص يرتبط بباقي التخصصات من أجل تحقيق أهداف المؤسسة التي يعمل في إطارها ، وفريق العمل في المجال الطبي أفراد متخصصون في تخصصات مختلفة صحية وطبية وتكنولوجية ترتبط بأهداف المؤسسة التي ينتمون إليها، ولكنهم يتجهون جميعاً نحو هذا الهدف باستخدام إجراءات وأساليب متفق عليها، ويتكون هذا الفريق من الأطباء والممرضين والصيدلة وفنيي المعامل والمراقبين الصحيين وأخصائي التأهيل المهنيإلخ.⁵

الخدمات الطبية:

¹ . محمد علي محمد وآخرون، دراسات في علم الاجتماع الطبي، مرجع سابق، ص 331.

² . محمد سيد فهمي، مصطفى شفيق، أسس الخدمة الطبية والتأهيلية من منظور الخدمة الاجتماعية، دار

الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2013، ص 10.

³ . علي الكاوي وآخرون، دراسات في علم الاجتماع الطبي في الوطن العربي، مكتبة النصر للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998 ، ص 43 .

⁴ . نجلاء عاطف خليل، في علم الاجتماع الطبي (ثقافة الصحة والمرض)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2006، ص 30.

⁵ . محمد سيد فهمي مصطفى شفيق، مرجع سابق، ص 18، 19.

يقصد بها تكامل مجموعة الأدوار التي يقوم بها كافة العاملين في الفريق الطبي داخل المنظمة أو المؤسسة الطبية لتحقيق الخدمات الطبية، ونوعية الأداء الوظيفي السائد، ودور العوامل الداخلية والخارجية في التأثير على طبيعة هذا الأداء، ويتضمن هذا المفهوم جميع الأدوار المهنية لفريق العمل من طبيب وممرضات وأخصائيين اجتماعيين وأخصائيين نفسيين، وخبراء معامل، بجانب الإمكانيات من معدات ومعامل وأجهزة وعلاقة ذلك بخدمة المجتمع وكفاءة الخدمة.¹

نستخلص من خلال عرض المفاهيم السابقة لموضوع البحث، تعريفاً إجرائياً هو:

المستشفيات العامة تتعرض لعدة مشاكل تعرقل أداء وظائفها ومهامها يكون لها تأثير على أفراد المجتمع المترددين على المستشفى للعلاج، وترجع هذه المشاكل إلى الإهمال الإداري والوظيفي داخل المستشفى والتقصير في أداء الواجبات، والتوتر والصراع الذي يحدث داخل المستشفى، وقلة المعدات والأجهزة الحديثة تكون سبباً في مشاكل المستشفى بالإضافة لعدم تقديم الخدمات الطبية اللازمة واستقبال المرضى في أي وقت، وفي جميع الظروف كل ذلك ينعكس على أداء المستشفى ومكانته في المجتمع الذي يوجد به، ولعلاج هذه المشاكل يجب الالتزام بالمبادئ والأسس الصحية لتنظيم سير العمل وفق معايير عالية الجودة، وتقديم أفضل الخدمات حتى تزداد علاقة المرضى وثقتهم بالمستشفيات العامة، والتردد عليها لغرض العلاج .

النظريات المفسرة لموضوع البحث:

. الاتجاه الوظيفي:

ينظر أصحاب هذا الاتجاه للتنظيم كنسق اجتماعي يتكون من مجموعة أنساق فرعية، وهو نفسه يعتبر نسقاً فرعياً لنسق أكبر، وهو المجتمع، ويرون أن استمرار هذا التنظيم يلزمه مجموعة متطلبات وظيفية منها المواءمة وتحقيق الهدف، والتدعيم والتكامل، وينظرون حديثاً للتنظيمات الطبية كنسق صحي يتميز بنظام لتقسيم العمل يختلف عن غيره من التنظيمات الأخرى هذا التقسيم هو ما يجعل الإنجاز والفعالية التنظيمية يتسمان بنفس سمات التمييز.²

أشار "تالكوت بارسونز" إلى الأهمية الوظيفية للصحة بالنسبة للمجتمع، ونظر للصحة على أنها حالة من الطاقة الكاملة للفرد يستطيع في ظلها أداء أدواره التي تم تنشئته على تأديتها بصورة

¹ . المرجع السابق، ص 21.

² . محمد الجوهري وآخرون، علم الاجتماع الطبي، دار المسيرة، عمان، الأردن، 2009 ، ص 36 .

مثالية، والمرض يمثل عبئاً على المجتمع، ولذلك يجب أن يظل تحت السيطرة، ولهذا تركز اهتمام "بارسونز" على السبل التي يستطيع المجتمع عن طريقها تقليل حجم المرض والحد من آثاره السلبية، ويرى "بارسونز" أن كل ذلك يمكن أن يتحقق عن طريق خلق أدوار يتم تعريفها اجتماعياً ليؤديها المرضى ولأطباء.¹

إن "بارسونز" يدرك أهمية الصحة كمطلب ضروري لكي يقوم النسق الاجتماعي ووظائفه على خير وجه، ونظر إلى النموذج الطبي الحيوي على أنه نسق تقني يخلو من الصبغة الاجتماعية، ولذلك انصب اهتمامه على الصلة بين احتياجات النسق الاجتماعي والصحة كقيمة ذات طابع اجتماعي، ولذلك فإن حرص الأفراد على حالتهم الصحية يعد مطلباً؛ وظيفياً لأنه يساعد المجتمع على أداء وظائفه، ويتوافق مع قيم السعي للتفوق والإنجاز، ويتضح أن "بارسونز" يهتم اهتماماً قوياً بصحة أفراد المجتمع، وخاصة العلاقة بين حالتهم الصحية ونجاحهم في أدوارهم.²

ومع انتشار هذا النموذج (النموذج الوظيفي) بين معظم علماء الاجتماع المعاصرين إلا أنه وجهت إليه بعض الانتقادات، وخاصة من أصحاب نموذج الصراع. فلا يمكن تصور المجتمع في حالة تجانس وتوازن مستمر، وإنما توترات ومشكلات يعجز هذا النموذج عن تفسيرها، ولهذا فهو نموذج محافظ يسعى إلى الإبقاء على الأوضاع القائمة ولا يصلح للمجتمعات التي تريد أن تحدث تغيرات اجتماعية حاسمة في الأوضاع القائمة في المجتمعات.³

إتجاه الصراع:

يتميز المدخل الماركسي بأنه يركز على التناسب بين المداخل المختلفة لموضوع الصحو، وخاصة المجتمع، ويرى المحللون الماركسيون أن النموذج الطبي الحيوي قد تشكل بتأثير من النظامين الاقتصادي والسياسي الذي وجد في ظلهما، وقد أدرك الماركسيون أهمية العلاقة بين احتياجات النظام الاقتصادي والصحة كقيمة اجتماعية، فالمجتمع الرأسمالي يضع من بين أهدافه الأساسية ضرورة الحفاظ على أفراد القوى العاملة متمعين بالصحة لكي يؤديوا أدوارهم في نطاق العمل.⁴

¹. علي عبدالرازق جلبي، حسن محمد حسن، علم الاجتماع الطبي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2005، ص 63.

². المرجع السابق، ص 64.

³. محمد علي محمد وآخرون، دراسات في علم الاجتماع الطبي، مرجع سابق، ص 29، 30.

⁴. علي عبد الرزاق جلبي، حسن محمد حسن، علم الاجتماع الطبي، مرجع سابق، ص 65.

وينظر بعض علماء الاجتماع إلى أن "الصراع" هو أهم خصائص التغيير الاجتماعي في المجتمع الحديث، ولعل أشهر من تحدث عن موضوع الصراع في القرن التاسع عشر هو "كارل ماركس" وأسهم في تطوير هذا النموذج "جورج زابيل" الذي زعم أن النظام الاجتماعي العام هو نتاج لقوى متصارعة في المجتمع بين الانسجام وإنعدام التوازن، وهذه صراعات تنشأ بين الأفراد والجماعات، وبين الجماعات المختلفة، فالصراع هو الذي يكشف عن العدوات والصداقات بين الأفراد.¹

وكان "ماركس" يستخدم النموذج التطوري في النظر إلى التاريخ على أنه يتقدم عبر عدد من المراحل تنتهي بمرحلة الشيوعية، وكذلك نظر إلى المجتمع على أنه يشهد صراعاً بين طبقتين هما طبقة الذين يملكون، وطبقة الذين لا يملكون، وينشأ التغيير في المجتمع نتيجة الثورة، للقضاء على طبقة المالكين، وإقامة نظام اجتماعي جديد لا يعرف الطبقات، وهذه الثورة حتمية في كل نظام اجتماعي قائم على اللامساواة. إن نموذج "ماركس" أكثر تعقيداً من ذلك، وقد وجهت إليه انتقادات عديدة فهو يفترض أساساً أن التغيير في المجتمع راجع إلى تأثير العوامل الاقتصادية، ومن تم يتجاهل طائفة أخرى من العوامل غير الاقتصادية والمؤثره في التغيير الاجتماعي، وقد وجد بعض علماء الاجتماع أن نموذج "مارك" ينطوي على بعض الاستبصارات الهامة التي تفسر التغيرات الكبرى في المجتمع الإنساني، وعلماء الاجتماع الذين يطورون هذا النموذج يفضلون أن ينظر إليهم بوصفهم "ثوريين" أو "إنسانيين" ومن هؤلاء "رايت ميلز".²

الاتجاه الإداري لدراسة التنظيمات الطبية وأهميته في المجتمع

لعلوم الإدارة فضل كبير في دراسة التنظيمات المختلفة، ومنها التنظيمات الطبية، وهناك مساهمات بحثية عديدة حول إدارة التنظيمات الصحية والبنية التنظيمية الطبية والهيكل الإدارية للتنظيمات الطبية وغيرها من المحاور في دراسة التنظيمات الطبية، ومن هذه الدراسات ما قام به "ألبيوت فريديسون" في كتابه (المستشفى في المجتمع الحديث) حيث ناقش الصراعات بين الهيئة الإدارية والطبية في المستشفى، وما قامت به "كولين جرانت" في كتابها (إدارة المستشفى) حيث ناقشة العلاقات التفاعلية بين أفراد الهيئة الإدارية والطبية من خلال المدخل التقليدي في إدارة المستشفيات، ثم انتقلت لدراسة التغيير في هذه العلاقة تبعاً للتغيير في إدارة الرعاية الصحية

¹ . محمد علي محمد وآخرون، دراسات في علم الاجتماع الطبي، مرجع سابق، ص 28 .

² . المرجع السابق، ص 28، 29.

المقدمة، وفي أدوار التنظيمات الطبية الحديثة وكيفية اتخاذ القرارات فيها والسمات المميزة للمدير الإداري الجيد ومفاتيح القوة في عملية إدارة المستشفى وأضاف الاتجاه الإداري للتنظيمات الطبية أدوات منهجية جديدة كالاستعانة ببطاقات الرعاية الطبية خارج المستشفى، واستطاعت الدراسات تقديم رؤى منهجية جديدة لدراسة هذه المعوقات الوظيفية التي يضعها أفراد الهيئة الإدارية، وأجرت "ماجريت هيجنز راداني وهارولدس. لوفت" بحث أشارت إلى أنه من الضروري لأبحاث الخدمة الصحية والتخطيط الاستراتيجي للصحة أن نصف النماذج الجغرافية لدخول المرضى في المستشفيات المتعددة الغرض، وهذا يلزمه بيانات يتم الحصول عليها من إدارة هذه المستشفيات، وحديثاً ظهرت دراسات حول دخول الكمبيوتر إلى إدارة التنظيمات الطبية، ومدى التقدم الذي سيحدثه في أنظمة تقديم الرعاية الطبية.¹

مدخل بناء التصورات الاجتماعية وأهميتها في المجتمع:

يذهب أصحاب هذا المدخل إلى أن أسماء المرض ماهي إلا تصورات يشيدها المجتمع، ويذهبون إلى أن كل التصنيفات الطبية للأمراض والأسماء التي تطلق عليها ماهي إلا تصورات يشيدها المجتمع مستخدماً المفهومات التي تعطي معنى لفئات معينة من الحقائق، والقول بفكرة التصورات الاجتماعية لا تعني أن الأمراض مسألة تخيلية، ولكنه يعني أن الطب شكلاً من أشكال الممارسة الاجتماعية يقوم بملاحظة وتصنيف المعاناة الإنسانية.²

وقدم "فوكو" دوراً رئيساً في تطوير مدخل بناء التصورات الاجتماعية في ميدان المعرفة الطبية فقد أوضح من خلال تحليله للأفكار الطبية أن هناك تصورات متباينة للأمراض حيث يمكن النظر إليها على أنها محصلة لأساليب معينة في النظر إلى جسم الإنسان، وهو ما أطلق عليه النظرة الإكلينيكية الفاحصة للجسم، ويرى "فوكو" أن التغير الذي حدث في نظرة المجتمع إلى الأمراض يرجع إلى التطور في علم الطب وظهور العيادات العلاجية، فقد وفرة العيادات العلاجية مركز للتدريب الطبي وتميزت بمدخل طبي جديد يركز على الملاحظة السريرية والفحص الطبي في المؤسسات الطبية في المجتمع.³

الدراسات السابقة:

¹ . محمد الجوهري وآخرون، علم الاجتماع الطبي، مرجع سابق، ص 55،53.

² . على عبدالرازق جليبي، حسن محمد حسن، علم الاجتماع الطبي، مرجع سابق، ص 61.

³ . المرجع سابق، ص 61،62.

الدراسة الأولى: أكرم عبدالسلام بن رابعة ، يونس هدية فرج البوسيفي، تحديد أهم العوامل المسؤولة عن تدهور القطاع الصحي الحكومي في ليبيا: من وجهة نظر الإدارة في بعض المستشفيات الحكومية في مدينة طرابلس، ليبيا، المؤتمر العلمي الدولي الثالث لكلية الاقتصاد والتجارة، 12-11 نوفمبر 2019 م.

يهدف البحث إلى التعرف على أهم الأسباب الأساسية المسؤولة عن ضعف خدمات المستشفيات الحكومية في ليبيا، من وجهة نظر الإدارة في بعض المستشفيات الحكومية والعيادات الحكومية، ومدى معرفة الإداريين لتلك الأسباب حسب وجهة نظرهم حيث اعتمد الباحث على المنهج الوصفي الذي جمع بين الوصف والتحليل للبيانات الأولية التي تم جمعها بواسطة صحيفة استبيان أعدت خصيصاً لذلك، ووزعت على عينة ملائمة حجمها (337) مفردة من مجتمع البحث المتمثل في الإداريين بالمستشفيات الحكومية بمدينة طرابلس، وتم استرداد 269 مفردة صالحة للتحليل، وقد تم تحليل البيانات الأولية للبحث باستخدام بعض أساليب الإحصاء الوصفي، كالتكرارات والنسب المئوية، وكذلك الإحصاء الاستنتاجي كاختبارات الدلالة التي استخدمت في اختبار فرضيات البحث، وذلك بالاعتماد على برمجية "الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية" والمعروفة اختصاراً برنامج (SPSS) حيث خلصت عملية تحليل البيانات الأولية للبحث إلى مجموعة من النتائج أهمها: هناك ضعفاً في مستوى توافر الكوادر الطبية، وفي هذا ما يؤكد السؤال الذي قام عليه البحث بدرجة استجابة إحصائية تصل إلى المتوسط وفقاً لمقياس "ليكرت" رغم أن عدد المسجلين في الكوادر الطبية المسجلة في هذه المستشفيات يؤكد عن وجود فائض لكنه غير موجود فعلياً، وأن هناك ضعفاً في إدارة المستشفيات الحكومية وقلة الإمكانيات وتأكيدهم على انتشار الفساد المالي، وعدم قدرة الأجهزة الإدارية على السيطرة وضبط وحدتها لأسباب عديدة يذكر أهمها من خلال المقابلات بسبب التتمتع على الأطباء من قبل جهات غير رسميه، فالعمل في هذه المؤسسات يؤدي إلى ضغط نفسي كبير كما أن هناك تردي في مستوى قدرة الأجهزة الإدارية على العمل في الأزمات، وفي هذا ما يثبت الأسباب الثانوية بمستوى إجابات يصل إلى المرتفع من مجموع أفراد عينة الدراسة.

الدراسة الثانية: علي عبدالجليل الغزالي، جودة الخدمات الصحية وعلاقتها برضا المرضى (دراسة ميدانية على المستشفيات العامة الواقعة في نطاق مدينة بنغازي)، رسالة ماجستير في الإدارة، قسم الإدارة، كلية الاقتصاد، جامعة بنغازي، ليبيا، 2014.

هدفت الدراسة إلى تحديد العلاقة بين جودة الخدمات الصحية، ورضا المرضى داخل المستشفيات الواقعة داخل مدينة بنغازي، ويتكون مجتمع الدراسة من جميع المرضى النزلاء بالمستشفيات العامة الواقعة داخل مدينة بنغازي والبالغ عددهم (6272) مريضاً، وقد تم اختيار عينة عشوائية تكونت من (364) مريضاً، واستخدمت استمارة الاستبيان لجمع البيانات المتعلقة بموضوع الدراسة، وتحليل بيانات الدراسة وتحقيق أهدافها تم استخدام برنامج "الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية" (SPSS) لحساب مقاييس الإحصاء الوصفي كالمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية والتكرارات لوصف خصائص عينة الدراسة، كما تم استخدام معامل ارتباط "بيرسون" لتوضيح العلاقة بين المتغيرات المستقلة والتابعة بالإضافة إلى استخدام اختبار (t)، وذلك من أجل التحقق من تبعية البيانات للتوزيع الطبيعي، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج من أهمها:

1. إن الأطباء كانوا أكثر كفاءة ومهارة ويزودون مرضاهم بكمية معلومات ذات جودة ويتيحون أوقاتهم لسماع مرضاهم، ويتميزون بأسلوب جيد وسرعة في التجاوب على استفسارات المرضى.
 2. هناك قصور فيما يخص الخصائص الفندقية للمستشفيات قيد الدراسة فيما يتعلق بتجهيزات الغرف وكمية وجودة الطعام المقدم للمرضى.
 3. على الرغم من أن الأدوية والمستلزمات الطبية وأجهزة الأشعة والتحليل الطبية كانت متوفرة داخل المستشفيات إلا أنه هناك قصور في توفيرها بالكميات المطلوبة.
 4. هناك قصور أو تدني في جودة الخدمة الصحية المقدمة للمرضى داخل المستشفيات العامة فيما يتعلق بخدمات التعقيم.
- وتوصي الدراسة بالتالي:
1. توفير الممرضين، وأصحاب الخبرة وترسيخ ثقافة الجودة لدى الطواقم الطبية من خلال برامج توعية وتوفير دورات تدريبية للعاملين كل في مجاله.
 2. ضرورة الاهتمام بنوعية وكمية الطعام المقدم في المستشفيات عن طريق الرقابة من قبل إدارات هذه المستشفيات.
 3. ضرورة العمل على توفير الأدوية والمستلزمات الطبية والتحليل الطبية للمرضى داخل المستشفى.
 4. ضرورة الاهتمام بمعايير جودة الخدمات الصحية في المستشفيات والنظر إليها على أنها نظام متكامل من الخدمات.

5. وضع نظام متكامل في كل مستشفى لقياس وتحليل رضا المرضى عن مستوى الخدمات الصحية المقدمة إليهم بصورة مستمرة والاهتمام بالشكاوي المقدمة من المرضى.

الدراسة الثالثة: بركات أحمد عبدالقادر، تقييم أداء الخدمات الصحية في المستشفيات العامة الليبية (دراسة نظرية ومقارنة على بعض المستشفيات العامة العاملة بمدينة بنغازي)، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، جامعة بنغازي، كلية الآداب والعلوم، فرع المرج، ليبيا، العدد 8، أكتوبر 2015م.

كان لزيارات الباحث لبعض المستشفيات العامة الليبية في مدينة بنغازي ومقابلاته لبعض المسؤولين وقد أشار لما تعانيه المستشفيات الليبية من مشاكل كثيرة عرقلت وتعطلت العمليات الإدارية والتنظيمية بها، وركز الباحث على تقييم الأداء في هذه المستشفيات حيث يرى أن وظيفة المراقبة التي تعتبر الوظيفة المفصلية في تحسين مستويات كفاءة وفاعلية الأداء في هذه المستشفيات العامة الليبية، وكانت مشكلة هذا البحث حول تقييم الأداء ودورها في تحسين أداء إدارات هذه المستشفيات العامة. واستهدف هذا البحث الوصفي إمكانية الإطلاع على الأساليب التي تعرقل ممارسة المسؤولين في المستشفيات من ممارسة مهامهم وتحديد الصعوبات والعوائق التي تحول دون قيامهم بعمليات تقييم الأداء، ولتحقيق هذه الأهداف تم إجراء الدراسة الميدانية على خمسة مستشفيات عامة تقع جميعها داخل مدينة بنغازي إدارياً وجغرافياً حيث قام الباحث بجمع البيانات مستخدماً استمارة الاستبيان التي تعتبر الأداة الرئيسية لجمع البيانات في منطقة الدراسة، ومن خلال تحليل البيانات تم التوصل إلى النتائج الآتية:

1. إن معظم مسؤولي المستشفيات هم من الأطباء والأطباء المساعدين والفنيين وطبيعة عمل معظم الإدارات تحتاج إلى العلوم الإدارية.
2. إن عدم تحسين الأداء في هذه المستشفيات من أسبابه الرئيسية عدم فعالية التنظيم الإداري وعدم وضوح أهداف الإدارات الفرعية وتعارضها.
3. إن أداء العديد من النشاطات هي دون المستوى المطلوب، وكذلك الاستخدام السلبي لمشكلة المعلومات وانحراف اتجاه استخدام الاتصالات غير الرسمية.
4. إهدار المال العام خصوصاً الأدوات الطبية في شكل سرقات والاستخدام السيء لها.
5. عدم فعالية تقييم الأداء في تحسين الأداء، وتطوير جودة الخدمات الصحية.
6. عدم استقلالية المستشفيات العامة تنظيمياً، وإدارة عن الإدارة العامة في القطاع الصحي للدولة.

وتوصي الدراسة بمعالجة هذه المشاكل والعقبات التي أظهرها سوء التنظيم الصحي القائم وتأثيره على كفاءة وفعالية أداء المستشفيات العامة إدارياً والحد من المعوقات التنظيمية التي تواجهها في المجتمع.

الدراسة الرابعة: نجاة محمد المهدي، المستشفيات العامة في مدينة طرابلس: توزيعها وخدماتها بين الواقع والمستهدف، مجلة كلية الآداب، جامعة طرابلس، ليبيا، العدد الرابع والعشرون الجزء الثاني ديسمبر 2017 م.

في هذه الدراسة تم التركيز على المستشفيات العامة دون سواها في مدينة طرابلس وعلاقة هذا التوزيع بالكثافة السكانية والامكانيات المتوفرة بها، وتتمثل مشكلة الدراسة في الإجابة على التساؤلات الآتية وهي: هل تم مراعاة الكثافة السكانية في اختيار موقع المستشفيات العامة؟ هل تقدم هذه المستشفيات الخدمات العلاجية والوقائية على حد سواء؟ أم أن التركيز فيها على الجانب العلاجي دون غيره؟ وهل تقي المستشفيات العامة بامكانياتها المتوفرة بدرجة لا يفكر معها المواطن في البحث عن مراكز خدمات صحية بديلة؟ مامدى رضا المترددين على المستشفيات العامة عن جودة الخدمات الطبية (العلاجية) التي تقدمها؟ وعن كفاءة العاملين فيها ودرجة قيامهم بواجباتهم؟ وتهدف الدراسة إلى معرفة العلاقة بين التوزيع الجغرافي لسكان مدينة طرابلس (كثافتهم) ومواقع المستشفيات العامة والتعرف على درجة تحقيق هذه المستشفيات للأهداف التي أنشئت من أجلها، وتتمثل أهمية الدراسة من خلال إظهار المشاكل والمعوقات التي تعترض المستشفيات والعاملين فيها، وتحول دون القيام بواجباتهم المنوطة بهم، والمجال الجغرافي للدراسة هو مدينة طرابلس التي هي محور الدراسة، والمنهجية المتبعة لهذه الدراسة هي استخدام المنهج الوصفي، والاستفادة من المعلومات والبيانات التي أمكن الحصول عليها من التقارير والمخططات والبحوث والإحصائيات وكذلك الخرائط التي استطاعت الباحثة من خلالها معرفة المواقع الفعلية للمستشفيات العامة، كذلك تم استخدام المنهج التحليلي للبيانات التي تم الحصول عليها من الدراسة الميدانية التي أعدت لها استمارة استبيان أما الفئات التي تم الاعتماد عليها في الإجابة على أسئلة الاستبانة هم المواطنون المترددون على المستشفيات العامة بمدينة طرابلس والعاملين بها، وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج منها:

1. إن سكان منطقة الدراسة الذين يمكنهم الاستفادة من هذه الخدمات لا يشكلون أكثر من (44.7%) من مجموع السكان ، وهذا يعني أن أكثر من نصف سكان المنطقة في حاجة ماسة إلى مثل هذه الخدمات الصحية.

2. أثبتت الدراسة أن الخدمات العلاجية هي السبب الجوهري الذي يكمن وراء تردد (98%) من أفراد العينة عليها.

3. تبين أن (83.5%) يترددون على المستشفيات لأسباب مادية متمثلة في مجانية العلاج وعدم مقدرتهم على دفع تكاليف العيادات الخاصة والسفر للخارج. وتوصي الدراسة بعدة توصيات منها:

1. زيادة مستشفيات مدينة طرابلس بما يتماشى مع عدد السكان.
2. تركيز الجهود على خدمات الصحة الوقائية لوقاية الأفراد من الأمراض وتحسينهم ضدها ونشر الوعي الصحي والغدائي السليم بينهم.
3. توفير احتياجات جميع المستشفيات من الأدوية ومراعاة عدالة توزيعها.

الدراسة الخامسة: وليد أحمد محمود تليخ، أثر جودة الخدمة الصحية على رضا المستفيدين منها في المستشفيات العامة والخاصة في الأردن، دراسة مقارنة، (رسالة ماجستير)، جامعة عمان العربية، كلية الأعمال قسم التسويق، الأردن، 2010 م .

هدفت الدراسة إلى قياس أثر جودة الخدمة الصحية على رضا المستفيدين منها في المستشفيات العامة والخاصة في الأردن. ولتحقيق أهداف الدراسة تم تحديد مجتمع الدراسة الذي اشتمل على المستشفيات الأردنية في القطاعين العام والخاص والبالغه (103) مستشفى لعام 2009 م، وتم أخذ عينة من هذه المستشفيات بلغت عشرة مستشفيات وبلغت عينة الدراسة من المرضى (450) مريضاً تم اختيارهم من هذه المستشفيات، وخلصت الدراسة إلى وجود أثر لجودة الخدمة الصحية على رضا المستفيدين منها في المستشفيات العامة والخاصة، بالإضافة إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في أثر جودة الخدمة الصحية على رضا المرضى في مستشفيات القطاع الخاص قياساً على مستشفيات القطاع العام لصالح المستشفيات الخاصة، كما بينت الدراسة أن بعدي (التوكيد والاستجابة) من أبعاد جودة الخدمة الصحية لها الأثر الأكبر في التأثير في رضا المرضى في المستشفيات الخاصة والعامة. أما أبعاد جودة الخدمة الصحية الأخرى (الملموسة، الاعتمادية، التعاطف) كانت الأقل تأثيراً في رضا المرضى، وعلى ضوء نتائج الدراسة ومناقشة تلك النتائج قدم الباحث التوصيات التالية:

1. مواصلة العمل الجاد من قبل الجهات المسؤولة عن مستشفيات القطاع العام، لارتقاء بجودة الخدمات الصحية والاستمرار في عملية التطوير والتحديث وخاصة تأهيل الموارد البشرية.

2. إن بعدي التوكيد والاستجابة كانا الأكثر تأثيراً في رضا المرضى من بين أبعاد جودة الخدمة الصحية للمرضى في مستشفيات القطاعين العام والخاص.
3. أظهرت نتائج الدراسة النقص الواضح في جودة الخدمة الصحية كان الأكثر تأثيراً في رضا المرضى في المستشفيات الخاصة.
4. ضرورة العمل من قبل إدارات المستشفيات على مراجعة مدى تطبيق أبعاد جودة الخدمة الصحية عبر تطبيق مقياس الجودة بشكل دوري.
5. على إدارة هذه المستشفيات وضع آلية للتواصل مع المرضى بعد الانتهاء من تقديم الخدمة واستطلاع آرائهم بعد الخروج إلى المنزل.

المستشفى كنسق منظم

المستشفى كتنظيم طبي:

المستشفى هو أحد النظم الموجودة في التنظيم الطبي فالتركيز يكون على وظيفة هذا النظام وكيف تطورت هذه الوظائف وخاصة بعد إنتشار وظائفه التعليمية وتركيزها على التعليم الطبي وتدريب الأطباء على عمل خدمات للمستشفى عن طريق خدمة المريض ورعايته وإذا نظرنا إلى أي تنظيم في المستشفى نجده يشمل عدداً من الأبنية، وعدداً من المراكز المتسلسلة في هذه الأبنية ولكل مركز من هذه المراكز مجموعة من الوظائف الخاصة بها، وعلى رأس هذه المراكز يوجد الرئيس الذي يشرف على القيام بهذه الوظائف وإنجازها بدقة، ولكن هناك ثنائيه مزدوجه في السلطة فعلى جانب نجد مدير المستشفى وهو المسؤول عن الأمن في المستشفى، وعلى الجانب الآخر نجد هيئة التدريس الطبية (الأطباء الذين يعتبرون أنفسهم لهم السلطة المطلقة في تغيير مجرى النظام في المستشفى) وعلى هذا الأساس نجد أن هناك صراع دائم بين هذه الأزواجيه في السلطة وتظهر حينما يبدأ الأطباء في تحطيم القواعد التي وضعها المدير الإداري، كما يظهر الصراع نتيجة لإختلاف وجهة نظر كلا منهم في إدارة المستشفى، وأن الأطباء عادة ما يعتبرون أن العمل الإداري أقل مكانة من عملهم التخصصي، ولذلك يجب أن يوافق بعضهم على تخصيص جزء من وقتهم لهذه المشاكل حتى لا تتفاقم، وحل هذه المشاكل جميعاً عن طريق التطور في تنظيمات

المستشفى وأهدافها، والوصول إلى حل مناسب يرضي جميع العاملين بالمستشفى من أجل صالح المريض، ومن أجل النهوض بالمستشفى.¹

العلاقات بين الأطباء والمرضى داخل المستشفى:

أصبح المستشفى مأوى للمريض ومؤشراً دالاً على الصحة في المجتمع ومكاناً للبحث والدراسة وتدرس فيه أسباب المرض للوقوف عليها وفهمها، وإذا كان المستشفى يقوم برعاية المرضى فإن عملية الرعاية تتضمن "علاقة" كما تتضمن العلاقة "موقفاً" وهكذا تتضح مسؤولية علم الاجتماع في دراسة المواقف الاجتماعية، أي دراسة السلوك الإنساني بما يتضمنه من سمات المواقف الفردية وموقف اجتماعي تؤثر فيه عوامل متعددة فالسمات الفردية (نفسية وجسمية) بينما الموقف الاجتماعي (بناء اجتماعي وثقافة).²

والعلاقات بين الأطباء والمرضى داخل تنظيم المستشفى هي:³

1. الاتصال واللغة: يقصد بها اللغة التي يستخدمها الأطباء مع المرضى، وكيفية استخدام اللغة بمهارة تساعد على إثراء التفاعل بينهم، وهو أمر يؤثر بدوره على الانسجام والتكامل وفعالية العلاج والتنظيم العلاجي.

2. التوقعات المتبادلة: ينظر إلى الثقة المتبادلة على أنها عنصر حاسم في العلاقات العلاجية الفعالة.

3. إيجابية الطبيب ومشاركة المريض: الأطباء يمكن لهم أن يزيدوا من فعالية نشاطهم العلاجية من خلال زيادة مشاركة المريض.

4. الجوانب الأدائية أو التعبيرية: تترك تأثيراً كبيراً على رغبة مرضى المستشفى في العودة إلى نفس الطبيب.

5. تؤثر العلاقة بين الأطباء والمرضى، وذلك لعدة أسباب منها: تناقض التوقعات، اختلاف الرأي، تؤثر برجع لعدم إنجاز الطبيب لدوره، تؤثر برجع لعدم إنجاز المريض لدوره.

أهداف المستشفى:

¹ .نادية عمر، العلاقات بين الأطباء والمرضى(دراسة في علم الاجتماع الطبي)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993، ص 36،35 .

² . علي المكايي، علم الاجتماع الطبي(مدخل نظري)، مرجع سابق، ص 234 .

³ . علي عبد الرازق جلبي، حسن محمد حسن، علم الاجتماع الطبي، مرجع سابق، ص ص 199. 208 .

1. المستشفى يمثل نموذج التنظيم الذي به أهدافاً متعددة فهي مكان للإقامة ومدرسة ومعمل ومكان للعلاج في نفس الوقت.
2. تتمثل خدمات المستشفى في الرعاية الطبية والتعليم والتدريب والبحث، فالتدريب الأساسي هو الذي يكتسب منه الأطباء الخبرات القيمة.
3. يهدف للاستقرار الاقتصادي والمحافظة على خفض التكاليف مع تقديم الرعاية الأفضل بقدر الإمكان للمرضى.¹

تقسيم العمل في المستشفى:

المستشفيات منظمات مركبة تتميز بالتخصص التكنولوجي والأعمال والأدوار والعلاقات المتعددة، وبصفة عامة المستشفيات هي أماكن عمل من المفترض أن تكون الأهداف المشتركة لصالح الناس، وهناك مصادر متعددة للسلطة في المستشفيات مثل الإداريين والأطباء والممرضات والكل لديهم هرم وظيفي وواجبات محددة ومميزات معينة.²

والسمة التي يتميز بها تنظيم المستشفى تتمثل في تقسيم العمل، وذلك فيما يتعلق بالمهنة الطبية والخدمات الإدارية وغيرها من أقسام المستشفى، ويقوم كل قسم بوظيفة خاصة يفترض أن تعمل على إبراز أهداف المنظمة ككل، وهكذا يكون من الواجبات الأساسية الأخرى لمدير المستشفى التنسيق بين كل هذه الخدمات المتباينة في سبيل إيجاد نوع من النظام الرشيد، ولقد أدى تطور هذه التخصصات بطبيعة الحال إلى نوع من التدرج بين العاملين في المستشفى عبر الخطوط المهنية والتي تقسم مبدئياً إلى واجبات عمل مهنية وإدارية وغير مهنية.³

يقوم العمل في المستشفى على عملية التكامل، فالعمل الذي تقوم به العيادات الخارجية ثم الأقسام المختلفة للمستشفى يحقق الأهداف النهائية للمؤسسة في تقديم خدماتها العلاجية، ومعنى ذلك أن تقسيم العمل في المستشفى بين الجماعات يؤدي إلى التساند، فأعضاء الجماعة يحتاج كل منهم للآخر، والحاجات المتبادلة تربط الجماعات معاً، وهذا النمط من التكامل الجماعي المترتب على تقسيم العمل يعتبر تكاملاً عضوياً، وهناك نمط من التكامل يحدث عندما يعمل الأفراد في عمل متشابه، فيسمى التكامل حينئذ تكاملاً ألياً كالتكامل الذي يحدث بين أعضاء هيئة التمريض

¹. محمد علي محمد وأخرون، دراسات في علم الاجتماع الطبي، مرجع سابق، ص 332 .

². ديفيد هانا، ترجمة: حسن محمد العوضي، المؤثر الإرشادي عن علم الاجتماع الطبي، مركز تعريب

العلوم الصحية، الكويت، 2007 م، ص 215.

³. محمد علي محمد وأخرون، دراسات في علم الاجتماع الطبي، مرجع سابق، ص 337 .

في المستشفى والعمل المتشابه هنا هو العمل الذي تعمله جماعة معينة في مقابل عمل الجماعة الأخرى المختلف كعمل جماعة الأطباء مثلاً.¹

المستشفى كنسق اجتماعي:

يعتقد كثير من الأطباء أن مرضاهم أصبحوا الآن على درجة كبيرة من الوعي الصحي ومعرفة كل ما يتعلق بالصحة والمرض أكثر مما كان في الماضي وربما يرجع ذلك في نظرهم لانتشار وسائل الإعلام، وهذا بدوره أثر على تغيير آمال المريض وتوقعاته عند زيارته لاستشارة الطبيب، ومن هذه التغيرات نظرة و"اتجاه" المريض إلى الدواء، فقد نشأت هذه التغيرات من طبيعة النقد الذي يوجهه المريض إلى وصفات الطبيب الطبية، وعادته في وصفها، فذهاب المريض لاستشارة الطبيب أصبحت لا تعني الذهاب من أجل النصيحة والطمأنينة، وأصبح المريض الآن يساهم في وصف العلاج، وأصبح المريض يترك الطبيب الذي يعتمد على وصف العلاج فقط ويتردد على الطبيب الذي يهتم بالفحص أكثر.²

من أهم واجبات العاملين بالمستشفى التشخيص المبكر للمرض، ومعرفة عوامل إضرار الصحة وبالتالي العلاج السريع للمرض، وإذا كانت المستشفى تقوم برعاية المرضى، فإن عملية الرعاية تتضمن علاقة كما تتضمن العلاقة موقفاً والخدمات الصحية الرسمية حالياً يقدمها فريق النسق الطبي، ويضم الأطباء والمرضى والصيادلة وأخصائي الأشعة والتحليل الطبية، وظلت الصورة العامة للمستشفى لمدى طويل تنحصر في كونها بناء يدخله المرضى للاستشفاء، كما تركز اهتمام القوى العاملة الطبية في الممارسات الطبية المباشرة فقط من فحوص وتحاليل وأدوية وعلاج دون أن يوجهوا بعض اهتمامهم إلى البناء الاجتماعي للمستشفى أو الثقافة الخاصة بها أو حتى العوامل الاجتماعية والثقافية التي تكمن خلف المريض.³

تعتمد علاقة الأطباء بمرضاهم على قيم ومفاهيم المجتمع، وعلى ظروف معينة وتوقعات فردية، وهذه التوقعات تتشكل بالمرجعيات مثل: مهنة الطب أسرة المريض، وأصبح المريض له مكانة في المجتمع أكثر رسوخاً واحتراماً عن الماضي، فالأطباء والمرضى لهم أدوارهم الاجتماعية

¹. حسين عبدالحميد أحمد رشوان، دور المتغيرات الاجتماعية في الطب والأمراض (دراسة في علم الاجتماع

الطبي)، الطبعة الرابعة، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2010 م، ص 246، 247.

². نادية عمر، العلاقات بين الأطباء والمرضى (دراسة في علم الاجتماع الطبي)، مرجع سابق، ص

. 165.164

³. علي المكاوي، علم الاجتماع الطبي (مدخل نظري)، مرجع سابق، ص 234، 235.

المحددة بواسطة الثقافة بجانب أدوارهم الشخصية والمكانة الظاهرية للطبيب تدعمها المكانة الكامنة أو مكانة المهنة.¹

وعلاج المريض بالمستشفى لا يتم على يد الطبيب بمفرده، وإنما يقوم به فريق متكامل يرأسه الطبيب حيث يصدر الأوامر، ويتخذ القرارات الأولية ويوجه الأنشطة المختلفة للمساعدة المتخصصة في العلاج، ومن بين هذا الفريق الممرضة التي لها الدور الأكثر أهمية، فهي التي يراها المريض كل يوم بل وعدة مرات يومياً، ويأتي الأطباء بعد الممرضات من حيث القيام بالدور العلاجي الأكثر أهمية حيث نجد أكثرهم داخل المستشفيات يتابعون المرضى، ولعل اعتبار المستشفى نسقاً اجتماعياً وثقافياً يسهم في حث أعضاء النسق الطبي على التركيز على العوامل الأخرى المؤثرة في آلام المريض ومرضه، وفي الشفاء والاتجاه العام نحو الآخرين وبالتالي فهم المرضى الذين يدخلون المستشفى، ومساعدتهم ويقدم هذا الفهم أفكاراً جديدة عن دور الأطباء والممرضات والفنيين والعمال في تدعيم النسق السلوكي بالمستشفى أو تعديله لتطوير أداء الخدمة الصحية، وكذلك التعرف على تأثير هذا النمط على أعضاء النسق الطبي من حيث أنماط التفاعل بينهم وأساليب الاعتماد المتبادل والعلاقات المتداخلة بينهم وانعكاس ذلك على طريقة أدائهم للخدمة، وبالتالي التركيز على طبيعة التفاعل بين الأطباء والممرضات والفنيين والعمال وعلى كيفية إكمال الممرضة لدور الطبيب في العلاج، ودور هؤلاء الفنيين في مؤازرة الطبيب في التشخيص والعلاج، وكذلك تأثير العلاقات الودية بين أعضاء النسق الطبي والمرضى في كفاءة الأداء المهني للخدمة وتحقيق الشفاء للمريض.²

بعض المشاكل التي تعاني منها المستشفيات العامة في المجتمع:

مشكلة عدوى المستشفيات وأضرارها:

أصبحت عدوى المستشفيات إحدى المشاكل الصحية التي تترك العاملتين في قطاع الرعاية الصحية في كل دول العالم، وهي العدوى الميكروبية التي تحدث للمريض الذي دخل المستشفى للعلاج من مرض آخر، وأعداد الإصابات بعدوى المستشفيات أصبحت كثيرة جداً حيث تعتبر حالياً من أهم الأسباب من وراء حدوث الوفيات في المرضى المقيمين بالمستشفيات، والذين يتلقون العلاج، ومن المعروف أن أكثر الأماكن في المستشفيات التي تحدث فيها عدوى هي وحدات

¹. ديفيد هاناي، ترجمة: حسن محمد العوضي، الموجز الإرشادي عن علم الاجتماع الطبي، مرجع سابق،

ص 155.

². علي المكاوي، علم الاجتماع الطبي (مدخل نظري)، مرجع سابق، ص. ص 242.239.

العناية الفائقة وأقسام الجراحات الكبرى وأقسام العظام، وتسبب العدوى التي تحدث للمريض داخل المستشفى أو بعد خروجه من المستشفى في مرحلة التعافي عدة مشاكل منها:¹

1. تسبب إعاقة وضعف في بعض وظائف المريض نتيجة عدوى ميكروبية تصيبه خلال عملية جراحية في بعض الأحيان.

2. تسبب عدوى المستشفيات إطالة مدة بقاء المريض وتزيد من تعقيد حالته الطبية فيزيد المريض توتراً وضغط نفسي يكون أثره سيء على المريض ويتأخر شفاؤه.

3. تعتبر عدوى المستشفيات أحد الأسباب الرئيسية التي تؤدي للوفيات في المرضى الذين يعالجون في المستشفى.

4. عدوى المستشفيات تسبب خسائر مالية كبيرة للفائمين والمسؤولين في قطاع الصحة، فالمريض القادم إلى المستشفى لعلاج مرض واحد يجد نفسه يعالج في أمراض أخرى.

5. زيادة فترة إقامة المريض بالمستشفى للعلاج تسبب خسائر مالية للدولة وللمريض.

6. إطالة بقاء المريض في المستشفى ينتج عنه خسائر مالية غير مباشرة في الدولة نتيجة عدم ذهاب المرضى للعمل، وهذا له نتائج اقتصادية.

7. الميكروبات المسببة لعدوى المستشفيات يمكن أن تنتقل إلى المجتمع المحيط بعد خروج المريض أو ينقلها العاملون أو الزوار، وهذا له مخاطر صحية عامة، وإذا كان من الميكروبات المضادة للعديد من المضادات الحيوية، فهذا سيكون له تأثير كبير في المجتمع.

مشاكل نقص الأدوية بالمستشفيات العامة:

الدواء: هو مادة أو مجموعة من العقاقير توصف من أجل العلاج أو للوقاية من حالة مرضية، وقد يكون الدواء من أصل نباتي أو حيواني أو صناعي.²

الدواء مادة يقصد باستعمالها من أجل التشخيص أو التخفيف أو المعالجة أو الشفاء أو الوقاية من المرض عند الإنسان، ومن خاصيات الأدوية هي تنوع فعلها وتأثيرها على الجسم، وتكمن

¹ . الطاهر التابث، عدوى المستشفيات : حدوثها وأضرارها، الجزء الأول، المخلفات الطبية، 24 أكتوبر 2020

م .

² محمود طلوزي وآخرون، مبادئ وأساسيات علم الصيدلة، دار القدس للعلوم، دمشق، سوريا، 2003، ص

أهمية هذه الخاصية من الاستعمال للأدوية في معالجة العديد من الحالات الشائعة والنادرة التي تحدث فعلياً لأجهزة الجسم وأنسجته وخلاياه.¹

في السنوات الأخيرة تم توثيق حالات نقص الأدوية الأساسية في معظم أنحاء العالم وثمة قاسم مشترك بشأن حالة النقص هو أن الأدوية المرجح أن تورد هي معظمها منتجات قديمة أو غير حائزة على براءة اختراع أو يصعب تحضيرها، وأن مواعيد صلاحيتها محددة بدقة ولا يوردها سوى قلة من المصنعين أو مصنع واحد، ومن الأسباب التي تقف وراء حالة النقص في بلدان كثيرة هي مواجهة صعوبات الحصول على المواد الخام ومشكلات التصنيع والحوازر أمام المنافسة والقرارات التجارية أثر التكنولوجيات الجديدة ، وهناك إجراءات للحد من مشكلة نقص الأدوية وهي كالآتي:²

- 1- إجراء تقييم سليم لتحديد المنتجات المعرضة لخطر النقص.
 - 2- إبرام اتفاق عالمي بشأن إجراءات تقليل حالات النقص.
 - 3- توسيع نطاق التعاون التنظيمي بشأن الأدوية الأساسية المعرضة لحالات النقص.
- مشاكل تعرقل أداء المستشفى كمنسق صحي رسمي:

توجد العديد من معوقات للمستشفى من خلال متغيرات تؤثر في العلاقة بين الأطباء والمرضى وانتشار معتقدات للمرضى، وتبني أنماط في الاستجابة للمرض والعلاج تتجاوز النسق الطبي الرسمي ويتمثل تؤثر العلاقة بين الأطباء والمرضى في تناقض التوقعات بينهما واختلاف الرأي حول تشخيص المرض وعلاجه، ويتضح تناقض التوقعات في توقع الطبيب أن يكون المريض مطيعاً لتعليماته وأن يقتنع بإجراء الفحوص الطبية، ويتوقع المريض أن يقتنع الطبيب بنوع العلاج الذي يراه مناسباً ومحاولة كل منهما استخدام أسلوبه المؤثر في الآخر، ويظهر الاختلاف في الرأي حول تشخيص المرض وعلاجه.³

وتتضح المعوقات في نقص التكنولوجيا المناسبة داخل المستشفى لشفاء المريض، وعدم إنجاز الطبيب لدوره وعدم العناية بالمريض كإنسان والاختيار بين المرضى في تقديم الخدمات، كذلك تتضح معوقات إنجاز الطبيب في عدم طاعة المريض والتعاون معه ونسيانه لمواعيده، أيضاً من

¹ . howard c ansei ترجمة: أحمد شوقي جندي وآخرون، الأشكال الصيدلانية الجرعية ونظم إيتاء

الدواء، المركز العربي للترجمة والنشر، دمشق، سوريا، 2001، ص 5.1.

² معالجة حالات نقص الأدوية عالمياً، منظمة الصحة العالمية، الدورة 38 ديسمبر 2015 ص . 1 . 5.

³ . علي عبد الرازق جلبي، حسن محمد حسن، علم الاجتماع الطبي، مرجع سابق، ص 214.

المعوقات تبني المرضى تفسيرات للمرض لأسباب غيبية أو مادية أو غيرها وهذه المعتقدات توجه سلوكهم نحو العلاج من خلال مجموعة ممارسات علاجية أو ما يعرف بالطب المنزلي أو ممارسات أدى معالجين شعبيين، والكشف عن هذه المعوقات من العلاقات والتفاعلات تزداد أهمية على بقية العلاقات في النسق ويتوقف عليها قيام هذا النسق بوظيفته وظهور المعوقات التي تحول دون ذلك.¹

فالطبيب الذي يتوقع منه أن ينفذ حياة مريض يجب أن يكون سريع الاستجابة لمتطلبات مرضاه؛ لأن الطبيب الذي لا يسرع لمساعدة مرضاه في أي وقت يطلب فيه غالباً ما يفقد مكانه في المجتمع، ومن المميزات التي يجب أن يتمتع بها الطبيب في مركزه هو أن يكون سلوكه الشخصي ذا مستوى رفيع، ومن المعروف أن أي نقد يوجه إلى الطبيب لا يكون نقد في تخصصه أو عدم قدرته العلمية بقدر ما يكون موجه إلى سلوكه الشخصي.²

الخلاصة: علاج المشاكل التي تدور حول المستشفى والتي تؤثر على المرضى داخله:

إن الخدمة العلاجية الطبية الناجحة تتطلب أن يتربط ويعمل ويتعارف جميع العاملين بالمستشفى حتى يمكن تحقيق العناية والاهتمام بالمرضى، فالطبيب يقوم بكتابة تقرير عن المريض ووصف الدواء والصيدلي يقوم بتجهيز ما قرره الطبيب من أدوية، والمرضة تقوم بتنفيذ ما قرره الطبيب من علاج، ولهذا لا بد من وجود تعاون بين الطبيب والمرضة وأخصائي التغذية والأخصائي الاجتماعي، كما أنه لا بد من وجود تعاون بين الأطباء المتخصصين في المجالات الطبية المختلفة، ويجب أن تبنى هذه العلاقات على أساس الاحترام المتبادل والإخلاص، وتزداد الأمراض في حالة ظهور صراع يعترى البناء الاجتماعي، ويتداخل السلوك الذي تشير إليه مصطلحات "التعاون، التنافس، الصراع" بعضه مع الآخر بمعنى أنه يكون في كل موقف اجتماعي قدر معين من هذه العمليات.³

فالناس عندهم استعداد للثقة في حكم الطبيب وهذه الثقة تزداد وقت الأزمات، ولكن غالباً ما يبحث عن المشورة عند ظهور أعراض، والتي بحكم الخبرات تجد الفائدة عند النصيحة الطبية، وفي أغلب الأحوال لا يشتكي الناس من الأطباء، وذلك يعكس أدوارهم كمرضى، ولكن أحد الأسباب الهامة هو عدم الكشف عن المشكلة التي من أجلها تمت عملية الاستشارة لأسباب متعددة

¹ . المرجع السابق . ص215،216.

² . نادية عمر، العلاقات بين الأطباء والمرضى، مرجع سابق، ص154،155.

³ . حسين عبد الحميد أحمد رشوان، مرجع سابق، ص245.

قد يخفي المرضى مشكلته الطبية الحقيقية، ويعتقدون أنه على الطبيب أن يتفهم وراء ما يقولون، أي أن نفهم الناس مثلما يراهم الغير، وهذا من ضروريات الحياة الاجتماعية والتعاطف معهم وبما يشعرون به، وفهم الناس من خلال أعينهم بالوقوف خلفهم ورؤية ما يرونه، وهنا يجب على الأطباء أن يقضوا وقتاً لمعرفة مرضاهم فقد أشارت كثير من الدراسات إلى أن المرضى يرغبون في معلومات أكثر عن مرضهم وعلاجه سواء في المستشفى أو في المجتمع، وهناك عامل عدم ثقة المريض خاصة في الخدمات الطبية الحكومية، ومشكلة المرضى الذين لا يتذكرون ماذا قيل لهم، وقد يكون ذلك بسبب القلق والاصطلاحات الطبية أو بسبب الاكثار من التعليمات التي أعطيت في إطار خاطي، وبالتأكيد فإن الاتصال الأفضل يؤدي إلى حال أفضل، وقد تبين أن آلام العمليات يمكن تخفيفها بإعطاء العلاج وبنقاش أكثر مع المرضى.¹

وكان لزيادة الوعي الصحي لدى المرضى الأثر المباشر في زيادة قدرتهم على توجيه الأسئلة للطبيب والخاصة بأعراض المرض وعلاجه وازدياد الاتجاه من المرضى نحو العناية الطبية المقدمة لهم، والمريض أصبح أكثر مقاومة للعلاج، وهذا يجعل الطبيب يتبع سياسة معينة، وهي أخذ رأي المريض في العلاج، ولذلك يرى كثير من المرضى الآن أن الطبيب هو الشخص المناسب للتعامل معه والافصاح له بكل مشاكلهم العائلية، ونجد أن المريض لديه قدرة على اختيار طبية لتوعية من صديق أوجار أو لأنه سمع عن قدرته العلمية والتكنيكية في علم الطب وقد توصل البحث إلى التوصيات الآتية:

1. إيجاد حلول للمشاكل التي تعاني منها المستشفيات العامة وخاصة المشاكل التي تتعلق بعدوى المستشفيات، ونقص الأدوية، والمعدات اللازمة، والأجهزة الطبية الحديثة.
2. العمل على تحسين العلاقة بين الأطباء والمرضى أثناء تلقي العلاج والخدمات الطبية داخل المستشفى، والعمل على استقبال المرضى في أي وقت، وفي جميع الظروف.
3. تنظيم سير العمل داخل المستشفى، وإنهاء حالة الصراع والتوتر بين الفريق الطبي حتى يتمكن أفراد المجتمع من تلقي العلاج، والخدمات الطبية.
4. النهوض بالمستشفيات العامة والرفع من مستوى أداؤها داخل المجتمع حتى تقوم بمهامها وفق معايير عالية الجودة.
5. الاهتمام بنشر الوعي الصحي بين أفراد المجتمع وإتباع التعليمات الطبية.

¹. ديفيد هاناوي، ترجمة: حسن محمد العوضي، مرجع سابق، ص 161، 162.

قائمة المصادر والمراجع

1. حسين عبدالحميد أحمد رشوان، دور المتغيرات الاجتماعية في الطب والأمراض (دراسة في علم الاجتماع الطبي)، الطبعة الرابعة، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2010 م.
2. ديفيد هاناوي، ترجمة: حسن محمد العوضي، الموجز الإرشادي عن علم الاجتماع الطبي، مركز تعريب العلوم الصحية، الكويت، 2007 م.
3. علي المكاوي، علم الاجتماع الطبي (مدخل نظري)، دار النصر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2009 م.
4. علي عبدالرازق جليبي، حسن محمد حسن، علم الاجتماع الطبي، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، مصر، 2005 م.
5. محمد علي محمد وآخرون، دراسات في علم الاجتماع الطبي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2012 م.
6. محمد سيد فهمي، مصطفى شفيق، أسس الخدمة الطبية والتأهيلية من منظور الخدمة الاجتماعية، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، 2013 م.
7. محمد الجوهري وآخرون، علم الاجتماع الطبي، دار المسيرة، عمان، الأردن، 2009 م.
8. محمد طلوزي وآخرون، مبادئ وأساسيات علم الصيدلة، دار القدس، دمشق، سوريا، 2003 م.
9. نادية محمد السيد عمر، علم الاجتماع الطبي (المفهوم والمجالات)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2005 م.
10. نادية عمر، العلاقات بين الأطباء والمرضى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1993 م.

11. نجلاء عاطف خليل، في علم الاجتماع الطبي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2006.

12. howard c ansel lod v allen jr Nicholas g popovich

ترجمة: أحمد شوقي جنيدي وآخرون، الأشكال الصيدلانية الجرعية ونُظُم إيتاء الدواء، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق، سوريا، 2001 م.
الرسائل والتقارير العلمية:

1. أكرم عبدالسلام بن رابعة، يونس هدية فرج البوسيفي، تحديد أهم العوامل المسؤولة عن تدهور القطاع الصحي الحكومي في ليبيا: من وجهة نظر الإدارة في بعض المستشفيات الحكومية في مدينة طرابلس، ليبيا، المؤتمر العلمي الدولي الثالث لكلية الاقتصاد والتجارة، ليبيا، 12.11 نوفمبر 2019 م.

2. علي عبدالجليل الغزالي، جودة الخدمات الصحية وعلاقتها برضا المرضى (دراسة ميدانية على المستشفيات العامة الواقعة في نطاق مدينة بنغازي)، رسالة ماجستير في الإدارة، قسم الإدارة، كلية الاقتصاد، جامعة بنغازي، ليبيا، 2014 م.

3. بركات أحمد عبدالقادر، تقييم أداء الخدمات الصحية في المستشفيات العامة الليبية (دراسة نظرية ومقارنة على بعض المستشفيات العامة العاملة بمدينة بنغازي)، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، جامعة بنغازي، كلية الآداب والعلوم المرج، ليبيا، العدد 8 أكتوبر 2015 م.

4. نجات محمد المهدي، المستشفيات العامة في مدينة طرابلس: توزيعها وخدماتها بين الواقع والمستهدف، مجلة كلية الآداب، جامعة طرابلس، ليبيا، العدد الرابع والعشرون الجزء الثاني ديسمبر 2017 م.

5. وليد أحمد محمود تيلخ، أثر جودة الخدمة الصحية على رضا المستفيدين منها في المستشفيات العامة والخاصة في الأردن، دراسة مقارنة، (رسالة ماجستير)، جامعة عمان العربية، كلية الأعمال قسم التسويق، الأردن، 2010 م.

تأثير الحضارة العربية الإسلامية على الحضارة الأوروبية

إعداد : د. جمال أحمد الموير

المقدمة

كان تأثير الحضارة الإسلامية على الحضارات الأخرى واضح في العديد من مناطق العالم التي حافظت على كنوز العمارة الإسلامية وتأثرت بها، وذلك لاحتوائها على آثار فريدة ذات مهارة فائقة ابتكرها صناع مسلمون، أو معماريون منضويين تحت لواء الإسلام، فهناك منطقة لم تعد تخضع لحكم المسلمين، قد نشأت بها حضارة ظلت قروناً عديدة ذات صلة وثيقة بالعالم الإسلامي، تضم الجزء الأعظم من شبه الجزيرة الأيبيرية، وتحديداً الأندلس والتي سوف يتناولها بحثنا هذا كنموذج في تأثيرات الحضارة العربية الإسلامية في فن العمارة على الأندلس وصقلية، وهي تمثل بعض الجوانب المشرقة التي تميزت بها الحضارة العربية الإسلامية في ذلك القطر الثاني، والتي ما هي إلا امتداد لحضارة العرب والمسلمين في المشرق، ويظهر فيها فضل المسلمين ودورهم في تاريخ الحضارة الإنسانية وتأثيرهم على الحضارة الأوروبية في شتى المجالات العلمية والثقافية ولاسيما فن العمارة والفنون.

كان ظهور الإسلام إيذاناً بمولد الدولة العربية الإسلامية، وأصبح العرب رسل الحضارة الإسلامية، وبدأوا يدخلون التاريخ من أوسع أبوابه، وعملت الدولة الوليدة على نشر الإسلام والثقافة العربية، فكانت الفتوحات العربية الإسلامية في عهد الخلفيتين الأولين أبي بكر وعمر بن الخطاب - رضي الله عنهما، فتم القضاء على الدولة الفارسية، واستولى العرب المسلمون على الشام ومصر من الدولة البيزنطية، ثم توالى الفتوحات في العصر الأموي، فاستولى المسلمون على بقية شمال إفريقيا، ثم غزوا القارة الأوروبية، فاستولوا على شبه جزيرة إيبيريا وجنوب فرنسا، واستمرت العرب المسلمون في غزو أوروبا

حتى استولوا على جزر البحر المتوسط الأوروبية، وإيطاليا، ونجحوا في تثبيت أقدامهم ونشر دينهم وحضاراتهم في أرجاء كثيرة من القارة الأوروبية⁽¹⁾.

كانت أوروبا قبل الفتح الإسلامي، باعتراف جميع المفكرين الأوروبيين تسبح في الظلام، وتعاني ن التأخر والفقوضى، فنشر العرب بها حضارتهم، وأبدلوا إظلام أوروبا بنور من العلم والعرفان والمدنية، وأرسوا قواعد حكومة عادلة، تحرص على تحقيق الحرية والمساواة وتعمل لصالح رعاياها من الأوروبيين، وأصبح العرب أساتذة للأوروبيين، يلقنهم أسس الحضارة العربية الزاهرة، ومكتب العرب في صقلية وجنوب إيطاليا ثلاثمائة سنة تقريباً، فاستعرب أهل تلك المناطق وأصبحوا يتكلمون اللغة العربية، فقد كتبت إسبانيا العربية الإسلامية صفحة من أروع صفحات التاريخ الحضاري لأوروبا في العصور الوسطى، وكانت الحضارة الإسلامية أساس النهضة في أوروبا، وأوفدت دول أوروبا بعثات علمية إلى الأندلس العربية لتتلقى العلوم والأفكار العربية⁽²⁾.

من أبرز المفكرين الذين تحدثوا عن الحضارة العربية في حضارة أوروبا "غوستان لوبون" الذي وضع كتاباً قيماً بعنوان: "حضارة العرب" أنصف فيه العرب وتكلم على الأسس العربية للحضارة الأوروبية الحديثة، بقوله: كان تأثير العرب على الغرب عظيماً، وإلهم يرجع الفضل في حضارة أوروبا، ولم يكن نفوذهم في الغرب أقل مما كان في الشرق، ويرى "لوبون" أيضاً أن الحضارة العربية لم تدخل إلى أوروبا بنتيجة الحروب الصليبية كما هو الرأي الشائع، بل دخلت بواسطة الأندلس وصقلية وإيطاليا، ويقارن "لوبون" بين إسبانيا العربية وسائر أرجاء أوروبا فيقول: "تمتعت إسبانيا بحضارة سامية بفضل العرب، بينما كانت بقية أوروبا غارقة في ظلام وتأخر⁽³⁾.

واعترف المؤرخ (دينو) في كتاب "تاريخ غزوات العرب" بفضل العرب على حضارات أوروبا فقال: "أن النهضة الحقيقية في أوروبا لم تبدأ غلا منذ القرن الثاني عشر، حيث أفاق الفرنسيون والإنجليز والألمان ووجدوا ضرورة الاشتراك في الحضارة العربية،

(1) أنيس الأبييض: بحث في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، طرابلس، لبنان، 1994م، ص9.

(2) علي حسن الخربوطلي: العرب في أوروبا، دار المصرية للنشر، 1965م، ص4.

(3) غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة: أكرم زعيتر، لندن، 1964م، ص566.

فأخذ المسيحيون في فرنسا وما جاورها يؤمنون إسبانيا لترجمة الكتب العربية، وأصبح العرب المثل الأعلى للشجاعة والشهادة وعزة النفس ومكارم الأخلاق، وقال (ساريتو) في كتابه "الحضارة": إن ما أتت به الحضارة العربية في باب العلم، ولاسيما العلوم وتطبيقها أعظم بكثير مما أتت به في هذا السبيل الدولة البيزنطية، إذ أن الحضارة البيزنطية لم تأت بفكر جديد⁽¹⁾، عندما فتح المسلمون بلاد الأندلس، وعاشوا فيها نحو ثمانية قرون شيّدوا فيها لأنفسهم العمائر المختلفة من مساجد وقلاع وقصوراً كما أنشأوا الصناعات المختلفة، وأن حضارتهم كانت أرقى من حضارة أهل البلاد فتركت آثارها هناك، وخطت بالأندلس نحو التقدم خطوات واسعة، والواقع أن تأثير الحضارة الإسلامية في الأندلس كان قوياً سواء خلال فترة وجود المسلمين في البلاد أو بعد خروجهم منها، ففي الحالة الأولى، كان بعض الإسبان ممن عاشوا في ظل الدولة الإسلامية، فترة من الزمن قد أخذوا يهاجرون حاملين معهم بذور الحضارة الإسلامية وأسرار الفنون الزخرفية، وقد زرع المستقرون هذه البذور ونشروا تلك الأسرار في البلاد التي استقروا فيها، وفي الحالة الثانية، أي بعد خروج المسلمون من الأندلس، فإن مظاهر هذه الحضارة الإسلامية بقيت شاداً على روع الإنجازات الضخمة التي حققها الوجود الإسلامي، مما أتاح الفرصة للشعوب الأوروبية للاستفادة من هذه الإجازات، كما أنه قد نشأ على أكتاف المستعربين والمدجنين المسلمين الذين بقوا في إسبانيا بعد خروج المسلمين فيها، الطراز الوطني الإسباني الذي استحدثت منه الفنون الأوروبية الشيء الكثير⁽²⁾.

ويتضح لنا أن أثر المسلمين الحضاري على الإمارات الإسبانية في الشمال لم يقتصر على النواحي الثقافية والدينية والاجتماعية والتشريعات القانونية فحسب، بل شمل مجالات أخرى منها الفنون لاسيما فن العمارة والبناء⁽³⁾.

(1) علي حسن الخربوطلي: مرجع سبق ذكره، ص 114 - 115.

(2) فيصل حسون، "الإسلام والحضارة ودور الشباب المسلم، الرياض، 1979م، ص 218.

(3) إلى لامبير: تطور العمارة الإسلامية في إسبانيا والبرتغال وشمال أفريقيا، ترجمة: جليان عطا الله، بيروت، 1985م، ص 168.

لقد نقل المدجنون فن العمارة والبناء إلى مناطق متعددة من الشمال، وظهر أثر هذا الفن في إسبانيا النصرانية منذ القرن الرابع للهجرة / التاسع الميلادي، واستمر فيها وأثر على الكنائس، والبنائيات المدنية الأخرى، ويتميز هذا الفن، لاسيما في الكنائس، بوجود القباب التي ترتفع فوق أقواس على شكل حدوة الفرس⁽¹⁾.

وعندما نتكلم عن فن العمارة في صقلية فنجد "أن رجار" الأول الذي قضى ثلاثين عاماً في افتتاح صقلية أطرى جمال من البناء العربي في الجزيرة والمهارة العجيبة في تشييده، وذلك واضح ببناء حمامات جفلوذي، وبقايا القصور والحمامات (في القصر الملكي قرب بلرم) المعروف بالبحر العذب، فهي أقدم الآثار العمرانية العربية التي مازالت بقايتها في صقلية، ويلاحظ أن بناء هذه الحمامات وزخرفها لا يختلفان كثيراً عن بناء وزخرفة الحمامات العربية في الأندلس وفي العراق على عهد العباسيين، وتشاهد عليها الزخارف الكتابية المتمثلة في خطوط ملتبسة خارجة عن المألوف، وكتابات كوفية منمقة مع زخرفة أرابيسكية على شكل أوراق شجر متشابكة⁽²⁾.

ترجع أصول العمارة الإسلامية في الأندلس إلى عصر الدولة الأموية، فما كاد عبد الرحمن بن معاوية الداخل يظفر بإمارة الأندلس، ويستقيم أمره بها حتى شرع في تجديد ما طمس لبني أمية في المشرق من بهاء الخلافة وعظمتها، فبنى المسجد الجامع وقصر الإمارة بقرطبة، وكان دائماً في اشتياق إلى دمشق مسقط رأسه، فأقام مدينة الرصافة شمالي غربي قرطبة وبنى بها قصراً رائعاً أحاطه بالجنان والبساتين وأقام بقرطبة قصر دمشق، وأبدع في عمارته ليقلد به قصور أجداده بالمشرق⁽³⁾ (لوحة 1).

وفي عصر الخلافة الأموية أحاط خلفاء بني أمية وأمراؤهم دولتهم بكل مظاهر العظمة والفخامة، وكانوا بناة عظاماً، فجملوا عاصمتهم وعمروها بالأبنية التي تعتبر أروع

(1) مانويل جوميت مورينيوي: الفن الإسلامي في إسبانيا، ترجمة: لطفي عبد البديع، المجيد محمد عبد العزيز، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1977م، ص439.

(2) عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، الدار العربية للكتاب، الرياض، 1980م، ص112.

(3) محمد عبد المنعم الجمل: قصور الحمراء "ديوان العمارة والنقوش العربية"، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2004م، ص27 - 28.

ما جاء به الفن الأندلسي، وبلغت قرطبة في عصر عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر بالله قمة المجد وذروته من النواحي السياسية والفنية والمعمارية، فقد بلغت الأندلس في عهده مستوى من الثراء والرفاء منقطع النظير، فرأى أن يبني قصرًا يليق بجلال الخلافة وعظمتها، فبنى مدينة الزهراء على بعد خمسة أميال تقريباً غربي قرطبة على سطح جبل العروس، وشيد بها روائع القصور والقاعات والمجالس التي أُنظب في وصفها المؤرخون، وكانت أسقف هذه القصور من القراميد المذهبة، وعمدها من الرخام والمرمر، وجدرانها مكسورة بروائع الزخارف الرخامية والجصية⁽¹⁾. لوحة (2).

وأثبتت الحفريات الأثرية التي أجريت في أطلال مدينة الزهراء ابتداءً من عام 1911م، أن جدران المدينة والقصور كانت تتميز بتقانة البناء بالحجر المصقول، وتكسوها كسوات جرية وحصية دقيقة نحتت فيها توريقات قوامها ورقة الأكنثس ثلاثية الفصوص في صور شتى، كما كسيت عضادات الأبواب بكسوة رخامية تزدان بزخارف نباتية مورقة ومحفورة حفرًا غائرًا يبرز التباين بين الظل والضوء، أما تيجان الأعمدة فأتسمت جميعاً بطابع مميز فريد من نوعه، وإن كانت تميل إلى النوع الكورنتي، وقد أعيد استخدام هذه التيجان في عصر الفتنة عندما أصبحت أطلال الزهراء محجراً لبيع مخلفات القصور من تيجان الأعمدة ومرمر وتحف عاجية وأحجار كريمة مما كانت ترصع به أبواب المجالس والقاعات، ففي قصر اشبيلية مازالت أعداد كبيرة من تيجان الزهراء مستخدمة في قاعة السعر⁽²⁾، لوحة (3).

وفي عصر ملوك الطوائف تطورت العمارة والفنون الإسلامية تطوراً كبيراً وازدهر فن البناء، وبلغ العرفاء والفنانون الغاية في التفنن في التزيين والحشو الزخرفي، وكان للفن الخلافي بقرطبة الفضل في تشكيل الفن الزخرفي الأندلسي في عصر ملوك الطوائف، فقد استخدموا العقود المتقاطعة والمتشابكة التي تظهر فيها التوريقات المتداخلة إلى حد من

(1) ابن غالب: قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تحقيق: لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول، الجزء الثاني، القاهرة، 1955م، ص32.

(2) عبد العزيز سالم: العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها، مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني، العدد الأول، الكويت، 1977م، ص85.

التعقيد يستحيل معه المرء أن يتقصى امتداد خطوط العقود إذ هي تتداخل وتتشابك فيما بينها بطريقة ساحرة أخادة، ونلمس في فنون الزخرفة الأندلسية في هذا العصر سواء في سرقسطة أو في طليطلة وغرناطة، وملقة والمرية واشبيلية وغيرها من قواعد الأندلس تحراً مما كان يغلب عليها من جمود، كما نشهد حرية في الأداء ورشاقة في الحركة، وميلاً إلى التمجج والانتشاء والتداخل والتشابك⁽¹⁾ لوحة (4).

وتظهر بقايا قصر الجعفرية بسرقسطة لوحة (5)، وقصر القصب بملقة لوحة (6) مدى الغلو في الحشد الزخرفي، والمزج بين المنظر الطبيعي وفن البناء في صورة فنية رائعة، ويحتوي قصر الجعفرية على عناصر معمارية وزخرفية فريدة من نوعها كان لها الأثر في التأثير على العمارة الأندلسية خاصة في العناصر المعمارية والزخارف الجصية التي وصلت إلى قمة تطورها، وينسب بناء هذا القصر إلى أي جعفر أحمد المقندر بالله بن هود أشهر ملوك بني هود في سرقسطة فيما بين عامي 439هـ / 474هـ، ومن كنيته "ابي جعفر"، جاء اسم الجعفرية، وكان يضم قاعات ومجالس عديدة تعنى بها الشعراء مثل دار السرور ومجلس الذهب، وقد تحول هذا القصر إلى دير بعد سقوط سرقسطة في أيدي النصارى⁽²⁾.

وقد تبقى من القصر الإسلامي بعض بوائك من العقود المخصصة، وتتألف كل بائكة من ثلاثة عقود تعلوها بائكة أخرى، تتداخل فيها العقود المخصصة والمتشابكة إلى حد الغلو في التعقيد والتشبيك المعماري والزخرفي لوحة (6).

أما عن عصر المرابطين في الأندلس فيجب أن نذكر أن دولة المرابطين من الدول التي قامت في بلاد المغرب لمحاربة المارقين على الإسلام وتوحيد المغرب تحت راية الإسلام، بذلوا أرواحهم في سبيل نشر الإسلام في جنوب بلاد المغرب، وقد رأى المرابطون بعد عبورهم إلى الأندلس العمل على إعادة وحدتها ولم شتاتها، وجمع كلمة المسلمين تمهيداً للجهاد ضد الممالك الإسبانية، فأكثروا من بناء الأسوار والحصون

(1) محمد عبد المنعم الجمل، مرجع سبق ذكره، ص 30.

(2) محمد عبد المنعم الجمل: المرجع نفسه، ص 31.

والقلاع، حتى أنهم فرضوا ضريبة عرفت بالتعقيب، الهدف منها تمويل بناء الأسوار حول مدن الأندلس كالمريّة وغرناطة وأشبيلية، وابتكروا التحصين الأسوار وسائل جديدة مثل الأسوار المتعرجة التي تكثر فيها الزوايا التي تشكل عوائق أمام العدو المهاجم للمدينة، كذلك لجأ المرابطون إلى فتح أبواب ذات ممرات منكسرة داخل أبراج مفرغة، لتعيق العدو عند هجومه على المدينة، ويتمثل ذلك في باب قرطبة بسور اشبيلية⁽¹⁾.

وكان لانشغال الموحيدين كسلفهم المرابطين بالجهاد في الأندلس ضد قوى مسيحية صليبية متعددة الجنسيات أثره على العمارة العسكرية وتحصين المدن، فقد لجأوا إلى تحسين وسائل دفاعية جديدة مثل الأبواب المنكسرة، والأبراج متعددة الضلع ذات القدرة الدفاعية المتميزة عن الأبراج المربعة، أما إذا كانت المدينة الإسلامية تقع على شاطئ نهر فيستخدم سلسلة تشد ما بين برجين ينتصبان على ضفتي النهر لمنع سفن الأعداء من مهاجمة المدينة من جهة الشاطئ على النحو الذي كان متبعاً في اشبيلية ما بين برج الذهب، وأحد أبراج ربطها القبلي طريانة⁽²⁾.

كذلك أكثر الموحدون من إقامة القصاب الحصنة في أكثر مناطق المدينة ارتفاعاً للتحكم في العدو، إذا ما أقدم على حصار المدينة، ومن أمثلة تلك القصاب في الأندلس قسبة بطليوس، وقسبة تالفة، وقسبة اشبيلية، وقسبة غرناطة، وفي الوسائل التي توصل إليها الموحدون لتحسين وسائل الدفاع الإسلامي عن المدن والمواقع الإسلامية المعرضة للعدوان، استخدام الأسوار الأمامية، أو الأحزمة البرانية، بهدف وضع عوائق أمام العدو، أو إقامة خط دفاعي أمامي يعرقل تقدم العدو ويدعم النظام الدفاعي، كما توصلوا إلى فكرة إنشاء أبراج برانية تقام في المواضع الضعيفة من الدفاع خارج المدن لوحدة (7)، وترتبط بالأسوار الخارجية عن طريق قورجة أو جدار عمودي عليها⁽³⁾، هذا عن العمارة العسكرية، أما العمارة الدينية فقد تبقى من عصر الموحيدين في اشبيلية حاضرتهم في الأندلس

(1) عبد العزيز سالم: مرجع سبق ذكره، ص 102.

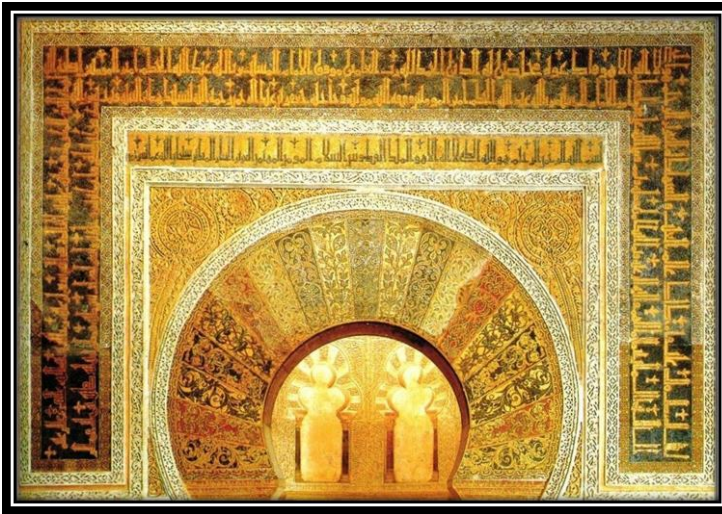
(2) عبد العزيز مرزوق: الفنون الزخرفية في المغرب الأندلسي، دار الثقافة، القاهرة، 1972م، ص 862.

(3) عبد العزيز سالم: المساجد والقصور، الإسكندرية، 1988م، ص 585.

محمود عبد المنعم الجمل: مرجع سبق ذكره، ص 35.

صومعة جامع القصبة المعروفة بالخير الدا، والمدخل الرئيسي للجامع المعروف بباب الغفران، بمصراعيه المصفتين بصفائح النحاس، وعقده المنفوخ المطل على الصحن ويقع في نفس محور الباب المذكور، ويتميز بزخارفه النباتية التي يكتظ بها باطن العقد والشريطان اللذان يكتفانها⁽¹⁾.

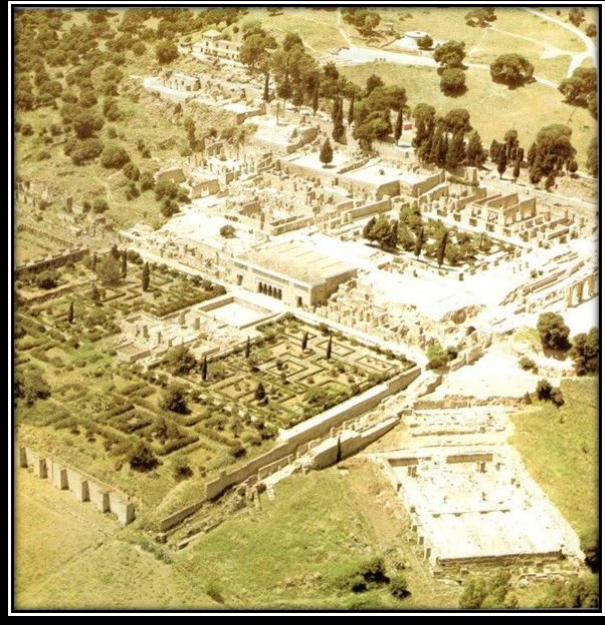
ويتضح لنا أن آخر طرز العمارة الإسلامية في الأندلس، وأعني به فن بني نصر سلاطين غرناطة، ويرجع إليهم الفضل في إنشاء مجموعة قصور الحمراء التي تضم عدداً من الوحدات المعمارية بعضها قاعات ومجالس وبعضها أبهاء وبساتين تتخللها الجداول والبرك الصناعية، شكل (1)، خطط لها فوق تل السبيكة الذي عرف بهذا الاسم لتحوّله إلى اللون الذهبي عندما تسقط عليه أشعة الشمس، وقد اتسعت الحمراء بما أضيف إليها من قصور وأبراج وقاعات ومرافق مختلفة ومتعددة الأغراض، حتى أصبحت بحق مدينة ملكية تضم القصور والحمامات والمساجد السلطانية والمنزهات وصهاريج المياه وتطوقها الأسوار والأبراج المحصنة⁽²⁾، لوحة (8).



لوحة رقم (1) محراب جامع قرطبة

(1) محمد عبد المنعم الجمل: مرجع سبق ذكره، ص 37.

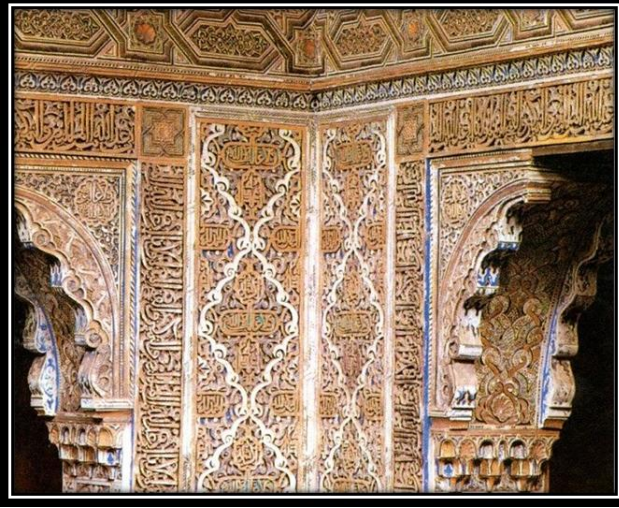
(2) محمد عبد المنعم الجمل: مرجع سبق ذكره، ص 37.



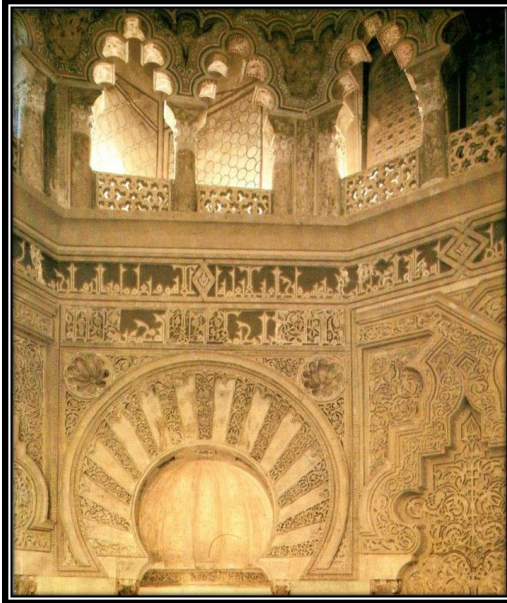
لوحة رقم (2) حفائر مدينة الزهراء



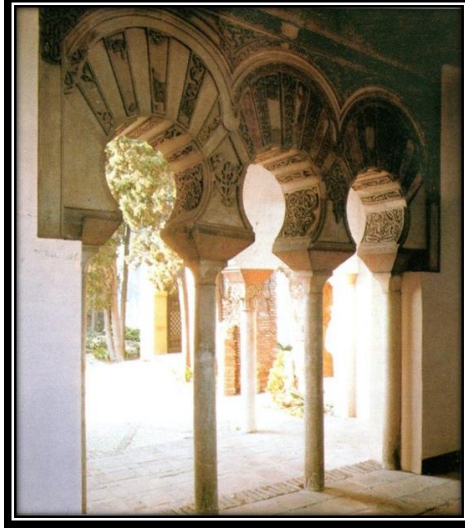
لوحة رقم (3) البائكة التي تتقدم المدخل إلى قاعتي البركة والسفراء



لوحة رقم (4) نقوش قاعدة الأسرة



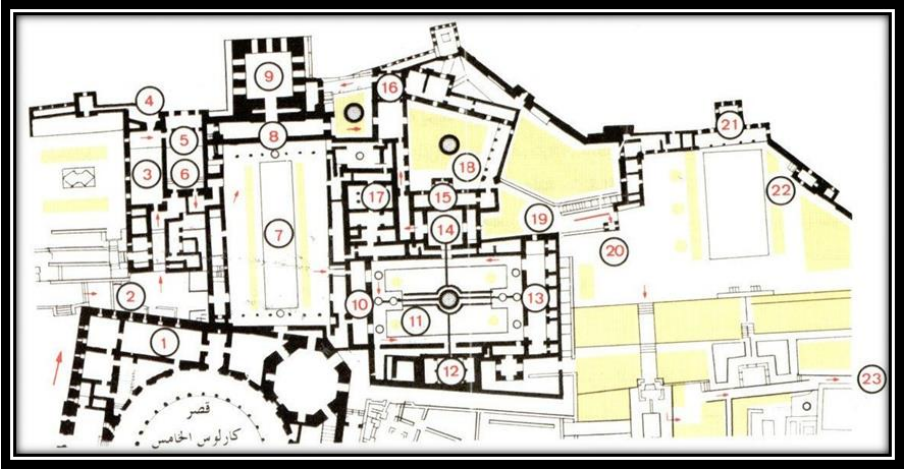
لوحة رقم (5) محراب المصلّى . قصر الجعفرية



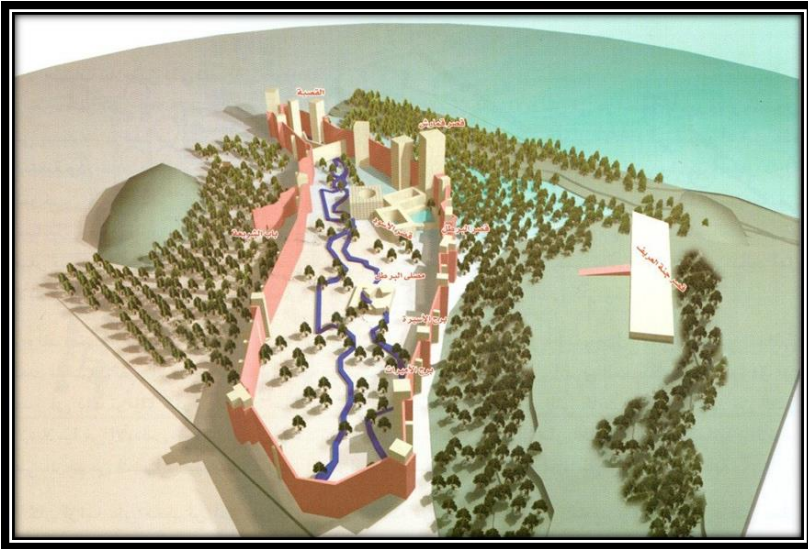
لوحة رقم (6) قصر بني حمود . قصبة مالقة



لوحة رقم (7) أبراج وأسوار الحمراء من الخارج



شكل رقم (8) مخطط القاعات والأبهاء في قصور الحمراء



لوحة رقم (9) منظور لأسوار وأبراج وقصور الحمراء

قائمة المصادر والمراجع

- 1- أنيس الأبيض: بحوث في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، طرابلس، لبنان، 1994م.
- 2- علي حسن الخربوطي: العرب في أوروبا، الدار المصرية للنشر، 1965م.
- 3- غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة: أكرم زعيتر، لندن، 1964م.
- 4- فيصل حسون، "الإسلام والحضارة ودور الشباب المسلم، الرياض، 1979م.
- 5- إلي لامبير: تطور العمارة الإسلامية في إسبانيا والبرتغال وشمال أفريقيا، ترجمة: جليان عطا الله، بيروت، 1985م.
- 6- مانويل جوميت مورينيو: الفن الإسلامي في إسبانيا، ترجمة: لطفي عبد البديع، المجيد محمد عبد العزيز، الهيئة العامة للكاب، القاهرة، 1977م.
- 7- عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، الدار العربية للكتاب، الرياض، 1980م.
- 8- محمد عبد المنعم الجمل: قصور الحمراء "ديوان العمارة والنقوش العربية"، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2004م.
- 9- ابن غالب: قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تحقيق: لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول، الجزء الثاني، القاهرة، 1955م.
- 10- عبد العزيز سالم: العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها، مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني، العدد الأول، الكويت، 1977م.
- 11- عبد العزيز مرزوق: الفنون الزخرفية في المغرب الأندلسي، دار الثقافة، القاهرة، 1972م.

المسائل النحوية عند المارغني من خلال كتابه: (النجوم الطوالع على الدرر

اللوامع في أصل مقراً الإمام نافع) دراسة وصفية تحليلية

إعداد: د. بشير علي خليل

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد، الذي أنزل ربه الفرقان على قلبه ليكون للعالمين نذيراً، وعلى آله وأصحابه الذين وعوا القرآن في صدورهم، وشغلوا بتلاوته وضبطه آناء الليل وأطراف النهار، عاملين بحلاله، ومجتنبين حرامه، ومؤتمرين بأوامره، ومنتهين عما نهى عنه، ففازوا بخيري الدنيا والآخرة، وطهرهم ربهم بذلك تطهيراً، وكساهم عزاً ومهابة وسروراً، وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد ، ، ،

فإن العلم بكتاب الله من أجل العلوم وأشرفها، والاشتغال بتدبر آياته وفهمها من خير ما يشغل به المؤمن وقته، فلم يحظ كتاب عبر تاريخ البشرية بمثل ما حظي به كتاب الله . تعالى . قراءة، وحفظاً، وتجويداً، ورسماً، وضبطاً، وفهماً، واستنباطاً، والقراءات محط أنظار أهل العربية، يؤمها العلماء لاستنباط الأحكام الفقهية من أحرفها المختلفة، والقواعد النحوية والتصريفية من أوجهها المقروء بها سواء أكانت متواترة أم شاذة، ومن خلال اطلاعي على كتاب: (النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقراً الإمام نافع، للعلامة المارغني لاحظت أن المارغني . رحمه الله . تناول المسائل النحوية خلال شرحه لنظم ابن بري . رحمه الله ؛ لذا آثرت أن أسير في الاتجاه الذي يربط بين اللغة والنص القرآني، حيث وقع اختياري على بحث عنونته بعنوان: (المسائل النحوية عند المارغني من خلال كتابه: (النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقراً الإمام نافع) دراسة وصفية تحليلية، وقد اقتضت طبيعة البحث ومنهجيته أن يقسم على خمسة مطالب

يسبقها تمهيد، وتتهيأ خاتمة، خصص التمهيد للتعريف بالمارغني . أما المطالب فكانت على النحو الآتي:

المطلب الأول- العلم المنقول.

المطلب الثاني- العامل في المفعول المطلق.

المطلب الثالث- تعدي الفعل ولزومه.

المطلب الرابع- حذف المضاف.

المطلب الخامس- حذف المضاف إليه.

أولاً - التمهيد

التعريف بالمارغني: اسمه، نسبه.

إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني، بكسر الراء وسكون الغين، نسبة إلى قبيلة بساحل: (آل حامد)، من أعمال (ليبيا)⁽¹⁾.

مولده:

ولد بتونس سنة: 1281هـ . 1349هـ⁽²⁾.

شيوخه:

تتلمذ المارغني على طائفة من العلماء كان لهم باع طويل في شتى العلوم، فقرأ على جماعة منهم: الشيخ: إسماعيل الصفايحي، والشيخ: سالم بو حجاب، والشيخ: عمار بن سعيدان، والشيخ: عمر بن الشيخ مفتي المالكية، وهو أخص شيوخه، وأكثرهم ملازمة له، وقراءة عليه، لاسيما في التفسير والحديث والمنطق، والشيخ:

¹ - ينظر تراجم المؤلفين التونسيين، لمحمد محفوظ: 229/4، ومعجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة: 41/1.

² - ينظر تراجم المؤلفين التونسيين، لمحمد محفوظ: 229/4.

محمد بيرم، والشيخ: محمد النجار، والشيخ: محمود بن الخوجة الحنفي، رئيس الفتوى، والشيخ: محمود بن محمود. وقرأ القراءات والتجويد على الشيخ: إبراهيم نور الدين، والشيخ: الشاذلي الصدام، والشيخ: محمد بن بالوشة، تخرّج عليه في القراءات السبع والعشر، حتى صار خليفته في علمه وخطته⁽¹⁾.

تلاميذه:

فاق المارغني أقرانه في شتى العلوم فكان من الطبيعي أن ينهل منه، وينتفع به، ويتلمذ عليه، فقد تتلمذ على يديه بعض من أهل العلم، حيث تتلمذ عليه: الشيخ: أحمد العياري، والشيخ: بلحسن النجار، والشيخ: حسن السناوني الغدامسي، والشيخ: حمودة بن يحيى، والشيخ: صالح الكراوي، والشيخ: الطيب السبعي، والشيخ: الطيب السائلة، والشيخ: عبد السلام التونسي، وابنه: عبد الواحد، والشيخ: عثمان بن الخوجة، والشيخ: محمد البشير النيفر، والشيخ: محمد الجديد، والشيخ: محمد الصادق النيفر، والشيخ: محمد العزيز جعيط، والشيخ: محمد الطاهر بن عاشور⁽²⁾.

سيرته:

دخل المارغني الكتاب فحفظ القرآن، ثم التحق بجامعة الزيتونة، فأخذ القراءات والتجويد، ودرس كتب التوحيد والقراءات والفقه، والبلاغة والعربية، والفرائض، والميقات، والعلوم الرياضية، والأدب والتفسير والحديث والأصول، حصل على شهادة التطويح سنة: 1299 هـ . 1882م، ولي مدرساً من الطبقة الثانية في التجويد والقراءات سنة: 1312 هـ . 1895م، ثم عيّن مدرساً في السنة نفسها بالمدرسة العصفورية، ثم سمّي مدرساً من الرتبة الأولى سنة: 1314 هـ . 1897م، ثم ولي عضواً نائباً بالمجلس المختلط العقاري سنة: 1326 هـ . 1908م، وأصبح عضواً

¹ - ينظر السابق: 229/4.

² - ينظر تراجم المؤلفين التونسيين، لمحمد محفوظ: 229/4، 230.

رسمياً سنة: 1337هـ . 1919م، وبعد مضي عام بَدَل تدريسه في القراءات بتدريس سائر العلوم⁽¹⁾.

مؤلفاته:

- 1 . بغية المرید بجوهرة التوحيد، المطبعة التونسية: 1344هـ . 1926م.
- 2 . تأليف في القراءات على نسق غيث النفع، أوجز منه وأوضح.
- 3 . حاشية على شرح ابن القاصح للشاطبية. لم يكمل.
- 4 . الشذرات الذهبية على العقائد الشرنوبية، طبع بتونس سنة: 1341هـ، وطبع مرة أخرى بمطبعة المنار بتونس، سنة: 1372هـ . 1953م.
- 5 . شرح دليل الحيران على مورد الظمان في رسم القرآن، ومعه شرح لطيف يسمى: (تنبيه الخلان على الإعلان بتكميل مورد الظمان في رسم باقي السبعة الأعيان، طبع بتونس، سنة: 1325هـ.
- 6 . شرح على البيقونية.
- 7 . شرح على رسالة الوضع.
- 8 . شرح على العقيدة الوسطى، للسنوسي. لم يكمل.
- 9 . شرح على المرشد المعين. لم يكمل.
- 10 . شرح في جهات العسوية السبع، شرحه تلميذه محمد المكني.
- 11 . شرح النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في مقراً الإمام نافع، طبع بتونس، سنة: 1322هـ، وطبع سنة: 1354هـ، ثم أعادت طبعه دار الطباعة الجديدة بالرباط، سنة: 1982م.
- 12 . طالع البشرى على العقيدة السنوسية الصغرى، طبع بتونس، سنة: 1342هـ، 1348هـ، 1357هـ.

¹ - تراجم المؤلفين التونسيين، لمحمد محفوظ: 229/4، 230.

13 . القول لأجل في كون البسملة من القرآن أولى، فرغ منه سنة: 1321هـ⁽¹⁾.

وفاته:

توفي يوم الأحد في: 3/ ربيع الثاني، سنة: 1865هـ 1931م، ودفن بمقبرة أسلافه بالزلاج، ورثاه شيخ الأدباء: محمد العربي الكبادي بقصيدة نقشت على قبره⁽²⁾.

المطلب الأول: العلم المنقول

قال ابن بري⁽³⁾. رحمه الله .:

حَمْدًا يَدُومُ بِدَوَامِ الْأَبْدِ * * * تَمَّ صَلَاتُهُ عَلَى مُحَمَّدٍ

قال المارغني: " و(محمد) علم منقول من اسم مفعول (حَمَد) المضعف العين، أي: المكرر، فيفيد المبالغة في المحمودية، وهو أشرف أسمائه"⁽⁴⁾.
والعلم بفتح العين نوعان، جنسي، وشخصي، وما يتعلق بهذا المقام العلم الشخصي، وهو " اسم يعين مسماه تعييناً مطلقاً من غير قيد زائد عليه، بل بمجرد الوضع والغلبة"⁽⁵⁾؛ ولهذا قال ابن مالك⁽⁶⁾. رحمه الله .:

اسْمٌ يُعَيِّنُ الْمُسَمَّى مُطْلَقًا * * * عِلْمُهُ كَجَعْفَرٍ وَخَرْنِقًا⁽¹⁾

1 - ينظر السابق: 230/4، 231.

2 - ينظر تراجم المؤلفين التونسيين، لمحمد محفوظ: 230/4.

3 - علي بن محمد بن علي بن محمد بن الحسين، الرباطي، المغربي، المالكي، المعروف بابن بري (أبو الحسن)، مقرئ، ناظم، مشارك في العلوم الإسلامية، ولد حوالي سنة: 660هـ، من تصانيفه: منظومة الدر اللوامع في قراءة نافع، والكافي في علوم القوافي، وحاشية على المعرب للجواليقي. معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة: 518/2.

4 - ينظر النجوم الطوالع على الدر اللوامع في أصل مقراً الإمام نافع، للمارغني، ص: 6.

5 - التصريح على التوضيح، للشيخ: خالد الأزهرى: 123/1.

6 - محمد بن عبد الله بن مالك الشافعي النحوي، نزيل دمشق، إمام النحاة وحافظ اللغة، ولد سنة: (600هـ)، ألف ألفية في النحو والصرف وكتاب الكافية وغيرهما، توفي سنة: (672هـ)، ينظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي: 137 . 130/1.

والعلم باعتبار الأصالة والوضع ينقسم إلى قسمين: علم منقول، وعلم مرتجل⁽²⁾، فالمنقول هو: ما سبق له استعمال في غير العلمية، ثم نقل إلى العلمية بعد ذلك⁽³⁾، والنقل يكون من صفة، والمقصود بالصفة: اسم الفاعل، ك: (حارث)، واسم المفعول، ك: (محمود)، والصفة المشبهة، ك: (سعيد)، واسم التفضيل، ك: (أكرم)، واسم الآلة، ك: (مفتاح)، إلا أن اسم المفعول يكون على وزن (مفعول) إذا كان فعله ثلاثياً، ويكون على زنة المضارع مع إبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة، وفتح ما قبل آخره إذا كان الفعل غير ثلاثي⁽⁴⁾؛ ولذلك قال المارغني: " ومحمد علم منقول من اسم مفعول: (حمّد) مضعف العين "، أراد أنه من غير الثلاثي.

ويكون النقل من مصدر، ك: (سَعَد، وفضِّل)، أو من اسم جنس، ك: (غزال، وأسد)، أو من فعل ماضٍ، ك: (أشرف)، أو مضارع، ك: (يزيد)، أو من جملة سواء أكانت اسمية أم فعلية، فالاسمية نحو: (زيد قائم)⁽⁵⁾، والفعلية نحو: (قام زيد)، إلا أن الأعلام المنقولة من صفة، أو مصدر، أو من اسم جنس تكون معربة، والأعلام المنقولة من جملة حكمها أنها تحكى، فنقول: (جاءني زيد قائم،

1 - ينظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: 96/1.

2 - ينظر السابق: 101/1، وتوضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، للمرادي: 393/1.

3 - ينظر شرح التسهيل، لابن مالك: 171/1.

4 - ينظر شذا العرف في فن الصرف، للحملوي، ص: 96.

5 - النقل من الجملة الاسمية مختلف فيه، قال ابن مالك: " ولم يرد عن العرب علم منقول من مبتدأ وخبر

" شرح التسهيل: 171/1. إلا أن ابن عقيل جوزه، ينظر شرحه على الألفية: 102/1.

ورأيت زيداً قائماً، ومررت بزيداً قائماً⁽¹⁾، وقد يكون النقل من الصوت، كقولهم: (ببّه)⁽²⁾ لعبد الله بن الحارث بن نوفل، حيث كانت أمه ترقصه به وهو صبي، وتقول:

لَأُنْكِحَنَّ بَيْهَ جَارِيَةً خَدْبَهُ
مُكْرَمَةً مُحَبَّةً تَجُبُّ أَهْلَ الْكُعْبَةِ⁽³⁾.

والعلم المرتجل هو: ما لم يسبق له استعمال قبل العلمية في غيرها، قال ابن مالك .
رحمه الله .:

وَمِنْهُ مَنْقُولٌ كَفَضْلِ وَأَسَدٌ * * * وَذُو اِزْتِجَالٍ كَسَعَادَ وَأُدُدٌ
وَجُمْلَةٌ⁽⁴⁾

المطلب الثاني: تعدي الفعل ولزومه.

قال ابن بري . رحمه الله .:

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ الْمَهْرَةَ * * * فِي عِلْمِهِ مَعَ الْكِرَامِ الْبِرِّهِ

علق المارغني على قول ابن بري بقوله: " ضَمَّنَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَعْنَى قَوْلِهِ . صلى الله عليه وسلم .: الماهر بالقرآن مع الكرام البررة، وفي رواية أخرى: " الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة"⁽⁵⁾، والمهرة: جمع ماهر، من المهارة، وهي: الحنق في الشيء، ويقال: مهر الشيء، وفيه وبه، فعدي في الحديث ب: (الباء)، وعداه الناظم ب: (في)؛ لنقله الحديث بالمعنى "⁽⁶⁾."

1 - ينظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: 102/1.

2 - ينظر همع الهوامع، للسيوطي: 236/1، وتوضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، للمرادي: 397/1.

3 - رجز لهند بنت أبي سفيان، ينظر شرح المفصل، لابن يعيش: 32/1.

4 - ينظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: 100/1، 101.

5 - صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل الماهر بالقرآن والذي ينتفع فيه، رقم الحديث: (798) : 76/6.

6 - النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع، للمارغني، ص: 8، 9.

والفعل في اللغة: كناية عن عمل متعدٍ أو غير متعدٍ، نقول: (فَعَلَ يَفْعَلُ فَعْلًا وَفِعْلًا)، فالاسم مكسور والمصدر مفتوح، والاسم: الفعل، والجمع: الفعال، مثل: قدح وقداح⁽¹⁾.

تعريفه في الاصطلاح: هو " ما دلّ على اقتران حدث بزمان "⁽²⁾.

وقد عرّفه الزّجاجي⁽³⁾ بقوله: " الأفعال هي عبارة عن حركات الفاعلين، وليست في الحقيقة أفعالاً للفاعلين، وإنما هي عبارة عن أفعالهم وأفعال المعبرين عن تلك الأفعال "⁽⁴⁾.

وينقسم الفعل من حيث التعدي واللزوم إلى متعدٍ ولزوم، فالتعدي هو الذي يصل إلى مفعوله بنفسه، أي: من دون حرف جر، نحو: (ضربت محمداً)، وعلامته أن تتصل به هاء تعود على غير المصدر، نحو: (الباب أعلقتّه)، قال ابن مالك . رحمه الله .:

عَلَامَةُ الْفِعْلِ الْمُتَعَدِّي أَنْ تَصِلَ *** هَا غَيْرِ مُصَدَّرٍ بِهِ نَحْوُ عَمِلَ⁽⁵⁾

وهذا النوع على ثلاثة أقسام، الأول: ما يتعدى إلى مفعول واحد، وهو كثير، نحو: (فهم التلميذُ المسألةُ). الثاني: ما يتعدى إلى مفعولين إما أن يكون أصلهما المبتدأ والخبر، نحو: (ظننت زيدا قائماً)، أو ليس أصلهما المبتدأ والخبر، نحو: (أعطيت زيدا جبةً). الثالث: ما يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل، نحو: (أعلمت زيدا عمراً منطلقاً)⁽⁶⁾.

¹ - ينظر القاموس المحيط، للفيروز آبادي، ص: (1255)، مادة: " فعل " .

² - ينظر شرح المفصل لابن يعيش: 2/7.

³ - أبو القاسم عبد الرحمن ابن إسحاق الزّجاجي أبو القاسم، ولد بصيمرة، نحوي لغوي، توفي سنة: (337 هـ) بطبرية. ينظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي: (77/1).

⁴ - ينظر الإيضاح في علل النحو والإعراب، للزّجاجي، ص: (53).

⁵ - ينظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: 416/2.

⁶ - ينظر شذا العرف في فن الصرف، للحملوي، ص: 57 . 59.

أما الفعل اللازم فهو الذي لا يصل إلى مفعوله إلا بحرف جر، نحو: (مررت بزید)، أو لا مفعول له، نحو: (قام زيد)، وهذا اللازم له أسباب تجعله متعديا، هذه الأسباب هي⁽¹⁾:

أولاً- إدخال حرف الجر على الاسم الذي يعد مفعولا به؛ لأن المفعول به الحقيقي هو الذي يقع عليه فعل الفاعل من دون مساعدة، أما التعدية بحرف الجر فهي غير مباشرة؛ لأنها حدثت بمساعدة قَدِّمت للفعل اللازم، نحو: (مررت بزید)، وهذا مستفاد من قول ابن مالك . رحمه الله .:

وَعَدِّ لَازِمًا بِحَرْفِ جَرٍّ * * *⁽²⁾

ثانياً- إدخال همزة النقل على أول الفعل، نحو: (أكرم زيد عمراً)، فهذه الهمزة نقلت معنى الفعل إلى مفعوله، حيث صار الفاعل بها مفعولاً، إلا أنها ينبغي أن تستعمل استعمالاً صحيحاً حسب السياق؛ لذلك قال أبو حيان: " تقول: قام زيد، فإذا نقلت قلت: أقمْتُ زيدا، وتقول: قمت بزید، على معنى: أقمْتُ زيدا، فقامت الباء مقام الألف، وتقول: عَرَفْتُ زيدا عمرا، فإذا نقلت قلت: عَرَفْتُ زيدا عمرا، فالنقل بهذه الأشياء، وربما استعمل في شيء بعضها دون بعض، وتقول: عَرَفْتُ زيدا عمرا، ولا تقول: أعرفت، وتقول: دفع زيدُ عمرا، ودفعْتُ زيدا بعمرو، ولا تقول: أدفعت زيدا عمرا، فهذا كله على نحو ما استعملت العرب في النقل، والأكثر في كلامهم النقل بالهمزة"⁽³⁾.

ثالثاً- تضعيف عين الفعل اللازم، نحو: (فرِحَ زيدٌ) تقول: (فرِحْتُ زيدا)، وينبغي أن يستعمل هذا التضعيف استعمالاً صحيحاً . أيضاً .، بحيث يتناسب

¹ - ينظر التصريح على التوضيح، للشيخ: خالد الأزهرى: 466/1، 467، والنحو الوافي، لعباس حسن:

158/2 . 172، وشذا العرف في فن الصرف، للحملوي، ص: 57 . 59.

² - ينظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: 419/2.

³ - تذكرة النحاة، لأبي حيان الأندلسي، ص: 202، 203.

والمعنى الذي سبق له؛ لأن هناك أفعالا لا يتناسب معها التضعيف، كقولهم: (دنا زيد) إذا أردت تعديت هذا الفعل قلت: (أدنيت زيدا)، ولا يجوز أن تقول: (دنيتُ زيدا)⁽¹⁾.

رابعا- تحويل الفعل إلى صيغة (فاعل)، نحو: (جالس زيد العلماء)، حيث حوّل الفعل من صيغة (فَعَلَّ) إلى صيغة (فاعل)؛ لقصد المشاركة، أي: المشاركة في الفاعلية والمفعولية معنى، ف: (زيد وعمرو) من قولهم: (ضارب زيد عمرا) اقتسما الفاعلية والمفعولية بحسب اللفظ، ف (زيد) فاعل، و (عمرو) مفعول، واشتركا في الفاعلية والمفعولية من حيث المعنى، إذ كل منهما ضارب لصاحبه، ومضروب له⁽²⁾.

خامسا- زيادة أحرف الهمزة والسين والتاء على الفعل الثلاثي، نحو: (استخرج زيد المال)، فأصل الفعل (خرج) زيدت عليه الأحرف الثلاثة حتى صار متعديا. سادسا- التضمين النحوي، وهو أن تضمن معنى كلمة لازمة بأخرى متعدية؛ لتتعدى تعديتها، من ذلك قول الله . تعالى :: ﴿ وَلَا تَعَزُّمُوا عُقَدَةَ النَّكَاحِ

حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ ﴾⁽³⁾، حيث ضمن الفعل: (تعزموا) معنى: (تتوا) (فعدّي لذلك، إلا أن للتضمنين شروطا ثلاثة حتى يكون قياسيا، بناء على ما قرره مجمع اللغة العربية، هذه الشروط، هي:

1 . تحقق المناسبة بين الفعلين، فلا يحمل الفعل معنى بعيدا عن معناه الوضعي؛ ولهذا لا يجوز أن تقول: أكلت إلى الفاكهة، على تضمين (أكل) معنى: (مال)

1 - ينظر السابق، ص: 203.

2 - ينظر النحو الوافي، لعباس حسن : 166/2.

3 - البقرة من الآية: 235.

2 . وجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر، ويؤمن معها اللبس. 3 . ملاءمة التضمين للذوق العربي⁽¹⁾.

سابقاً- حذف حرف الجر توسعاً، وهذا ما يسمى بالنصب على نزع الخافض، من ذلك قول الشاعر: **تَمْرُونَ الدِّيَارِ وَلَمْ تَعُوجُوا * * * كَلَامُكُمْ عَلَيَّ إِذَنْ حَرَامٌ**⁽²⁾ فالأصل: تمرّون بالديار، فلما حذف الباء نصبت (الديار) إلا أن حذف حرف الجرّ مختلف فيه بين أهل النحو، فمذهب الجمهور أنّ حذفه لا ينقاس مع غير " أنّ، وأن "، بل يقتصر فيه على السماع، قال ابن مالك . رحمه الله .:

..... * * * **وَإِنْ حُدِفَ فَالِنَّصْبُ لِلْمُنَجَّرِ**

نَقْلًا وَفِي أَنْ وَأَنْ يَطُّرُ * * * مَعِ أَمِنْ لَبْسٍ كَعَجِبْتُ أَنْ يَدُوا

ومنهم من ذهب إلى جواز حذفه مع غيرهما بشرط تعيين الحرف ومكانه، كقولهم: برئت القلم السكين، فالحرف معلوم والمكان معلوم⁽³⁾.

ثامناً- تحويل الفعل اللازم إلى باب (نصر)؛ لقصد المبالغة، نحو: (قاعدته فقعدته فأنا أقعده).

وتعدي الفعل الذي أشار إليه المارغني كان بزيادة حرف الجر، حيث عدّي في الحديث بحرف الباء، وعدّه الناظم ب: (في)، وليس للتعدية بحرف الجر حرف معين ينبغي الاقتصار عليه، إنما يختار للتعدية الحرف الذي يحقق المعنى المراد،

¹ - ينظر هامش التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل: 420/1، 421، هـ رقم: (2) .

² - البيت من بحر الوافر، وهو لجرير في ديوانه، ص: 416، إلا أن الرواية في الديوان:

أَتَمَّضُونَ الرُّسُومَ وَلَا تُحَيَّا * * * كَلَامُكُمْ عَلَيَّ.....

³ - ينظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: 420/2، 421.

ويناسب السياق، فيختلف الجار باختلاف المعنى، نحو: (عجبت منه، ومررت به، وغضبت عليه، ورغبت فيه)⁽¹⁾.

المطلب الثالث: العامل في المفعول المطلق

قال ابن بري - رحمه الله - :

حَمْدًا يَدُومُ بِدَوَامِ الْأَبَدِ * * * تُمْ صَلَاتَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ

يرى المارغني أن (حمدًا) في قول الناظم مصدر منصوب على المفعولية المطلقة، وعامل النصب فيه أحد شيئين، الأول - أنه منصوب بـ (الحمد) السابق في قول الناظم:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَوْرَثَنَا * * * كِتَابَهُ وَعَلَّمَهُ عِلْمَنَا⁽²⁾.

الثاني - أنه منصوب بفعل محذوف، تقديره: أحمد حمدًا؛ ليفيد المبالغة في المحمودية، وهو أشرف أسمائه⁽³⁾.

وإذا ما نظرنا إلى العامل في المفعول المطلق نجده على أنواع ثلاثة، أولاً - الفعل بشرط ألا يكون دالا على التعجب، فلا يقال: ما أحسن زيدا حسنا، وألا يكون ناقصا، فلا يقال: كان زيدا قائما كونا، وألا يكون ملغى، فلا يقال: زيد قائم ظننت ظنا. فإذا كان الفعل خاليا مما ذكر عمل في المفعول المطلق، نحو: ضربت زيدا ضربا.

ثانياً - المصدر، وهذا المصدر إما أن يكون مثله لفظا ومعنى، نحو قول الله .

﴿ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَأُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴾⁽⁴⁾، ف (جزاء)

1 - ينظر التصريح على التوضيح، للشيخ: خالد الأزهرى: 466/1، والنحو الوافي، لعباس حسن: 161/2.

2 - ينظر النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقراً الإمام نافع، للمرغني، ص: 4.

3 - ينظر السابق، ص: 6.

4 - الإسراء من الآية: 63.

مفعول مطلق عمل فيه المصدر قبله، وهو (جزاؤكم)، فهو مصدر مثله لفظاً ومعنى، وإما أن يكون المصدر مخالفاً للمفعول المطلق لفظاً ومعنى، نحو: أعجبنى إيمانك تصديقا، ف (تصديقا) مفعول مطلق عمل فيه المصدر قبله، وهو: (إيمان) .

ثالثاً- الوصف، والمقصود به: اسم الفاعل، واسم المفعول، وصيغ المبالغة، فاسم الفاعل نحو قول الله . تعالى :: ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًا ﴾⁽¹⁾، واسم المفعول نحو: الخبز مأكول أكلاً، وصيغ المبالغة نحو: زيد ضراباً ضرباً⁽²⁾.

أما الصفة المشبهة واسم التفضيل فمختلف فيهما؛ لأنّ منهم من منعه، فلا يجوز أن تقول: زيد حسن وجهه حسناً، ولا أقوم منك قياماً، وما ورد في الشعر فمؤول، من ذلك قول الشاعر:

أَمَّا الْمُلُوكُ فَأَنْتَ الْيَوْمَ الْأَمُّهُمُ * * * لَوْمًا وَأَبْيَضُهُمْ سِرْيَالٌ طَبَّاحٌ⁽³⁾

حيث قيل: إن (لؤماً) منصوب بمحذوف لا بما تقدم عليه. ومنهم من جوزه، حيث جوّز أن يقال: هذا حزين حزناً شديداً، ف (حزناً) مفعول مطلق منصوب جاء ليبين نوع عامله الصفة المشبهة (حزين)، كما جوّز أن يقال: هذا أكرمهم كرمًا، ف(كرمًا) مفعول مطلق منصوب جاء ليؤكد عامله اسم التفضيل (أكرم)⁽⁴⁾. وفي عامل المفعول المطلق قال ابن مالك . رحمه الله .

بِمِثْلِهِ أَوْ فِعْلٍ أَوْ وَصْفٍ نُصِبَ * * * وَكَوْنُهُ أَصْلًا لِهَدْيَيْنِ انْتُخِبَ⁽⁵⁾

1 - الصافات: 1.

2 - ينظر التصريح على التوضيح، للشيخ: خالد الأزهرى: 491/1، 492، والنحو الشافي، لمحمود حسني، ص: 315، 316.

3 - البيت من بحر البسيط، وهو لطرفة بن العبد في ديوانه، ص: 19.

4 - ينظر النحو الشافي، للدكتور: محمود حسني، ص: 315، 316.

5 - ينظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: 437/2.

فاعمل المفعول المطلق عند المارغني في بيت الناظم إما أن يكون مصدرًا مثله لفظًا ومعنى، وهو المذكور في قول الناظم، وإما أن يكون بالفعل الذي هو الأصل، إلا أن الفعل محذوف، وهذا يترتب عليه مسألة حذف عامل المفعول المطلق، وحذف عامل المفعول المطلق على حالتين، إما أن يكون محذوفًا جوازًا إذا دلّ عليه قرينة لفظية، نحو: سيرَ زيدٍ لمن قال لك: أي سير سرت؟، أو قرينة معنوية، كقولك لمن تأهب للسفر: تأهبًا مباركًا ميمونًا وسفرًا مأمومًا. وإما أن يكون محذوفًا وجوبًا؛ لكونه بدلًا من اللفظ بفعل مهمل، أو لكونه بدلًا من اللفظ بفعل مستعمل في طلب أو خبر⁽¹⁾. والحذف عند المارغني في هذا المقام على سبيل الجواز؛ للدلالة عليه بالحمد قبله.

المطلب الرابع: حذف المضاف.

قال ابن بري . رحمه الله .:

الْقَوْلُ فِي هَاءِ ضَمِيرِ الْوَاحِدِ * وَالْخُلْفُ فِي قَصْرِ وَمَدِّ زَائِدِ**

بيّن المارغني . رحمه الله . أن في قول الناظم: (القول في هاء ضمير الواحد) على حذف مضاف، والأصل: القول في أحكام هاء ضمير الواحد، فحذف المضاف، وهو: (أحكام)، وصرّح بما يدل عليه، وبيّن المراد منه في الشطر الثاني، وهو قوله: (في قصر ومد زائد)؛ لأن المراد بهذا الباب قصر الحرف الزائد على هاء الضمير ومدّه⁽²⁾.

والمضاف يحذف ويقام المضاف إليه مقامه فيعرب بإعرابه إذا لم يجهل

معناه بحذف لفظه، من ذلك قول الله . تعالى .: ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعَجَلَ

¹ - ينظر شرح التسهيل لابن مالك: 183/2 . 188، ومع الهوامع، للسيوطي: 78 / 2 . 80 .

² - ينظر النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقراً الإمام نافع، للمارغني، ص: 31 .

﴿بِكُفْرِهِمْ﴾⁽¹⁾، فالتقدير: "وأشربوا في قلوبهم حبَّ العجل

بكفرهم"، وفي هذا قال ابن مالك . رحمه الله .:

وَمَا يَلِي الْمُضَافَ يَأْتِي خُلْفًا * * * عَنْهُ فِي الْإِعْرَابِ إِذَا مَا حُدِفًا⁽²⁾

وإن قَدَّر المضاف المحذوف فهو على حالين: الأول: أن يلتفت إليه ويرتب

على وفق ما بعد القائم مقامه كما في قول الله . تعالى .: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي نَحْرٍ

لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ﴾⁽³⁾، فالأصل في هذه الآية: "أو كذي ظلمات" فحذف

المضاف، وهو: "ذو" وأقيم المضاف إليه مقامه، والتفت إليه معنى فذكر الضمير، ولو لم يلتفت إليه لأنث الضمير؛ لأن (ظلمات) جمع مؤنث سالم. ومن الالتفات

إلى المحذوف . أيضا . قراءة من قرأ بالتذكير⁽⁴⁾ في قول الله . تعالى .: ﴿فَجَعَلْنَاهَا

حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾⁽⁵⁾؛ لأن المضاف المحذوف مذكر، إذ

التقدير: "فجعلنا زرعها حصيدا"⁽⁶⁾.

وكذلك هو الحال في قول ابن بري، حذف المضاف الذي هو: (أحكام)، وأقيم

المضاف إليه مقامه، فلم يجهل معناه، والتفت إليه معنى في قوله: (والخلف في

1 - البقرة من الآية: 93.

2 - ينظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: 37/3.

3 - النور من الآية: 40.

4 - قرأ الحسن وقتادة: (كأن لم يغن) بالياء على التذكير، فقل: عائد على المضاف المحذوف الذي هو الزرع، حذف وقامت هاء التانيث مقامه في قوله: (عليها)، وفي قوله: (أناها فجعلناها)، وقيل: عائد على الزخرف، والأولى عوده على: (الحصيد)، أي: كأن لم يغن الحصيد. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان: 39/6.

5 - يونس من الآية: 24.

6 - ينظر شرح التسهيل، لابن مالك: 265/3.

قصر ومد زائد) فلو لم يلتفت إليه لكان قال: " في قصرها ومدها "؛ لأن الهاء مؤنث.

الثاني- ألا يلتفت إليه كما في قول الله . تعالى .: ﴿ وَسَعَلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا

فِيهَا ﴾⁽¹⁾ فلو التفت إلى المضاف المحذوف ههنا لقليل: " الذين كنا فيهم "؛ لأن المضاف المحذوف هو (أهل)، فالتقدير: " وأسأل أهل القرية "⁽²⁾.

أما إذا ترتب على حذف المضاف جهل معناه امتنع حذفه إلا في ضرورة، ومن ذلك قول الشاعر:

عَشِيَّةَ فَرِّ الْحَارِثِيِّونَ بَعْدَمَا * * * قَضَى نَحْبَهُ فِي مُلْتَقَى الْخَيْلِ هَوْبِرٍ⁽³⁾

فالشاهد في البيت هو: (هوبر) حيث حذف الشاعر المضاف وأقام المضاف إليه مقامه مع جهل معناه؛ لضرورة الشعر، إذ التقدير في البيت: " قضى نحبه في ملتقى القوم ابن هوبر "⁽⁴⁾.

1 - يوسف من الآية: 82.

2 - ينظر شرح التسهيل، لابن مالك: 265/3.

3 - البيت من بحر الطويل، وهو لذي الرمة في ديوانه: 647/2.

4 - ينظر المساعد على تسهيل الفوائد، لابن عقيل: 363/2.

المطلب الخامس: حذف المضاف إليه

قال ابن بري . رحمه الله .:

وَأَتَّفَقَا فِي ضَمِّهَا فِي الْوَصْلِ *** إِذَا أَتَتْ مِنْ قَبْلِ هَمَزِ الْوَصْلِ

أشار الناظم . رحمه الله . إلى أن قالون وورش اتفقا على ضم ميم الجمع حالة الوصل إذا وقع بعدها همزة وصل من دون صلة؛ لأنها لو وصلت لاجتمع ساكنان، ويرى المارغني أن في قول الناظم: (من قبل همز الوصل) مضافا إليه محذوفا يدل عليه السياق، هذا المضاف تقديره: " من قبل ذي همز الوصل "، ومن دون هذا المضاف لا يستقيم الكلام؛ لأن همزة الوصل تحذف نطقا إذا وصلت بما قبلها⁽¹⁾.

والحاصل أن حذف المضاف إليه وإبقاء المضاف على حاله لو كان مضافا مختلف فيه، فأكثر ما يكون هذا الحذف إذا عطف على المضاف اسم مضاف إلى مثل المحذوف من الاسم الأول، كقول من قال: قطع الله يدَ رجلٍ من قالها، إذ التقدير: قطع الله يد من قالها ورجلٍ من قالها، فحذف ما أضيف إليه (يد) لدلالة ما أضيف إليه (رجل) ، قال ابن مالك . رحمه الله:

وَيُحَذَفُ الثَّانِي فَيَبْقَى الْأَوَّلُ *** كَحَالِهِ إِذَا بِـ _____ يَتَّصِلُ

بِشَرْطِ عَطْفٍ وَإِضَافَةٍ إِلَى *** مِثْلِ الَّذِي لَهُ أَصْفَتٌ الْأَوَّلَا⁽²⁾

وقد يحذف المضاف إليه ويبقى المضاف على حاله وإن لم يعطف مضاف إلى مثل المحذوف من الأول كالمضاف المحذوف الذي أشار إليه المارغني، ومن ذلك قول الشاعر:

وَمِنْ قَبْلِ نَادَى كُلِّ مَوْلَى قَرَابَةٍ *** فَمَا عَطَفْتُ مَوْلَى عَلَيْهِ الْعَوَاطِفُ⁽¹⁾

¹ - ينظر النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقراً الإمام نافع، للمارغني، ص: 29، 30.

² - ينظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: 40/3، 41.

حيث حذف الشاعر ما أضيف إليه (قبل) وأبقاه على حاله لو كان مضافا، ولم يعطف عليه مثله، إذ التقدير في البيت: " ومن قبل ذلك " . ومنه قراءة ابن محيصن⁽²⁾ . رحمه الله .: ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾⁽³⁾، إذ التقدير: فلا خوف شيء عليهم. إلا أن الذي ورد في بيت الناظم لم يكن مشابها لما قيل؛ لأنه وإن حذف المضاف إليه أخذ حكمه ما بعده، فأصبح مضافا إلى (قبل)، فالمارغني لا يقصد أن المضاف إليه حذف وبقي المضاف على حاله، وإنما قصده أن همزة الوصل تحذف نطقا إذا سبقت بكلام، ولو كانت مسبوقه بحرف واحد، وعليه فإن الميم لم تقع قبل همزة الوصل نطقا، وأما رسما فالميم واقعة قبل همزة الوصل؛ لأن الحذف نطقا لا رسما.

حذف المضاف إليه الواقع بعد كلمة (بعد):

قال ابن بري . رحمه الله .:

وَبَعْدُ فَاعْلَمْ أَنَّ عِلْمَ الْقُرْآنِ * * أَجْمَلُ مَا بِهِ تَحَلَّى اللِّسَانُ

يرى المارغني أن (بعد) تستعمل ظرف زمان، وقد تستعمل ظرف مكان، وهي في قول ابن بري إما أن تكون مبنية على الضم على نية معنى المضاف إليه، وهو الجاري على الألسنة، أو بالنصب من غير تتوين على نية لفظه⁽⁴⁾.

والحاصل أن (بعد) نقيض (قبل)⁽¹⁾، وهي من الأسماء الملازمة للإضافة لفظا ومعنى⁽²⁾، حيث يجوز حذف ما تضاف إليه، وتبقى مضافة في

¹ - البيت من بحر الطويل، وهو بلا نسبة في شرح التصريح على التوضيح، للشيخ: خالد الأزهرى: 664/1.

² - محمد بن عبد الرحمن بن محيصن مولى بني سهم المكي، وقيل: اسمه عمر، وقيل: عبد الرحمن بن محمد، وقيل: محمد بن عبد الله، اختلف في سنة وفاته . رحمه الله . حيث قيل: مات سنة ثلاث وعشرين ومائة بمكة، وقيل : سنة اثنتين وعشرين. ينظر غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري: 167/2.

³ - ينظر القراءة في همع الهوامع، للسيوطي: 431/2.

⁴ - ينظر النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقراً الإمام نافع، للمارغني، ص: 8.

المعنى، وتكون ظرف زمان أو مكان بحسب إضافتها⁽³⁾، تكون للزمان نحو قول الله تعالى: ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ ﴾⁽⁴⁾، ف (بعد) في الآية ظرف زمان مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة، وتكون للمكان نحو قولهم: داري بعد دارك، ف (بعد) في الجملة ظرف مكان منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره⁽⁵⁾.

وهي على حالتين إما أن تكون معربة، وإما أن تكون مبنية، تكون معربة في الأحوال الآتية: أولاً: إذا أضيفت لفظاً، أي: إذا صرّح بالمضاف إليه، نحو: جئتكَ بعد الظهر.

ثانياً: إذا حذف المضاف ونوي ثبوت لفظه، فيبقى الإعراب، ويترك التتوين، كقراءة من قرأ قول الله تعالى: ﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ ﴾⁽⁶⁾ بخفض (قبل وبعد) من دون تتوين، إذ التقدير: " من قبل الغلبِ ومن بعده ".

ثالثاً- إذا حذف المضاف ولم ينو شيء لا لفظه ولا معناه، فتكون حينئذ نكرة⁽⁷⁾، ويبقى الإعراب المذكور بحاله من النصب على الظرفية، أو الخفض ب: (من)، ولكن التتوين الذي حذف للإضافة يرجع؛ لزوال ما يعارضه من الإضافة في اللفظ

1 - ينظر الصحاح، للجوهري، ص: 101، مادة: " بعد " .

2 - ينظر التصريح على التوضيح، للشيخ: خالد الأزهرى: 718/1 . 720، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: 34/3 . 37.

3 - ينظر المعجم المفصل في الإعراب، للظاهر يوسف الخطيب: 117/1.

4 - النحل من الآية: 106.

5 - ينظر التصريح على التوضيح، للشيخ: خالد الأزهرى: 718/1.

6 - هذه قراءة شاذة ذكرها الفراء في كتابه: (معاني القرآن): 320/2.

7 - تكون نكرة؛ لعدم الإضافة لفظاً وتقديراً؛ ولذلك تتون كما تتون سائر الأسماء النكرات تتوين التمكن، ومنهم من يرى بأنها معرفة بنية الإضافة، وتتوينها تتوين عوض، وهذا ما استحسسه ابن مالك . رحمه الله تعالى .. ينظر شرح الكافية الشافية، لابن مالك: 966/2.

والتقدير، وذلك كقراءة من قرأ قول الله . تعالى . : ﴿ اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ ﴾⁽¹⁾ بجر (قبل وبعد) وتوניהما، ومنه قول الشاعر :

وَنَحْنُ قَتَلْنَا الْأَسَدَ أَسَدَ حَفِيَّةٍ * * * فَمَا شَرِبُوا بَعْدًا عَلَى لَذَّةِ خَمْرٍ⁽²⁾

حيث نصب الشاعر (بعدا) على الظرفية، إلا أن صاحب التصريح يبين أن المختار عند سيبويه⁽³⁾ وأصحابه أن يكون التتوين حالة الرفع، كقول الشاعر :

..... * * * فَمَا شَرِبُوا بَعْدًا عَلَى لَذَّةِ خَمْرٍ⁽⁴⁾

والمختار عند الخليل⁽⁵⁾ وأصحابه أن يكون حالة النصب⁽⁶⁾، كقول الشاعر :

فَسَاغَ لِي الشَّرَابُ وَكُنْتُ قَبْلًا * * * أَكَادُ أَغْصُ بِالْمَاءِ الْفُرَاتِ⁽⁷⁾

وإذا دخلت عليها (ما) كفتها عن الإضافة إلى المفرد، وهيئتها للإضافة إلى الجملة⁽⁸⁾، من ذلك قول الشاعر :

أَعْلَاقَةٌ أُمُّ الْوَلِيدِ بَعْدَ مَا * * * أَفْنَانُ رَأْسِكَ كَالثَّغَامِ الْمُخْلِسِ⁽⁹⁾

1 - قرأ أبو السماك والجحدري وعون العقبلي بجر (قبل وبعد) وتوניהما. ينظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان: 375/8.

2 - البيت من بحر الطويل، وهو من دون نسبة في شرح الكافية الشافية، لابن مالك: 965/2.

3 - أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، وهو فارسي الأصل، اختلف في سنة وفاته فقيل: سنة 188، وقيل: 194. ينظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي: 229/2.

4 - سبق تخريج البيت. ينظر الهامش الثالث من هذه الصفحة.

5 - الخليل بن أحمد الأزدي الفراهيدي، ويقال: الباهلي، أبو عبد الرحمن البصري، صاحب العروض، وكتاب العين في اللغة، اختلف في سنة وفاته، فقيل: 175، وقيل: 170، وقيل: سنة نيف وستين ومائة. ينظر تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني: 164/3.

6 - ينظر التصريح على التوضيح، للشيخ: خالد الأزهرى: 220/1.

7 - البيت من بحر الوافر، وهو من دون نسبة في شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: 35/3.

8 - ينظر الكتاب، لسيبويه: 139/2.

9 - البيت من بحر الكامل، وهو من دون نسبة في الكتاب، لسيبويه، و الشاهد: جعل (بعدما) كلمة واحدة، كفتها (ما) عن الإضافة إلى المفرد، هيئتها للإضافة إلى الجملة. ينظر: 139/2.

وتكون مبنية إذا حذف ما تضاف إليه، ونوي معناه دون لفظه؛ لافتقارها إلى المضاف إليه معنى كافتقار الحروف لغيرها، وبنيت على الحركة فرارا من التقاء الساكنين؛ لأن العين ساكنة، ولو سَكَّن ما بعدها لالتقى ساكنان، وبنيت على الضم مخالفة لحركة الإعراب، من ذلك قول الله . تعالى : ﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ بَعْدُ ﴾⁽¹⁾ بضم لام (قبل) ودال (بعد) من دون تنوين، فهما في هذه الحالة معرفتان؛ لإضافتهما إلى معرفة منوية، إذ التقدير: " لله الأمر من قبل الغلب ومن بعده "⁽²⁾.

وقيل: " إنما يبينان على الضم إذا كان المضاف إليه معرفة، وأما إذا كان نكرة فإنهما معربان سواء نويت معناه أو لا "⁽³⁾.

بما سبق يتضح أن المارغني يقول ببناء (بعد) في قول ابن بري؛ لحذف المضاف إليه، ونية معناه دون لفظه، وإذا حذف ما تضاف إليه ونوي معناه دون لفظه لعلم المخاطب بنيتها على الضم؛ لأن الضم لا يدخلها إعرابا، فلا يصلح وقوعها موقع الفاعل، ولا موقع المبتدأ والخبر⁽⁴⁾.

ويقول بإعرابها على حذف المضاف إليه، مع نية ثبوت لفظه، وهي في هذه الحالة إما أن تكون منصوبة على الظرفية على نية حذف المضاف وثبوت لفظه، كقولهم: أما بعد، إذ التقدير: " أما بعدَ حمدِ الله "⁽⁵⁾؛ لأنها في هذه الحالة تبقى كالمضاف لفظا فلا تتون.

1 - الروم: من الآية: 4.

2 - ينظر شرح التصريح على التوضيح، للشيخ: خالد الأزهرى: 220/1.

3 - شرح التصريح على التوضيح، للشيخ: خالد الأزهرى: 720/1.

4 - ينظر الصحاح، للجوهري، ص: 101، مادة: " بعد ".

5 - ينظر المعجم المفصل في الإعراب، للظاهر يوسف الخطيب: 70/1.

وإما أن تكون مخفوضة بحرف الجر (من)، وتبقى مخفوضة من غير تتوين على نية المضاف إليه، كقراءة من قرأ: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ﴾⁽¹⁾ بخفض (قبل وبعد) من دون تتوين، إذ التقدير: " من قبل الغلبِ ومن بعده "⁽²⁾، وهذا لا يتأتى في قول الناظم؛ لأن حرف الجر ليس موجودا.

خاتمة البحث

الحمد لله حمداً كثيراً كما أمر، أحمده . سبحانه . وأشكره وقد تأذن بالزيادة لمن شكر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إرغاماً لمن جحد به وكفر، و أشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد البشر، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه، واتبع سنته إلى يوم الدين، وبعد ، ، ،

فمن خلال هذه الجولة العلمية المباركة اطلع الباحث على المسائل النحوية التي تناولها المارغني . رحمه الله . في كتابه: (النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع)، وخلص البحث إلى الآتي:

أولاً- المارغني بصري المذهب في آرائه النحوية، يتبين ذلك من خلال عرضه للمسائل النحوية، حيث بيّن أن فعل الأمر الشائع فيه أنه مبني، وأنه معرب على رأي أهل الكوفة⁽³⁾.

ثانياً- لم يدخر المارغني جهداً في بيان العلم وتذليل صعوباته للدارسين.

ثالثاً- المارغني صاحب شخصية متنوعة الجوانب، فهو عالم في النحو واللغة والقراءات، يتضح ذلك من خلال شرحه لنظم ابن بري.

1 - سبق تخريج القراءة. ينظر الصفحة ما قبل السابقة من هذا البحث.

2 - ينظر شرح التصريح على التوضيح، للشيخ: خالد الأزهرى: 718/1 . 720، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: 35/3.

3 - ينظر النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع، للمارغني، ص: 34.

رابعاً- من سمات المارغني أنه كان صاحب قدرة على التنظيم والترتيب، فابتعد عن التراكيب المعقدة في شرحه، بل جاء شرحه بلغة سهلة سائغة واضحة. خامساً- لم يكن شرح المارغني مقتصرًا على بيان الحكم فحسب، بل كان يعلل لكل حكم نحوي، من ذلك ما علل له في حذف المضاف في قول الناظم:

الْقَوْلُ فِي هَاءِ ضَمِيرِ الْوَاحِدِ * وَالْخُلْفُ فِي قَصْرِ وَمَدِّ زَائِدٍ**

حيث بيّن المارغني . رحمه الله . أن في قول الناظم: (القول في هاء ضمير الواحد) على حذف مضاف، والأصل: القول في أحكام هاء ضمير الواحد، فحذف المضاف، وهو: (أحكام)، وصرّح بما يدل عليه، وبيّن المراد منه في الشطر الثاني، وهو قوله: (في قصر ومد زائد)؛ لأن المراد بهذا الباب قصر الحرف الزائد على هاء الضمير ومدّه (1).

سادساً- عند شرحه للمسألة . أحياناً . ينقل ما قاله العلماء في هذه المسألة ويكتفي بذلك، وأحياناً أخرى ينقل ويختار، كما فعل في جواز دخول الإشمام على ميم الجمع ومنعه (2).

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين أجمعين

1 - ينظر السابق، ص: 31.

2 - ينظر النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقراً الإمام نافع، للمارغني، ص: 30.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- 1 . الإيضاح في علل النحو، للزجاجي، تحقيق: مازن مبارك، دار النفائس لبنان . بيروت، ط/ الخامسة: 1986م.
 - 2 . البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، مكتبة الإيمان بريدة السعودية، لا/ط، لا/ت.
 - 3 . بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، ط/ الأولى، بيروت . لبنان، لا/ت.
 - 4 . تذكرة النحاة، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: د. عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، ط/ الأولى: 1406هـ . 1986م.
 - 5 . تراجم المؤلفين التونسيين، لمحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، ط/ الأولى: 1405هـ . 1985م.
 - 6 . التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، للشيخ: خالد الأزهرى، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت . لبنان، ط/ الأولى: 1421هـ . 2000م.
 - 7 . تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، دار صادر، ط/ الأولى، لا/ت.
 - 8 . التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل، لمحمد عبد العزيز النجار، مكتبة ابن تيمية القاهرة، ط/ الأولى: 1424هـ . 2003م.
 - 9 . توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، للمراي، شرح وتحقيق: أ.د. عبد الرحمن علي سليمان، ط/ الأولى: 1422هـ . 2001م.
 - 10 . ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر بيروت، لا/ط: 1406هـ . 1986م.

- 11 . ديوان ذي الرمة، شرح الإمام: أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي، رواية الإمام: أبي العباس ثعلب، حققه وقدم له وعلق عليه: د. عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، بيروت . لبنان، ط/ الثانية: 1402 هـ . 1982 م.
- 12 . ديوان طرفة بن العبد، شرحه وضبط نصوصه وقدم له الدكتور: عمر فاروق الطباع، لا/ط، لا/ت.
- 13 . شذا العرف في فن الصرف، للحملوي، شرحه وفهرسه واعتنى به: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت . لبنان، ط/الرابعة: 1422 هـ . 2001 م.
- 14 . شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ل: يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر للطباعة والنشر، لا/ط: 1424 هـ . 2003 م.
- 15 . شرح التسهيل، لابن مالك، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، و د. محمد بدوي المختون، دار هجر للطباعة والنشر، ط/ الأولى: 1410 هـ . 1990 م.
- 16 . شرح الكافية الشافية، لابن مالك، حققه وقدم له: د. عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، ط/ الأولى: 1402 هـ . 1982 م.
- 17 . شرح المفصل لابن يعيش، مكتبة المتنبى القاهرة، لا / ط، لا / ت.
- 18 . الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: د. محمد محمد تامر، وأنس محمد الشامي، وزكريا جابر أحمد، لا/ط، 1430 هـ . 2009 م.
- 19 . صحيح مسلم بشرح النووي، للإمام النووي، مكتبة العلم، لا/ط، لا/ت.
- 20 . غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، عنى بنشره: برجستراسر، دار الكتب العلمية بيروت، ط/ الثالثة: 1402 هـ . 1982 م.
- 21 . القاموس المحيط، للفيروز آبادي، راجعه واعتنى به: أنس محمد الشامي، وزكريا جابر أحمد، دار الحديث القاهرة، لا/ط، 1429 هـ . 2008 م.
- 22 . كتاب سيبويه، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت، ط/ الأولى، لا/ت.

- 23 . المساعد على تسهيل الفوائد، لابن عقيل على كتاب التسهيل لابن مالك، تحقيق وتعليق: د. محمد كامل بركات، ط/ الثانية: 1422 هـ . 2001م.
- 24 . معاني القرآن للفراء، عالم الكتب، ط/ الثالثة: 1403 هـ . 1983م.
- 25 . معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، لا/ط، لا/ت.
- 26 . المعجم المفصل في الإعراب، للطاهر يوسف الخطيب، مراجعة الدكتور: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية بيروت . لبنان، ط/ الثانية: 1416 هـ . 1996م.
- 27 . النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقراً الإمام نافع، للمارغني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لا/ط، لا/ت.
- 28 . النحو الشافي، للدكتور: محمود حسني مغالسة، أستاذ النحو العربي في الجامعة الأردنية، مؤسسة الرسالة، ط/ الثالثة: 1418 هـ . 1997م.
- 29 . النحو الوافي، لعباس حسن، دار المعارف، ط/ الثانية عشرة، لا/ت.
- 30 . همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت . لبنان، ط / الأولى: 1418 هـ . 1998 م.

تدريب الموارد البشرية وأثره على أداء المؤسسات السياحية بمدينة صبراتة (دراسة في الجغرافية السياحية)

- إعداد: د. عبد السلام ميلاد المركز
- د. صالح محمد الاحمر

المقدمة :

تعد البيئة الطبيعية الوعاء الذي يتم فيه جميع التفاعلات والأنشطة والمؤثرات المتبادلة بين الإنسان والمحيط المجاور له، وتشكل مكونات الطبيعة عناصر أساسية لصناعة السياحة وجذب السواح وتحديد الأنماط السياحية، فالبيئة الطبيعية تعتبر عاملاً جذاباً للسياح وإشباع رغباتهم من حيث زيارة الأماكن الطبيعية السياحية المختلفة والتعرف على أشكالها وبيئاتها والحياة الفطرية بها، فالظواهر الجغرافية والتي لا دخل للإنسان في وجودها هي التي لها القدرة على جذب السياح، وأن انعدامها أو عدم قدرتها على التشويق والترغيب يعمل على عرقلة أنشطة السياحة والاستجمام⁽¹⁾.

وسيتّم من خلال هذا البحث تسليط الضوء على السياحة بمدينة صبراتة بليبيا، والتي تعد من أهم المدن الأثرية، ونتيجة موقعها الجغرافي، فهي تحتوي على العديد من المظاهر السياحية التي جعلت منها منطقة يرغبها السياح، فموقع هذه المدينة على ساحل البحر المتوسط، وقربها من مدينة طرابلس العاصمة، ومرور الطريق

• كلية التربية الخمس - قسم الجغرافيا

• كلية الآداب الخمس - قسم الجغرافيا

(1) محمد عبد الله قصودة، السياحة في شمال غرب ليبيا، رسالة ماجستير غير منشورة، 2001م، ص 113.

البري الرابط بين ليبيا والجمهورية التونسية ووجود العديد من المعالم الحضارية التي تتكامل مع العناصر الطبيعية للمنطقة حيث يمتد شاطئ جميل رملي يصل طوله حوالي 50 كم تغلب عليه الاستقامة، وقلة التعاريج⁽¹⁾ جعل منها أيضا منطقة جذب سياحي، وتعد منطقة صبراتة من المناطق السياحية في ليبيا لما تتميز به من مجموعة من عناصر جذب سياحي مثل اللاندسكيب المميز والشواطئ الرملية والصخرية والمدينة الأثرية.

مشكلة الدراسة:

تعد منطقة صبراتة إحدى المناطق السياحية بليبيا نظراً لما تتمتع به من عرض سياحي طبيعي وبشري، فهي تعتمد على دعائم تاريخية وثقافية وأثرية إضافة للموقع الجغرافي وعناصر المناخ المؤثرة في الجذب السياحي، وتتلخص مشكلة الدراسة في أن هناك قصور في تدريب الموارد البشرية السياحية بالمنطقة، وما مدى تأثير ذلك على الوضع السياحي.

الفرضيات:

- 1- توجد علاقة ايجابية بين المقومات البشرية المدربة وارتفاع مستوى أداء المؤسسات السياحية بالمنطقة.
- 2- هناك علاقة سلبية بين المشاكل التي تعاني منها الموارد البشرية غير المدربة وضعف أداء المؤسسات السياحية بالمنطقة .

أهداف البحث:

- 1- أبرز الدور الذي تقوم به المقومات البشرية في تنمية وتطوير قطاع السياحة.
- 2- التعرف على أهم المشاكل التي تواجه الموارد البشرية في قطاع السياحة.

(1) نفس المرجع السابق، ص 123.

3- تسليط الضوء على عمليات تنمية وتدريب الموارد البشرية التي تساعد على تحسين مستوى هذه المقومات وإظهارها بصورة أفضل.

4- إلقاء الضوء على مستوي التنمية السياحية بالمنطقة.

أهميتها:

1- تسليط الضوء على المقومات السياحية البشرية بالمنطقة والمتمثلة في البنية التحتية، ومرافق الإيواء السياحي، وكذلك المقومات الثقافية والتاريخية والمناطق الأثرية والسياحية والمتاحف والأماكن التاريخية في المنطقة، والتي لها تأثير على المخطط التنموي والتدفق السياحي على المنطقة.

2- الإطلاع على أهم المقومات الطبيعية المتمثلة في الموقع الجغرافي وعناصر المناخ والتركيب الجيولوجي ومظاهر السطح وعلاقة ذلك بمهمة الجذب السياحي.

3- التعرف على أهم المشاكل التي تواجه القطاع السياحي بالمنطقة.

المنهجية المتبعة:

كل دراسة لها منهج لا بد من اتباعه تم في هذه الدراسة الاستعانة بالمنهج الوصفي حيث توصف الظاهرة، ويتم تحليلها واستخراج النتائج منها بالإضافة إلى المنهج التحليلي الذي يعرج إلى اتباع الأساليب الإحصائية والتحليلية، وذلك للاستعانة بها في تحليل البيانات والجداول والأرقام والبيانات المجمع في الدراسات الميدانية.

الأدوات المستخدمة:

تم في هذه الدراسة الاعتماد على مجموعة من الأدوات والتي من بينها:

المكتبية والمسح المكتبي لدراسات سابقة والمتمثلة في المراجع والكتب والدوريات والإحصائيات والتقارير التي تصدرها الجهات المعنية التي لها علاقة مباشرة وغير مباشرة بالنشاط السياحي.

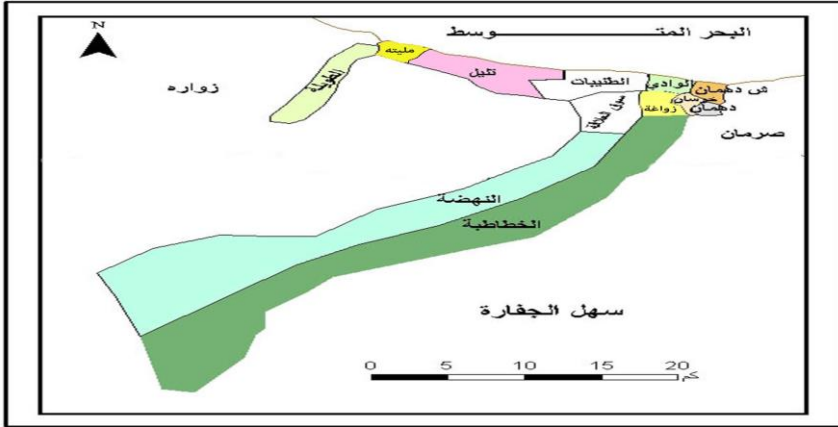
أولاً: المقومات الطبيعية للسياحة في مدينة صبراتة:

1- الموقع الفلكي والجغرافي لمدينة صبراتة:

تقع مدينة صبراتة في الجزء الشمالي الغربي من ساحل ليبيا يحدها من الشمال ساحل البحر المتوسط، ومن الجنوب الشرقي مدينة صرمان، ومن الجنوب الغربي مدينة العجيلات، ومن الغرب مدينة مليته ومن الشرق مدينة المطرد، ومن الجنوب مدينة العلالقة، وتبعد عن مدينة طرابلس غربا حوالي 73 كم، وهي بذلك تمثل حلقة وصل بين هذه المدن مما جعلها مدينة يرغبها السواح لسهولة الوصول إليها، إضافة إلى قربها من مدينة طرابلس، أما فلكياً فتقع بين دائرة عرض 47'، 32° شمالاً وخط طول 30'، 12° شرقاً⁽¹⁾، وتقدر مساحة مدينة صبراتة بحوالي 610 كم² أي ما يعادل 0.03% من مساحة ليبيا، وتشتمل مدينة صبراتة على إحدى عشرة محلة متباينة من حيث المساحة وعدد السكان وهم: الخطاطبة، والوادي، ودهمان، وخرسان، وسوق العلالقة، والنهضة، والطنيبات، وتليل، ومليته، والطويلة، وزواغه.

(1) أمانة اللجنة للمرافق صبراتة (سابقاً)، المخطط الشامل (2000م)، طرابلس، مخطط التطوير، ص 14.

خريطة (1) التقسيم الإداري لمدينة صبراتة



المصدر: إعداد الباحثين اعتماداً على أمانة المرافق مكتب التخطيط العمراني، صبراتة، (سابقاً) شكل التقسيمات الإدارية 2009م.

2- أشكال السطح:

تعتبر صبراتة من أبرز المناطق السياحية في ليبيا حيث تتميز بمجموعة من العناصر الطبيعية للجذب السياحي، ومن أهمها: الشاطئ الرملي الجميل الذي يمتد أمام المدينة على ساحل البحر المتوسط لمسافة 50 كيلومتر، ويغلب عليه الاستقامة، وقلة التعرج مما جعل من صبراتة منطقة جذب سياحي، هذا بالإضافة إلى امتداد شاطئ صخري يختلف في طبيعته عن الشاطئ الرملي، مما يفيد التنوع في الشكل العام للمكان أو اللاندسكيب الطبيعي، وهذا التنوع الطبيعي أعطى منطقة صبراتة العديد من المقومات السياحية الهامة، وأعطى للمنطقة صلاحيات جغرافية كبرى للاستغلال السياحي.

3: المناخ: يعتبر المناخ أكثر العوامل الطبيعية تأثيراً على النشاط السياحي، فالمنطقة التي تنتم بمناخ يتميز بدرجات حرارة معتدلة، وسطوع منتظم ودائم

للشمس وانعدام المطر تمتلك أحد عوامل الجذب السياحي الهامة التي تساعد على تنشيط الحركة السياحية بها وهذا ما هو ملاحظ في أقاليم البحر المتوسط وجزر المحيط الهادي⁽¹⁾.

الحرارة:

وبالنظر إلى بيانات الجدول (1) والشكل (1) يتضح أن أعلى متوسط شهري لدرجات الحرارة العظمى بمنطقة صبراتة يمثلها شهر "أغسطس" وهي (30.3) درجة مئوية، بينما سجلت أدنى درجة حرارة خلال شهر يناير (18.3) درجة مئوية وبذلك يعتبر شهر يناير أبرد شهور السنة بها، وترتفع درجة الحرارة إلى أقصاها خلال فصل الصيف حيث بلغ متوسط الحرارة العظمى (29.0) درجة مئوية، ويرجع ذلك إلى تأثير الرياح التي تهب من الجنوب، فالارتفاع في درجة الحرارة إلى الحد الأقصى في أشهر الصيف يتفق وأكثر الشهور حرارة، ويظهر هذا التأثير في ارتفاع حرارة شهر أغسطس، بينما انخفض متوسط الحرارة العظمى خلال فصل الشتاء إلى (19.1) درجة مئوية، والذي يمتد من شهر ديسمبر إلى شهر فبراير، حيث إن أشعة الشمس تكون عمودية على مدار الجدي جنوب خط الاست كذلك تكون درجة حرارة النهار متقلبة ومختلفة بين شهر وآخر خلال أشهر الربيع والخريف.

(1) سعد ادريس نوح، مناخ الجبل الأخضر، دراسة تحليلية لأصناف المناخ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية

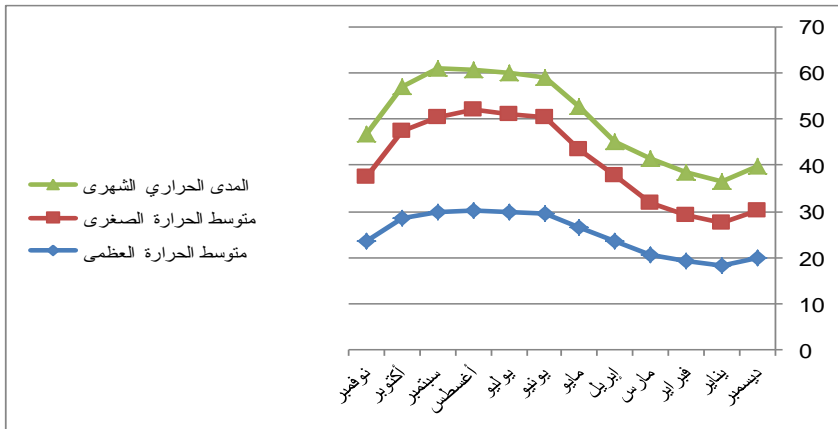
الآداب والتربية، جامعة قارونس، 1998م، ص.117

الجدول (1) المتوسط الشهري لدرجة الحرارة لمدينة صبراتة

للفترة ما بين 2010-2020م

الشهور	ديسمبر	يناير	فبراير	مارس	أبريل	مايو	يونيو	يوليو	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر
متوسط الحرارة العظمى	19.9	18.3	19.2	20.7	23.5	26.4	29.6	30.0	30.3	30.0	28.6	23.4
متوسط الحرارة الصغرى	10.4	9.3	9.9	11.2	14.3	17.1	20.8	21	21.8	20.5	18.7	14.1
المدى الحراري الشهري	9.5	9	9.3	9.5	7.2	9.3	8.8	9	8.5	10.5	9.9	9.3

شكل (1) المتوسط الشهري لدرجة الحرارة العظمى والصغرى لمدينة صبراتة للفترة 2010-2020م



المصدر: عمل الباحثين استناداً إلى بيانات جدول (1).

ب- الأمطار:

من الجدول (2) والشكل (2) نلاحظ أنه بلغ المتوسط الشهري لسقوط الأمطار 238.91 مم، ويبدأ من فصل الخريف (سبتمبر)، وينتهي مع نهاية فصل الربيع من كل سنة، ومن واقع الجدول فقد سجلت أعلى المتوسطات في فصل الشتاء حيث بلغ المتوسط الفصلي 103.8 ملمتر، ثم فصل الخريف بمتوسط 95.3 ملمتر، وهذا يرجع إلى أن منطقة الدراسة خاضعة لمناخ البحر المتوسط بأقطاره الشتوية، ويليه فصل الربيع بمتوسط 38.2 ملمتر، ثم أخيراً فصل الصيف بمتوسط 0.61 ملمتر، وهو ما يفيد انعدام الأمطار به إلا نادراً، ويعتبر شهر ديسمبر أكثر شهور السنة مطراً حيث بلغ المتوسط 46.8 ملمتر، ويعتبر شهر أغسطس أقل شهور السنة مطراً.

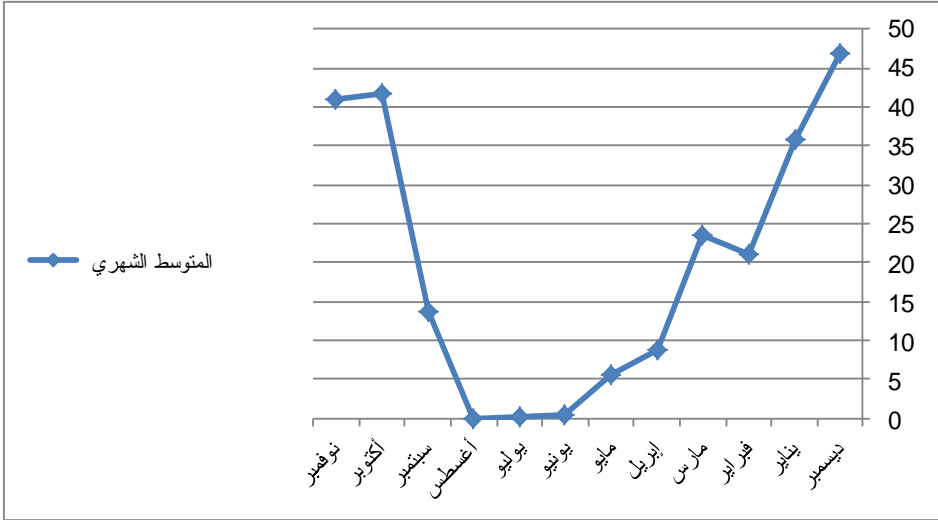
جدول (2) المتوسطات الشهرية والسنوية لكميات الأمطار لمدينة صبراتة للفترة 2010-2020م

الشهور	ديسمبر	يناير	فبراير	مارس	أبريل	مايو	يونيو	يوليو	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر
المتوسط الشهري	46.8	35.9	21.1	23.6	8.9	5.7	0.5	0.1	0.01	13.8	41.6	40.9

المصدر: مصلحة الأرصاد الجوي، نشرة طرابلس، بيانات غير منشورة، (2010 . 2020ف) .

شكل (2) المتوسطات الشهرية لكميات الأمطار لمدينة صبراتة

للفترة 2010-2020م



المصدر: إعداد الباحثين استنادًا على إحصائيات مصلحة الأرصاد الجوية، طرابلس، ليبيا.

ج- الرياح:

تتعرض منطقة الدراسة خلال فصل الشتاء لهبوب أنواع متعددة من الرياح بسبب مرور الانخفاضات الجوية فوق مستوى سطح البحر، ومن أكثر الرياح التي تهب على المنطقة هي الرياح الجنوبية الغربية والرياح الشمالية الغربية والرياح الغربية،⁽¹⁾ ، وقد سجل أعلى متوسط لسرعة الرياح خلال شهر سبتمبر وكان 12.44

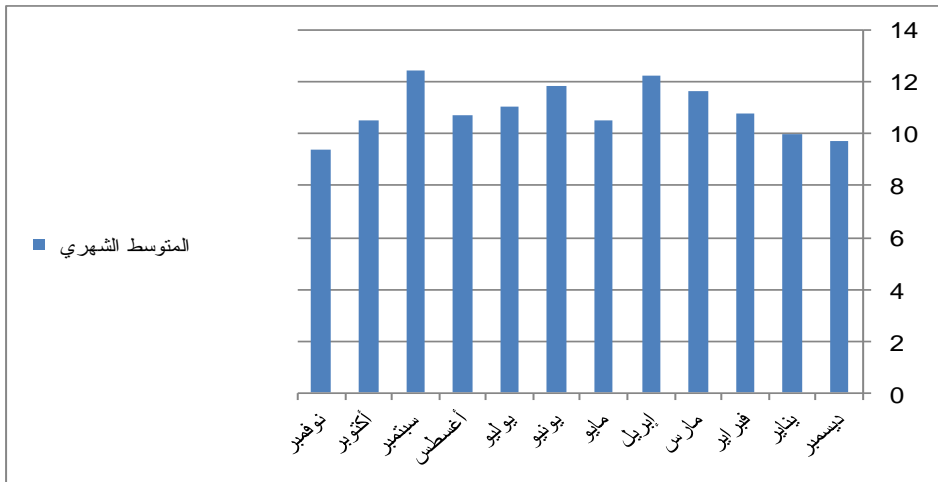
(1) أبو القاسم محمد العزابي (1981م)، الطرق والنقل البري، التغير الاجتماعي في ليبيا، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا.

عقدة/ساعة، ويليه شهر أبريل 12.24 عقدة/ ساعة ويسجل أقل متوسط سرعة في شهر نوفمبر، وكان 9.41 عقدة/ ساعة، ويليه شهر ديسمبر وسجلت 9.70 عقدة/ ساعة.⁽¹⁾

جدول (3) المتوسطات الشهرية لسرعة الرياح بالعقدة/ ساعة لمدينة صبراتة للفترة ما بين 2010-2020

الشهور	ديسمبر	يناير	فبراير	مارس	أبريل	مايو	يونيو	يوليو	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر
المتوسط الشهري	9.70	10.01	10.82	11.64	12.24	10.54	11.82	11.03	10.69	12.44	10.53	9.41

المصدر: مصلحة الأرصاد الجوي، نشرة طرابلس، بيانات غير منشورة، (2010 . 2020ف) .
شكل (3) المتوسطات الشهرية سرعة الرياح بالعقدة / ساعة لمدينة صبراتة من الفترة



المصدر: إعداد الباحثين اعتمادًا على بيانات الجدول 3

⁽¹⁾ حسن محمد الجديدي، الزراعة المروية، وأثرها على استنزاف المياه الجوفية في شمال غرب سهل الجفارة، مرجع سابق، ص74.

4 - الشواطئ البحرية في مدينة صبراتة:

يعتبر شاطئ صبراتة مقوماً طبيعياً للسياحة، وتمتاز شواطئه برمال ناعمة ومياه صافية وغير عميقة، إضافة إلى وجود الغابات والأشجار الصنوبرية القريبة من الشاطئ، كما يتميز الشاطئ بدرجة عالية من السطوع الشمسي بالقياس إلى ما يجاورها من المناطق الداخلية، وبهذا يجذب هذا الشاطئ أعداداً من المصطافين خلال الأشهر الممتدة من مايو إلى أكتوبر بحثاً عن الراحة والمتعة والاستجمام، وتتوفر بالمنطقة إمكانية ممارسة الرياضات البحرية المتنوعة، مثل ركوب اليخوت والزوارق والصيد والسياحة والانزلاق على الماء والغطس والتزحزح على الرمال.

5- الغطاء النباتي في مدينة صبراتة:

تتعدد المحميات في مدينة صبراتة ومنها محمية منتزه صبراتة الوطني، ويعد هذا المنتزه حديث الإنشاء، فقد تم تحديده وإنشاؤه عام 1995م، ويقع بغابة تليل، ويبعد حوالي 75 كم غرب مدينة طرابلس، وتبلغ مساحته حوالي 500 هكتار، وتحتوي المحمية على بعض حياة نباتية غنية بالزهور والأشجار الغابية مثل أشجار الصنوبر والكاورينا وأشجار السنط والسنط الشائك والكيينا بالإضافة إلى نباتات السدر والرتم والقندول والنباتات الحولية، كما تتواجد بالمحمية أعداد من الحيوانات البرية مثل الأرنب البري والقنفذ، والثعلب وبعض الثعابين والسحالي⁽¹⁾

ثانياً- المقومات البشرية للسياحة في مدينة صبراتة:

أولاً- المعالم الأثرية والتراث الشعبي في مدينة صبراتة .

(1) الزوكة، محمد خميس، صناعة السياحة من المنظور الجغرافي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (ط1)، 1996م، ص 160.

تقع مدينة صبراتة الأثرية على بعد كيلو متر واحد شمال مدينة صبراتة الحديثة و64 كم من طرابلس، وقد تم اختيار هذا الموقع لعدة أسباب منها امتدادها على ربوة صخرية تطل على البحر بشاطئ رملي لسهولة الملاحة).⁽¹⁾ أما بالنسبة للتسمية فقد وجد اسم المدينة بصيغة صبرات (sabrata) على قطع العملة البونيقية وأحياناً تسمى صبراتن (sabratan) وتعنى سوق الحبوب، كما اطلق عليها قدماء اليونان اسم (تريبوليس) باقليم المدن الثلاث، أيضاً أطلق عليها اسم (ايمبوريا) أي المراكز التجارية.⁽²⁾ ولقد شهدت صبراتة عمليات تنقيب مكثفة عن الآثار أثناء الاحتلال الإيطالي لليبيا كشفت عن جزء كبير من آثار المدينة القديمة وخصوصاً الرومانية⁽³⁾، وتشير المعطيات التاريخية إلى أن مدينة صبراته تشهد حركة نشطة كمزار سياحي رئيسي في المنطقة، ويتضح ذلك من خلال تتبع بيانات جدول (4) لحركة دخول السياح لمدينة صبراتة الأثرية نلاحظ أنها أصبحت تأخذ شكلاً متمامياً في السنوات الأخيرة، حيث وصل العدد سنة 2001م إلى 7527 سائحاً، ثم وصل في سنة 2006 إلى 45628 سائحاً. كما يلاحظ أن أكثر الشهور حركة هما شهري مارس وأبريل، وذلك لاعتدال الحرارة بهما وأدنى الشهور حركة هو شهر يوليو، وهو أشد الشهور حرارة، مما يفيد انخفاض وارتفاع حركة السياحة في تلك الشهور إلى المدينة الأثرية صبراتة.

(1) محمد عبدالله قصودة (2004)، البيئة السياحية وأفضلية المكان لمدن صبراتة، يفرن، غدامس، دراسة جغرافية، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة السابع من أبريل (سابقاً)، الزاوية، ص 65-66
 (2) هاينز (بدون تاريخ)، منطقة غرب ليبيا قبل العصر الإسلامي، دليل تاريخ و آثار، دار الفرجاني، طرابلس،

جدول (4) حركة دخول السياح الأجانب للمدينة الأثرية بصبراتة

2010	2009	2008	2007	2006	2005	السنة الشهر
2340	1728	1545	498	320	622	يناير
3546	1928	1450	710	292	416	فبراير
10406	6487	2540	1798	460	1368	مارس
9881	3992	3872	10779	462	2659	أبريل
2631	11312	2539	1945	79	566	مايو
1078	897	1494	370	51	144	يونيو
749	1116	235	48	244	104	يوليو
1411	1250	681	173	117	269	أغسطس
2598	1439	1112	446	1368	288	سبتمبر
3638	2001	178	2546	2511	778	أكتوبر
3869	3057	179	1873	1962	193	نوفمبر
3481	2003	787	768	810	120	ديسمبر
45628	42610	16612	21954	8676	7527	المجموع

المصدر: من عمل الباحثين ، استناداً إلى بيانات إحصائية قسم الإرشاد السياحي بالمنطقة.

ثانياً- الصناعات التقليدية في مدينة صبراتة:

تلعب الصناعات التقليدية وصناعه التذكارات دوراً هاماً في تنشيط السياحة بما تحققه من دخل، وبما تضيفه من متعه التسوق للسائح، وأهميتها في تنشيط الاقتصاد المحلي لكل منطقة لما لها من تعبير عن مشاعر وأحاسيس الشعوب المختلفة، وتعتبر الصناعات التقليدية جزءاً من التراث العربي في مدينة صبراتة، وهي حلقة وصل بين ماضي المدينة وحاضرها، وقد اشتهر سكان مدينة صبراتة بإتقان بعض الحرف التي كانت مظهرًا من مظاهر حضارتهم، ومن هذه الصناعات صناعة السجاد والحصر والنقش على النحاس والمواد المستعملة⁽¹⁾، وتعتبر مدينة صبراتة من أقدم المدن الغنية بالصناعات اليدوية من حرف ومشغولات تجذب إليها السياح وتتنوع الصناعات في مدينة صبراتة بتنوع الخامات الموجودة.

ثالثاً- خدمات الإيواء السياحي والحركة إلى صبراتة:

يوجد في صبراته عدد من الفنادق ليست ذات تصنيف سياحي، ولا تحمل شروط السياحة الجيدة من حيث التصميم ونوعية الخدمات، كما أن مواقعها في غير الأماكن التي يزورها السياح حيث تتركز معظم هذه الفنادق على الطريق الرئيسي عند مناطق العبور، وهي ما يطلق عليها بالمفهوم المتعارف عليها نزل، ووظيفتها المبيت فقط، ويقطنها الزوار ذوى الدخل المنخفضة جدول (5).

(1) يسرى عيسى (2004م)، الصناعات التقليدية والجذب السياحي في حوض البحر المتوسط، البيطاش

سنتر النشر والتوزيع الأسكندرية ص 84

جدول (5) الفنادق المصنفة سياحياً وعدد الغرف والأسرة عام 2009م

اسم الفندق	عدد الغرف	عدد الأسرة	م	اسم الفندق	عدد الغرف	عدد الأسرة
فندق الأصيل	40	62	7	فندق الوفاء	11	40
فندق صبراتة	30	50	8	فندق السلام	35	100
فندق المغرب العربي	25	60	9	فندق أفريقيا	24	45
فندق البحر المتوسط	20	80	10	فندق النافورة	10	20
فندق النجم الساطع	13	45		الإجمالي	244	552
فندق الساحل	36	50				

المصدر: من عمل الباحثين استناداً لبيانات إحصائية لجنة المتابعة من وزارة السياحة بطرابلس.

ومن خلال الجدول التالي يتضح أن عدد نزلاء بصبراتة وفقاً لعام 2009م، أكثرهم من الجنسية الليبية، وبلغ عددهم (811) ويليه من الجنسية الألمانية وعددهم (795) ثم سائح فرنسا، وعددهم 160 ، أما باقي الدول ومنها العربية والأوروبية فلم يتعدى عددهم مجتمعين 571 سائح

جدول (6) أعداد وجنسيات النزلاء بفنادق صبراته لعام 2009

عدد النزلاء	البلد	عدد النزلاء	البلد
90	سويسرا	795	ألمانيا
9	كندا	811	ليبيا
35	نيوزيلندا	08	مصر
13	أوكرانيا	65	تونس
19	بلجيكا	20	المغرب
01	السويد	04	الأردن
02	تركيا	140	إيطاليا
07	فنلندا	173	فرنسا
03	استراليا	116	النمسا
01	رومانيا	9	أسبانيا
02	المجر	7	بريطانيا
2337	المجموع		

المصدر: من عمل الباحثين استناداً لبيانات إحصائية لجنة المتابعة من وزارة السياحة بطرابلس.

رابعاً- القطاع الوظيفي في النشاط السياحي بصبراته (العمالة في القطاع السياحي):

يعتبر العنصر البشري في أي نشاط اقتصادي من أهم عناصر نجاح هذا النشاط، لتحديد القدرة التنافسية لأي مؤسسة اقتصادية، إلا أن هذا العنصر البشري

في قطاع السياحة له أهمية خاصة، لأن السياحة يعتمد نجاحها في الأساس على العمالة سواء في الفنادق أو المطارات أو الأماكن السياحية والمطاعم حيث إن حجم العمالة في قطاع السياحة غير ثابتة، وعلى الرغم من هذه الأهمية للعاملين في مجال السياحة إلا أنها تنقصها الكفاءة والتدريب المستمر والمهارة على الرغم من وجود العديد من المعاهد المتخصصة، ومع ذلك فهناك نقص شديد في المهارات واللغة والإلمام بمهارات الكمبيوتر لجميع العاملين حيث نلاحظ انخفاضاً في مستوى اللغات عند المرشدين السياحيين وثقافتهم العامة، وعدم اختصاصهم بالإرشاد السياحي، مع أن معظمهم خريجو كليات اللغات، وهذا يحقق الفرضية الثانية من البحث.

أولاً- الخصائص العامة للكادر الوظيفي للسياحة:

بالنسبة للخصائص العامة المتعلقة بالعاملين داخل النشاط السياحي بمنطقة الدراسة، فقد تم إجراء دراسة ميدانية تضمنت توزيع (200 استمارة) بالطريقة العشوائية على عينة غير منتظمة من العاملين بالقطاع السياحي داخل مجموعة من المرافق السياحية بالمدينة، وتم التوصل إلى النتائج التالية:

أ - الفئات العمرية للعمالة:

من خلال الجدول رقم (7) الذي يوضح التركيب العمري لعمالة السياحة في منطقة الدراسة نلاحظ أن الفئة العمرية من (20 - 40) عاماً تحتل المرتبة الأولى بنسبة (36%) من جملة، أفراد العينة، ويعود ذلك إلى أن النشاط السياحي له القدرة على جذب العناصر الشابة بما يوفره من فرص عمل كثيرة ومتنوعة ومخصصة، فالشباب لهم القدرة على استغلال هذه الفرص والاستفادة منها، في حين تحتل فئة (41 - 60) عاماً المرتبة الثانية بنسبة (30%) من جملة العمالة أفراد العينة، وتشمل هذه الفئة العاملين بفروع النشاط السياحي المختلفة، مثل:

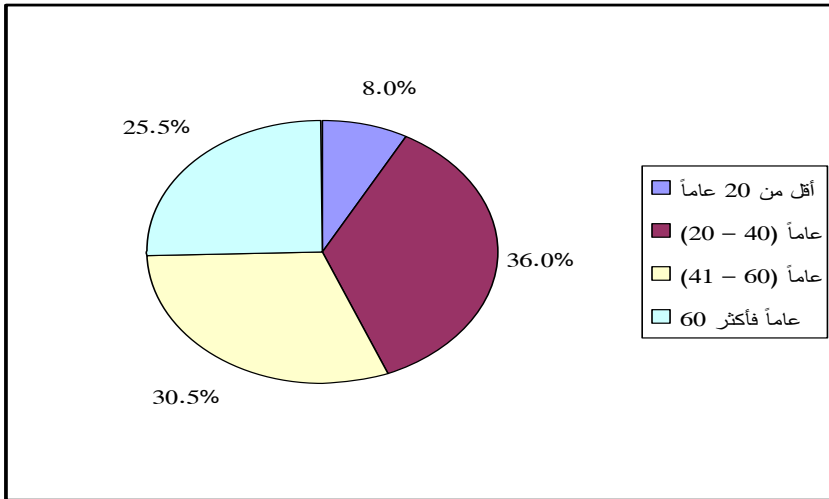
المعارض والمهرجانات السياحية والفنادق وغيرها من الأنشطة، وتأتي فئة (60 عاماً فأكثر) في المرتبة الثالثة بنسبة (25.5%) من جملة العاملين أفراد العينة، وذلك لأن أفراد هذه الفئة هم من كبار السن والذين ليس لديهم المهارات والتدريبات الكافية المستغلة بهذا المجال، هذا بالإضافة إلى عدم قدرتهم على القيام بالأنشطة التي يتطلبها النشاط السياحي من استقبال السياح والاهتمام بهم وتوفير الحماية والخدمات لهم، وسجلت فئة أقل من (20) عاماً انخفاضاً كبيراً حيث كانت نسبتها (8%) من جملة العمالة أفراد العينة، ويعود هذا الانخفاض الشديد في هذه الفئة لعدم قدرة أفرادها على القيام بالأنشطة التي يتطلبها النشاط السياحي، وافتقارهم إلى القدرات والمهارات الكافية وهذا يحقق الفرضية الأولى من البحث.

الجدول (7) الفئات العمرية للعمالة بالقطاع السياحي بمنطقة الدراسة

النسبة %	العدد	الفئات العمرية
8%	16	أقل من 20 عاماً
36%	72	(20 - 40) عاماً
30.5%	61	(41 - 60) عاماً
25.5%	51	60 عاماً فأكثر
100%	200	المجموع

المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 2020/07/24م.

الشكل (4) الفئات العمرية للعمالة بالقطاع السياحي بمنطقة الدراسة



المصدر: بيانات الجدول (8).

ب . المستوى التعليمي للعاملين:

بالنظر إلى الجدول رقم (8) الذي يوضح المستوى التعليمي لعدد من العاملين بالقطاع السياحي بمنطقة الدراسة نجد ارتفاع المستوى التعليمي لدى الغالبية من العاملين بالنشاط السياحي، ويعود ذلك إلى ما يتطلبه هذا النشاط من مهارات وتخصصات مختلفة من إدارة وإشراف وإرشاد سياحي وخدمات عامة، ومن خلال دراسة أرقام الجدول رقم (39) يتضح لنا أن العاملين الحاصلين على الشهادة الجامعية تبلغ نسبتهم (54%) من جملة العاملين أفراد العينة، في حين بلغت نسبة الحاصلين على الشهادة الثانوية والمعهد المتوسط (20%) من جملة العاملين أفراد العينة، ووصلت نسبة العاملين الحاصلين على الشهادة الإعدادية (5%) من جملة العاملين أفراد العينة، وفيما يتعلق بالعاملين الحاصلين على الشهادة الابتدائية بلغت نسبتهم (4%) من جملة العاملين أفراد العينة، بينما شكلت نسبة الأميين (2%) من

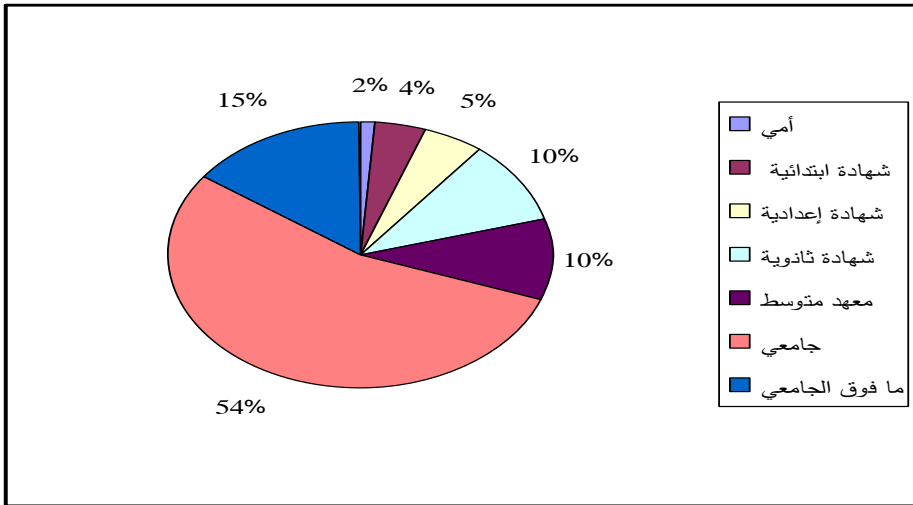
جملة العاملين بالنشاط السياحي أفراد العينة، ويرجع السبب في ذلك إلى قلة الاهتمام بتطوير الكفاءات من الأفراد العاملين في القطاع السياحي، ويتم ذلك من خلال إقامة دورات تدريبية لهم في جميع المجالات المتعلقة بهذا القطاع من إرشاد سياحي وخدمات أخرى داخل المرافق السياحية الخاصة بإقامة السياح.

الجدول (8) المستوى التعليمي للعاملين بالقطاع السياحي بمنطقة الدراسة

النسبة %	العدد	المستوى التعليمي
2%	3	أُمِّي
4%	8	شهادة ابتدائية
5%	10	شهادة إعدادية
10%	20	شهادة ثانوية
10%	20	معهد متوسط
54%	109	جامعي
15%	30	ما فوق الجامعي
100%	200	المجموع

المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 2020/07/24م.

الشكل (5) المستوى التعليمي للعاملين بالقطاع السياحي بمنطقة الدراسة



المصدر: بيانات الجدول (9).

ج - تصنيف العاملين حسب الجنس:

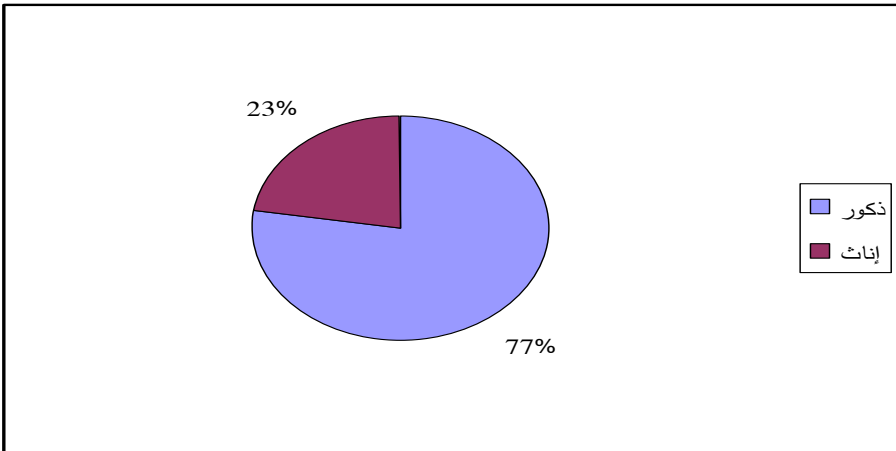
إن النشاط السياحي بما يوفره من فرص عمل كثيرة فهو ضمّ العديد من العاملين من الذكور والإناث إلا أننا نلاحظ من خلال الجدول رقم (9) يوضح تصنيف العاملين بالقطاع السياحي حسب الجنس بمنطقة الدراسة، نجد أن نسبة الذكور في هذا النشاط تحتل المرتبة الأولى بنسبة (77.5%) من جملة العاملين أفراد العينة، ويرجح ذلك إلى إقبال الذكور على هذا المجال أكثر من الإناث، في حين سجلت الإناث في هذا النشاط نسبة (22.5%) من جملة العمالة أفراد العينة، ويعود هذا الانخفاض إلى قلة إتاحة فرص العمل للمرأة، وقلة وعيها سياحياً، وعدم اقتناعها بالعمل في هذا النشاط.

الجدول (9) تصنيف العاملين بالقطاع السياحي حسب الجنس

النسبة %	العدد	الجنس
77.5%	155	ذكور
22.5%	45	إناث
100%	200	المجموع

المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 2020/07/24م.

الشكل (6) تصنيف العاملين بالقطاع السياحي حسب الجنس



المصدر: بيانات الجدول (10).

د - الحالة الاجتماعية للعاملين:

من خلال تتبع أرقام الجدول رقم (10) الذي يوضح الحالة الاجتماعية للعاملين بقطاع السياحة بمنطقة الدراسة نجد أن فئة المتزوجين تحتل المرتبة الأولى بنسبة (65%) من جملة العاملين أفراد العينة، في حين تأتي فئة العزّاب في المرتبة

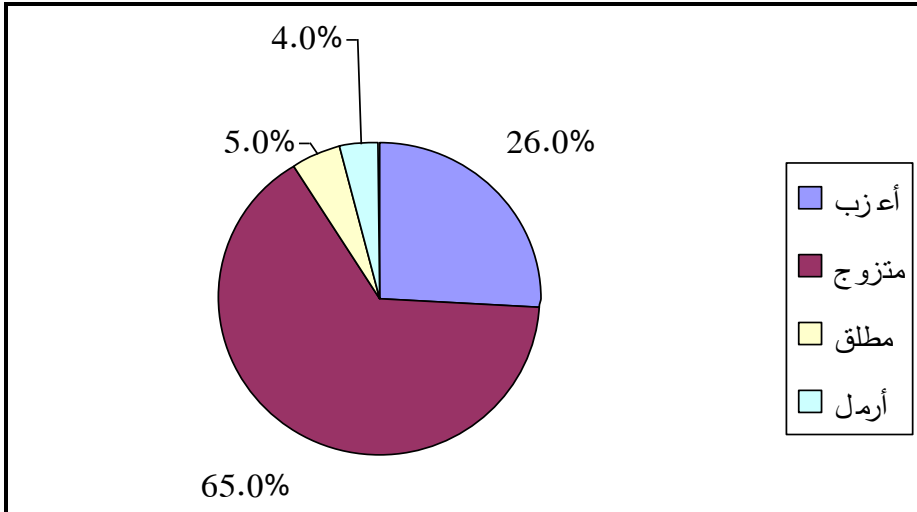
الثانية بنسبة (26%) من جملة العاملين أفراد العينة، وسجلت كل من فئتي مطلق وأرمل نسبتهم مجتمعة (9%) من جملة العاملين أفراد العينة.

جدول (10) الحالة الاجتماعية للعاملين بقطاع السياحة بمنطقة الدراسة

النسبة %	العدد	الحالة الاجتماعية
26%	52	أعزب
65%	130	متزوج
5%	10	مطلق
4%	8	أرمل
100%	200	المجموع

المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 2020/07/24م.

الشكل (7) الحالة الاجتماعية للعاملين بقطاع السياحة بمنطقة الدراسة



المصدر: بيانات الجدول (10).

هـ - التركيب الوظيفي للعاملين:

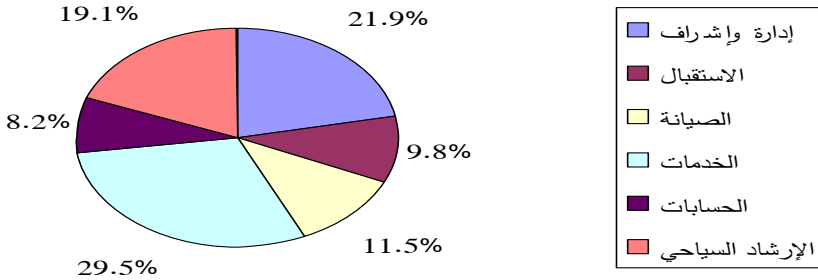
بالنظر إلى أرقام الجدول رقم (11) الذي يوضح التركيب الوظيفي للعاملين بالنشاط السياحي بمنطقة الدراسة يتضح من خلال أرقامه أن نشاط الخدمات العامة يحتل المرتبة الأولى من حيث العمالة بنسبة (27%) من جملة العمالة أفراد العينة، وذلك يعود إلى أن هذا النشاط يحتاج إلى أعداد كبيرة من العاملين، ولا يحتاج إلى مهارات عالية، في حين يمثل نشاط الإدارة والإشراف المرتبة الثانية بنسبة (20%) من جملة العاملين بالنشاط السياحي، وذلك لأنه يوفر فرص عمل كثيرة ومتنوعة من إدارة وإشراف وتنظيم وتنسيق للأنشطة السياحية، ويأتي نشاط الإرشاد السياحي في المرتبة الثالثة بنسبة (17%) من جملة العمالة، وذلك يعود إلى احتياج النشاط السياحي لهذا النشاط، فالكثير من المواقع السياحية والسياح في حاجة ماسة إلى مرشدين سياحيين لإعطائهم معلومات ثقافية وتاريخية، فكانت نسبة نشاط الحسابات (16%) ونشاط الصيانة (10.5%) ونشاط الاستقبال والضيافة (2%) من جملة العاملين بالقطاع السياحي بمنطقة الدراسة.

جدول (11) التركيب الوظيفي للعاملين بالنشاط السياحي بمنطقة الدراسة

النسبة %	العدد	القسم
20%	40	إدارة وإشراف
2.5%	18	الاستقبال
10.5%	21	الصيانة
27%	54	الخدمات
16%	15	الحسابات
17%	35	الإرشاد السياحي
100%	200	المجموع

المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 2020/07/24م.

الشكل (8) التركيب الوظيفي للعاملين بالنشاط السياحي بمنطقة الدراسة



المصدر: بيانات الجدول (11).

ز - تركيب العاملين حسب اللغات التي يجيدونها:

بالنسبة للعاملين في القطاع السياحي بمنطقة الدراسة ومستوى الإلمام باللغات وإتقانها فبتحليل أرقام الجدول رقم (12) والذي يوضح تركيب العاملين حسب اللغات التي يجيدونها بمنطقة الدراسة، يتضح لنا أن اللغة العربية تحتل المرتبة الأولى من حيث العاملين بنسبة (35.5%) من جملة العاملين أفراد العينة، ويعود ذلك إلى أنها اللغة الأصلية للعاملين بمنطقة الدراسة، في حين تحتل اللغة الإنجليزية المرتبة الثانية بنسبة (33%) من جملة العاملين أفراد العينة، وذلك يرجع إلى أنها اللغة الثانية التي يتم تدريسها في الكليات بمنطقة الدراسة بعد اللغة العربية، واحتلت اللغة الفرنسية المرتبة الثالثة بنسبة (16.5%) من جملة العاملين أفراد العينة، في حين وصلت نسبة اللغات الأخرى مجتمعة (15%) من جملة

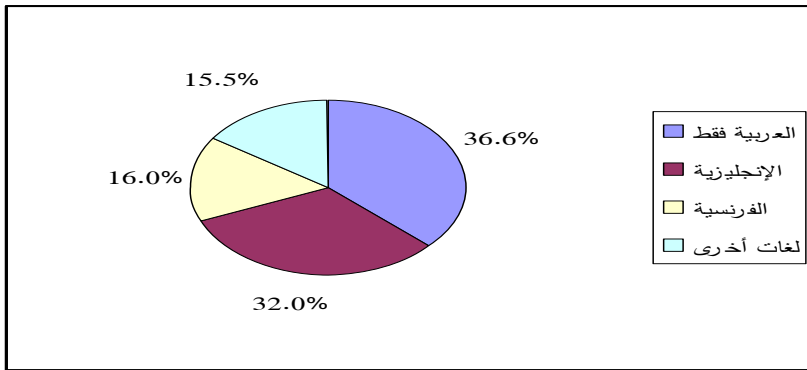
العاملين أفراد العينة، مثل: اللغة الإيطالية، والأسبانية، والصينية، واليابانية، وغيرها.

الجدول (12) تركيب العاملين حسب اللغات التي يجيدونها

النسبة %	العدد	اللغة
35.5%	71	العربية فقط
33%	62	الإنجليزية
16.5%	31	الفرنسية
15%	30	لغات أخرى
100%	200	المجموع

المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 2020/07/24م.

الشكل (9) تركيب العاملين حسب اللغات التي يجيدونها



المصدر: بيانات الجدول (12).

و - تصنيف العاملين حسب التحاقهم بدورات تدريبية:

بالنظر إلى الجدول رقم (13) الذي يوضح تصنيف العاملين بالنشاط السياحي بمنطقة الدراسة حسب التحاقهم بدورات تدريبية يتضح أن نسبة الملتحقين

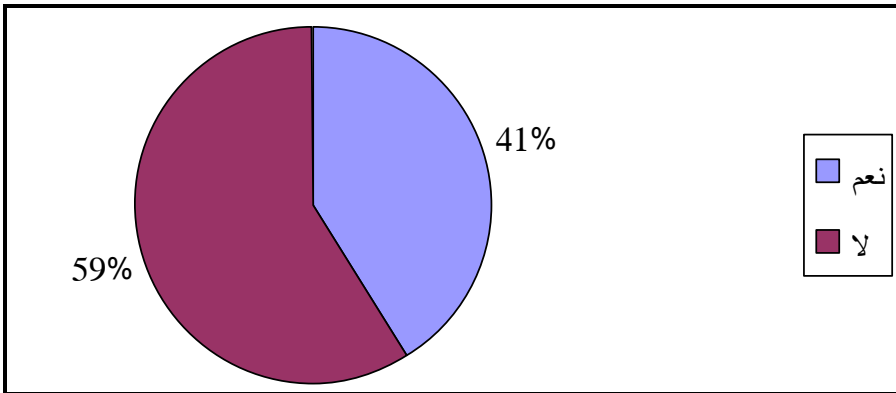
بدورات تدريبية تصل إلى (41%) من جملة العاملين أفراد العينة، في حين أن نسبة العاملين الذين لم يلتحقوا بدورات تدريبية تصل إلى (59%) من جملة العاملين أفراد العينة، وذلك يعود إلى عدم الاهتمام بإقامة دورات تدريبية متعلقة بالعاملين في هذا النشاط.

جدول (13) تصنيف العاملين حسب التحاقهم بدورات تدريبية

النسبة %	العدد	الإجابة
41%	82	نعم
59%	118	لا
100%	200	المجموع

المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 2020/07/24م.

الشكل (10) تصنيف العاملين حسب التحاقهم بدورات تدريبية



المصدر: بيانات الجدول (13).

ح - تصنيف العاملين حسب الخبرة: بالنظر إلى الجدول رقم (14) الذي يوضح تصنيف العاملين حسب اكتساب الخبرة نجد أن العاملين الذين اكتسبوا خبرات من دورات التدريب وصلت نسبتهم إلى (55%) من جملة العاملين أفراد العينة، في

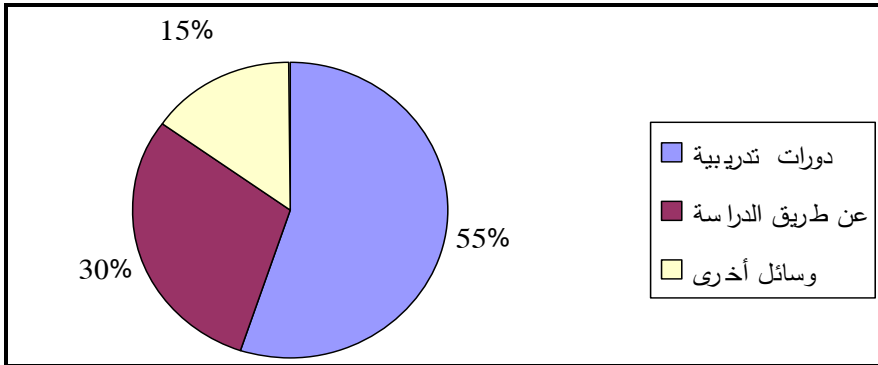
حين وصلت نسبة العاملين الذين تحصلوا على خبرات من الدراسة في هذا المجال إلى (30%) من جملة العاملين، وسجلت فئة العاملين الذين تحصلوا على خبرات من وسائل أخرى نسبة (15%) من جملة العاملين أفراد العينة.

جدول (14) تصنيف العاملين حسب اكتسابهم خبرة

النسبة %	العدد	الإجابة
55%	110	دورات تدريبية
30%	60	عن طريق الدراسة
15%	30	وسائل أخرى
100%	200	المجموع

المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 2020/07/24م.

الشكل (11) تصنيف العاملين حسب اكتسابهم خبرة



المصدر: بيانات الجدول (14).

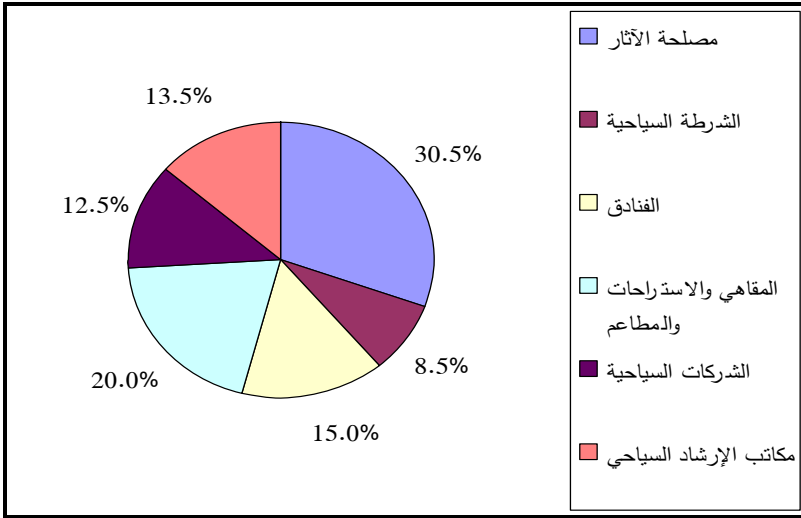
ط - تصنيف العاملين حسب نوع المرافق السياحية التي يعملون فيها: من خلال الدراسة يتضح لنا أن مصلحة الآثار تحتل المرتبة الأولى من حيث العاملين بالقطاع السياحي بنسبة (30.5%) من جملة العاملين أفراد العينة، وذلك لما تتميز به هذه المرافق من تنوع وتعدد الخدمات فيها، في حين تأتي مرافق المقاهي والاستراحات والمطاعم في المرتبة الثانية بنسبة (20%) من جملة العاملين أفراد العينة، ويعود ذلك إلى أن هذه المرافق السياحية لا تحتاج إلى مهارات وخبرات عالية، بالإضافة إلى أنها تحتاج إلى أيدي عاملة كثيرة، وتأتي الفنادق في المرتبة الثالثة بنسبة (15%) من جملة العاملين أفراد العينة، واحتلت مكاتب الإرشاد السياحي المرتبة الرابعة بنسبة (13.5%)، والشركات السياحية المرتبة الخامسة بنسبة (12.5%) من جملة العاملين، أما الشرطة السياحية فجاءت في المرتبة السادسة بنسبة (8.5%) من جملة العاملين أفراد العينة.

الجدول (15) تصنيف العاملين حسب نوع المرافق السياحية التي يعملون بها

النسبة %	العدد	المرافق السياحية
30.5%	61	مصلحة الآثار
8.5%	17	الشرطة السياحية
15%	30	الفنادق
20%	40	المقاهي والاستراحات والمطاعم
12.5%	25	الشركات السياحية
13.5%	27	مكاتب الإرشاد السياحي
100%	200	المجموع

المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 2020/07/24م.

الشكل (12) تصنيف العاملين حسب نوع المرافق السياحية التي يعملون بها



المصدر: بيانات الجدول (15).

ثانياً- المشاكل التي تواجه العاملين أثناء العمل بالقطاع السياحي:

من خلال أرقام الجدول رقم (16) الذي يوضح أهم المشاكل التي تواجه العاملين بالقطاع السياحي أثناء عملهم بهذا القطاع يتضح لنا أن نسبة (42.5%) من جملة العاملين أفراد العينة لاتواجههم مشاكل أثناء مزاولتهم عملهم في هذا النشاط، في حين نجد أن نسبة العاملين الذين تواجههم مشاكل أثناء العمل في هذا المجال تصل إلى (57.5%) من جملة العاملين أفراد العينة، ومن أهم هذه المشاكل ما يلي:

عدم وجود برنامج سياحي منظم داخل المرافق السياحية بواسطته يتم توزيع العاملين داخل هذه المرافق حسب تخصصهم، لذلك نجد أن معظم العاملين في هذا النشاط يعانون من مشاكل في عملهم بسبب عدم توافق العمل مع تخصصهم العلمي.

نقص الخبرة لدى الكثير من العاملين، وذلك بسبب عدم التحاقهم بدورات تدريبية خاصة بهذا النشاط.

عدم وجود مكافآت تشجيعية خاصة للعاملين في المرافق السياحية التي يعملون بها. تواجه العاملين من العناصر الوطنية في المجال السياحي منافسة كبيرة من الخبرات الأجنبية من حيث المهارات والخبرة أثناء الحصول على وظيفة داخل هذا النشاط. إن استخدام العناصر الأجنبية في هذا المجال يؤثر على مستوى الرواتب وتخفيضها بالنسبة للعمالة الوطنية، لذلك نلاحظ ارتفاع نسبة العمالة الأجنبية داخل هذا القطاع.

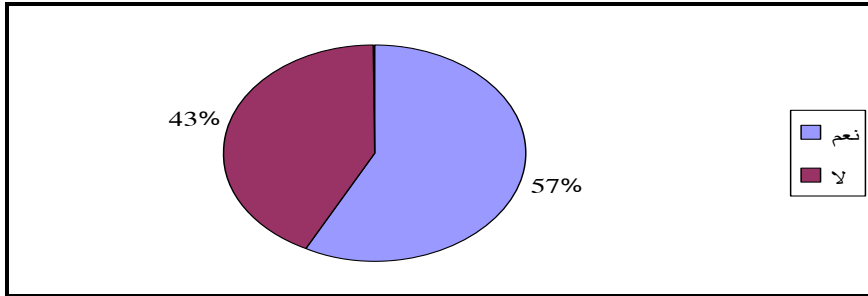
عند الحصول على وظيفة داخل هذا القطاع يواجه العاملون مشاكل تتمثل في عدم وجود الأجهزة والوسائل التي تساعدهم على مواصلة وتطوير هذا النشاط.

الجدول (16) المشاكل التي تواجه العاملين داخل النشاط السياحي بمنطقة الدراسة

النسبة %	العدد	الإجابة
57.5%	115	نعم
42.5%	85	لا
100%	200	المجموع

المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 2020/07/24م.

الشكل (13) المشاكل التي تواجه العاملين داخل النشاط السياحي بمنطقة الدراسة



المصدر: بيانات الجدول (17).

الخاتمة:

لكي ينجح قطاع السياحة في منطقة صبراته يجب أن تكون إدارته فعالة من حيث الهيكل المناسب والأفضل لتحقيق الأهداف وفق المحددات والظروف والخصوصيات المحلية والإقليمية والدولية، وأن يؤسس هذا العمل على إطار قانوني صلب، وأن تكون هيكلته وخطته في إطار وضمن حدود التوجهات والتطور والسمة الاقتصادية العامة لليبيا والإستراتيجية الشاملة لها.

أولاً-النتائج:

يمكن حصر نتائج البحث في النقاط التالية:

عدم توفر أماكن للإرشاد السياحي التي تتوفر بها المعلومات والخرائط التوضيحية لمواقع الجذب السياحي المختلفة وأماكن الإقامة والترويج والمدن الهامة، ووسائل النقل المختلفة، وكذلك المرشدون السياحيون، بالإضافة إلى عدم توفر أسواق كافية لبيع الهدايا التذكارية والكروت البريدية، وانعدام الخدمات البريدية بأنواعها، هذا بالإضافة إلى عدم كتابة أسماء الأماكن والإرشادات والتعليمات بلغات أخرى بجانب اللغة العربية.

الحظر المفروض على التقاط الصور الفوتوجرافية وأشرطة الفيديو داخل المتاحف وخارجها مما يشعر السائح بعدم الراحة والتلقائية، وحرمانه من جزء هام من الرحلة وهي الذكريات المصورة وليس الذهنية فقط، والذكريات المصورة ذات أهمية خاصة للسائح من ناحية، كما أنها تلعب أيضاً دوراً إعلامياً هاماً في الدعاية السياحية بدون مقابل، كما أبدى السائحون امتعاضهم لتعذر دخولهم لبعض المتاحف بسبب إغلاقها.

انطباع السائحين بانخفاض المستوى العام للصحة، وذلك من خلال مشاهدتهم لأكوام القمامة والمخلفات في مداخل المدن وعدم الاهتمام بنظافة الشوارع وكثرة الملوثات، كما انتقد السائحون تدني مستوى النظافة في بعض مرافق الإيواء ومرافق تقديم الوجبات.

عدم وجود فنادق مناسبة في مناطق الجذب السياحية، كما هو الحال في غريان، فيضطر السائحون للعودة إلى طرابلس والتي تبعد عنها بمسافة 80 كم للراحة والنوم.

عدم وجود كوادر بشرية ماهرة ومدربة تدريباً عالياً على تقديم الخدمات اللازمة للسائحين، هذا بالإضافة إلى قلة إلمامهم باللغات الأجنبية.

الانتظار على الحدود فترات طويلة بسبب الإجراءات البيروقراطية الرتيبة.

لا توجد أنشطة ترويجية أو خدمية بين المترددين إذ تتعدم الهيئات القائمة على خدمة مرتادي البحر كالمطاعم وغيرها، حيث تتولى الأسر تأمين احتياجاتها من طعام وشراب، مما يجعل المردود المادي ينحصر على رسوم الدخول وإيجار المكان والمقاعد فقط.

لا توجد منشآت ذات أهمية كبيرة تدعم النشاط السياحي البحري بالنمط المعروف، ليكون حلقة فاعلة في اقتصاد المنطقة وتقدم خدماتها بأسعار في متناول الجميع ليساهم في زيادتها بشكل دوري مقابل مصاريف يمكن لزائرها تحملها، إذ يلاحظ أن الأسعار لبعض المنشآت القائمة والتي هي قليلة العدد مرتفعة وليست في متناول الجميع، مما يجعل مرتاديه من طبقة خاصة ومترفة، كما هو الحال مع مصيف الوادي ومصيف شهر زاد والقرية السياحية بتليل أو ما يسمى بـ(المركب السياحي دار تليل)، أما باقي أفراد المجتمع، فيتمركزون في المصايف المبنية على هيئة أكواخ وعرائش من سعف النخيل نتيجة لرخص ثمنها، رغم أن بعضها يفتقر لأقل الخدمات كالرياضة، والكهرباء، والنظافة العامة.

ثانياً-التوصيات:

إعداد وتنفيذ نظم ولوائح مشددة من أجل حماية المناطق السياحية، وكذلك التراث التاريخي الوطني.

وضع علامات إرشادات توجيهية وإعلامية في المواقع الأثرية في المنطقتين باللغات الرئيسية الحية.

الاهتمام بالمشرفين والمكلفين بحماية المواقع الأثرية والتاريخية.

تطوير الاتصالات والاهتمام بالبنية التحتية في منطقة الدراسة.

رفع مهارة العاملين وإقامة الدورات المختلفة بالداخل والخارج.

تنظيم الندوات والمعارض التي تختص بالقطاع السياحي.

تعيين ممثلين للتسويق السياحي في السفارات اللبية في مختلف دول العالم.

إعداد وإنشاء خرائط سياحية توضح كل ما يحتاجه السائح من معلومات حول منطقة الدراسة.

إنشاء مواقع على شبكة المعلومات الدولية للتعريف بإمكانيات منطقة الدراسة السياحية.

إنشاء مركز دولي للآثار في مدينة صبراته.

الاهتمام بالقطاع الأهلي الخاص المكاتب والشركات السياحية ودعمهم بشتى الطرق.

أعداد برامج مرئية عن عناصر الجذب السياحي لتحقيق الجذب السياحي.

مراجعة وتحديث برامج التدريب الحالية بمعاهد التدريب السياحي.

قائمة المصادر والمراجع

- أبو القاسم محمد العزابي (1995)، ليبيا دراسة في الجغرافيا، الدار ليبيا للنشر والتوزيع والإعلان، سرت.
- أبو القاسم محمد العزابي (1981م)، الطرق والنقل البري، التغير الاجتماعي في ليبيا، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا.
- أبو القاسم محمد العزابي (1995)، النقل والمواصلات، ليبيا دراسة في الجغرافيا، تحرير الهادي بو لقامة، سعد القزير، 1995.
- أحمد الجلاذ (1998م): النواحي الاجتماعية والاقتصادية المتعلقة بحماية البيئة السياحية، في: أحمد الجلاذ (محرراً)، دراسات في الجغرافية السياحية، القاهرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى.
- أحمد حبيب رسول، دراسة في جغرافية النقل، 1986م.
- أحمد حجازي (1995): الثقافة السياسية في دول ما قبل الحداثة، تحليل مضمون تأثير وسائل الإعلام على الشباب السوداني، القاهرة، دار الثقافة الجديدة.
- أحمد حسن إبراهيم (2000م) جغرافية السياحة، دار القلم للنشر.
- أحمد فوزي ملوخية (2007)، مدخل الى علم السياحة، ط 1، دار الفكر الجامعي، الأسكندرية، 2007م.
- أسامة عبد الرحمن (1997م) تنمية التخلف وإدارة التنمية في: أسامة عبد الرحمن (محرراً) إدارة التنمية في الوطن العربي والنظام العالمي الجديد، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى.
- آمال الشرقاوي (1999): التنمية والمجتمع في العصر الحديث، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

أمانة اللجنة للمرافق صبراتة (سابقاً)، المخطط الشامل (2000م)، طرابلس، مخطط التطوير.

امحمد امقيلي (1995م)، للجماهيرية دراسة في الجغرافية، تحرير الهادي مصطفى أبو لقمة وسعد خليل الجزيري، ليبيا للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى. جودة حسنين جودة (1975م)، أبحاث في جيومورفولوجية الأراضي الليبية، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي. جودة حسنين جودة (1995م) البحار والمحيطات، دار النهضة العربية، الإسكندرية.

حافظ ستهم (1993م)، وحسونة العزابي، وحسين الديماس، ودره محفوظ عامر، القطاع السياحي في تونس الحصيطة والآفاق والمستقبل، دار سراس للنشر، تونس. حسن محمد الجديدي (1986م): الزراعة المروية وأثرها على استنزاف المياه الجوفية في شمال غرب سهل الجفارة، الدار ليبيا للنشر والتوزيع والإعلان. حسين أمين (1999م): التنمية بين الشارع والبيت، القاهرة، دار الشروق. حمدي احمد ومحمد صبحي (1995م): جغرافية ليبيا السياحية، الدار ليبيا للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس.

خالد بن محمود (1995م): خليل أبو بكر وآخرون، أساسيات علم التربة وعلاقته بنمو النبات، مطبوعات الجامعة المفتوحة طرابلس، ليبيا.

خالد رمضان محمود (1995م): التربة الليبية (تكوينها - تصنيفها - خواصها - إمكاناتها الزراعية) الهيئة القومية للبحث العلمي، طرابلس.

خالد مقابلة، وآخرون (2001م)، التسويق السياحي الحديث، عمان، دار وائل للنشر.

د. ي، هاينز (2005م)، دليل تاريخ وآثار منطقة طرابلس، دار الفرجاني، طرابلس.

- داليا محمد زكي(1994م)، جغرافية مصر السياحية، المعهد العالي للسياحة والفنادق، السيوف، الإسكندرية.
- زاهي بشير المغربي ومصطفى خشيم(1991) تنمية الصادرات اللبية، الهيئة القومية للبحث العلمي، مركز العلوم الاقتصادية، مطابع الثورة للطباعة والنشر، بنغازي.
- زهير الكرمي (2000): الإنسان والعائلة، عمان الأردن، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.
- الزوكة، محمد خميس، صناعة السياحة من المنظور الجغرافي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (ط1)، 1996م.
- سعد إدريس نوح، مناخ الجبل الأخضر، دراسة تحليلية لأصناف المناخ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والتربية، جامعة قاريونس، 1998م.
- محمد عبد الله قصودة، السياحة في شمال غرب ليبيا ، رسالة ماجستير غير منشورة، 2001م
- محمد عبدالله قصودة (2004)، البيئة السياحية وأفضلية المكان لمدن صبراتة، يفرن، غدامس، دراسة جغرافية، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة السابع من أبريل (سابقاً)، الزاوية.
- يسرى عيسى (2004م)، الصناعات التقليدية والجذب السياحي في حوض البحر المتوسط، البيطاش سنتر النشر والتوزيع الأسكندرية.

أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بمستوى الطموح لدى طلبة

جامعة المرقب بمدينة الخمس

إعداد: د. فتحية إمام احليلي

المقدمة:

يولد الإنسان وهو مزود باستعدادات فطرية، وحسية، وعقلية، لممارسة حياته بصورة سوية في المجتمع الذي يعيش فيه ، لذلك تمثل الأسرة المؤسسة الاجتماعية الأولى التي ينشأ الفرد فيها وبتعرع في أكنافها، ويكتسب من خلالها العادات والقيم، وتتكون لديه الاتجاهات المختلفة نحو ما يحيط به، فينطلق منها الفرد إلى العالم الخارجي ويكتسب الكثير من السلوكيات، ومن خلال الأسرة يتم إشباع حاجات الأبناء البيولوجية والنفسية، ويتمتعون بالدفء والرعاية والحب، وهذا يخرس فيه الطموح والأمل في الوصول إلى أعلى المراتب في المجتمع المتقدم الذي يحتاج منه السرعة في اتخاذ القرارات الصائبة من أجل النجاح أو الوقوع في الفشل وخيبة الأمل، لذلك يجب أن يسانده والديه منذ نعومة أظافره لسير على الطريق الصحيح، والأسلوب المتبع معهم.

ويختلف الأبناء في إدراكهم للطريقة التي يعاملون بها من آبائهم، وهذا قد يكون له علاقة يؤثر على خصائص شخصيتهم في الكبر بالرغم من أن الأسرة والقائمين

علي تربية النشء يختلفون فيما بينهم في الطرق والأساليب التي ينشئون عليها أبنائهم إلا أن الفرد يدرك هذه الأساليب بشكل منفرد ومتميز عن غيره (1).

وإذا كان لدى الفرد مستوى مناسب من الطموح ينال خيراً كثيراً وأن الطموح إذا كان مناسباً لقرارات الإنسان وإمكانياته فينال خيراً وقيراً، وما أجمل أن يستغل الإنسان المسلم هذا الطموح فيسعى جاهداً لتحقيق أهدافه الدينية والدنيوية، والأصل أن يكون طمح الإنسان المسلم مميزاً فهو لا يرضى بالدنية ولا يقتنع بالفتات وطموح الإنسان السليم لا تحده حدود ولا توقفه عقبات، فهو لا يطمح إلى الجنة فقط، ولكنه يريد الفردوس الأعلى من الجنة. (2).

إن العلاقة وثيقة بين التنشئة الاجتماعية، وكيفية تأثر دور الأسرة في غرس الطموح لدى أبنائها منذ الصغر حتى يشيب الطفل وهو يحمل في طياته تحقيق هذا الطموح، وبهذا يظهر أهمية التغييرات الفردية التي يحتاجها الفرد لتحقيق طموحاته. هذا البحث سوف يعرض أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بمستوى الطموح لدى طلبة الجامعة بمدينة الخمس.

مشكلة البحث:

يلعب مستوى الطموح دور هام في حياة الإنسان، فعلى أساسه يتحدد مستقبل الإنسان وآماله، ولا تكمن الأهمية في وجود مستوى الطموح فقط، ولكن في

¹ - زهران، (2003)، حامد، علم زمن النحو ، ط3، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية،

مصر، ص5.

² عبدالرزاق، (2005)، عماد، أدراك الغياب النفسي للأب والمشكلات السلوكية لدى الأبناء، المؤتمر السنوي الثاني عشر، مركز الإرشاد النفسي، كلية التربية جامعة عين شمس، مصر 18.

كيفية استغلاله ومدى مناسبته لقدرات الفرد وإمكانياته وتؤكد كثير من الدراسات والإحصائيات التي تصدرها الجهات الرسمية وغير الرسمية ممن تهتم بمجال الطفل والتربية أن أغلب المشكلات السلوكية النفسية التي يتعرض لها الأبناء هي بسبب سوء معاملة الآباء لهم، حتى تتم بناء شخصية سوية متماسكة منتجة تندمج مع المجتمع وتتكيف مع معطياته وظروفه إنما تكون بلا شك تبعاً لمعامله الآباء وتصرفاتهم حيالها.

وقد أوضحت بعض الدراسات أن الأطفال المعرضين لسوء المعاملة الجسدية يتصفون بالعدوانية والعناد والفوضى والنشاط الزائد، ويظهرون مشكلات عدم التوافق مع بيئة الصف والتفاعل مع الزملاء (saljinger 1993)، كما أكدت بعض الدراسات الحديثة على العلاقة بين سوء المعاملة والإهمال وأعداد معامل الذكاء FranxeBoetshe and Harmon 2001 وفي دراسة أحمد (1981) عن بعض العوامل المؤثرة على مستوى والطموح الأكاديمي بين التلاميذ وتقبل الأم والأب وبين التلاميذ منخفضي يقبل الأم والأب.

وقد توصلت العديد من الدراسات إلى معرفة أهمية وتأثير الأساليب التي يتعامل بها الآباء مع أبنائهم داخل الأسرة مثل دراسة غانم(2006) التي أكدت على أن الاتجاهات الوالدية في التنشئة، كما يدركها الأبناء تؤثر على مستوى الدافعية والإنجاز لديهم، وكما أكدت الدراسة على أن أساليب التعامل السائدة في الأسرة من قبل الآباء لأبنائهم لها تأثير مباشر وغير مباشر على دوافع حب الاستطلاع والرغبة في اكتشاف العالم المحيط بهم، وكما أسفرت نتائج الدراسة التي قامت بها سلامة (1985م) إلى أن اتباع الأنماط السلبية في التنشئة من قبل والوالدين مثل الرفض وعدم التقبل يؤدي إحباط حاجة الحب والأمن والانتماء وبالتالي انعدام قبول الطفل لذاته. وتدعي الباحثة في مجال تخصصه في علم النفس (أخصائي نفسي)

شكوى وتتمر الكثير من الأبناء من أنهم كانوا يتعرضون لبعض أساليب سوء التربية وأن طفولتهم سعيدة، فكثرة أعداد الذين يظهرون شيء من التدني في مستوى الطموح لديهم وضعف الدافعية والإنجاز، لذلك ستقوم الباحثة بإجراء البحث على عينة من طلاب الجامعة لمعرفة علاقة بعض أساليب المعاملة والوالدية على مستوى الطموح لديهم .

أسئلة البحث:

هل توجد علاقة ارتباطيه ذات دلالة إحصائية بين متوسطات استجابات أفراد العينة، وأساليب المعاملة الوالدية، ومستوى الطموح لدى طلبة جامعة المرقب؟
هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات استجابات أفراد العينة على مقياس البحث تعزى متغيرات الخلفية الشخصية للمبحوثين؟
هل توجد فروق دالة إحصائيا بين أفراد العينة في مستوى الطموح وأساليب المعاملة الوالدية وفقا لمتغير التخصص؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث الحالي فيما يلي:

الأهمية النظرية:

تعتبر أساليب المعاملة الوالدية لها بالغ الأثر في تشكيل شخصية الأبناء، وقد أجمع العلماء والمشتغلين في علم النفس والتربية على أن الوالدان يلعبان دوراً رئيسياً في عملية التنشئة التي تترك بصمات جوهرية على الطفل، فمتى كانت هذه البصمات تتم بالإحساس بالأمن والمحبة، والشعور بالتقبل، أصبح ذلك محققاً

للصحة النفسية، ولكن إذا أحس الطفل بالإهمال والحرمان والجمود والتقييد والرفض أدى ذلك إلى أن يصبح ذو شخصية جامدة ضعيفة معتمدة على الآخرين، وتتمثل أهمية البحث أيضاً في اكتشاف الطرق التي يمارسها الآباء في معاملتهم لأبنائهم، وتشكل جزءاً كبيراً في زيادة مستوى الطموح لديهم، وذلك من خلال الاطلاع على التراث النفسي في هذا الجانب، وكذلك الوقوف على مستوى الطموح لدى طلاب المرحلة الجامعية بمدينة الخمس.

كما تناول البحث الحالي أحد الموضوعات البحثية المهمة في مجال علم النفس وهو أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بمستوى الطموح لدى طلاب الجامعة، وأثر ذلك في نمو شخصياتهم وتكونها، وما يترتب على ذلك من أثر في توجيه عملية التنشئة الوالدية.

الأهمية التطبيقية:

تتمثل فيما يلي:

زيادة الفهم والوعي لدى المربين والآباء أهمية البحث وأثر أسلوب المعاملة الوالدية في زيادة أو ضعف مستوى الطموح لدى الأبناء وعلاقة كل منهما بالآخر.

مساعدة المهتمين بالتربية في جميع مؤسسات التنشئة الاجتماعية في تحسين الصحة النفسية للأبناء.

المساهمة في تصميم برامج لتوجيه الوالدين نحو الأسلوب الأمثل في معاملة الأبناء والذي يؤدي إلى تنمية مستوى الطموح لديهم.

توضيح أساليب المعاملة الوالدية التي تساعد على زيادة مستوى الطموح لدى الطلاب بصورة واقعية وكما يشعر بها أفراد العينة.

مساعدة المهتمين في تصميم بعض البرامج الإرشادية التي تسهم في تنمية مستوى الطموح لدى الأبناء.

المساهمة في تصميم بعض البرامج الإرشادية الأسرية لتوعية الأسر بخطورة أساليب المعاملة لوالديه التي تتسم بالرفض والقوة والإهمال.

أهداف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى ما يلي:

التعرف على ما اذا كانت توجد علاقة ارتباطيه بين أساليب المعاملة الوالدية ومستوى الطموح لدى طلبة جامعة المرقب.

التعرف على ما إذا كانت هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات استجابات أفراد العينة تعزى إلى متغيرات الخلفية الشخصية للمبحوثين.

التعرف على ماذا كانت هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات استجابات أفراد العينة وفقا لمتغير التخصص.

حدود البحث:

تحدد في دراسة بعض أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بمستوى الطموح لدى طلبة الجامعة بقسمي (علم النفس - اللغة العربية) بكلية الآداب جامعة المرقب بمدينة الخمس للعام الجامعي 2021-2022م.

مصطلحات البحث: أساليب المعاملة الوالدية:

هناك العديد من المصطلحات التي تعتقد الباحثة بأنها غامضة وتحتاج إلى التوضيح وهي على النحو الآتي:

أساليب المعاملة الوالدية: يعرفها النقيعي (1997) "بأنها الأساليب التي يتبعها الآباء مع الأبناء سواء كانت إيجابية وصحيحة لتأمين نمو الطفل في الاتجاه الصحيح والسليم ووقايته من الانحراف، أو سلبية وغير صحيحة تعوق نموه عن الاتجاه الصحيح والسليم وتؤدي إلى الانحراف جوانب حياته المختلفة، وبذلك لا تكون لديه القدرة على التواصل الشخصي والاجتماعي". (زهران، 2003: 190)

مستوى الطموح: يعرف بأنه الهدف الممكن الذي يصنعه الفرد لنفسه في مجال ما يتطلع إليه ويسعى لتحقيقه بالتغلب على ما يصادف عقبات ومشكلات تنتمي إلى هذا المجال، ويتفق هذا الهدف بالتكوين النفسي للفرد وإطاره المرجعي، ويمتد حسب خبرات النجاح والفشل التي مر بها. (أبو ناهية، 1981: 6-7)

وتعرف هناء أو شهية (1987م) الطموح بأنه "درجة نسبية تختلف من فرد لآخر حسب تقدير الفرد لنفسه، وهذه الدرجة تؤثر في خبرات الفرد وتتأثر بها وهي قمة أهداف الفرد ومحركة لسلوكه". (أو شهية، 1987: 189)

الإطار النظري:

تمهيد:

إن أساليب المعاملة الوالدية دوراً في تعزيز الثقة بالنفس لدى الأبناء فالقلق ظاهرة يعيشها الإنسان ويتميز بها دون سائر المخلوقات الحية، وهي تتأثر بعوامل بيئية، اجتماعية، وراثية وكذلك بالظروف والأحداث التي يمر بها الفرد في حياته العامة إذ يوجد قلق في حياة الأفراد بدرجات مختلفة تمتد ما بين القلق البسيط الذي يظهر على شكل قلق شديد وانشغال البال الذي يظهر على شكل رعب أو فزع (الجورى، 2001:13).

والفرد يحتاج إلى القبول الدافئ إلى الاستجابة الحميمة من قبل الوالدين أو مقدمي الرعاية الأساسية، ويرى "بولبي" أن أساس الصحة النفسية للطفل والنمو النفسي السليم يكمن في ممارسة ألوان العلاقات الحادة الحميمة مع مقدم الرعاية الأساسية وتوصل (بولبي) إلى أن أعظم مخاوف وإحباط وعدم الطموح والتفاؤل ناتجة عن فقدان الحب والرعاية من قبل الوالدين (زهران، 2003:99).

كما أن اضطراب جو الأسرة لأي سبب يجعل الابن محاطاً بجو اجتماعي مضطرب يشعر فيه بالقلق وعدم الاستقرار وعدم التفاؤل حيث يقدم ثقته بنفسه والمحيطين به وتضرب علاقاته بالاجتماعية داخل وخارج المنزل (عبد الرزاق، 2005:35).

بعض التعريفات لأساليب المعاملة الوالدية:

معنى الأسلوب في اللغة: من سلب أي انتزع من غير قهر وأسلوب: جمع أساليب وتعنى الطريقة أو الفن في القول أو العمل (المنجد في اللغة العربية ،3:43).

المعاملة: من عمل أي صنع وامتهن والمعاملة أي تصرف في بيع أو غيره (كان نقول عاملة بإنسانية أو عاملة كصديق وعاملة حسنة أو سيئة) تصرف حيالة بلطف وخشونة (المعجم العربي الأساسي، 1989: 867)

و**عرف بركات وعلى (2000) المعاملة** "بأنها تلك الأساليب يتبعها الوالدان في معاملة أبنائهما أثناء عملية التنشئة الاجتماعية التي تحدث التأثير الإيجابي أو السلبي في سلوك الطفل من خلال استجابة الوالدين لسلوكه.

وتعرفها **شعبي (2009) المعاملة** "بأنها ما يراه الوالدين ويتمسكون به من أساليب فتنشية الأبناء وتتضمن أساليب المعاملة الوالدية كل من التسلط والحماية الزائدة والإهمال والقسوة والتدلي وإثارة الألم والتذبذب والتفرقة وغيرها. (شعبي، 2009: 203)

أساليب المعاملة الايجابية والسلبية:

أولاً- الأساليب المعاملة الوالدية الايجابية:

وتشير إلى "ذلك النشاط المعقد والذي يتضمن العديد من السلوكيات والتصرفات الايجابية ، والتي تعمل على أحداث تأثير إيجابي على سلوكيات الأبناء وتصرفاتهم الظاهرة" (Baumrind.1991.p62)

الأسلوب الديمقراطي: يتصف هذا الأسلوب بأن الأمور بين الأبناء والوالدين تقوم بشكل تعاوني قائم على الحرية واحترام الفردية، وعلى النشاط والحركة والحيوية والايجابية والتفاعل، ويتجلى هذا الأسلوب من خلال عدة مظاهر منها، اعتراف الوالدين بأن الأبناء أشخاص يختلفون عن بعضهم بعضاً، وأن كلا منهم ينمو بشكل مننقل نحو الرشد وتحمل المسؤوليات في المستقبل، والدفع والقبول الوالدي في العلاقات الأسرية. (حمود، 2010: 64)

الأسلوب المتسلط: وفيه يسيطر الوالدان على الأبناء في الأوقات جميعها، وفي مراحل نموه جميعها ويتوبان عنه في القيام بما يجب أن يقوم به، ويتحكمان في أعماله كلها ويحولان بنيه وبين رغبته بالاستقلال لكي يأخذ مكانه كفرد ناضج في المجتمع، ويتمثل هذا الأسلوب في الافتقار إلى العلاقات الاجتماعية الطيبة سواء بين أفراد الأسرة أو مع العالم الخارجي، وتكون اهتمامات الأبناء ورغباتهم مهملة ومنكرة أو تعتبر غير مهمة، وعندما يسعون لأثارة اهتمام والديهم أو يجاهدوا ليأكدوا ذاتهم فأنهم يقابلون بإنكار شديد وربما يعاقبون بدنياً، إضافة إلى اتباع الصرامة والشدة مع الأبناء وانزال العقاب لهم بصورة مستمرة. (خزل، 2001: 113)

وهناك اتجاهين لمعاملة الآباء الأساليب السوية والأساليب الغير السوية، وقد تطرقت لها

(فتحية مقحوت: 2014) كالتالي:

1/ الأساليب السوية:

تشمل جميع الطرق والوسائل الايجابية التي يتبعها الوالدين من أجل التغيير والتعديل على سلوك ابنائهم بشكل إيجابي وفعلي، ومن هذه الأساليب أسلوب التقبل والاهتمام وأسلوب الديمقراطي وأسلوب المساواة في المعاملة والتشجيع والمكافأة.

2/ الأساليب الغير السوية:

هي الاساليب التي يستخدمها الوالدين وتترك آثار سيئة على نفسية الطفل وتشمل تلك الأساليب بالنبذ والاهمال والحماية الزائدة والتسلط والقسوة.(مقحوت،2014:

(116)

من خلال الحديث عن الأساليب المعاملة الوالدية السوية وغير السوية يتضح أن كلاهما له تأثير نفسي واجتماعي على الأبناء وعلى تربيتهم وعلى تحصيلهم وطموحهم ومهاراتهم، وهذا ما أكده علماء النفس والباحثون لما لها من آثار سلبية وإيجابية تنعكس بشكل مباشر أو غير مباشر على المجتمع والعائلة.

ثانياً: الطموح:

يعتبر مستوى الطموح من العوامل الهامة المميزة للشخصية فيقدر ما يكون الطموح مرتفع بقدر ما تكون الشخصية متميزة ويقدر ما يكون المجتمع متقدم .

ولقد كان اصطلاح الطموح شائعاً على نحو غير دقيق حتى جاءت بحوث " ليفين" وتلاميذه فجددت مفهوم الطموح وأجريت الكثير من الدراسات التجريبية، وانتهت إلى تحديده بمصطلح مستوى الطموح، كما بينت الكثير من أبعاده المختلفة .

تعريف الطموح:

تناول تعريف الطموح كما عرفه مجموعة باحثين (هوبى 1930- ايزنك 1945- جارندر 1949).

(تعتبر "هوبى" أول من عرفت مصطلح مستوى الطموح وقالت إنه أهداف الشخص أو غاياته أو ما ينتظر منه القيام به في مهمة معينة).

وهنا تتعرض هوبى في هذا التعريف لمستوى الطموح من خلال المستوى الشعوري، وأغلقت الدوافع والحاجات اللاشعورية.

وعرفت " ايزنك " بأنه (الميل إلى تدليل العقبات وتدريب القوة والمجاهدة في عمل شيء بصورة سريعة وجيدة لتحقيق مستوى عال مع التفوق على النفس) .

وعرف جاردني " مفهوم مستوى الطموح بأنه القرار أو البيان الذي يتخذه الفرد بالنسبة لأدائه المقبل "

ويعرف الزيايدي " 1961" مستوى الطموح بأنه المستوى الذي يتوقع الفرد أن يصل إليه على أساس تقديره لمستوى قدراته وإمكانياته (مرحاب: 1984 - 94).

ويعرف راجح مستوى الطموح بأنه المستوى الذي يرغب الفرد في بلوغه أو يشعر أنه قادر على بلوغه، وهو يسعى لتحقيق أهدافه في الحياه وانجاز أعماله اليومية. (راجح، 1973: 129)

نمو مستوى الطموح:

يمر الإنسان في حياته بمراحل نمائية مختلفة من فترة الاخصاب حتى الممات، فيمر مثلا بمرحلة الرضاعة، ثم الطفولة المبكرة، ثم الطفولة المتأخرة، والمرافقة، ثم مرحلة الرشد والكهولة وكلما مر بمرحلة من تلك المراحل اتسعت مداركه وزادت خيالاته وتعمق تفكيره ويقتحم قدراته فأصبح يفكر في اشياء لم يكن يفكر فيها من قبل واصبح ينظر الامور بنظره غير تلك التي كان ينظر اليها من قبل، وكما أن الإنسان ينمو جسديًا، فإنه ينمو عقليًا وعاطفيًا واجتماعيًا ونفسيًا إلى غير ذلك.

ثانيًا: الدراسات السابقة:

1- دراسة عبدالكريم، سالم المطيري (2019) "أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بمستوى الطموح لدى عينة من طلاب المرحلة الثانوية وهدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن طبيعة العلاقة بين أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بمستوى الطموح ومن أهم نتائجها هناك علاقات موجبة ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة 0.01، بين الاسلوب الإرشادي التوجيهي لدى الأب ومستوى الطموح لدى الابناء

الدرجة الكلية لجميع الأبعاد عدا بعد التحمل الاحباط توجد علاقات موجبة ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة 0.05، بين الاسلوب الإرشادي التوجيهي لدى الام ومستوى الطموح لدى الابناء.

ولا توجد فروق ذات دلالة احصائية في اساليب المعاملة الوالدية تعزى إلى مستوى تعليم الأم ولا توجد فروق ذات دلالة احصائية في أساليب المعاملة الوالدية تعزى مستوى الأم. (المطيري،2019: 70)

2- دراسة (أبوناوية 1989) الاتجاهات الوالدية في التنشئة وعلاقتها بمستوى الطموح الأكاديمي لطلاب الجامعة وهدفت هذه التعرف على أهم الاتجاهات الوالدية وعلاقتها بمستوى الطموح الأكاديمي على عينة من طلاب من طلاب الجامعة قدرها 195 طالب، 105 ذكور و90 من الإناث، لقد استخدم قاعة الاتجاهات الوالدية من إعداد الباحث (أبوناوية 1989) تميز المقياسان بدرجات صدق وثبات مرتفعة وقد اسفرت هذه النتائج أن مستوى الطموح الأكاديمي يرتبط ارتباطا موجبا دالا احصائيا بالتقبل من جانب الأب. (أبو ناهية، 1989: 290)

تتفق هذه الدراسات مع البحث الحالي في متغيرين مستوى الطموح ومستوى المعاملة الوالدية ، اما من حيث العينة تتفق في المرحلة الجامعية مع دراسة أبو ناجي وتختلف مع دراسة عبدالكريم، وتتميز ادوات الدراسات بالثبات والصدق مرتفعان.

منهج البحث:

اتبعت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي من أجل الحصول على معلومات واقية ودقيقة عن الظواهر لتسهم في تحليلها، والكشف عن العلاقة بين متغيرات البحث.

مجتمع البحث:

تكون مجتمع البحث من طلبة قسمي (اللغة العربية - علم النفس) بكلية الآداب جامعة المرقب بمدينة الخمس، والذي بلغ عددهم الكلي (300) طالب وطالبة.

عينة البحث:

أجرت الباحثة البحث على عينة تكونت عينة هذا من (150) طالبًا وطالبة بقسمي (اللغة العربية- علم النفس) بكلية الآداب جامعة المرقب بمدينة الخمس، واتبعت الباحثة الطريقة العشوائية في اختيار العينة.

أدوات البحث:

قامت الباحثة بتطبيق مقياس المعاملة الوالدية، ومقياس مستوى الطموح على أفراد عينة البحث.

نتائج البحث:

للأجابة على التساؤل الأول الذي مفاده:

هل توجد علاقة دالة احصائيا بين استخدام الوالدين لأساليب التعامل مع أبنائهم ومستوى الطموح لديهم؟

استخدمت الباحثة اختبار بيرسون لايجاد العلاقة بين استجابات أفراد العينة على مقياس المعاملة الوالدية ومقباس مستوى الطموح.

جدول (1) يبين العلاقة بين أساليب المعاملة الوالدية الايجابية ومستوى الطموح لدى الأبناء

الطموح	الرضا بالوضع الراهن	الاتجاه نحو التفوق	تحديد الأهداف والخطة	المسؤولية والاعتماد على النفس	تحمّل والاعتماد على النفس
**0.617	**0.034-	**0.364	**0.324	**0.348	أسلوب الأب
**0.546	**0.024-	0.250	**0.354	**0.347	أسلوب الأم

من الجدول السابق يتبين وجود علاقة ارتباطية موجبة بين أساليب المعاملة الوالدية، وبين مستوى الطموح لدى أفراد العينة، حيث كانت العلاقة عند مستوى (0.01) بين الطموح وأسلوب معاملة الأب بقيمة 0.617 بينما بلغت قيمة الارتباط بين الطموح وأسلوب الأم قد بلغ 546، ما عدا محور الرضا بالوضع الراهن كانت العلاقة سالبة بين أسلوب الوالدين لدى العينة.

وجاءت العلاقة لصالح أسلوب الأب وكيفية تعامله مع الأبناء أكثر قوة وارتباط من أسلوب الأم.

التساؤل الثاني:

للإجابة على التساؤل الثاني الذي مفاده:

هل توجد فروق دالة احصائيا بين استجابات أفراد العينة في مستوى الطموح وأساليب المعاملة الوالدية وفقاً لمتغير (الجنس)؟

وللإجابة عن هذا السؤال قامت الباحثة باستخدام اختبار (ت) لأبعاد الفروق ذات الدلالة الاحصائية بين أفراد العينة والأثر على المتغيرات البحث، وجاءت إجابة استجابات أفراد العينة في الجدول التالي:

جدول رقم (2)

يبين دلالة الفروق بين عينة البحث وفقاً لمتغير الجنس في أبعاد البحث.

قيمة ت المحسوبة	الانحراف المعياري		المتوسط الحسابي		
	أناث	ذكور	أناث	ذكور	
2.36	7.28	4.89	53.26	54.12	أسلوب الأب
3.43	7.78	6.29	62.51	60.55	أسلوب الأم
3.43	38.87	37.42	399.22	407.19	مستوى الطموح

ومن الجدول السابق تبين وجود فروق ذات دلالة احصائية بين أفراد العينة وفقاً لمتغير الجنس في أسلوب الأب ومستوى الطموح، وبالنظر إلى المتوسطات نجد أن الفروق كانت لصالح الذكور، في حين كانت الفروق لصالح الإناث في أسلوب الأم.

التساؤل الثالث:

وللإجابة على التساؤل الثالث والذي مفاده:

هل توجد فروق دالة احصائياً بين أفراد العينة في مستوى الطموح وأساليب المعاملة الوالدية وفقاً لمتغير التخصص؟

وللإجابة عن هذا السؤال قامت الباحثة باستخدام اختبار (ت) لا يجاد الفروق ذات الدلالة الاحصائية بين أفراد العينة والأثر على المتغيرات البحث، وجاءت إجابة استجابات أفراد العينة على النحو التالي:

جدول رقم (3)

يبين دلالة الفروق بين عينة البحث وفقا لمتغير التخصص

قيمة ت المحسوبة	الانحراف المعياري		المتوسط الحسابي		
	علم النفس	اللغة العربية	علم النفس	اللغة العربية	
3.23-	7.63	7.80	55.04	52.73	أسلوب الأب
3.24-	7.80	7.73	58.20	56.21	أسلوب الأم
2.89	30.06	32.84	420.67	379.18	مستوى الطموح

من الجدول السابق يتبين وجود فروق دالة احصائيا عن مستوى دلالة 0.05 بين أفراد العينة وفقا لمتغير التخصص في أسلوب الأب وأسلوب الأم فقط وبالنظر إلى المتوسطات نجد أن الفروق كانت لصالح قسم علم النفس.

توصيات البحث:

- 1- مساعدة الوالدين في توعيتهم بأهمية اتباع أساليب سوية مع الأبناء.
- 2- الاهتمام بالإرشاد التربوي في اتجاه الوالدين نحو اختيار الأسلوب المناسب مع الأبناء مما يزيد في مستوى الطموح لديهم.
- 3- مساعدة الأسرة في فهم التغيرات ومراحل النمو التي يمر بها الأبناء، والتعامل معها بأساليب مناسبة لزيادة مستوى طموحهم والرفع من ثقتهم بأنفسهم.
- 4- ارشاد الوالدين في كيفية تنمية مستوى الطموح لدى أبنائهم من أجل زيادة مستواهم الأكاديمي.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- أبو ناهية، (1989)، صلاح، الاتجاهات الوالدية في التنشئة وعلاقتها بمستوى الطموح الأكاديمي لدى عينة من طلاب الجامعة الإسلامية بغزة، كلية التربية، قسم علم النفس، مصر.
- 2- أبوناهاية،(1981)،صلاح، دراسة لبعض العوامل المؤثرة على مستوى الطموح الأكاديمي ودافعية الانجاز، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، مصر.
- 3- أبوشهبة،(1987)،هنا، علاقة مستوى الطموح ببعض المتغيرات الدراسية والاجتماعية لدى طلاب كلية التربية العالية والمتوسطة بمدينة جدة بالمملكة العربية، الجمعية المصرية للدراسات النفسية بحوث، المؤتمر الثالث لعلم النفس، القاهرة، مصر.
- 4- الجوري، (2001)، غزوان، أثر استخدام التعليم التعاوني في مادة الرياضيات على التحصيل والثقة لطلبة الثاني متوسط، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة الموصل، العراق.
- 5- حمود،(2010)، محمد، اساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء والجانحون دراسة ميدانية مقارنة في محافظة دمشق، مجلة جامعة دمشق، سوريا .
- 6- خزعل،(2001)، حسام، أثر أساليب التنشئة الاجتماعية الأسرية لطلاب المرحلة الإعدادية في تحصيلهم الدراسي، رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة دمشق، سوريا.

- 7- راجح، (1973)، أحمد عزت، أصول علم النفس، ط9، الاسكندرية: المكتب المصري الحديث، مصر.
- 8- زهران، (2003)، حامد، علم زمن النحو ، ط3، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، مصر.
- 9- شعبي، (2009)، أنعام، أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها باتخاذ الأبناء لقرارتهم في المرحلة الثانوية، رسالة الماجستير (غير منشورة)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- 10- عبدالرزاق، (2005)، عماد، أدراك الغياب النفسي للأب والمشكلات السلوكية لدى الأبناء، المؤتمر السنوي الثاني عشر، مركز الإرشاد النفسي، كلية التربية جامعة عين شمس، مصر.
- 11- مرحاب، (1984)، صلاح أحمد، التوافق النفسي وعلاقته بمستوى الطموح دراسة مقارنة بين الجنسين في مرحلة المراهقة بالمغرب، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، مصر.
- 12- مقحوت، (2004)، فتحية، أساليب المعاملة الوالدية للمراهقين المتفوقين في شهادة التعليم المتوسط، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة بسكرة، علم النفس، الجزائر.

القول المبين في حكم المسح على الجوربين والجرموقين "دراسة فقهية مقارنة"

إعداد: د. فتح الله عبد النبي ضيف الفقيه*

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
ومن سيئات أعمالنا.

من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

الحمد لله علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء
قدير

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله ربه هاديًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه
وسراجًا منيرًا.

فشرح به الصدور وأنار به العقول وفتح به أعينًا عميًا وأذنانًا صمًا وقلوبًا غلفًا

اللهم صلِّ وسلم على الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير وعلى آله
وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا

وبعد ...

إن من فضل الله تعالى على أمة الإسلام مشروعية الطهارة التي جعلها الله شرط
صحة لكثير من العبادات كالصلاة والطواف ودخول المساجد ومس المصحف
وغيرها وقد أمر الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ (1).

* الأستاذ المساعد بقسم الفقه وأصوله .

وأمر بها عباده فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾ (2).

وأثنى على عباده المتطهرين وأظهر لهم محبته فقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَاطِّئِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (3).

غير أن المسلم قد يتعرض لما يسبب له الضرر ومن ذلك بأن يكون في بلاد باردة جداً ويجد في خلع الجوربين ما يعرضه للبرد الشديد، فله أن يمسح عليهما خوفاً من البرد أو بأن يكون مريضاً، أو في سفر فأجاز لهم الشرع رخصة المسح رفعاً للضيق والحر، قال تعالى: ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (4).

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم" (5).
 فينتقل إلى الرخصة في ذلك وهي المسح على الجوربين والرخص من النعم التي امتن بها على عباده وبسر عليهم بها ورفع عنهم الضيق والحر والضرر
 ومن تلك الرخص المسح على الجوربين والجرموقين فأردت من خلال هذا البحث أن أبين أحكامهما وشروطهما وآراء الفقهاء فيهما ومدى مشروعيتها. والله المستعان.

(1) سورة المدثر، آية:4.

(2) سورة المائدة، آية:6.

(3) سورة البقرة، آية:222.

(4) سورة المائدة، آية:6.

(5) صحيح البخاري:6/2658- كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة- باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله

عليه وسلم -حديث:6858، وصحيح مسلم:975/2- كتاب الحج - باب فرض الحج مرة في العمر - حديث:1337.

أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

إن من الأمور التي تهم المسلم في حياته استعمال الرخص تجنباً للضرر والحرص ومن ذلك المسح على الجوربين والجرموقين فأرت أن أبين مدى مشروعيتها من عدمها.

الكثير من المسلمين في حيرة من أمرهم يتساءلون هل يجوز المسح على الجوربين والجرموقين أم لا؟ وكيفية المسح عليهما وشروطهما والمدة التي يجوز له المسح فيها عليهما، فوددت توضيح ذلك من خلال هذا البحث.

من الفقهاء من قال بمشروعية المسح على الجوربين ومنهم من قال بعدم جواز المسح عليه إلا بشروط فعزمت أن أبين أقوالهم وأدلتهم في هذا الموضوع وأذكر الراجح منها.

أهداف البحث:

تعريف الجوربين والجرموقين ومشروعية المسح عليهما.

بيان حكم المسح على الجوربين والجرموقين وأقوال الفقهاء في ذلك.

بيان سبب اختلاف الفقهاء في جواز المسح من عدمه.

بيان شروط المسح على الجوربين والجرموقين والمدة التي يجوز فيها المسح عليهما.

بيان أدلة المجوزين والمانعين ومناقشتها والترجيح بينهما.

إشكالية البحث:

يتساءل الكثير من الناس عن جواز المسح على الجوربين والجرموقين ولذا تكمن الإشكالية في مدى مشروعية المسح على الجوربين والجرموقين وما شروط المسح عليهما؟ وما المدة التي يجوز المسح فيها عليهما؟

حدود البحث:

الأحكام الشرعية المتعلقة بأحكام المسح على الجوربين والجرموقين.

المنهج المتبع في البحث:

لقد سلكت في بحثي المنهج الاستقرائي والاستنباطي، حيث أتتبع كل ما يتعلق بأحكام المسح على الجوربين والجرموقين من خلال النظر في كتب الفقه وما ورد فيها من أحكام المسح على الجوربين والجرموقين، وأذكر أقوال الفقهاء في كل مسألة وأتبعها بما تيسر من الأدلة ومناقشتها والراجح منها. وقد اقتصررت في بحثي على المذاهب الفقهية المشهورة والمعتبرة في الخلافات الفقهية.

خطة البحث:

لقد قسّمتُ البحث إلى مقدمة ومبحثين، وتشمل المقدمة الحمد والثناء على الله تعالى والصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وسلم، وأسباب اختيار البحث وأهميته، وأهدافه، وإشكالية البحث وحدوده والمنهج المتبع فيه.

ويشمل المبحث الأول:

تعريف الجورب.

أقوال الفقهاء في حكم المسح على الجوربين وسبب اختلافهم.

شروط المسح على الجوربين عند المجوزين وكيفية المسح.

أدلة المجوزين.

أدلة المانعين.

مناقشة الأدلة.

الترجيح بين الأقوال.

المبحث الثاني:

تعريف الجرموق في اللغة والشرع.

أقوال الفقهاء في حكم المسح على الجرموقين وسبب اختلافهم.

شروط المسح على الجرموقين عند المجوزين وكيفية المسح.

أدلة المجوزين.

أدلة المانعين.

مناقشة الأدلة والترجيح بين الأقوال.

الخاتمة وتشمل النتائج والتوصيات.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

المبحث الأول: المسح على الجوربين:

تعريف الجورب:

الجورب بفتح الجيم وسكون الواو، أي: ملبوس رِجُلٍ على هيئة الخف منسوج من قطن، أو كتان أو صوف (1).

وقال الشوكاني: هو لفافة الرِّجْلِ (2).

وقال الزركشي: هو غشاء من صوف يتخذ للدفء (3).

ولعله اسم لكل ما يلبس في الرِّجْلِ، على هيئة الخف من غير الجلد، أي سواء أكان مصنوعاً من صوف أو قطن أو شعر أو جوخ أو كتان (4).

يُكْرُ من روي عنه المسح على الجوربين من الصحابة- رضي الله عنهم-:

قال أبو داود في سننه في "باب المسح على الجوربين": ومسح على الجوربين

علي ابن أبي طالب وابن مسعود والبراء بن عازب وأنس بن مالك وأبو أمامة

وسهل بن سعد وعمرو بن حريث وروي ذلك عن عمر بن الخطاب وابن عباس (5).

وعبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص وعمار وبلال وابن أبي أوفى رضي الله عنهم فالجملة أربعة عشر صحابياً، وكذا المغيرة وأبو موسى لروايتيهما حديث المسح على الجوربين، فكان المجموع ستة عشر صحابياً (1).

(1) يسمى في عرف أهل مصر شُرَابًا بضم الشين المعجمة. منح الجليل: 1/134 وفي عرف أهل ليبيا، يعرف بالشخشير.

(2) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخبار شرح منتقى الأخبار: محمد بن علي بن محمد الشوكاني: 1/226.

(3) شرح الزركشي على مختصر الخرقى: محمد بن عبد الله الزركشي: 1/117.

(4) شرح منتهى الإرادات، المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى: منصور بن يونس بن إدريس الجوهري: 1/61، وكشاف القناع على متن الإقناع: 1/111.

(5) سنن أبي داود: 1/89.

وقد أسند ابن حزم في المُحَلَّى (2) إلى بعض من سميناهم فعل المسح على الجوريين فقد روى أيضًا عن عبد الله بن مسعود وسعد بن أبي وقاص وسهل بن سعد وعمر وابن حريث، وعن سعيد بن جبير ونافع مولى بن عمر فهم عمر وعلى وعبد الله بن عمرو وأبو مسعود والبراء ابن عازب وأنس بن مالك وأبو أمامة وابن مسعود وسعد وسهل بن سعد وعمرو بن حريث لا يعرف لهم ممن يجيز المسح على الخفين من الصحابة رضي الله عنهم مخالف.

قال القاسمي (3): بعد ذكره لكثير من الآثار بأن هذه الآثار أخرجها عبد الرزاق في "المصنف رقم: 745-773-779-781-782"

وابن أبي شيبة أيضًا في المصنف، والبيهقي، وكثير من أسانيدنا صحيح عنهم. وبعضهم له أكثر من طريق واحد ومن ذلك طريق قتادة عن أنس "أنه كان يمسخ على الجوريين مثل الخفين". وسنده صحيح. رواه عبد الرزاق (4). وهو عند ابن أبي شيبة (5) مختصرًا. وعندهما من طريق يحيى البكاء قال: سمعت ابن عمر يقول: المسح على الجوريين، كالمسح على الخفين (6). وتلقى نافع ذلك عنه فقال: هما بمنزلة الخفين. أخرج ابن أبي شيبة بسند حسن عنه (7).

(1) المسح على الجوريين: محمد جمال الدين القاسمي: 55/1.

(2) المُحَلَّى: 86/2.

(3) المسح على الجوريين: محمد جمال الدين القاسمي: 58/1.

(4) المصنف: 200/1- كتاب الطهارة- باب المسح على الجوريين- حديث: 779.

(5) المصنف: لابن أبي شيبة: 216/1.

(6) المصنف: لابن أبي شيبة: 217/1.

(7) المصنف: لابن أبي شيبة: 217/1.

وكذلك قال إبراهيم النخعي. أخرجه بسند صحيح عنه (1).
قلت: فبعد ثبوت المسح على الجوربين عن الصحابة رضي الله عنهم: أفلا يجوز لنا أن نقول فيمن رغب عنه ما قاله إبراهيم هذا في مسحهم على الخفين:
" فمن ترك ذلك رغبة عنه فإنما هو من الشيطان "
رواه ابن أبي شيبة (2) بإسناد صحيح عنه (3).
قال النووي في شرح المذهب (4): وحكى أصحابنا " الشافعية " عن عمر وعلي رضي الله عنهما جواز المسح على الجورب وإن كان رقيقا.
وذكر ابن حزم من التابعين سعيد بن المسيب وعطاء وإبراهيم النخعي والأعمش وخلاس بن عمرو وسعيد بن جبير ونافع مولى ابن عمر، وهو قول سفيان الثوري والحسن بن حي وأبي يوسف ومحمد بن الحسن وأبي ثور وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وداود ابن علي وغيرهم.
وروى ابن حزم عن قتادة عن سعيد بن المسيب الجوربان بمنزلة الخفين في المسح، وعن عبد الرزاق عن ابن جريج قلت لعطاء نمسح على الجوربين؟ قال نعم امسحوا عليهما مثل الخفين.
وعن شعبة عن الحكم بن عتيبة عن إبراهيم النخعي: أنه كان لا يرى بالمسح على الجوربين بأسا.
وعن أبي نعيم الفضل بن دكين قال: سمعت الأعمش سئل عن الجوربين أيمسح عليهما من بات فيهما؟ قال نعم،

(1) المصنف: 200/1- كتاب الطهارة- باب المسح على الجوربين- حديث: 800.

(2) المصنف: لابن أبي شيبة: 207/1.

(3) المسح على الجوربين: محمد جمال الدين القاسمي: 58/1.

(4) المجموع: 561/1.

وعن فتادة عن الحسن وخلاس بن عمر أنهما كانا يريان الجوريين في المسح بمنزلة الخفين (1).

أقوال الفقهاء في المسح على الجوريين:

اتفق الفقهاء على جواز المسح على الجوريين إذا كانا مجلدين أو منعلين، واختلفوا في الجوريين العاديين على اتجاهين:

اتجاه يمثله أبو حنيفة والمالكية والشافعية: لا يجوز المسح عليهما.

واتجاه آخر يمثله الحنابلة، والصاحبان من الحنفية وعلى رأيهما الفتوى: يجوز.

وسبب اختلافهم: هو اختلافهم في صحة الآثار الواردة عنه صلى الله عليه وسلم أنه مسح على الجوريين والنعلين. واختلافهم أيضًا في هل يقاس على الخف غيره؟ أم هي عبادة لا يقاس عليها ولا يتعدى بها محلها فمن لم يصح عنده الحديث، أو لم يبلغه ولم ير القياس على الخف قصر المسح عليه، ومن صح عنده الأثر أو لصاحب القياس على الخف أجاز المسح على الجوريين (2).

القول الأول: للأحناف في حكم المسح على الجوريين العاديين ثلاثة آراء (3):

الأول: قالوا: إن كانا مجلدين أو منعلين يجزيه بلا خلاف.

الثاني: وإن لم يكونا مجلدين ولا منعلين فإن كانا رقيقين يشقان الماء لا يجوز المسح عليهما بالإجماع.

الثالث: قال أبو حنيفة: لا يجوز المسح على الجوريين، إلا أن يكونا مجلدين أو منعلين، فلا يجوز المسح عنده حتى لو كانا ثخينين؛ لأن الجورب ليس في معنى

(1) المحلى: 2/86.

(2) بداية المجتهد: 1/19، 20.

(3) بدائع الصنائع: 1/10.

الخف؛ لأنه لا يمكن مواظبة المشي فيه، إلا إذا كان منعلاً، وهو محل الحديث المجيز للمسح على الجورب، وعند أبي يوسف، ومحمد: يجوز. والمجلد: هو الذي وضع الجلد أعلاه وأسفله. إلا أنه رجع إلى قول الصحابين في آخر عمره، ومسح على جوربيه في مرضه، وقال لعُوداه: فعلت ماكنت أمنع الناس عنه، فاستدلوا به على رجوعه. وقال الصحابان: يجوز المسح على الجوربين إذا كانا ثخينين، لا يشقان (لا يرى ما وراءهما)؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "مسح على الجوربين والنعلين" (1)، ولأنه يمكن المشي في الجورب إذا كان ثخيناً، كجوارب الصوف اليوم. والمفتى به في المذهب الحنفي: هو جواز المسح على الجوربين الثخينين، بحيث يمشي عليهما فرسحاً فأكثر، ويثبت على الساق بنفسه، ولا يرى ما تحته ولا يشف. القول الثاني: قال المالكية (2): لا يجوز المسح على الجوربين إلا أن يكونا مجلدين ظاهرهما وباطنهما، حتى يمكن المشي فيهما عادة، فيصيران مثل الخف وهو ما قال به أبو حنيفة، وهو محل أحاديث المسح على الجوربين. وأما الجورب المصنوع من القماش، أو القطن، أو الكتان، أو الصوف فلا يجوز المسح عليه عند المالكية.

القول الثالث: قال الشافعية (3): بجواز المسح على الجورب بشرطين:

أحدهما: أن يكون صفيحاً لا يشف بحيث يمكن متابعة المشي عليه.

(1) سنن الترمذي: 167/1 - أبواب الطهارة - باب المسح على الجوربين والنعلين - حديث: 99، وسنن أبي داود: 89/1 - كتاب الطهارة - باب المسح على الجوربين - حديث: 159.

قال الألباني: صحيح، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال أبو داود: وروي هذا عن أبي موسى وليس بالمتصل ولا بالقوي.

(2) مواهب الجليل: 318/1.

(3) المجموع: 564/1.

والثاني: أن يكون منعلاً. وهذا نص الشافعي، فإن اختلف أحد الشرطين لم يجز المسح عليه، لأنه لا يمكن متابعة المشي عليه حينئذ، كالخرقة، كما قال أصحابنا. ونقل المزني أنه لا يسمح على الجوربين إلا أن يكونا مجلدي القدمين. وقال القاضي أبو الطيب: لا يجوز المسح على الجورب إلا أن يكون ساتراً لمحل الفرض ويمكن متابعة المشي عليه. قال: وما نقله المزني من قوله إلا أن يكونا مجلدي القدمين ليس بشرط وإنما ذكره الشافعي؛ لأن الغالب أن الجورب لا يمكن متابعة المشي عليه إلا إذا كان مجلد القدمين، هذا كلام القاضي أبي الطيب وذكر جماعات من المحققين مثله.

وهناك وجه يقول: أنه لا يجوز المسح وإن كان صفيقاً يمكن متابعة المشي عليه حتى يكون مجلد القدمين، والصحيح ما ذكره القاضي أبو الطيب والفقهاء وجماعات من المحققين أنه إن أمكن متابعة المشي عليه جاز كيف كان وإلا فلا. القول الرابع: قال الحنابلة⁽¹⁾: بجواز المسح على الجورب بشرطين وهما: الأول: أن يكون صفيقاً لا يبدو منه شيء من القدم. الثاني: أن يمكن متابعة المشي فيه، وأن يثبت بنفسه. ويجوز المسح على الخف وإن كان غير مجلد، أو منعل، أو كان من خرق، وأمكنت متابعة المشي فيه.

القول الخامس: قال الظاهرية⁽²⁾: المسح على كل ما لبس في الرجلين مما يحل لباسه مما يبلغ فوق الكعبين سنة سواء كانا خفين من جلود أو لبود أو عود أو حلفاء أو جوربين من كتان أو صوف أو قطن أو وير أو شعر كان عليهما جلد أو

(1) المغني: 1/333، والشرح الكبير: 1/149، والمبدع: 1/136، والروض المربع: 1/30.

(2) المحلّي: 2/80.

لم يكن أو جرموقين أو خفين على خفين أو جوربين على جوربين أو ما كثر من ذلك.

قال في موضع آخر ⁽¹⁾: اشتراط التجليد خطأ لا معنى له، لأنه لم يأت به قرآن ولا سنة ولا قياس ولا قول صاحب، والمنع من المسح على الجوربين خطأ لأنه خلاف السنة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخلاف الآثار، ولم يخص صلى الله عليه وسلم في الأخبار التي ذكرنا خفين من غيره.

أدلة المجوزين:

استدل المجوزون بعدة أدلة وهي:

إن مأخذ مسح الجوربين من الكتاب العزيز قد ورد في آيات كثيرة:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ⁽²⁾.

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ ⁽³⁾.

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ⁽⁴⁾.

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ ⁽⁵⁾. ونظائرها مما لا يحصى ⁽⁶⁾.

(1) المحلّي: 87، 86/2.

(2) سورة الحشر، آية: 7.

(3) سورة الأحزاب، آية: 21.

(4) سورة آل عمران، آية: 31.

(5) سورة النساء، آية: 59.

(6) المسح على الجوربين: محمد جمال الدين القاسمي: 25/1، 26.

وجه الدلالة من النصوص: إن الله تبارك وتعالى بيّن للمسلمين بأن لهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة كما أمرهم بإتباعه وطاعته في شؤون حياتهم، وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم مما صحّ المسح على الجوربين.

الدليل الخامس: حديث المغيرة بن شعبه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه "توضأ ومسح على الجوربين والنعلين" (1).

الدليل السادس: عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم "توضأ ومسح على الجوربين والنعلين" (2).

الدليل الثالث: أنه يمكن متابعة المشي في الجورب إذا كان ثخيناً، كجوارب الصوف اليوم (3).

الدليل السابع: ما روي من إباحة المسح على الجوربين عن عدد كثير من الصحابة والتابعين، كعلي وعمار، وابن مسعود، وأنس، وابن عمر، والبراء، وبلال، وابن أبي أوفى، وسهل بن سعد - رضي الله عنهم -، وبه قال جماعة من مشاهير التابعين، كعطاء والحسن البصري وسعيد بن المسيب وابن جبير والنخعي والثوري، وغيرهم مما تم ذكرهم سابقاً (4).

(1) سنن الترمذي: 167/1 - أبواب الطهارة - باب المسح على الجوربين والنعلين - حديث: 99، وسنن أبي داود: 89/1 - كتاب الطهارة - باب المسح على الجوربين - حديث: 159.

قال الألباني: صحيح، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال أبو داود: وروي هذا عن أبي موسى وليس بالمتصل ولا بالقوي.

(2) سنن ابن ماجه: 86/1 - كتاب الطهارة - باب ما جاء في المسح على الجوربين والنعلين - حديث: 560، وسنن أبي داود: 89/1 - كتاب الطهارة - باب المسح على الجوربين - حديث: 159. قال الألباني: صحيح، وقال أبو داود: ليس بالمتصل ولا بالقوي.

(3) بدائع الصنائع: 10/1.

(4) المغني: 333/1، والشرح الكبير: 149/1، والمبدع: 136/1، والروض المربع: 30/1.

الدليل الثامن: استدل القائلون بأن الجورب إن كان صفيقاً يمكن متابعة المشي عليه جاز المسح وإلا فلا، بأنه ملبوس، ويمكن متابعة المشي عليه، وساتراً لمحل الفرض فأشبهه الخف، ولا بأس بكونه من جلد أو غيره بخلاف النعل فإنه لا يستر محل الفرض (1).

الدليل التاسع: لأن الجواز في الخف لدفع الحرج لما يلحقه من المشقة بالنزع وهذا المعنى موجود في الجورب بخلاف اللفافة والمكعب لأنه لا مشقة في نزعهما (2).
الدليل العاشر: لأن الجورب ساتر لمحل الفرض يثبت في القدم فجاز المسح عليه كالنعل (3).

أدلة المانعين:

استدل المانعون بما يأتي:

الدليل الأول: استدل أبو حنيفة لقوله بأن جواز المسح على الخفين ثبت نصاً، بخلاف القياس، فكل ما كان في معنى الخف في إدمان المشي عليه، وإمكان قطع السفر به، يلحق به، وما لا، فلا ومعلوم أن غير المجلد، والمنعل، من الجوارب لا يشارك الخف في هذا المعنى، فتعذر الإلحاق، على أن شرع المسح إن ثبت للترفيه، لكن الحاجة إلى الترفيه، فيما يغلب لبسه، ولبس الجوارب مما لا يغلب، فلا حاجة فيها إلى الترفيه، فبقي أصل الواجب بالكتاب، وهو غسل الرجلين (4).

الدليل الثاني: أنه لا يمكن متابعة المشي عليه فلم يجز المسح عليه، كالخرقة.

(1) المجموع: 564/1.

(2) بدائع الصنائع: 10/1.

(3) بدائع الصنائع: 10/1، والمغني: 333/1، والشرح الكبير: 149/1، والمبدع: 136/1، والروض

المرعب: 30/1.

(4) بدائع الصنائع: 10/1.

الدليل الثالث: أن الجورب لا يسمى خفًا فلم يجز المسح عليه، كالنعل (1).

مناقشة أدلة المجوزين:

نوقش حديث المغيرة من أوجه أحدها: أنه ضعيف ضعفه الحفاظ، وقد ضعفه البيهقي ونقل تضعيفه عن سفيان وعبد الرحمن بن مهدي وأحمد بن حنبل وعلي بن المديني ويحيى بن معين ومسلم بن الحجاج وهؤلاء هم أعلام أئمة الحديث (2)، وإن كان الترمذي قال: حديث حسن فهؤلاء مقدمون عليه بل كل واحد من هؤلاء لو انفرد قدم على الترمذي باتفاق أهل المعرفة.

الثاني: لو صح لحمل على الذي يمكن متابعة المشي عليه جمعًا بين الأدلة وليس في اللفظ عموم يتعلق به.

الثالث: حكاه البيهقي عن أبي الوليد النيسابوري أنه حمله على أنه مسح على جوربين منعلين لا أنه جورب منفرد ونعل منفردة، فكأنه قال: مسح جوربيه المنعلين، وروى البيهقي عن أنس بن مالك رضي الله عنه ما يدل على ذلك (3).

وأجاب المجوزين عن هذه المناقشة بعدة وجوه ذكرها القاسمي وهي:

الأول: أن تضعيفه بما ذكر يعارضه تصحيح الترمذي له فقد قال بعد تخريجه له في سننه: هذا حديث حسن صحيح وهو قول غير واحد من أهل العلم.

وتصحيح الترمذي مقدم على تضعيف غيره؛ لأن الترمذي من الطبقة التي تأخرت عن تلك ووقفت على كل ما قيل فيه ورأت أن الحق في تصحيحه وكذا صححه ابن حبان وهو ممن استقرأ وسبر أيضًا.

الثاني: وهو جوابنا عن دعوى شذوذه علما أن الشذوذ مختلف في معناه وأنه ليس بعلة على الإطلاق ولا بمتفق عليها.

(1) المجموع: 566، 565/1.

(2) السنن الكبرى: للبيهقي: 1/283، 284 - الطهارة - باب ما ورد في الجوربين والمنعلين - حديث: 1260.

(3) المجموع: 566/1.

توضيحه أن السيوطي قال في حد الصحيح: "وهو ما اتصل إسناده بالعدول الضابطين من غير شذوذ ولا علة"

ما مثاله: قيل لم يفصح بمراده من الشذوذ هنا وقد ذكر في نوعه ثلاثة أقوال: أحدها: مخالفة الثقة لأرجح منه.

الثاني: تفرد الثقة مطلقاً.

الثالث: تفرد الراوي مطلقاً.

قال: وردَّ الأخيران، فالظاهر أنه أراد هنا الأول قال: وهو مشكل؛ لأن الإسناد إذا كان متصلًا ورواته كلهم عدولاً ضابطين فقد انتفت عنه العلل الظاهرة، ثم إذا انتقى كونه معلولاً فما المانع من الحكم بصحته؟ فمجرد مخالفة أحد رواته لمن هو أوثق منه، أو أكثر عددًا لا يستلزم الضعف بل يكون من باب صحيح وأصح.

قال: ولم أر مع ذلك من أحد من أئمة الحديث اشتراط نفي الشذوذ المعبر عنه بالمخالفة، وإنما الموجود من تصرفاتهم تقديم بعض ذلك على بعض في الصحة.

وقال النووي في بحث الشاذ: "فإن لم يخالف الراوي بتفرده غيره وإنما روى أمرًا لم يروه غيره فإن كان عدلاً حافظاً موثقاً بضبطه كان تفرده صحيحاً وإن لم يوثق بحفظه ولم يبعد عن درجة الضابط كان ما انفرد به حسنًا وإن بعد كان شاذًا منكرًا مردودًا". وبه يعلم أن الشذوذ ليس علة قاذحة في صحة المروي مطلقاً بل هي على هذا التفصيل وإن من كان عدلاً حافظاً موثقاً بضبطه كان تفرده صحيحاً.

الثالث: على أن سند تضعيفه هو دعوى شذوذه وقد أوضحنا أن الشذوذ ليس علة مضعة على إطلاقها بل من كان عدلاً ضابطاً كان تفرده صحيحاً لا سيما وقد عضده ما روي بمعناه من حديث التساخين المتقدم وما قواه من عمل الصحب كما سيأتي ولذا صححه الترمذي ولا يخفي أن المضعفين له مهما كثروا فإن حجة تضعيفهم شذوذه وقد عرفت ما فيها فليس المقام مقام ترجيح بالكثرة والقلة بل المقام

مقام استدلال واحتجاج وانطباق على القواعد المرعية وإلا فإن الكثرة ليست من الحجج والبراهين المعروفة.

وذكر في موضع آخر: أن حديث الجوربين قد تلقاه بالقبول أبو حنيفة والشافعية وأحمد بن حنبل وإسحاق وداود الظاهري وابن حزم وهؤلاء كلهم أئمة الفقه والاجتهاد وجميعهم احتج به في الفقه المدون عنه.

فقد اجتمع في حديث الجوربين الصحتان معاً: صحته من حيث السند كما صرح به الترمذي وابن حبان وكما حققناه من درة الشذوذ المزعوم فيه وصحته من غير السند وهي الأمور التي سردت الآن ومتى صح الحديث فليس إلا السمع والطاعة⁽¹⁾.

وأجيب عن الوجه الثاني القائل: لو صح لحمل على الذي يمكن متابعة المشي عليه جمعاً بين الأدلة وليس في اللفظ عموم يتعلق به بما يأتي:

وأما قول النووي: إنه لو صح يحمل على الذي يمكن متابعة المشي عليه جمعاً بين الأدلة، فمطلوب البيان من جهة الجورب، فأين الدليل على اشتراط أن يمكن تتابع المشي عليه فيه؟

ومعلوم أن الجورب غير الخف ولكل حكمه وإذا أطلق الدليل في الأصول فلا ينصرف إلا إلى الكتاب والسنة وما رجع إليهما ولا تعارض إلا بين دليلين متكافئين وهناك يلتمس الجمع وإلا فإن المدار على الأقوى فالأقوى اتفاقاً وليس في الباب إلا إطلاق الجوربين وعموم التساخين في حديثهما.

وأما قوله: وليس في اللفظ عموم يتعلق به فيقال فيه: هذا إشارة إلى ما ذكر في الأصول من أن الفعل المثبت لا عموم له فحكايته لا تقتضي العموم لا للأقسام ولا لجهات الوضع ولا للأزمان، إلا أن هذا على مذهب من لم يقل بعموم المشترك ولا بعموم جهات الوضع فأما من ذهب إلى العموم فيهما فقد ذهب إلى العموم فيه.

(1) الجوهر النقي في الرد على البيهقي: علاء الدين بن علي بن عثمان المارديني، الشهير بابن

التركماني: 284/1، والمسح على الجوربين: محمد جمال الدين القاسمي: 33/1، وما بعدها.

وأجيب عن الوجه الثالث وهو حمله على أنه مسح جوربين منعلين بأن هذا الحمل مردود؛ لأن الحديث ورد بعطف النعلين على الجوربين وهو يقتضي المغايرة فلفظه مخالف لهذا التأويل ويكون أنس مسح على جوربين منعلين لا يلزم منه أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم فعل كذلك، فلا يدل فعل أنس على تأويل الحديث بما لا يحتمله لفظه (1).

وفي تخصيص جواز المسح على الجورب بوجود النعل قصر للدليل، "أي الحديث" والدلالة عن مقتضاه من غير سبب (2).

ونوقش حديث أبي موسى من الأوجه الثلاثة فإن في بعض رواته ضعفاً، وفيه أيضاً إرسال، قال أبو داود في سننه: هذا الحديث ليس بالمتصل ولا بالقوي. وليس بالمتصل؛ لأنه من رواية الضحاك ابن عبد الرحمن عن أبي موسى ولم يثبت سماعه منه.

ولا بالقوي؛ لأنه من رواية عيسى بن سنان عن الضحاك وقد ضعفه أحمد وابن معين وأبو زرعة والنسائي وغيرهم.

وقال الحافظ ابن حجر: حديث أبي موسى الذي أشار إليه أبو داود أخرجه ابن ماجة وفي إسناده ضعف وانقطاع كما قال أبو داود (3).

والجواب عن ذلك من "الجوهر النقي" من أن التضعيف بعدم ثبوت سماع عيسى ابن سنان من أبي موسى هو على مذهب من يشترط للاتصال ثبوت السماع. قال: ثم هو معارض بما ذكره عبد الغني فإنه قال في الكمال: سمع الضحاك من

(1) المسح على الجوربين: محمد جمال الدين القاسمي: 45/1.

(2) شرح فتح القدير: 158/1.

(3) سنن أبي داود: 89/1 - كتاب الطهارة - باب المسح على الجوربين - حديث: 159.

قال الألباني: صحيح، وقال أبو داود: وروي هذا عن أبي موسى وليس بالمتصل ولا بالقوي.

أبي موسى. قال: وابن سنان وثقه ابن معين وضعفه غيره. وقد أخرج الترمذي في الجناز حديثاً في سننه عيسى بن سنان هذا. وحسنه.

وقال الذهبي في الميزان: هو - أي ابن سنان - ممن يكتب حديثه. قال: وقواه بعضهم، وقال العجلي: لا بأس به وبالجملة وإن وجد من وضعفه فقد وجد من وثقه ومن الأئمة من لا يترك حديث المضعف حتى يجمعوا على تركه. ولا يقال إن الجمهور على أن الجرح مقدم على التعديل لأنه مقيد بأن يكون الجرح مفسراً لا مجملاً وبأن يبنى على أمر مجزوم به لا بطريق اجتهادي كما قاله الإمام ابن دقيق العيد ونقله عنه السيوطي (1).

فالمسألة تحتاج إلى دقة فإنها ليست على إطلاقها كما وهم، ومع ذلك فقد يتأيد الحديث ويعضد بأن يروى من وجه آخر بلفظه أو معناه، وقد وجد مروى أبي موسى هذا بلفظه أو معناه، وقد وجد مروى أبي موسى هذا بلفظه في حديث المغيرة وبمعناه في حديث ثوبان في التساخين فأصبح من الحسن لغيره وهو كالحسن لذاته وكلاهما يعمل به ويحتج بمقتضاه.

وبالجملة فمهما أعلنت هذه الأحاديث بما أعلنت به من انقطاع أو شذوذ فقد تبين بما برهنا عليه أن منها الصحيح لذاته على قول الترمذي كما تقدم ومنها الصحيح لغيره. وقد نبه في الأصول على أن الحديث المعلل إذا عضده ضعيف أو قول صحابي أو فعله أو قول الأكثر من العلماء أو قياس أو انتشار له من غير نكير أو عمل أهل العصر على وفقه كان المجموع حجة (2)؛ لأنه يحصل من اجتماع الضعفين قوة مفيدة للظن ومن الشائع ضعيفان يغلبان قوياً (3).

(1) التدریب: 113/1.

(2) الجوهر النقي: علاء الدين بن علي بن عثمان المارديني، الشهير بابن التركماني

1: 284/1، والمسح على الجوربين: محمد جمال الدين القاسمي: 51/1.

(3) شرح جمع الجوامع: لابن السبكي: 2/66، 67.

مناقشة أدلة المانعين:

أولاً: نوقش ما استدل به أبو حنيفة، بأنه مردود بما جاء عن الحنفية أنفسهم وثبوت رجوع أبو حنيفة عن قوله في مرضه، ووقع عندهما أنه يمكن تحقيق ذلك المعنى فيه بلا نعل مع أن فرض المسألة أن يتحقق كذلك فتخصيص الجواز بوجود النعل حينئذ قصر للدليل أعنى الحديث والدلالة على مقتضاه بغير سبب فلذا رجع الإمام إلى قولهما وعليه الفتوى (1).

ثانياً: قياس الجورب على النعل في عدم جواز المسح مردود بما روي من إباحة المسح على الجوربين عن عدد كثير من الصحابة والتابعين، كعلي وعمار، وابن مسعود، وأنس، وابن عمر، والبراء، وبلال، وابن أبي أوفى، وسهل بن سعد - رضي الله عنهم-، وبه قال جماعة من مشاهير التابعين، كعطاء والحسن البصري وسعيد بن المسيب وابن جبير والنخعي والثوري، وغيرهم مما تم ذكرهم سابقاً (2).

ثالثاً: والجواب عن النووي: " واحتج أصحابنا بأنه لا يمكن متابعة المشي عليه " فهذا قد يراه المقلد حجة أما المحدث والأصولي فعنده الحجة الكتاب والسنة وما رجع إليهما من بقية الأدلة. وقانون المناظرة يقضي بأن يدفع القوي بالأقوى والحديث بمثله أو بآية لا برأي أو قياس وإلا فيكون ذهاباً إلى ما رمى به أهل الرأي وليس ثمة في الباب آية ترد هذا الحديث ولا حديث يرده لا بل ثمة ما يؤيده من الكتاب والسنة (يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ (3). على قراءة الجر والنصب) كما مر وهذا هو الحجة المعروفة في الأصول (1).

(1) شرح فتح القدير: 1/158.

(2) المغني: 1/333، والشرح الكبير: 1/149، والمبدع: 1/136، والروض المربع: 1/30.

(3) سورة المائدة، آية: 6.

وقال ابن حزم⁽²⁾: والمنع من المسح على الجوربين خطأ؛ لأنه خلاف السنة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخلاف الآثار، ولم يخص صلى الله عليه وسلم في الأخبار التي ذكرنا خفين من غيرهم.

الترجيح:

الرأي الراجح بعد عرض الآراء ومناقشة ما أمكن مناقشته هو رأي القائلين بجواز المسح على الجوربين، وهم الحنابلة والصاحبان، وذلك لقوة أدلتهم وسلامتها من المناقشة، وهو الأولى بالقبول لما في المسح من التيسير على المسلم؛ تماشياً مع يسر الشريعة، ولأن المنع من المسح على الجوربين خطأ؛ لأنه خلاف السنة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخلاف الآثار التي رويت عن كثير من الصحابة والتابعين، إلا أنني أرى في جوازه أن يكون مشروطاً بكونه صفيقاً، لا يشف بحيث يمكن متابعة المشي عليه، وأن يكون سائراً لمحل الفرض؛ لما نراه من بعض الشباب اليوم من ارتدائهم لبعض الجوارب التي لا تستر محل الفرض حيث لا تتجاوز الكعبين ويمسحون عليها ظناً منهم بأن ذلك جائز، وأن يكون ثخيناً حتى يمنع وصول الماء عند المسح عليه، كما اشترطه كثير من الفقهاء، وأن يكون المسح عند الضرورة، كشدة برد، أو مرض، أو في سفر؛ لأن المسح رخصة أجازت للضرورة والضرورة تقدر بقدرها، والله أعلم.

المبحث الثاني: حكم المسح على الجرموقين:

تعريف الجرموق في اللغة: مفرد جراميق، ومادته "موق" وهو معرب، لأن الجيم والقاف لا يجتمعان في كلمة من كلام العرب إلا أن يكون معرباً، أو حكاية صوت، نحو الجرذقة: وهي الرغيف.

(1) المسح على الجوربين: محمد جمال الدين القاسمي: 1/38، 39.

(2) المُلْحَى: 2/87.

قال النووي: ليس الجرموق مطلق الخف فوق الخف، بل هو شيء يشبه الخف يلبس فوق الخف في البلاد الباردة.

والجرموق: الخف القصير يلبس فوق خف، وذلك لحفظه من الطين، وغيره، ويقال له: الموق، وليس غيره.

وفي إطلاق الفقهاء: هو الخف فوق الخف، لأن الحكم في المسح عليه يتعلق بخف فوق خف (1).

والموق الذي يلبس فوق الخف فارسي معرب والموق نوع من الخفاف والجمع أمواق (2).

وقال الأحناف: الموق خف قصير يلبس فوق الخف وهو فارسي معرب ثم ألحقه بخف ذي طاقين (3).

أقوال الفقهاء في حكم المسح على الجرموقين:

اختلف الفقهاء في جواز المسح على الجرموقين على خمسة أقوال، وسبب اختلافهم، هل كما تنتقل طهارة القدم إلى الخف إذا ستره الخف، كذلك تنتقل طهارة الخف الأسفل الواجبة إلى الخف الأعلى، فمن شبه النقلة الثانية بالأولى أجاز المسح على الخف الأعلى؟ ومن لم يشبهها بها وظهر له الفرق لم يجز ذلك (4).

(1) القاموس الفقهي: سعدي أبو جيب: 61، 60/1، وحاشية ابن عابدين: 268/1، والفقهاء الإسلاميين وأدلته: 426/1.

(2) لسان العرب: 350/1، مادة موق.

(3) شرح فتح القدير: 156/1.

(4) بداية المجتهد: 22/1.

القول الأول: قال الحنفية⁽¹⁾: يجزئ المسح على الجرموق فوق الخف، وكذا قال المالكية.

استدلوا لقولهم، أولاً: بما روي عن بلال - رضي الله عنه - أنه قال: "رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - يمسح على الموقين والخمار"⁽²⁾.
والخمار المراد به العمامة.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "رأيت رسول الله يمسح على الموقين"⁽³⁾.
ثانياً: لأنه تبع للخف استعمالاً من حيث المشي والقيام والقعود وغرضاً فإن الخف وقاية للرجل فكذا الجرموق وقاية للخف تبعاً له وكلاهما تبع للرجل فصار كخف ذي طاقين، وهو بدل عن الرجل لا عن الخف لا يقال كيف بطل المسح بنزع الجرموق

ولم يبطل بنزع أحد طاقبي الخف لأننا نقول بالمسح ظهرت أصالة الجرموق فصار نزع كنزع الخف بخلاف نزع أحد طاقبي الخف؛ لأنه جزء من الخف لم يأخذ الأصالة أصلاً كما إذا غسل رجليه ثم أزال جلدها لم يجب عليه غسلها ثانياً، لا يقال أيضاً لو كان بدلاً عن الرجل لكان ينبغي أن لا يجوز المسح على الخف بنزعه؛ لأننا نقول الخف لم يكن محلاً للمسح حال قيام الجرموق فإذا زال صار محلاً للمسح.

(1) الاختيار لتعليل المختار: 28/1، والمبسوط: للسرخسي: 185/1، وبدائع الصنائع: 10/1، والفتاوى الهندية: 32/1، والدر المختار: 270/1.

(2) المستدرک علی الصحیحین: 276/1 - کتاب الطهارة - حدیث: 605، وصحیح ابن خزيمة: 340/1 - حدیث: 189، والمعجم الكبير: للطبراني: 340/1 - حدیث: 1023. قال الحاكم: هذا حدیث صحیح فإن أبا عبد الله مولى بني تيمم معروف بالصحة والقبول وأما الشيخان فإنهما لم يخرجوا ذكر المسح على الموقين. تعليق الذهبي في التلخيص: صحیح.

(3) المعجم الأوسط: للطبراني: 240/1 - حدیث: 756.

واشترط الحنفية لصحة المسح على الجرموق ثلاثة شروط:

الأول: أن يلبس الجرموق على الطهارة التي لبس عليها الخف، أي أن يلبس الأعلى

على الطهارة التي لبس عليها الأسفل، فلو لبس الخف على طهارة ثم أحدث قبل لبس الجرموق، ثم لبسه لا يجوز له أن يمسخ عليه سواء لبسه قبل المسح على الخف أو بعده؛ لأن حكم الحدث استقر عليه لحلول الحدث به فلا يزال بمسح غيره. وكذا لو لبس الجرموقين قبل الحدث ثم أحدث فأدخل يده فمسح خفيه لا يجوز؛ لوجوب المسح على الجرموقين؛ ولأنه مسح في غير محل الحدث، ولو نزع أحد جرموقيه بعد المسح عليهما وجب مسح الخف وإعادة المسح على الجرموق؛ لانقضاء وظيفتهما كنزع أحد الخفين؛ لأن انتقاض المسح لا يتجزأ وفي بعض روايات الأصل ينزع الآخر ويمسح على الخفين.

الثاني: أن يكون الجرموق في حال لبسه منفردًا يجوز المسح عليه؛ لأن ما جاز المسح عليه إذا لم يكن بينه وبين الرجل حائل جاز المسح عليه إذا كان بينهما حائل

كخف إذا كان تحته خف أو لفافة.

ولو كان الجرموق من كِرْبَاسٍ⁽¹⁾، أو فيه خرق مانع فلا يجوز المسح عليه؛ لأنه لا يمكن قطع السفر، ولا متابعة المشي عليه فصار كاللفافة، إلا أن يكونا رقيقين ينفذ منهما البُلبُل إلى الخف قدر الواجب لحصول المقصود.

الثالث: أن يكون الأعلى جلدًا، فإن كان غير جلد يصح المسح على الأعلى إن وصل الماء إلى الأسفل⁽¹⁾.

(1) الكرباس هو كل ما نسج من القطن، هو فارسي معرب. تاج العروس: 132/16، والنهاية في غريب الأثر: 287/4، ولسان العرب: 195/6.

القول الثاني: للمالكية في جواز المسح على الجرموق قولان:
الأول: قال مالك: ولا يمسخ على الجرموقين إلا أن يكون من فوقهما وتحتهما جلد مخروز وقد بلغ الكعبين فليمسح عليهما.
الثاني: قال لا يمسخ عليهما.
وأخذ ابن القاسم بقوله الأول، وقال ابن يونس وهو الصواب؛ لأنه إذا كان عليه جلد مخروز يبلغ الكعبين فهذا كالخف.
ووجه رواية منع المسح على الجرموق أن المسح على الخف لمشقة خلعه ولبسه بخلاف الجرموق فإنه كالنعل⁽²⁾.
قال القاضي عبد الوهاب: ولا يجوز المسح على جوربين غير مجلدين وفي المجلدين والجرموقين روايتان، والمختار مسح أعلاهما وأسفلهما فإن اقتصر على أعلاهما أجزاءه، وإن اقتصر على أسفلهما لم يجزه⁽³⁾.
والراجح من قولي مالك أنه يجوز في هذه الحالة المسح على الأعلى، فلو نزعته، وكان على طهر، وجب عليه مسح الأسفل فوراً.
القول الثالث: قال الشافعي في الجديد⁽⁴⁾: لا يجوز المسح عليه؛ لأن الحاجة لا تدعو إليه؛ ولأن الخف بدل عن الرجل فلو جاز المسح على الجرموق لصار بدلاً عن الخف والخف لا يدل له، وهذا هو القول الأول.

(1) البحر الرائق: 189/1، وشرح فتح القدير: 156، 155/1، وتبيين الحقائق: 52، 51/1، واللباب في شرح الكتاب: 21/1.

(2) الكافي: لابن عبد البر: 178/1، والشرح الكبير: 145/1، ومواهب الجليل: 319/1، والتاج والإكليل: 319/1.

(3) التلغين: 72/1.

(4) المهذب: 21/1، والمجموع: 569/1، وشرح الوجيز: 384/2، روضة الطالبين: 43/1، وحلية العلماء: 136، 135/1.

والثاني، وهو الذي نصّ عليه في القديم، أنه يجوز المسح عليه، لأنه خف صحيح يمكن متابعة المشي عليه فأشبهه المنفرد، وهو مذهب المزني.

وقال الشافعية: لا يجزئ في الأظهر الاقتصار في المسح على الخف الأعلى من الجرموقين (وهما خف فوق خف، كل منهما صالح للمسح عليه)؛ لأن الرخصة وردت في الخف لعموم الحاجة إليه، والجرموق لا تدعو الحاجة إليه، أي أنه لا بد من مسح الأعلى والأسفل.

واحتج المزني بأن قال: "إنما جاز المسح على الخف مرفقاً للمتعدد في سفره وفي المسح على الجرموقين مرفق ظاهر".

فنقول: هذا المرفق تمس الحاجة إليه نادراً، فكان كالفقازين؛ فإن المسافر تشتد حاجته إليهما في شدة البرد، ثم لا يمسح عليهما. وأما الخف، فالحاجة إليه عامة ظاهرة، في حق المقيم والمسافر، ثم لا يعسر إدخال اليد تحت الجرموق ومسح الخف، وغسل الرجل في الخف عسر جداً⁽¹⁾.

ورجّح النووي القول بالجواز فقال: "والأصح من الوجهين المذكورين الجواز"⁽²⁾.

وقال الغزالي: "الأولى إن لبس الجرموق على طهارة كاملة فله المسح عليه"⁽³⁾.

القول الرابع: قال الحنابلة⁽⁴⁾: وإن لبس خفاً على طهارة ثم لبس فوقه آخر

أو جرموقاً قبل أن يحدث جاز المسح على الفوقاني سواء كان التحتاني صحيحاً، أو مخرقاً؛ لأنه خف صحيح يمكن متابعة المشي فيه لبسه على طهارة كاملة أشبه المنفرد، وإن لبس الثاني بعد الحدث لم يجز المسح عليه؛ لأنه لبسه على غير طهارة، وإن مسح الأول ثم لبس الثاني لم يجز المسح عليه؛ لأن المسح لم يزل

(1) نهاية المطلب في دراية المذهب: 298/1.

(2) المجموع: 571/1.

(3) الوسيط: 402، 401/1.

(4) المغني: 319/1، وكشاف القناع: 117/1، والكافي في فقه ابن حنبل: 37، 36/1.

الحدث عن الرجل فلم تكمل الطهارة وإن كان التحتاني صحيحًا والفقائي مخرقًا فالمنصوص جواز المسح؛ لأن القدم لم يستر بخف صحيح وقال بعض أصحابنا لا يجوز؛ لأن الحكم تعلق بالفقائي فاعتبرت صحته كالمنفرد.

القول الخامس: يرى الظاهرية بجواز المسح على كل ما لبس في الرِّجْلين مما يحل لبسه مما يبلغ فوق الكعبين سنة سواء كانا خفين من جلود أو لبود أو عود أو حلفاء أو جوربين من كتان أو صوف أو قطن أو وبر أو شعر كان عليهما جلد أو لم يكن أو جرموقين أو خفين على خفين أو جوربين على جوربين أو ما كثر من ذلك⁽¹⁾.

خلاصة مذاهب الفقهاء في المسح على الجرموقين تتلخص في مذهبين: الأول: قال بمنع المسح على الجرموقين، وهي إحدى روايتي مالك والشافعي في الجديد.

والثاني: قال بجواز المسح على الجرموقين، هو قول الثوري، وأبو حنيفة، وأحمد، وداود الظاهري، والمزني، وجمهور العلماء.

مناقشة أدلة المانعين:

ناقش المجوزون ما قاله الشافعي؛ لأن الحاجة لا تدعو إلى لبسه في الغالب فلا يتعلق به رخصة عامة كالجيرة.

ولنا: أنه خف سائر يمكن متابعة المشي فيه أشبه المفرد وكما لو كان الذي تحته مخرقًا وقوله: الحاجة لا تدعو إليه ممنوع فإن البلاد الباردة لا يكفي فيها خف واحد غالبًا ولو سلمنا ذلك ولكن الحاجة معتبرة بدليلها، وهو الإقدام على اللبس لا بنفسها فهو كالخف الواحد

(1) المُحَلَّى: 80/2.

وقوله: فلا يتعلق به رخصة عامة كالجبيرة لم يستقم، فإن الجبيرة تتعلق بها رخصة وهي الخاصة في حق الكسير، وإلحاقه على هذا القول بالقفازين أولى من إلحاقه بالجبيرة التي هي من باب الضرورات⁽¹⁾.

وقوله المسح عليه بدل عن المسح على الخف، ممنوع، بل كل واحد منهما بدل عن الغسل، قائم مقامه، إلا إنه إذا نزع الجرموق لا يجب غسل الرجلين، لوجود شيء آخر، وهو بدل عن الغسل، قائم مقامه، وهو الخف⁽²⁾.

مناقشة أدلة المجوزين:

ناقش المانعون أدلة المجوزين على النحو الآتي:

قال المانعون: إن الموق هو الخف لا الجرموق، وهذا هو الصحيح المعروف في كتب أهل الحديث وغريبه، وهذا متعين لأوجه: أحدها: أنه اسمه عند أهل اللسان. والثاني: أنه لم ينقل أنه صلى الله عليه وسلم كان له جرموقان مع أنهم نقلوا جميع آياته صلى الله عليه وسلم.

والثالث: أن الحجاز لا يحتاج فيه إلى الجرموقين فيبعد لبسه⁽³⁾.

وأجيب عن هذا بأن ما ذكره النووي من أن الموق هو الخف مخالف لما ذكره أهل اللغة، كالجوهري والمطرزي فإنهما قالوا: إن الجرموق والموق يلبسان فوق الخف فعلم أنهما غير الخف⁽⁴⁾.

وعارض المانعون أقيسة المجوزين وأجابوا عنها من خلال ردهم على المانعين.

(1) البحر الرائق:1/189، والمجموع:1/569،570، والمغني:1/319.

(2) بدائع الصنائع:1/11.

(3) المجموع:1/574.

(4) البحر الرائق:1/189.

الترجيح:

الرأي الراجح بعد عرض الأقوال وأدلة كل قول ومناقشتها والرد عليها هو القائل بجواز المسح على الجرموقين إذا تحققت شروط المسح التي ذكرها الأحناف؛ لأن الحاجة تدعو إلى المسح قياساً على الجوربين، وكما بيّنوا أن كثيراً من البلاد الباردة لا يكفي فيها ارتداء خف واحد غالباً.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته وفضله تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف البرايا نبينا محمد الذي جاء بختام الرسالات وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه ونهجه إلى يوم الدين.

وبعد ...

فقد انتهيت من هذا البحث المتواضع والذي أسأل الله أن أكون قد وفقت فيه، وقد خلصت منه ببعض النتائج، وهذه أهمها:

اتفق الفقهاء على جواز المسح على الجوربين إذا كانا مجلّدين أو منغلين، واختلفوا في الجوربين العاديين.

اشتراط المجوزون لصحة المسح على الجوربين والجرموقين شروطاً عديدة قد تم ذكرها عند عرض أدلتهم.

إن المسح على الجوربين للمقيم يوم وليلة وللمسافر ثلاثة أيام على الراجح.

يسر الشريعة الإسلامية ومراعاتها لرفع الحرج عن المسلمين حيث رخصت للمكسور والمجروح ومن به قروح المسح على الجبيرة وكذا المسح على الجوربين والجرموقين لشدة البرد وهذا ما تم ترجيحه من أقوال الفقهاء.

أهم التوصيات:

على المسلم أن يعلم أن رحمة الله واسعة وفضله واسع فقد يسر على عباده في كل ما يشق عليهم وأمرهم أن يأخذوا برخص الشرع دون حرج وألا يعرضوا أنفسهم للضرر والهلاك.

على المسلم أن يعلم أن الطهارة من أهم أمور دينه، فيجب عليه أن يسأل عن كل ما يتعلق بها من أحكام كالمسح وغيره.

على المسلم أن يعلم أن المسح على الجوربين رخصة يأخذ بها عند الضرورة فقط فلا يترك الأصل إلا عند وجود هذه الضرورة؛ لأن المسح على الجوربين شرع تيسيراً على المسلمين، وخاصة في وقت الشتاء والبرد، وفي السفر، ولأصحاب الأعمال الدائمة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم رواية حفص عن عاصم.

الاختيار لتعليق المختار: عبد الله بن محمد بن مودو- تحقيق: عبد اللطيف محمد عبد الرحمن- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- الطبعة الثالثة- 1426هـ- 2003م.

الاختيارات الفقهية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: 728هـ)، تحقيق: محمد بن عباس البعلبي الدمشقي- دار المعرفة- بيروت- لبنان- 1397هـ.

الإفناع في حل ألفاظ أبي شجاع: محمد الشربيني الخطيب- تحقيق مكتب البحوث والدراسات - دار الفكر- بيروت- 1415هـ.

البحر الرائق شرح كنز الدقائق: زين الدين ابن نجيم الحنفي (926هـ - 970هـ) - الناشر دار المعرفة - مكان النشر بيروت.

بداية المجتهد ونهاية المقتصد: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد (520 - 595 هـ) الشهير بابن رشد الحفيد- مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر- الطبعة: الرابعة، 1395هـ/1975م.

بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: علاء الدين الكاساني- دار الكتاب العربي- 1982م.

تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضي الزبيدي (1145-1205هـ)- تحقيق: مجموعة من المحققين- دار الهداية.

التاج والإكليل لمختصر خليل: محمد بن يوسف العبدري (ت: 897هـ) - دار الفكر - بيروت - لبنان - 1398هـ.

تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق: فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي - دار الكتاب الإسلامي - القاهرة - 1313هـ.

تحقيق: مكتب البحوث والدراسات - دار الفكر - 1415هـ - بيروت.

التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ) - تحقيق: حسين عباس قطب - مؤسسة قرطبة - دار المشكاة للبحث العلمي - الطبعة الأولى - 1416هـ - 1995م، وتحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني - المدينة المنورة - 1384هـ - 1964م.

التلقين في الفقه المالكي: عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي المالكي (ت: 362هـ) - تحقيق: محمد ثالث سعيد الغاني - المكتبة التجارية - مكة المكرمة - 1415هـ .

الجوهر النقي في الرد على البيهقي: علاء الدين بن علي بن عثمان المارديني، الشهير بابن التركماني - مصدر الكتاب : موقع يعسوب

حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء: سيف الدين أبي بكر محمد بن أحمد الشاشي القفال: سنة الوفاة 507هـ - تحقيق: ياسين أحمد إبراهيم درادكة - مؤسسة الرسالة - دار الأرقم - سنة النشر 1980م - بيروت - عمان.

الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار: محمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن الحصكفي الحنفي (ت: 1088هـ) - دار الفكر - بيروت - لبنان - 1386هـ.

- الروض المرعب شرح زاد المستنقع: منصور يونس البهوتي: (ت: 1051هـ) - تحقيق: سعيد اللحام - دار الفكر - بيروت - لبنان.
- روضة الطالبين وعمدة المفتين: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي - المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان - 1405هـ.
- سنن ابن ماجة: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - دار الفكر بيروت. مذيّل بأحكام الألباني على الأحاديث.
- سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي - دار الفكر - بيروت - لبنان - تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد - تعليق: كمال يوسف الحوت، ومذيّل بأحكام الألباني على الأحاديث.
- سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي السلمي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين - تعليق: محمد ابن ناصر الدين الألباني - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر.
- السنن الكبرى: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن. الهند. 1352 هـ الناشر: محمد أمين دمج، وطبعة: مكتبة الباز - مكة المكرمة - 1414هـ - 1994م - تحقيق: محمد عبد القادر عطا.
- شرح الخرشي على مختصر خليل : أبو عبد الله محمد الخرشي، ط: 2 - المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق - مصر - سنة 1317 هـ.
- شرح الزركشي على مختصر الخرقى: محمد بن عبد الله الزركشي - تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم - دار الكتب العلمية - بيروت - 1422هـ - 2002م.

الشرح الكبير على متن المقنع: عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت: 682هـ) - تحقيق: محمد رشيد رضا - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان.

الشرح الكبير: أحمد الدردير أبو البركات - تحقيق: محمد عيش - دار الفكر - بيروت - لبنان.

شرح جمع الجوامع لابن السبكي: الجلال شمس الدين محمد بن أحمد المحلي - وهو شرح المحلي على متن جمع الجوامع للإمام تاج الدين عبد الوهاب ابن السبكي شرح فتح القدير: محمد بن عبد الواحد السيواسي (: 681هـ) - دار الفكر - بيروت.

شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى: منصور بن يونس بن إدريس البهوتي: (ت: 1051هـ) - دار عالم الكتب - بيروت - 1996م.

شرح الوجيز: عبد الكريم الرافي - مصدر الكتاب : موقع يعسوب

صحيح ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري - المكتب الإسلامي - بيروت ، 1390 - 1970م - تحقيق : محمد مصطفى الأعظمي - الأحاديث مذيبة بأحكام الأعظمي والألباني عليها.

صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي - دار ابن كثير - اليمامة - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة - 1407هـ - 1987م - تحقيق: مصطفى ديب البغا.

صحيح مسلم بشرح النووي: محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي. المطبعة المصرية ومكتبتها.

صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري- دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان- تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي- دار الجيل- بيروت- دار الآفاق- بيروت.

صحيح وضعيف مسند أبي داود: ناصر الدين الألباني- المصدر: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية المجاني- إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

الطبعة: الرابعة، 1413 هـ - 1992 م

الفتاوى الهندية في مذهب أبي حنيفة النعمان: الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند- دار الفكر- بيروت- لبنان- 1411 هـ - 1991 م.

فتح القدير: كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي، المعروف بابن الهمام الحنفي. ط: 1. المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر. (1316 هـ).

الفروع وتصحيح الفروع: محمد بن مفلح المقدسي أبو عبد الله-(717- 762هـ)- تحقيق أبو الزهراء حازم القاضي- دار الكتب العلمية- 1418- بيروت.

الفقه الإسلامي وأدلته: وهبة الزحيلي- دار الفكر- سوريا- دمشق- الطبعة الرابعة. القاموس الفقهي لغة واصطلاحًا: سعدي أبو جيب- دار الفكر- دمشق- سوريا- الطبعة الثانية- 1408 هـ- 1998 م.

الكافي في فقه ابن حنبل: عبد الله بن قدامة المقدسي- المكتب الإسلامي- بيروت. الكافي في فقه أهل المدينة: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي- تحقيق: محمد أحمد ولد ماديك الموريتاني- مكتبة الرياض

الحديثة- الرياض- المملكة العربية- السعودية- الطبعة الثانية- 1400هـ-
1980م.

كشاف القناع على متن الإقناع: منصور بن يونس بن إدريس البهوتي- تحقيق:
هلال مصيلحي مصطفى هلال- دار الفكر- بيروت- 1402هـ.

اللباب في الجمع بين السنة والكتاب: محمد بن علي بن زكريا المنبجي-(686هـ)-
تحقيق: محمد فضل عبد العزيز المراد- دار القلم- دمشق - الطبعة الثانية-
1414هـ-1994م.

اللباب في شرح الكتاب: عبد الغني الغنيمي الدمشقي- تحقيق: محمود أمين
النواوي- دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان.

لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري- دار صادر- بيروت-
لبنان- الطبعة الأولى.

لنهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري- المكتبة
العلمية - بيروت ، 1399هـ - 1979م- تحقيق : طاهر أحمد الزاوي - محمود
محمد الطناحي.

المبدع في شرح المقنع: إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن مفلح الحنبلي أبو إسحاق.
816-884هـ)- المكتبة الإسلامي- سنة النشر- 1400- بيروت.

المبسوط: أبو بكر محمد بن أبي سهل السرخسي: تحقيق خليل محيي الدين
الميس- دار الفكر- بيروت- لبنان- الطبعة الأولى- 1421هـ-2000م.

المجموع شرح المذهب: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ) - دار الفكر - بيروت - لبنان - 1997م.

المُحَلَّى: للحافظ أبي محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري (ت: 456 هـ) .
تصحيح: محمد خليل هراس - مطبعة الإمام 13 شارع قرقول المنشية بالقلعة
بمصر .

المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبد الله النيسابوري، المعروف بالحاكم -
تعليق: أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة
الأولى - 1411هـ - 1990م - تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

المسح على الجوربين: محمد جمال الدين القاسمي - المكتب الإسلامي - بيروت -
قدم له: أحمد محمد شاكر، وحققه المحدث ناصر الدين الألباني.

المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي -
مكتبة الرشد - الرياض - الطبعة الأولى، 1409م - تحقيق: كمال يوسف الحوت.

المصنف، مصنف عبد الرزاق: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني - المكتب
الإسلامي - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية - 1403هـ - تحقيق: حبيب الرحمن
الأعظمي.

المعجم الأوسط: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (260-360هـ) - تحقيق:
طارق بن عوض الله بن محمد وآخر - دار الحرمين - القاهرة - 1415هـ. د.ط.

المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (260-360هـ) - تحقيق:
حمدي ابن عبد المجيد السلفي - مكتبة العلوم والحكم - مكتبة الزهراء - الموصل -

العراق - الطبعة الثانية - 1404هـ - 1983م.

استخدامات الأرض في مدينة الخمس

"دراسة في جغرافية العمران"

إعداد: أ. هناء عبد الحفيظ القعو .

أ.المهدي محمد أبوسبيحة .

المقدمة

أولاً: تحديد منطقة الدراسة:

تقع مدينة الخمس قرب المنطقة الأثرية لبدة الكبرى، وتحيط بها عدة نواحي من أشهرها، المناطق الزراعية (الساحل- سوق الخمس - كعام- سلين)، كما تبعد مسافة 120 كم عن العاصمة، ويوجد الكتلة السكنية من شمال البحر المتوسط ومن الجنوب مشروع السكة الحديد الجاري تنفيذه، بينما يحدها من الشرق مدينة لبدة الأثرية ووادي لبدة، أما من الغرب يحدها وادي تل المعروف (سيدي عبدالله)، وذلك عند التقاء دائرة عرض 29' 32° شمالاً، وخط طول 16' 14° شرقاً، هذا ولا يُعدُّ الموقع الفلكي لمدينة الخمس ذو دلالة كبيرة نتيجة لصغر مساحة المدينة حيث تقدر بنحو (1412 هكتاراً)⁽¹⁾ (شكل 1).

ثانياً: الدراسات السابقة:

فيصل محمد المبروك الصيد، التوسع الحضري والآثار البيئية الناتجة عنه في مدينة الجميل وضواحيها، رسالة ماجستير غير منشورة، مدرسة العلوم الإنسانية، قسم الجغرافيا، شعبة الدراسات البيئية، أكاديمية الدراسات العليا، 2008م.

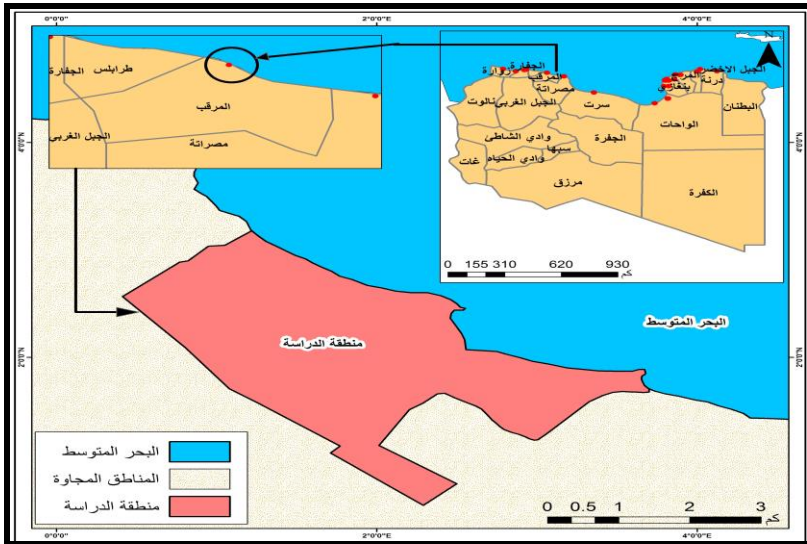
* مساحة الهكتار تساوي 1.0000 مترًا مربعًا وتعادل 2.5 فدان (الفدان = 2.400 مترًا مربعًا)

(1) أمانة التخطيط، مصلحة المساحة، الأطلس الوطني للجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية،

محمود على إمحمد زايد، التوسع الحضري وأثره على استعمالات الأرض في مدينة الخمس، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم بالخمس، قسم الجغرافيا، جامعة المرقب، 2003م.

مولود على المقطوف بريش، النمو الحضري لمدينة الزاوية وأثره على النشاط الزراعي، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الجغرافيا، جامعة قاريونس، كلية الآداب، 1998م.

شكل (1) الموقع الجغرافي لمنطقة الدراسة عام 2020م



المصدر: أمانة التخطيط، مصلحة المساحة، الأطلس الوطني، للجماهيرية العربية الليبية.

دارين على السوري الشتيوي، استعمالات الأراضي للأغراض التجارية واقعها وآفاقها المستقبلية في مدينة جنزور، رسالة ماجستير غير منشورة، مدرسة العلوم

الإنسانية، قسم الجغرافيا، شعبة الدراسات الجغرافية، أكاديمية الدراسات العليا، 2009م.

المختار محمد عمر الطويري، نشأة مدينة جنزور ووظائفها " دراسة في جغرافية المدن"، رسالة ماجستير غير منشورة، مركز البحوث والدراسات العليا، قسم الجغرافيا، جامعة السابع من ابريل، 2002م.

وزارة التخطيط والتنمية، مؤسسة واينج العالمية، تقرير جرد منطقة طرابلس، متصرفية سوق الجمعة (وجنزور)، القسم التاسع، تقرير عن منطقة جنزور، 1967م.

أمانة اللجنة الشعبية للمرافق، مؤسسة بولسيرفيس فاديكو، إقليم طرابلس، مخططات التطوير، جنزور، المخطط الشامل، 2000م، تقرير رقم ط ن - 24.

ثالثًا: أسباب اختيار الموضوع:

موقع مدينة الخمس في إحدى أهم مناطق التركيز السكاني الشمال الغربي من البلاد بصفة عامة ووقوعها بالقرب من نواة التركيز الرئيسية مدينة طرابلس بصفة خاصة أدت هذه الخصائص إلى جعل مركزها الحضري ذو أهمية وطنية وإقليمية.

الملاحظة المباشرة للباحث لما شهدته مدينة الخمس من تحول في المجال الخدمي من بلدية المرقب وهذا ساهم بدوره في جذب السكان إلى منطقة الدراسة وبالتالي نموها العمراني.

على الرغم من أن المنطقة تعدُّ مركزًا زراعيًا هامًا إلا أن النمو الحضري والتوسع العمراني الذي تشهده مدينة الخمس أصبح يشكل تحديًا خطيرًا أمام استمرار النشاط الزراعي في المنطقة.

لم تحظ مدينة الخمس بالكثير من الدراسات الجغرافية، فقد كان يشار إليها ضمن دراسات أخرى التي تناولت المنطقة ضمن أبحاث عن منطقة المرقب بصورة عامة،

إلا من بعض الدراسات والتي قامت بها مؤسسات دولية والتي استطاعت أن ترسم خلفية جغرافية للباحث في الإعداد لهذه الدراسة.

رابعاً: مشكلة الدراسة:

ما دور الخصائص الطبيعية والبشرية في نشأة المدينة ونموها العمراني؟
 ما الكيان السكاني للمدينة (زيادة طبيعية للسكان ومعدلات متزايدة للهجرة باتجاه المدينة)؟ وما هي خصائصه المميزة له؟
 إلى أي مدى ساهم النمو العمراني في التأثير على البيئة، وما هي المشكلات البيئية في منطقة الدراسة؟

خامساً: أهمية الدراسة:

أهمية هذه الدراسة نابعة من الأهمية التي تلف المدينة كأحد المراكز الحضرية، استناداً لموقعها على الساحل وقربها من مدينة المرقب التي تمثل أحد ضواحيها. ساهمت شبكة النقل والمواصلات في زيادة هذه الأهمية حيث تمتاز بموقع مهم على الطريق الساحلي المرقب - طرابلس، وجود خط سكة حديد يحددها من الجنوب.

المدينة ذات ظهير زراعي كبير لموقعها بمنطقة سهل وادي لبدية من الشرق ووادي المعروف من الغرب ذو جودة عالية ومنتجات موسمية هامة تعمل على إمداد بلدية المرقب بفائض ما ينتج منه بعد اكتفاء المدينة بتلك المنتجات.

كما أنها تتمتع بوجود المجمعات الصناعية، الخدمات والمرافق التعليمية مثل كلية الآداب بالمرقب التابعة لجامعة المرقب، حيث يتم التركيز في هذه الدراسة على إبراز دور هذه المرافق في الجذب السكاني، حيث اكتسبت هذه الخصائص المدينة أهمية كأحد المراكز الحضرية بالمنطقة الأمر الذي جعلها متعددة الوظائف.

سادسًا: أهداف الدراسة:

التعريف بالظروف الجغرافية لمنطقة الدراسة بوصفها من المقومات الأساسية للنمو العمراني.

محاولة الربط بين البيئة الحضرية والبيئة الطبيعية في مدينة الخمس، واللتان تتعرضان للتلوث بأنواعه المختلفة نتيجة النمو والتزايد الكبير في النشاط الحضري. المساعدة في تقديم بعض المقترحات والتوصيات التي يمكن أن تساهم في ضبط النمو والتوسع في الأنشطة الحضرية بهدف الحد من المشكلة، ووقف تفاقمها وتعديل الممارسات الخاطئة التي يمارسها السكان حاليًا والتقليل من الآثار المترتبة على النمو بما يكفل الحفاظ على الأراضي الزراعية من التدمير والتدهور.

سابعًا: مناهج وأساليب الدراسة:

1- منهج التحليل المكاني.

2- المنهج التحليلي.

3- المنهج السلوكي

4- منهج النظم.

5- الأسلوب الكمي.

المصادر الإحصائية والخرائط والصور الجوية:

تتمثل في البيانات والإحصاءات الرسمية التي تصدرها الهيئات والجهات الحكومية المختصة، وأهمها البيانات الصادرة عن الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق كالتعدادات السكانية لفترات مختلفة، هذا بالإضافة إلى الإحصاءات الحيوية للسكان والتقارير الإحصائية والبيانات التي تنشرها مختلف الجهات وذات صلة بموضوع الدراسة، فضلاً عن البيانات غير المنشورة التي تصدرها مصلحة السجل المدني المحلي بالمدينة حتى سنة 2020، كما تمت الاستعانة بعدد من الخرائط والصور الجوية أهمها الخريطة الجيولوجية لليبيا مقياس رسم (1 : 100000) من مركز

البحوث الصناعية، وتم استنباط منها منطقة الدراسة، كما تمت الاستعانة بمخطط المدينة لسنة 2000 الصادر سنة 1980 من مصلحة التخطيط العمراني والذي كان مصدراً لتحليل استخدامات الأرض.

-الدراسة الميدانية:

التي تعد أحد مصادر البيانات الهامة في تعويض النقص في البيانات ولها قيمتها في التحليل، وقد اعتمدت عليها الباحثة في الوقوف على كثير من خصائص المدينة واستفاد منها في التعرف على الملامح الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية والسكانية والعمرانية في المدينة وذلك من خلال دراسة ميدانية مفصلة.

أولاً: المركب العام استخدام الأرض بمدينة الخمس:

تعتمد دراسة استخدام الأرض على المسح الميداني الذي يعطي صورة حقيقية لتوزيع الوظائف بالمدينة، وعلى هديها يمكن إعادة تخطيط المدينة في المستقبل. تتميز استخدامات الأراضي بالمدن يتباينها وذلك تبعاً لاحتياجات المتغير.

العوامل المؤثرة في استخدام الأرض:

ومن العوامل المؤثرة في استخدام الأرض بالمدينة:

النمو العمراني للمدينة: يمثل نمط استخدام الأرض في المدينة نتاجاً للتطور العمراني الذي مرت به المدينة على فترات طويلة، فالاستخدام أكبر من مجرد نمو على رقعة المدينة، فالنمو عبارة عن توسع في استخدام الأرض التي تمتد عليها المدينة، وفي مدينة الخمس كان للنمو العمراني أثره الواضح في تحديد أنماط الاستخدامات المختلفة.

محاور الطرق: تتغير استعمالات الأرض بجذب اهتمامات عريضة تشغل فكر القائمين عليها⁽¹⁾، وتختلف أنماط استخدام الأرض في مدينة قائمة اختلافاً كبيراً

(1) Hualou Longa.b. Gerhard K, Heiligb. Xiubin Lic. Ming Zhangb.c. Socio-economic development and land-use change: Analysis of rural housing land

عن الصورة التي يمكن اقتراحها لمدينة يجرى تخطيطها لتضم عددًا مماثلًا من السكان، فهناك على طول الشارع الرئيسي للمدينة العديد من الأنشطة الحكومية.

خطة المدينة العمرانية (الشكل الهندسي): تلعب الشوارع المستقيمة والعمودية على بعضها البعض دورًا كبيرًا في توزيع الاستخدامات، فهذا التنظيم أدى إلى استغلال الموقع، وإحداث أكبر قدر من التفاعل مع المكان، حيث الأنشطة الخدمية أو السكنية وغيرها التي تنتشر بالمدينة.

أسعار الأراضي: المعروف أن وسط المدينة أعلى في أسعار الأراضي من أطرافها، فالمناطق الثلاث المكونة لوسط المدينة، هذا فضلًا عن المناطق المطلة على الطرق الرئيسية على ساحل البحر المتوسط.

التجاور الخدمي: تركزت بعض الاستخدامات بجوار الاستخدام السكني في حين تركز الاستخدام السكني بجوار بعض الخدمات الأخرى. فنتيجة لوجود موقف العربات نما العمران بشكل سريع، مما أدى إلى العشوائية وسوء التخطيط، كما يوجد أيضًا في بعض مناطق النمو العمراني القافز بمناطق الأطراف، في حين جاور الاستخدام السكني بعض الخدمات العامة والخاصة مثل الخدمات الدينية والتجارية والتعليمية والاتصالية وبعض الخدمات الأخرى.

الموقع الأنسب: ارتفعت الأنشطة الزراعية على أطراف المدينة بعيدًا عن المناطق السكنية لها؛ هذا نتيجة للبعد عن المباني السكنية العالية داخل الكتلة السكنية بالإضافة إلى وجود الطرق المرصوفة والمعدة لمثل هذه الحالات خارج الكتلة السكنية، وللاستفادة من الأراضي الصالحة والقابلة للزراعة، كما امتدت بعيدة نسبيًا عن المناطق العسكرية.

طبيعة الخدمة: جاءت الاستخدامات الأمنية في أغلبها بالقرب من الكتلة السكنية، وذلك تحت تأثير العوامل التاريخية (مثل قسم الشرطة) أو الجغرافية، حيث إمكانية الوصول (كما في خدمة المطافئ).

ويبلغ إجمالي مساحة الكتلة العمرانية بالمدينة نحو (1684 هكتار)، يمثل نحو 69.2% من إجمالي منطقة الدراسة، يبلغ إجمالي المسطح السكني حوالي (448 هكتار)، تمثل نحو 26.5% من إجمالي الكتلة العمرانية و(18.3%) من مساحة منطقة الدراسة، بينما يبلغ إجمالي مسطح الأنشطة المختلفة على مستوى جدول رقم (1) استخدامات الأراضي بمدينة الخمس عام 2020م.

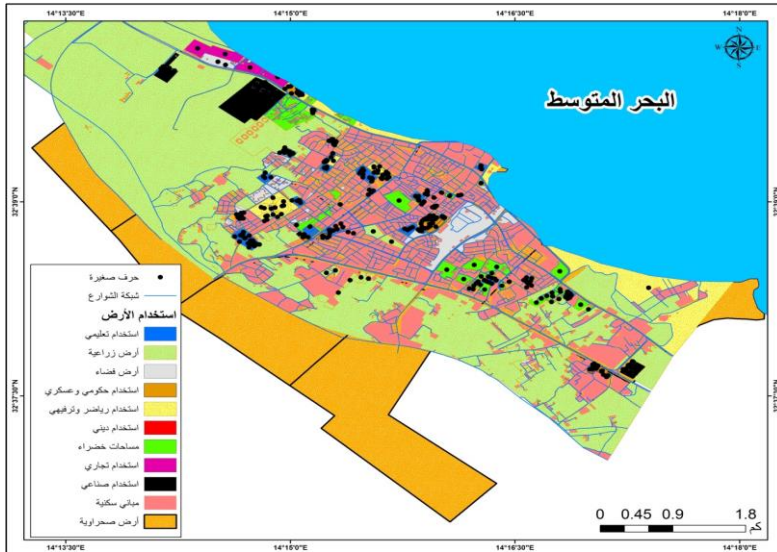
نسبة الاستخدامات	اجمالي الاستخدامات	اجمالي الاستخدامات	نسبة المباني السكنية	المباني السكنية	نسبة الشوارع	شبكة الشوارع	المساحة		المنطقة
							هكتار	2م	
بدون الارض الصحراوية%	بالأرض الصحراوية	بدون الارض الصحراوية	من المساحة الكلية (%)	مساحة م	من المساحة الكلية (%)	مساحة م			
70.1	4772312	4083757	10	656320	4.1	276018	680	6809136	غرب الخمس
81.8	3480413	1669607	13	556750	3.8	162913	425	4252288	شرق الخمس
82.3	2362391	927530	13	372363	2.3	65638	286	2868763	منطقة الوسط
22.9	875288	875288	46	1748119	10.4	398943	382	3823632	بن حجا
66.6	2084039	1422810	13	417232	5.6	175794	313	3128148	حي الرياضية
61.6	2123275	2123275	21	717250	5.6	191907	344	3446042	لبدة
64.5	15697718	11102267	18	4468034	5.2	1271212	2130	24328008	الإجمالي

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على قياسات من الخريطة الرقمية لمدينة الخمس باستخدام برنامج (Arc GIS) والنسب والمعدلات للباحث.

منطقة الدراسة حوالي (1110 هكتار) تمثل نحو 64% من إجمالي الكتلة العمرانية ، بينما يبلغ إجمالي الطرق والفراغات حوالي (127 هكتار)، تمثل نحو 7.5% من

إجمالي الكتلة العمرانية بمنطقة الدراسة و (5.2 %) من إجمالي مساحة مدينة الخمس، ويشير الجدول (1) و(الشكل 2) إلى استخدامات الأراضي بمدينة الخمس عام 2017م.

كما تتوزع المناطق الصحراوية بنطاق مساحة مدينة الخمس، حيث تمثل نسبة (19 %) من جملة مساحة المدينة فقد قدرت مساحتها (459هكتار) من إجمالي (2130هكتار) مساحة منطقة الدراسة.



المصدر: من إعداد الباحث استنادًا إلى بيانات جدول (1).

شكل (2) الاستخدامات المختلفة بمدينة الخمس عام 2020م.

ثانيًا: العناصر الرئيسية لاستخدام الأرض بمدينة الخمس:

(1) المناطق السكنية:

تلك المناطق التي يسودها الاستخدام السكني، ويبلغ إجمالي المسطح السكني بمدينة الخمس حوالي (447هكتار)، تقدر بنحو 26.5% من إجمالي الكتلة العمرانية بالمدينة.

(2) مناطق الخدمات والمرافق:

يبلغ إجمالي المسطح الخدمي على مستوى منطقة الدراسة حوالي (1570 هكتار)، وتشمل مساحة الأراضي الصحراوية تمثل نحو 64.5% من إجمالي مساحة المدينة، و (1110 هكتار) بدون إضافة مساحة الأرض الزراعية لتمثل (45.6%) من مساحة المدينة، و (65.9%) من جملة عمران المدينة، ومن خلال أعمال الرفع العمراني والدراسة الميدانية لمنطقة الدراسة أمكن تصنيفها كما يلي:

أ- الخدمات التعليمية: يبلغ إجمالي الخدمات التعليمية بالمدينة حوالي (31.71 هكتار)، تمثل نحو 1.43% من إجمالي الكتلة العمرانية وتمثل الخدمات التعليمية (1%)، من جملة المساحة الكلية للمدينة.

ب- الخدمات الصحية: يبلغ إجمالي الخدمات الصحية بالمدينة حوالي (7560 متر)، تمثل نحو 0.05% من إجمالي الكتلة العمرانية.

ج- الخدمات الترفيهية والرياضية: يبلغ إجمالي الخدمات الترفيهية والرياضية بالمدينة حوالي 385.3 هكتار تمثل نحو 9.6% من إجمالي الكتلة العمرانية، و (6.7%)، من جملة مساحة المدينة.

د- الخدمات الدينية: يبلغ إجمالي الخدمات الدينية حوالي (1.050 هكتار)، تمثل نحو 0.06% من إجمالي الكتلة العمرانية.

هـ- الخدمات الأمنية (الحكومية والعسكرية): يبلغ إجمالي الخدمات الأمنية حوالي (4.998 هكتار) تمثل نحو 0.30% من إجمالي الكتلة العمرانية.

و- الخدمات التجارية: يبلغ إجمالي الخدمات التجارية بالمدينة حوالي (11.256 هكتار)، تمثل نحو 0.7% من إجمالي الكتلة العمرانية.

ز- الخدمات الزراعية: يبلغ إجمالي الخدمات الزراعية حوالي (764 هكتار)، تمثل نحو 31.4% من إجمالي المساحة الكلية للمدينة، جدول (1).

ح- الأنشطة الصناعية: تغطي الاستخدامات الصناعية مساحة ليست بالقليلة داخل المدينة، حيث تبلغ المساحة التي يشغلها النشاط الصناعي حوالي (35.500

هكتار)، تمثل نحو 2.1% من إجمالي الكتلة العمرانية، متمثلة في الصناعات الخفيفة، و(1.5%)، من جملة مساحة المدينة الكلية.

ط-الأراضي الفضاء:

يبلغ إجمالي مساحة الأراضي الفضاء على مستوى مدينة الخمس حوالي (52.500 هكتار)، تمثل نحو 3.12% من إجمالي المساحة العمرانية، فتركز في المناطق المتخللة بين الكتل العمرانية داخل وسط المدينة، والفضاءات الكبيرة بأطراف مناطق المدينة الخارجية، وتمثل (2.2%) من جملة مساحة المدينة.

ق-المساحات الخضراء:

يصل إجمالي مساحة المناطق الخضراء بالمدينة حوالي (53.34 هكتار)، تمثل نحو 3.17% من إجمالي المساحة العمرانية وتمثل نحو (2.2%) من جملة مساحة المدينة.

ثالثاً: المباني في خريطة التركيب العمراني للمدينة:

تشكل المباني أحد أهم عناصر التركيب العمراني بالمدينة فضلاً عن كونها أحد عناصر النسيج العمراني، وتعد المباني أيضاً أحد الدلالات البارزة على النمو العمراني، وتوجد علاقة ارتباطية بين المباني والمساحات الفضاء في ظل ارتفاع مشاكل الإسكان بغالبية المدن، كما تفيد دراسة الحجم العمراني في المدينة في معرفة مناطق تكدس المباني ومناطق تخلخلها مع ربطها بحجم السكان⁽¹⁾، وفي هذا الإطار يمكن تناول مجموعة من المتغيرات والخصائص المتعلقة بالمباني السكنية ودورها في رسم خريطة النسيج العمراني ومن ثم التركيب العمراني بمدينة الخمس.

(1) أحمد رجب محمد، النسيج العمراني للمواضع المتأثرة بالمجاري المائية القديمة والحالية بمدينة القاهرة، مرجع سابق، ص 156.

1- ارتفاعات المباني:

يشكل الارتفاع الرأسي للمباني نوعاً من التنمية العمرانية التي تستهدف توفير وحدات سكنية إضافية لتلبي الطلب المتزايد على سوق الإسكان بالمدينة، ومن المعروف أن ارتفاع المباني يتناسب طردياً وعرض الشارع، فمع اتساع الأول يرتفع الثاني، وتشير المعايير التخطيطية إلى أن ارتفاع المبنى يعادل مثل ونصف مثل عرض الشارع حتى يمكن توفير إضاءة طبيعية وتسمح المباني خلالها من انسياب لحركة الهواء ووضوح الرؤية.

جدول (2) ارتفاعات المباني بمدينة الخُمس عام 2020م.

النسبة المئوية				عدد الأدوار				عدد	المنطقة
4	3 إلى	دورين	دور	4	3 إلى	دورين	دور	المباني السكنية	
فأكثر	4			فأكثر	4				
58.3	7.3	19.1	15.4	995	124	325	262	1706	غرب الخُمس
15.8	66.1	6.3	11.7	50	209	20	37	316	شرق الخُمس
71.2	19.2	8.0	1.6	178	48	20	4	250	منطقة الوسط
74.7	16.9	2.4	6.0	2214	501	70	179	2964	بن حجا
58.6	25.6	11.1	4.6	421	184	80	33	718	حي الرياضية
69.9	22.8	3.1	4.2	450	147	20	27	644	لبدة
65.3	18.4	8.1	8.2	4308	1213	535	542	6598	الإجمالي

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على قياسات من الخريطة الرقمية لمدينة الخُمس باستخدام برنامج (Arc GIS) والنسب والمعدلات للباحث.

كما تتفاوت ارتفاعات المباني من مكان لآخر نتيجة لمجموعة من العوامل المختلفة لعل من أهمها حالة المباني وحدثتها ونوعية المباني واتساع الشوارع⁽¹⁾، ويشير الجدول (2) إلى ارتفاعات المباني بالمدينة عام 2017م، والذي من خلاله يمكن القول إن مباني المدينة تتسم بالارتفاعات المتوسطة بشكل عام وهو ما أكدته الدراسة الميدانية.

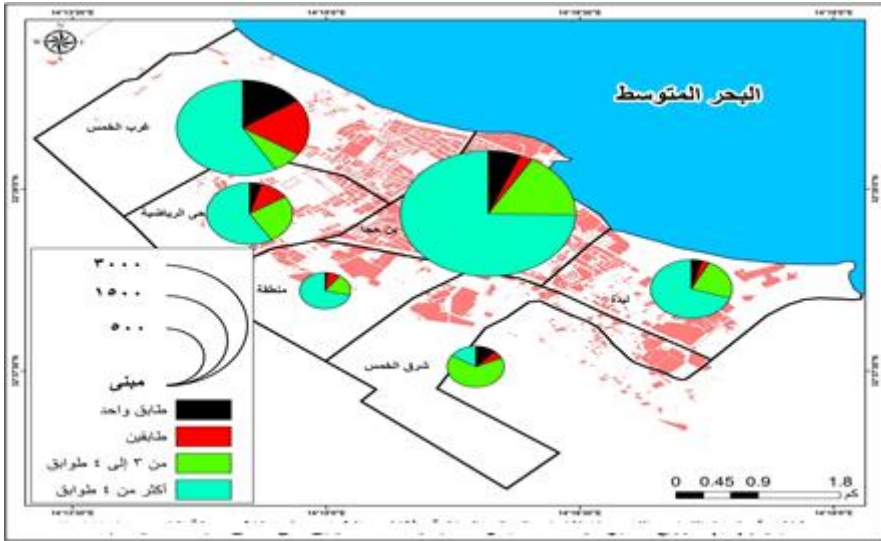
يتضح من الجدول ارتفاع نسبة المباني الأكثر من أربعة أدوار لما يزيد عن ثلثي المباني السكنية بالمدينة، فيما تصل نسبة المباني التي يتراوح ارتفاعها ما بين ثلاثة إلى أربعة أدوار إلى خمس المباني تقريباً (18.4%)، بما يشير إلى أن ما يقرب من عشر جملة مباني المدينة مكونة من طابق ومثلها طابقين، وهو ما يتماشى مع معظم عروض الشوارع بالمدينة والتي يتراوح متوسطها العام ما بين (6 أمتار) أي أن الارتفاع القانوني للمباني من المفترض أن يتراوح أيضاً ما بين (9 متراً لأقل ارتفاع، إحدى عشر متراً في أقصى ارتفاع)، أي ما بين ثلاثة طوابق إلى أربعة طوابق وذلك على اعتبار أن ارتفاع الطابق الواحد يصل إلى ثلاثة أمتار في الأغلب.

ويتضح من خلال الجدول (2) أن أكثر المناطق ارتفاعاً في مبانيها بالمدينة هي منطقة بن جحا لكبر قيمة المباني التي تتعدى أربعة ادوار فأكثر بنسبة (74.7%) من جملة المباني بالمنطقة بعدد (2214 مبنى)، تليها منطقة الوسط بنسبة (71.2%) من جملة المباني السكنية بالمنطقة ثم منطقة لبدة بعدد مباني تجاوز الأربعة طوابق (450 مبنى) من جملة (644 مبنى) بالمنطقة بنسبة (69.9%)، تليها حي الرياضية ثم غرب الخُمس بنسبة (58.6%، 58.3%) لكل منهما على التوالي وأخيراً منطقة شرق الخُمس (15.8%).

(1) فتحي محمد مصيلحي، تطور العاصمة المصرية، والقاهرة الكبرى، تجربة التعمير المصرية من 4000 ق.م إلى 2000م دار المدينة المنورة، القاهرة، 1988، ص 368.

وبدراسة مناطق المدينة وفقاً لارتفاعات المباني السكنية بها نجد ان منطقة بن جحا تضم اكبر عدد من المباني السكنية مقسمة كالتالي: أقل نسبة مباني وفقاً للارتفاع هي المباني ذات الطابقين (2.4 %) من جملة المباني السكنية بعدد (70 مبنى) تليها المباني ذات الطابق الواحد بنسبة (6 %) ثم مباني من ثلاثة ادوار إلى أربعة سجلت نسبة (16.9 %) بعدد 501 مبنى، أما أكثر من أربعة ادوار كانت لها الغلبة بأكثر من (74.7 %) مبنى، تليها منطقة غرب الخُمس في كبر عدد المباني مقسمة أيضاً إلى مباني ذات طابق واحد بنسبة (15.4 %) وطابقين (19.1 %) من ثلاثة طوابق إلى اربعة (7.3 %) أما المباني ذات الأربعة طوابق فأكثر فقد سجلت نسبة مرتفعة (58.3 %) بعدد مباني (995 مبنى)، يضم حي الرياضية (718 مبنى) كانت الغلبة للمباني المرتفعة عن أربعة ادوار بنسبة (58,6 %) تليها المباني من ثلاثة طوابق (25,6%) والطابقين بنسبة (11.1 %) اما الطابق الواحد سجل نسبة ضئيلة (4.6%) فقط من جملة ارتفاعات المباني بالمنطقة، تأتي منطقة لبداء بعدد مباني (644 مبنى) يطبع عليها المباني ذات الارتفاع الاكثر من أربعة طوابق حيث يسجل نسبة (69.9 %) من جملة المباني ثم المباني ثلاثية الطوابق بنسبة (22.8 %) ثم المباني الدور الواحد (4,2 %) واخيرا الطابقين (3.1%)، ومع دراسة ارتفاعات المباني بمنطقة شرق الخُمس نجد النسبة الغالبة للمباني ثلاثية الطوابق بنسبة (66.1%) تليها المباني الاكثر من أربعة طوابق بنسبة (15.8 %) ثم الطابق الواحد بنسبة (11.7%)، وتتذيل المباني ذات الطابقين بالمنطقة بنسبة (6.3%) بعدد (20 مبنى فقط من جملة 316 مبنى سكني بالمنطقة)، اما منطقة الوسط ذات 250 مبنى سكني تقسم الكتالي:- (71.2 %) للأربعة طوابق فاكثر، (19.2%) للثلاثة طوابق، (8 %) للطابقين، واخيرا (1.6 %) للمباني ذات الطابق الواحد، بصفة عامة يبلغ على مباني مدينة الخُمس

المباني المرتفعة أكثر من أربعة طوابق بنسبة (65.3 %) بعدد (4308 مبنى) من جملة مباني المدينة البالغة (6598 مبنى).



المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على قياسات من الخريطة الرقمية لمدينة الخُمس باستخدام برنامج (Arc GIS).

شكل (3) التوزيع النسبي لارتفاعات المباني وفقاً لعدد الطوابق على مناطق مدينة الخُمس عام 2020م.

2- حالات المباني:

ترتبط حالات المباني في المدينة ارتباطاً وثيقاً بالتطور العمراني لها، حيث نجد أن الغالبية المدنية العظمى من مباني المدينة ذات حالة سليمة، وقد أظهرت الدراسة الميدانية التي تم إجرائها للتعرف على حالات المباني بالمدينة، وكذلك الدراسات الميدانية للكثلة العمرانية للمدينة وفقاً للجدول (3) الذي يشير إلى التوزيع النسبي المباني وفقاً لحالتها البنائية عام 2020م.

جدول (3) التوزيع النسبي لمساحة المباني وفقاً لحالتها البنائية عام 2020م.

النسبة	حالة المبنى السكني
99.1	جيد
0.7	متصدع
0.2	متهدم
100	إجمالي الكتلة المبنية

المصدر: دراسة ميدانية بتاريخ: 17-04-2020م.

3- مادة البناء:

ترتبط مادة بناء المباني في المدينة ارتباطاً وثيقاً بالتطور العمراني لها، حيث نجد أن الغالبية المدنية العظمى من مباني المدينة ذات الهيكل الخرساني والحوائط الحاملة، وهذا دليل على حداثة المباني وتطورها وتماشيها مع نمط البناء الحديث، وقد أظهرت الدراسة الميدانية التي تم إجرائها للتعرف على مادة بناء المباني بالمدينة، وكذلك الدراسات الميدانية للكتلة العمرانية للمدينة وفقاً للجدول (4) الذي يشير إلى التوزيع النسبي لأعداد المباني وفقاً لمادة البناء عام 2020م.

جدول (4) التوزيع النسبي للمباني السكنية وفقاً لمادة البناء عام 2020م.

مادة البناء (%)				عدد	المنطقة
حجر جيري	خشبي مسقف	حوائط حاملة	هيكل خرساني	المباني السكنية	
15	5	30	50	1706	غرب الخُمس
20	20	20	40	316	شرق الخُمس
5	5	50	40	250	منطقة الوسط
5	0	15	80	2964	بن حجا
0	0	30	70	718	حي الرياضية
5	5	40	50	644	لبدة
11,7	5,8	29,2	53,3	6598	الإجمالي

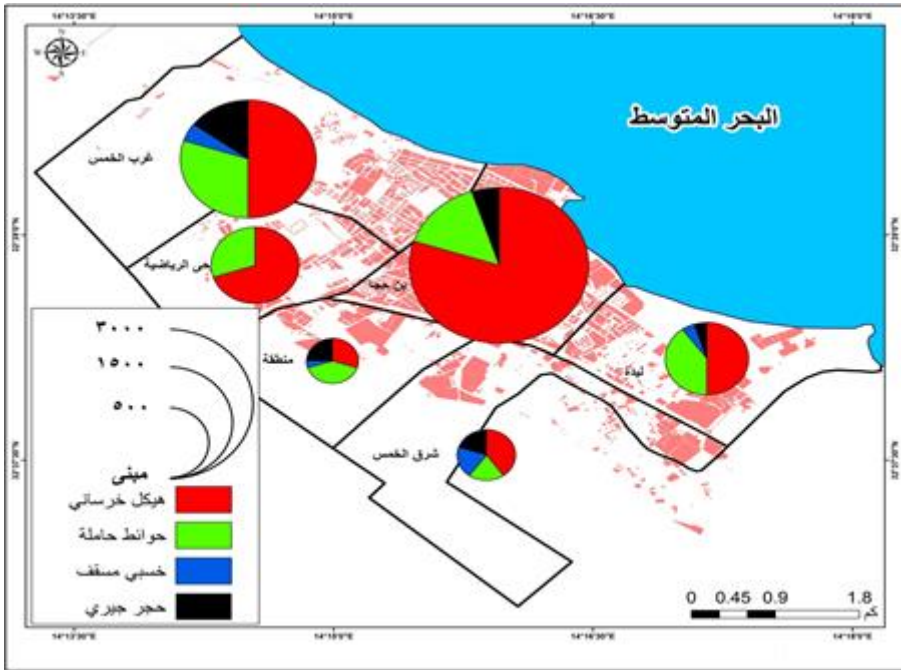
المصدر: دراسة ميدانية بتاريخ: 20-04-2020م.

ومن دراسة الجدول السابق يتبين حداثة مباني المدينة نتيجة أكبر المباني ذات الهيكل الخرساني والحوائط الحاملة حيث تبلغ نسبة (82.5 %) من جملة المباني بالمدينة، تليها الحجر الجيري كمادة بناء بنسبة (11.7 %) نجده في المباني ذات الدور والدورين فقط، ثم نسبة قليلة جدا من المباني ذات السقف الخشبي (5.8 %) ونجدها بأطراف المدينة وجوار المباني الجديدة حفاظا على تراث المدينة التقليدي حيث يسكنها القليل من السكان ذو الطابع العربي البدوي.

تأتي منقطة بن جحا بأكبر نسبة لمباني الهيكل الخرساني بالنسبة لمبانيها أو مباني المدينة ككل بنسبة (80 %) أما الحوائط الحاملة بها فقد سجلت نسبة (20 %) ولم يظهر بها المباني المبنية بالحجر الجيري أو المسقوفة بالخشب، يليها حي الرياضية بنسبة (70 %) من مباني الهيكل الخرساني و(30 %) للحوائط الحاملة، كما لم يظهر بها أيصًا نمط البناء بالحجر الجيري الو المسقوفة بالخشب، اما منطقة لبداء فقد سجل بها نسبة النصف من جملة مبانيها هيكل خرساني و (40 %) للحوائط الحاملة وقد لوحظ وجود النمط التقليدي في مادة البناء بنسبة (5 %) لكل من الحجر الجيري و المسقوفة بالخشب، كما سجلت مباني الهيكل الخرساني نصف جملة المباني أيصًا بمنطقة غرب الخُمس و(30 %) للحوائط الحاملة، و(15 %) لمباني الحجر الجيري،(5 %) لذات السقف الخشبي نتيجة وقوع المنطقة بأطراف المدينة وانتشار نمط البناء العشوائي مع رخص تكلفة البناء بالحجر الجيري عن نظيرة الخرساني نتيجة الظروف الاقتصادية التي تمر بها البلاد هذه الفترة ، فضلًا عن سهولة انشاء هذه المباني التي لا تتطلب وقت طويل في عمليات البناء، اما منطقة شرق الخُمس نجد تساوي كل من المباني ذات الحوائط الحاملة والحجر الجيري والمسقوفة بالخشب بنسبة (20 %) لكل منهما وهذا نتيجة وقوع المنطقة أيصًا بأطراف المدينة واستسهال السكان طرق البناء التقليدية لسرعتها في اتمام البناء بسهولة ويسر وسرعة فضلًا عن تدنى الحالة الاقتصادية التي لا تساعد عن

انشاء المباني الخرسانية التي سجلت بالمنطقة بنسبة (40 %) فقط، (شكل 39)، سجلت أكبر نسبة للمباني ذات الحوائط الحاملة (50 %) أي ما يعادل نصف المباني بمنطقة الوسط، و(40 %) للمباني الخرسانية، كما تساوت لكل من المباني المسقوفة بالخشب والحجر الجيري بنسبة (5 %) لكل منهما.

شكل (5) التوزيع النسبي للمباني السكنية وفقاً لمادة البناء على مناطق مدينة الخُمس عام 2020م.



سابقاً: الصورة التوزيعية لاستخدامات الأراضي بمناطق المدينة:

تأتي دراسة استخدامات الأراضي على مستويات تفصيلية لإعطاء صورة أكثر توضيحاً للمشهد الأرضي (اللانديسكيب) وإظهار مدى التداخل في الأنماط المختلفة

للاستخدامات، والصورة التوزيعية لها بالمدينة حتى يمكن التمييز بينها ودراسة أثره على رحلة الوصول لتلك الاستخدامات ومدى كفايتها للسكان بالمدينة، جدول (5) التوزيع النسبي للاستخدامات المختلفة بمناطق مدينة الخُمس عام 2020م.

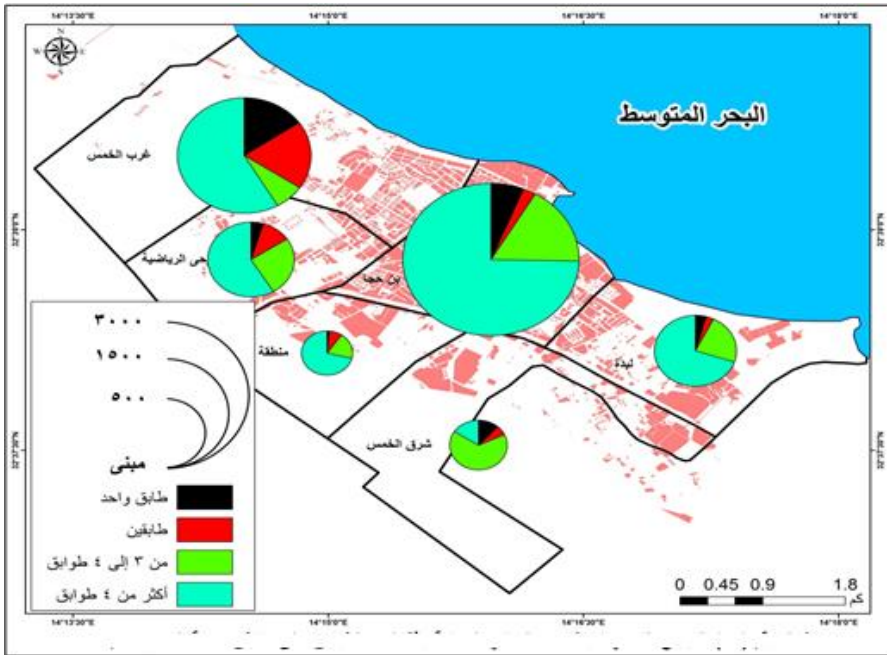
التوزيع النسبي للاستخدامات بدون الأرض الصحراوية										المنطقة
أرض فضاء	مساحات خضراء	صناعات	تجاري	رياضة وترفيه	حكومية وعسكرية	ديني	صدي	تعليمي	أرض زراعية	
2.4	4.4	7.7	1.1	13.7	0.1	0.0	0.0	1.9	68.8	غرب الخُمس
0.0	0.0	0.0	1.2	0.0	0.0	0.0	0.0	0.2	98.5	شرق الخُمس
0.0	0.0	0.0	0.7	0.0	0.0	0.0	0.1	0.1	99.0	منطقة الوسط
37.3	24.9	0.0	1.1	15.4	5.0	0.5	0.5	5.9	9.4	بن حجا
7.0	2.2	0.0	1.6	8.3	0.1	0.2	0.1	6.8	73.7	حي الرياضية
0.0	5.0	2.0	0.5	38.0	0.0	0.0	0.0	0.5	54.0	لبدة
4.7	4.8	3.2	1.0	14.6	0.4	0.1	0.1	2.2	68.9	الإجمالي

المصدر: دراسة لطلبة بتاريخ : 27-04-2020 م.

تبين من الدراسة التفصيلية للتوزيع النسبي لمساحة الاستخدامات المختلفة على مستوى مناطق المدينة أن توزيعها بمنطقة بن حجا كما هو مبين، أكبر نسبة للأرض الفضاء (37.3%) بمساحة (32.500 هكتار)، ثم المساحات الخضراء (24.9%) بمساحة (21 هكتار)، فالاستخدام الرياضي الترفيهي بنسبة

(15.4%) بمساحة (13هكتار)، ومثلت الارض الزراعية نسبة (9.4%) فقط من جملة الاستخدامات، وتفاوتته فيما بعد نسب الاستخدامات الأخرى ولم تسجل المنطقة أي نشاط صناعي يذكر، أما منطقة حي الرياضية فسجلت به الارض الزراعية أكبر نسبة من جملة الاستخدامات المختلفة (73.7%) بمساحة تقرب من (105هكتار).

شكل رقم (5) التوزيع النسبي لارتفاعات المباني وفقاً لعدد الطوابق على مناطق مدينة الخمس عام 2020م.



المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على قياسات من الخريطة الرقمية لمدينة الخمس باستخدام برنامج (Arc GIS).

كما أنه لم يسجل أيضاً الاستخدام الصناعي أي نسبة تذكر بالحي، سجلت أكبر نسب الاستخدام الزراعي بمنطقة شرق الخمس (98.5%) بمساحة (164هكتار)، ونسب صغيرة لكل من الاستخدام التجاري والتعليمي (1.2%) (0.2%) على

التوالي، قدرت أيضًا نسبة الاستخدام الزراعي بمنطقة غرب الخُمس بنسبة كبيرة (68.8%) تليها الاستخدام الرياضي الترفيهي (13.7%)، ثم تفاوتت نسب بقية الاستخدامات بين (0.1%) إلى (8%)، أما منطقة الوسط فكانت نسب الاستخدام الزراعي بها أعلى حيث سجل (99%) بمساحة قدرت (918 هكتار) من جملة الاستخدامات بالمنطقة، وأخير حي لبداء سجل به نسب قليلة متفاوتة بين الاستخدامات بعضها البعض ما عدا الاستخدام الزراعي (54%) والرياضي الترفيهي (38%).

1- الاستخدامات الخدمية:

تشكل الاستخدامات الخدمية أحد أهم أنواع الاستخدامات بالمدينة، لما لها من علاقة وثيقة بتلبية احتياجات أفراد المجتمع اليومية، والتي لا غنى عنها ومن أهمها: الاستخدامات التعليمية والصحية والدينية، والتي يمكن تناولها بالتفصيل على مستوى مناطق مدينة الخُمس.

2- الاستخدامات التعليمية:

يحظى الاستخدام التعليمي بأهمية كبيرة في الدراسات العمرانية والتخطيطية أيضًا، لما له من علاقة وثيقة بين الحجم السكاني والمؤسسات التي تقدم الخدمة التعليمية، وفي مدينة الخُمس نجد أن إجمالي مساحة الاستخدام التعليمي تصل إلى (241.3 ألف مترًا مربعًا) تشكل نسبته (2.2%) من جملة مساحة الاستخدامات المختلفة بمدينة الخُمس عام 2020م، ويشير إلى التوزيع العددي والنسبي للاستخدام التعليمي بمناطق مدينة الخُمس ونصيب الفرد منها عام 2020م.

جدول (6) التوزيع العددي والنسبي للاستخدامات التعليمية ونصيب الفرد منها بالمترب مربع (م-2 نسمة) بمناطق مدينة الخُمس عام 2020م.

النسبة (%)	نصيب الفرد (م ² / نسمة)	مساحة الاستخدام التعليمي (م ²)	عدد السكان عام 2019	المنطقة
32.3	23.9	77878	3255	غرب الخُمس
1.5	0.6	3544	6165	شرق الخُمس
0.4	0.2	861	5556	منطقة الوسط
21.2	5.2	51229	9788	بن حجا
40.1	20.0	96770	4843	حي الرياضية
4.6	1.4	11064	7942	لبدة
100.0	6.4	241346	37549	الإجمالي

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على قياسات من الخريطة الرقمية لمدينة الخُمس باستخدام برنامج (Arc GIS) والنسب والمعدلات للباحث. يتضح من خلال الجدول أن جملة مساحة الاستخدام التعليمي وزعت على مناطق المدينة حيث تركز أكبر نسبة سماحة منها بمنطقة حي الرياضية التي سجلت نسبة (40.1%) تليها منطقة غرب الخُمس بنسبة (32.3%) بمساحة (77.8 ألف متر مربع)، ثم منطقة بن حجا (21.2%) بمساحة (51.2 ألف متر مربع)، وتقل المساحة بمنطقة لبدة إلى أقل من (5%) من جملة مساحة الاستخدام بالمدينة حيث سجلت (4.6%) بمساحة (11 ألف متر مربع)، ثم منطقة شرق الخُمس بنسبة (1.5%)، وتتنخفض المساحة لتصل أدنى قيمة لها بمنطقة الوسط (861 متر مربع) بنسبة (0.4%).

شكل (6) نصيب الفرد من مساحة الاستخدامات التعليمية
بمدينة الخُمس عام 2021م.



المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على قياسات من الخريطة الرقمية لمدينة الخُمس باستخدام برنامج (Arc GIS).

جدير بالقول إنه مع انخفاض مساحة الاستخدام التعليمي بالمدينة فقد انخفض معه متوسط نصيب الفرد منه لنجد أنه قد بلغ على مستوى المدينة (6.4 متر مربع/ نسمة)، ارتفع نصيب الفرد من مساحة الاستخدام التعليمي بمنطقتين (غرب الخُمس و حي الرياضية) (32.9 ، 20م² لكل نسمة) على التوالي، ثم منطقة بن جحا مسجلة (خمسة أمتار مربعة/ نسمة) ، ومنطقة إبدا (1.4 متر مربع للفرد) ، وينخفض المعدل لأقل من متر واحد للفرد بكل من شرق الخُمس التي يبلغ نصيب

الفرد بها من الخدمة التعليمية (60سم للنسمة) ومنطقة الوسط التي تبلغ أدنى المناطق في نصيب الفرد من المساحة التعليمية (20 سم لكل فرد)، (الشكل 6).

3- الاستخدامات الدينية:

تتعدد المؤسسات والمنشآت الدينية بمدينة الخُمس حيث تضم المساجد والكنائس والمعاهد الدينية ودور المناسبات والجمعيات الشرعية وغيرها، والتي تجتمع معا لنجد أن إجمالي مساحة الاستخدام الديني قد بلغت (10.5 ألف مترًا مربعًا) تشكل نسبته (0.1 %) من جملة مساحة الاستخدامات المختلفة بمناطق مدينة الخُمس عام 2021، ويشير الجدول (7) إلى التوزيع العددي والنسبي للاستخدامات الدينية بمناطق مدينة الخُمس ونصيب الفرد منها عام 2021م.

جدول (7) التوزيع العددي والنسبي للاستخدامات الدينية ونصيب الفرد منها

بمناطق مدينة الخُمس عام 2021م.

المنطقة	عدد السكان عام 2015	مساحة الاستخدام الديني (متر مربع)	نصيب الفرد (م ² /نسمة)	(%)
غرب الخُمس	3255	1000	0.3	9.5
شرق الخُمس	6165	315	0.1	3.0
منطقة الوسط	5556	420	0.1	4.0
بن حجا	9788	4793	0.5	45.4
حي الرياضية	4843	3039	0.6	28.8
لبدة	7942	998	0.1	9.4
الإجمالي	37549	10565	0.3	100.0

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على قياسات من الخريطة الرقمية لمدينة الخُمس باستخدام برنامج (Arc GIS) والنسب والمعدلات من حساب الباحث.

تبين من خلال قاعدة البيانات والخريطة الرقمية لمدينة الخُمس وتصويباتها الميدانية أن إجمالي مساحة الاستخدامات الدينية بمناطق المدينة قد بلغت (10565 متر مربع) تتوزع على مناطق المدينة وتتفاوت فيما بينها من حيث العدد والمساحة أيضاً، تباينت مساحة الاستخدام الديني بالمناطق لنجد أن المنطقتين اللتين شهدتا أكبر مساحة للاستخدامات الدينية هما بن جحا و حي الرياضية (45.4 %) و(28.8 %) لكل منهما على التوالي، وأنهما يضمن ما يقترّب من ثلاثة أرباع جملة الاستخدامات الدينية في المدينة، حيث بلغت نسبتها معاً (74.1 %)، فيما تراجعت نسبة الاستخدام الديني بباقي المناطق لتسجل غرب الخُمس (9.5 %) بمساحة 1000 متر مربع، و منطقة لبدّة بنسبة (9.4 %) بمساحة (998 متر مربع)، وكانت أقل نسبة من نصيب منطقتي شرق الخُمس والوسط (3 %، 4 %) لكل منهما على التوالي.

جدير بالقول إنه مع الانخفاض النسبي لمساحة الاستخدام الديني بالمدينة تراجع معه نصيب الفرد من المساحة بالمتر مربع ؛ حيث نجد أن متوسطه قد بلغ (0.3 متراً مربعاً/ نسمة) أو ما يعادل (30.4 متراً مربعاً/100 نسمة) من سكان المدينة وفقاً لإحصاء عام 2015م، هذا وقد ارتفع متوسط نصيب الفرد من مساحة الاستخدام الديني عن متوسطه العام بالمدينة بمنطقتي حي الرياضية وبن جحا(0.6 متر مربع لكل نسمة) (0.5 متر مربع/ نسمة) على التوالي، وتساوي المتوسط العام بمنطقة غرب الخُمس (2م0.3 للفرد) من الاستخدام الديني، وتتخض في ثلاث مناطق هي (شرق الخُمس، لبدّة، ومنطقة الوسط) بنصيب (10 سم2 فقط للنسمة).

4-الاستخدامات الصحية:

تعد الخدمة الصحية إحدى الخدمات الأساسية التي هي حق أصيل للسكان، وتسعى الجهود المبذولة إلى الارتقاء به وتطويره حتى ينعم أفراد المجتمع بواقع صحي أفضل، ومن الجوانب التي يهتم بها في دراسة الخدمات الصحية هي مواقع تقديم الخدمة الصحية والتي لا بد أن تتوافر لها درجة مناسبة لسهولة الوصول من المترددين عليها، وانخفاض تكلفة الانتقال إليها (المراكز الصحية والمستشفيات ومواقع تقديم الخدمة)، وضرورة وجود وسيلة انتقال مناسبة في متناول الجمهور من المترددين على الخدمات الصحية، كما يجب أن يتم توزيعها بما يحقق خدمة متكافئة للمناطق الكثيفة سكانيا وتلك المنخفضة في الكثافة السكانية، فضلا عن كل ما سبق الاهتمام بنوعية الخدمات الصحية المقدمة للسكان⁽¹⁾.

وقد شهدت مدينة الخُمس انخفاضا في مساحة الاستخدام الصحي، والذي يضم المستشفيات والعيادات والصيدليات وغيرها من المراكز والوحدات الصحية والمستوصفات التي تقدم خدمة صحية لمرتاديها، وتتقارب مساحة الاستخدام الصحي والديني وقد بلغت مساحته (7610 متراً مربعاً) شكلت نحو (0.1%) من إجمالي استخدامات الأرض بمناطق المدينة عام 2021م، ويشير الجدول (8) إلى التوزيع العددي والنسبي لمساحة الاستخدامات الصحية بمناطق مدينة الخُمس ونصيب الفرد منها.

(1) مزيدا من التفاصيل انظر: عبد العزيز صقر الغامدي، "الجغرافية الصحية كنموذج للجغرافية التطبيقية"، اللقاء الجغرافي الأول لأقسام الجغرافية بجامعة المملكة العربية السعودية، السعودية، جامعة أم القرى، 1984 م، ص ص 132-133.

جدول (8) التوزيع العددي والنسبي للاستخدامات الصحية ونصيب الفرد منها
بمدينة الخُمس عام 2021م.

المنطقة	عدد السكان عام 2019	مساحة الاستخدام الصحي (متر مربع)	نصيب الفرد (م ² /نسمة)	(%)
غرب الخُمس	3255	540	0.2	7.1
شرق الخُمس	6165	302	0.05	4.0
منطقة الوسط	5556	510	0.1	6.7
بن حجا	9788	4230	0.4	55.6
حي الرياضية	4843	1002	0.2	13.2
لبدة	7942	1026	0.1	13.5
الإجمالي	37549	7610	0.2	100.0

يتضح من الجدول أن الاستخدامات الصحية تتوزع في جميع مناطق المدينة، إلا أنها لا تتناسب والحجم السكاني بالشياخات؛ حيث نجد أن منطقة شرق الخُمس تضم حجم سكاني (6165 نسمة) يستخدمون 302 متر مربع من الاستخدامات الصحية الموجودة بالمنطقة، أي بمعدل نصيب فرد (0.05 متر مربع للنسمة) أي ما يعادل خمسة أمتار لكل 100 نسمة، كما انها تسجل أقل نسبة مساحية بين مناطق المدينة في الاستخدام الصحي (4 %) من جملة الاستخدامات الصحية بالمدينة، أما منطقة بن حجا فقد ضمت نسبة (55.6 %) من إجمالي الاستخدامات الصحية، بمساحة (4230 متر مربع)، بنصيب (0.4 متر مربع للفرد)، يليه منطقة لبدة بنسبة (13.5 %) من جملتها بالمنطقة بمساحة تجاوزت ألف متر مربع، ليسجل نصيب الفرد بها (عشرة أمتار مربعة لكل 100 نسمة)، ثم حي الرياضية بنصيب فرد من الاستخدام (20 سم² للفرد)، أما منطقة غرب الخُمس فقد سجلت نسبة (7.1 %) من جملة الاستخدام بالمدينة ككل، تليها منطقة الوسط

(6.7%)، وأخيرا منطقة شرق الخُمس بنسبة (4%) فقط من جملة الاستخدام بمدينة الخُمس.

5-المنتزهات والمناطق الخضراء:

يؤثر عامل التشكيل الفراغي في نمط النسيج العمراني، ويؤكد ليزلي مارتن Martin في رؤيته عن تعدد أنماط البناء مع ثبات المسطحات المبنية عند استعمال نمطين للمباني: النقطي Nuclear، والخطّي Linear للحصول على تنويعات مختلفة داخل المدن تساعد بشكل كبير في توزيع أنماط استخدامات الأراضي بالكتلة الحضرية⁽¹⁾، وعادة يكون الإحساس بشكل البناء كنتاج لعملية التنظيم الفراغي في ضوء العلاقة بين المسطحات المبنية والمفتوحة.

وتعد المناطق الخضراء داخل المدن من أهم ما يميز نسيجها العمراني، حيث تضم المساحات الخضراء (الحدائق)، والتي تصل مساحتها الكلية إلى (53هكتار) تشكل (4.8%) من جملة أنماط الاستخدامات المختلفة بمدينة الخُمس، ويشير الجدول (9) إلى التوزيع العددي والنسبي للاستخدامات الخضراء (الحدائق) ومتوسط نصيب الفرد منها بمدينة الخُمس عام 2021م.

(1) هشام أبو سعدة، الكفاءة والتشكيل العمراني "مدخل لتصميم وتخطيط المواقع"، المكتبة الأكاديمية، القاهرة 1994م، ص ص 94-95.

جدول (9) التوزيع العددي والنسبي للمساحات الخضراء "الحدائق" ونصيب الفرد منها بالمتري مربع بمدينة الخُمس عام 2021م.

المنطقة	عدد السكان عام 2019	مساحة المناطق الخضراء (متر مربع)	نصيب الفرد (م ² /نسمة)	(%)
غرب الخُمس	3255	177846	54.6	33.4
شرق الخُمس	6165	0	0.0	0.0
منطقة الوسط	5556	0	0.0	0.0
بن حجا	9788	218317	22.3	40.9
حي الرياضية	4843	31823	6.6	6.0
لبدة	7942	105178	13.2	19.7
الإجمالي	37549	533164	14.2	100.0

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على قياسات من الخريطة الرقمية لمدينة الخُمس باستخدام برنامج (Arc GIS) والنسب والمعدلات للباحث.

يتضح من خلال الجدول أن منطقة بن حجا تأتي في المرتبة الأولى من حيث مساحة المناطق الخضراء والمخصصة كحدائق والتي بلغت نسبتها أكثر من خمسي جملة مساحة الحدائق بالمدينة (40.9%)، بينما جاءت منطقة غرب الخُمس بنسبة (33.4%) بمساحة (177.8 ألف متر مربع)، وتعتبر أكبر منطقة بمعدل نصيب الفرد من مساحة الاستخدام حيث سجل (54.6 متر مربع للفرد)، بينما سجلت المنطقة الأولى نصيب فرد (22.3 متر مربع)، ثم تأتي منطقة لبدة بنسبة اقتربت من خمس جملة مساحة الاستخدام بالمدينة (19.7%) بمساحة تجاوزت مائة ألف متر مربع، وقد سجل نصيب الفرد بها (13.2 متر مربع)، استحوذ حي الرياضية على نسبة (6%) فقط من مساحة الاستخدام بالمنطقة ليُسجل نصيب الفرد به (6.6 متر مربع/نسمة)، بينما لم يسجل كل من شرق الخُمس ومنطقة الوسط أي مساحة للاستخدامات الخضراء والحدائق، ولا يتمتع سكانها بأي ترفيه حضري

بالمنطقة، وبصفة عامة يبلغ متوسط نصيب الفرد من المساحة الخضراء بالمنطقة (14.2 متر مربع للفرد).

6- اراضى الفضاء:

تشكل المساحات الفضاء أهمية كبيرة داخل المدينة، حيث تسمح بإمكانية إقامة بعض الاستخدامات عليها استجابة لحاجة السكان، كما أنها تقدم خدمة جلية في بعض الأماكن المزدهمة بالمدن في توفير مكان لانتظار السيارات، هذا وتصل المساحة الفضاء بمدينة الخُمس إلى (525 ألف متر مربع) تتوزع على مناطق المدينة، ويشير الجدول (10) إلى التوزيع العددي والنسبي لمساحة المناطق الفضاء بمناطق مدينة الخُمس عام 2021م.

جدول (10) التوزيع العددي والنسبي للمساحات الفضاء ونصيب الفرد منها بالمتر مربع بمدينة الخُمس عام 2020م.

المنطقة	عدد السكان عام 2015	مساحة الأرض الفضاء (متر مربع)	نصيب الفرد (م ² /نسمة)	(%)
غرب الخُمس	3255	99078	30.4	18.9
شرق الخُمس	6165	0	0.0	0.0
منطقة الوسط	5556	0	0.0	0.0
بن حجا	9788	326081	33.3	62.1
حي الرياضية	4843	99783	20.6	19.0
لبدة	7942	0	0.0	0.0
الإجمالي	37549	524941	14.0	100.0

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على قياسات من الخريطة الرقمية لمدينة الخُمس باستخدام برنامج (Arc GIS) والنسب والمعدلات من حساب الباحث.

يتضح من الجدول وجود وانتشار الأماكن الفضاء بثلاث مناطق بالمدينة فقط، حيث تتخل هذه الفضاءات الكتلة العمرانية، لنجدها بنسبة اقترنت من الثلثين

بمنطقة بـ جـ ا (62.1%) بمساحة (326 ألف متر مربع)، ثم منطقة حي الرياضية بنسبة اقتربت من خمس جملة الاستخدام بالمدينة (19%)، يليها منطقة غرب الخُمس بنسبة (18.9%)، وقد خلت ثلاث مناطق بالمدينة من مساحات الارض الفضاء المتخللة بالكتلة العمرانية وهي (شرق الخُمس، منطقة الوسط، ومنطقة لبدّة) مما يعنى أنه أيضًا لا يوجد نصيب للفرد بهذه المناطق من الأماكن الفضاء التي من الممكن استغلالها كساحات انتظار أو جراجات لتخفيف من عبء الزحام المروري وغيرها من المشكلات التي تواجهه البيئة السكنية.

سجلت منطقة بن جـ ا معدل نصيب الفرد من مساحة الفضاءات (33.3 متر مربع للفرد)، كما زادا أيضًا هذا المعدل عن ثلاثين مترًا بمنطقة غرب الخُمس لتسجل (30.4 متر مربع لكل نسمة)، ثم الفئة الثانية أقل من 30 متر مربع للفرد كانت من نصيب حي الرياضية حيث سجل به (20.6 متر مربع للفرد) بخلاف الثلاث مناطق التي لم يسجل بها أي أماكن فضاء تستغل، جدير بالذكر أن المتوسط العام للمدينة سجل بـ 14 متر مربع للفرد من الأماكن الفضاء.

7- استخدامات المصالح الحكومية والعسكرية:

تعد المصالح الحكومية أحد أهم المؤسسات التي لا غنى عنها بأي تجمع عمراني، حيث تنظم علاقات الأفراد داخل المجتمع مع تعدد اهتماماتها واختلاف تصنيفاتها، فهي بمثابة المنظم لعلاقات الأفراد داخل المجتمع وفق إطار قانوني محدد، وكلما ارتفع الحجم السكاني كانت الحاجة لوجود مؤسسات حكومية التي تعمل على تلبية وتسهيل احتياجات السكان، بما يضمن الاستقرار المجتمعي بينهم، وتتعدد أنماط المصالح الحكومية في مجتمع المدينة لتضم كافة المؤسسات الحكومية إلا أن دراستها كنمط استخدام في مدينة الخُمس يجعلها قاصرة على جميع المصالح

المملوكة للدولة وتقدم خدماتها للمواطنين عدا ما يتم تناوله من استخدامات تعليمية وصحية ودينية، والتي تبلغ مساحتها بمدينة الخُمس إلى (50 ألف متر مربع) تشكل نسبتها (0.4 %) من جملة الاستخدامات المختلفة بمدينة الخُمس بمتوسط مساحة تقدر بنحو (1.3 ألف مترًا مربعًا) للاستخدام الواحد، ويشير الجدول (11) إلى التوزيع المساحي والنسبي للمصالح الحكومية بمناطق المدينة كنمط استخدام ومتوسط نصيب الفرد منها بالمتر مربع عام 2021م.

جدول (11) التوزيع المساحي والنسبي للاستخدامات الحكومية ونصيب الفرد منها بالمتر مربع بمدينة الخُمس عام 2021م.

المنطقة	عدد السكان عام 2019	مساحة الاستخدام الحكومي والعسكري (متر مربع)	نصيب الفرد (م ² /نسمة)	(%)
غرب الخُمس	3255	2979	0.9	6.0
شرق الخُمس	6165	547	0.1	1.1
منطقة الوسط	5556	300	0.1	0.6
بن حجا	9788	44158	4.5	88.6
حي الرياضية	4843	851	0.2	1.7
لبدة	7942	1020	0.1	2.0
الإجمالي	37549	49854	1.3	100.0

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على قياسات من الخريطة الرقمية لمدينة الخُمس باستخدام برنامج (Arc GIS) والنسب والمعدلات من حساب الباحث.

يتضح من دراسة الجدول أن منطقة بن حجا لها نصيب الأسد من مساحة الخدمات والاستخدام الحكومي والعسكري لتقدر نسبة هذه الاستخدامات بها (88.6 %) من جملتها بالمدينة، بمساحة (44.1 ألف متر مربع)، يليها منطقة غرب الخُمس بنسبة

(6 %) بمساحة 2.9 ألف متر مربع، يأتي بالمرتبة الثالثة منطقة لبدّة بنسبة (2 %) بمساحة استخدام تجاوز 1000 متر مربع، ثم حي الرياضية بنسبة (1.7%)، ثم شرق الخُمس (1.1 %)، وأقل منطقة سجلت بها نسبة الاستخدامات الحكومية والعسكرية هي منطقة الوسط بأقل من (1 %) لتقدر نسبة الاستخدام بالمنطقة (0.6 %).

كما يشير المتوسط العام لنصيب الفرد من مساحة المصالح الحكومية بالمدينة إلى (1.3 متر مربع للفرد)، حيث يقل عن نصف متر مربع للنسمة بأربع مناطق، منطقة لبدّة، منطقة الوسط وشرق الخُمس بمعدل (0.1 متر مربع للنسمة) للمناطق الثلاث، تزيد قليلاً بمنطقة حي الرياضية (0.2 متر مربع للفرد) نتيجة صغر مساحة الاستخدام مقارنة بالحجم السكاني الذي يستخدم هذه الخدمات، وتزيد عن النصف متر إلى المتر المربع للفرد بمنطقة غرب الخُمس لتسجل (0.9 متر مربع للفرد) حيث تبلغ مساحة الاستخدام (2979 م²) يستخدمهم حجم سكاني مقدر (3255 نسمة)، ويزيد عن المتر المربع بمنطقة بن جحا لتصل إلى 4.5 متر مربع للفرد.

8- الاستخدامات الرياضية والترفيهية:

تشكل الاستخدامات الرياضية أحد أهم الاستخدامات التي ترتفع نسبة وجودها في المدينة عن القرية، وكلما ارتفع الحجم السكاني كان ضرورياً أن توجد منشآت واستخدامات رياضية تلبي احتياجات السكان في التجمع العمراني، وتعمل تلك الاستخدامات الرياضية على إخراج الطاقات السلبية و لدى فئات من المجتمع وخاصة المتعطلين، كما أنها تكون بمثابة متنفس للأسر فضلاً عما تقدمه من دور اجتماعي مضافاً إلى دورها في الإعداد البدني والاهتمام بالبرامج الرياضية ، ويشير

الجدول (12) إلى التوزيع المساحي والنسبي للاستخدامات الرياضية ونصيب الفرد منها بالمتر مربع بمناطق مدينة الخُمس عام 2021م.

جدول (12) التوزيع المساحي والنسبي للاستخدامات الرياضية ونصيب الفرد منها بمدينة الخُمس عام 2021م.

المنطقة	عدد السكان عام 2019	الاستخدامات الرياضية و الترفيهية (متر مربع)	نصيب الفرد (م ² -نسمة)	(%)
غرب الخُمس	3255	558766	171.7	34.5
شرق الخُمس	6165	0	0	0.0
منطقة الوسط	5556	410	0.1	0.0
بن جحا	9788	134523	13.7	8.3
حي الرياضية	4843	118432	24.5	7.3
لبدة	7942	806297	101.5	49.8
الإجمالي	37549	1618428	43.1	100.0

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على قياسات من الخريطة الرقمية لمدينة الخُمس باستخدام برنامج (Arc GIS) والنسب والمعدلات من حساب الباحث.

يتضح من دراسة الجدول أن جملة الاستخدامات الرياضية بمدينة الخُمس قد بلغت مساحة تصل إلى (1.6 كم²) تعادل (14.6 %) من إجمالي الاستخدامات المختلفة بالمدينة، بمتوسط مساحة استخدام تبلغ (509 مترًا مربعًا/استخدام) ، وقد استأثرت منطقة لبدة بأكبر نسبة من الاستخدامات الرياضية (49.8%) من جملة الاستخدام بالمدينة بمساحة تجاوزت (800 ألف متر مربع)، تليها منطقة غرب الخُمس بنسبة (34.5 %) بمساحة (559 ألف متر مربع)، ثم منطقة بن جحا بنسبة (8.3%) بمساحة (134 ألف متر مربع)، يليها حي الرياضية (7.3 %)

بمساحة (118 ألف متر مربع)، ثم منطقة الوسط بمساحة (410 متر مربع فقط) وقد خلت منطقة شرق الخُمس من أشكال الاستخدام الرياضي والترفيهي تماما. أما متوسط نصيب الفرد من مساحة الاستخدام الرياضي فقط بلغ متوسطه العام بالمدينة (34.1 متر مربع للنسمة)، وقد تم تقسيم المدينة لثلاث مستويات لدراسة نصيب الفرد من الاستخدام الرياضي فسجلت الفئة الأولى لنصيب الفرد الأقل من مائة متر مربع لتشمل ثلاث مناطق أديها منطقة الوسط (0.1 متر مربع للفرد) يليه منطقة بن جحا بمعدل (13.7 متر مربع لكل نسمة بالمنطقة) ثم منطقة حي الرياضية (24.5 متر مربع للنسمة) على الرغم من قلة مساحة الاستخدام بالمنطقة عن باقي المناطق، ولكن عامل انخفاض الحجم السكاني بها يؤثر تأثيرا إيجابيا في معدل نصيب الفرد، أما الفئة الثانية محصورة بين (100 إلى 150 متر مربع للنسمة) تضم منطقة واحدة فقط، وهي لبدة بمعدل (101.5 متر مربع/فرد)، والفئة الأخيرة أكثر من 150 متر مربع شملت منطقة واحدة أيضا هي منطقة غرب الخُمس لتسجل (171.7 متر مربع/ نسمة) نتيجة كبر مساحة الاستخدام مقابل انخفاض الحجم السكاني بالمنطقة المستخدمة والمخصصة الخدمات الرياضية والترفيهية، كما ظهرت منطقة شرق الخُمس ومعاناة سكانها من عدم وجود متنفس ترفيهي أو رياضي لهم بالمنطقة، لذلك لم يتم تسجيل أي معدل لنصيب الفرد من الاستخدامات الرياضية والترفيهية بها.

9- الاستخدامات التجارية:

تشكل الاستخدامات التجارية أحد أهم الاستخدامات التي ترتفع نسبة وجودها في المدينة عن القرية، وكلما ارتفع الحجم السكاني كان ضرورياً أن توجد منشآت واستخدامات تجارية تلبى احتياجات السكان في التجمع العمراني، وتعمل تلك الاستخدامات التجارية على جذب فئات السن المختلفة للعمل خاصة المتعطلين،

كما أنها تكون بمثابة متنفس للأسر فضلاً عما تقدمه من دور للتسوق مضافاً إلى دورها في زيادة اعتماد المدينة على نفسها في جلب الدخل خاصة ان المدينة من المدن الساحلية التي يكثر بها عمليات التجارة والتصدير وغيرها من عمليات التبادل التجاري، ويشير الجدول (13) إلى التوزيع المساحي والنسبي للاستخدامات التجارية ونصيب الفرد منها بالمتراً مربعاً بمناطق مدينة الخُمس عام 2021م .

جدول (13) التوزيع المساحي والنسبي للاستخدامات التجارية ونصيب الفرد منها بالمتراً مربعاً بمدينة الخُمس عام 2021م.

المنطقة	عدد السكان عام 2019	مساحة الاستخدامات التجارية (متر مربع)	نصيب الفرد (م ² /نسمة)	(%)
غرب الخُمس	3255	43143	13.3	38.4
شرق الخُمس	6165	20241	3.3	18.0
منطقة الوسط	5556	6654	1.2	5.9
بن حجا	9788	9632	1.0	8.6
حي الرياضية	4843	22703	4.7	20.2
لبدة	7942	9991	1.3	8.9
الإجمالي	37549	112365	3.0	100.0

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على قياسات من الخريطة الرقمية لمدينة الخُمس باستخدام برنامج (Arc GIS) والنسب والمعدلات من حساب الباحث. يتضح من دراسة الجدول أن جملة مساحة الاستخدامات التجارية بمدينة الخُمس قد بلغت (112 ألف متر مربع) تعادل (1%) من إجمالي الاستخدامات المختلفة بالمدينة، بمتوسط مساحة استخدام تبلغ (100 متراً مربعاً/فرد)، وقد استأثرت منطقة غرب الخُمس بأكبر نسبة من الاستخدامات التجارية (38.4%) من جملة

الاستخدام بالمدينة بمساحة تجاوزت (43 ألف متر مربع)، تليها منطقة حي الرياضية بنسبة (20.2 %) بمساحة (22,7 ألف متر مربع)، ثم منطقة شرق الخُمس بنسبة (18 %) بمساحة (20.2 ألف متر مربع)، تليها منطقة لبدة (8.9 %) بمساحة تقترب من عشرة آلاف متر مربع، ثم منطقة بن جحا بنسبة (8.6 %) من جملة مساحة الاستخدام بالمدينة، وقد تذيلت منطقة الوسط ترتيب الاستخدام بنسبة (5.9 %).

أما متوسط نصيب الفرد من مساحة الاستخدام التجاري فقط بلغ متوسطه العام بالمدينة (ثلاثة أمتار للنسمة)، وقد تم تقسيم المدينة إلى ثلاثة مستويات لدراسة نصيب الفرد من الاستخدام الرياضي فجاءت الفئة الأولى لنصيب الفرد الأقل من المتوسط العام للمدينة (3 متر مربع) لتشمل ثلاث ادناها منطقة بن جحا (متر مربع للفرد) يليه منطقة الوسط بمعدل (1.2 متر مربع لكل نسمة بالمنطقة) ثم منطقة لبدة (1,3 متر مربع للنسمة)، أما الفئة الثانية محصورة بين (3 إلى 10 متر مربع للنسمة) تضم منطقتين: شرق الخُمس و حي الرياضية بمعدل (3.3 متر مربع) (4.7 متر مربع) لكل منهما على التوالي، والفئة الاخيرة أكثر من 10متر مربع شملت منطقة واحدة أيضاً هي منطقة غرب الخُمس لتسجل (13,3 متر مربع/نسمة) نتيجة كبر مساحة الاستخدام مقابل انخفاض الحجم السكاني بالمنطقة المستخدمة لهذه الخدمات التجارية.

10- الشوارع بمدينة الخُمس:

تعد الشوارع الفاعل الأول والمؤثر في التشكيل العمراني لمنطقة ما، لما تقدمه للكتلتين المبنية والعمرانية من تحقيق انسيابية وأمان الحركة المرورية في المدينة، وتنظيم عناصر المدينة بعلاقات سليمة وظيفيًا لتقليل حجم التحركات بينها سواء بمسارات المركبات (Vehicular Paths) أو بمسارات المشاة (Pedestrian Paths). وكما تشكل الشوارع أحد أهم عناصر النسيج العمراني بالمدينة، إذ تتفرع

وتتعدد الشوارع الرئيسية والتي تخرج منها طرق وشوارع جانبية أقل عرضًا، حيث تكون هناك محاور نقلية طويلة وعرضية تربط مختلف أجزاء عمران المدينة⁽¹⁾، وفي هذا الإطار يمكن تناول الشوارع بأحياء المدينة عام 2017م والتي تصل جملتها إلى (1707 شارع) بإجمالي أطوال تصل إلى (213 كيلومتر)، بمتوسط عرض يزيد قليلا عن ستة أمتار، ويوضح الجدول (14) أعداد وأطوال الشوارع ومتوسط عرضها وكثافتها بمدينة الخُمس عام 2021م.

جدول (14) أعداد وأطوال الشوارع ومتوسط عرضها وكثافتها بمدينة الخُمس عام 2021م.

كثافة الشوارع		متوسط عرض الشارع	أطوال الشوارع		أعداد الشوارع		المنطقة
متر طولي/ هكتار	شارع/ 10 هكتار		%	بالمتر	%	عدد	
31.0	1.9	5.5	23.6	50185	18.2	310	بب الخُمس
22.3	1.1	7.2	10.6	22627	6.4	110	ق الخُمس
14.8	1.0	6.5	4.7	10098	4.1	70	طقة الوسط
79.7	8.6	5.5	34.1	72535	46.1	787	حجا
38.1	3.4	6.2	13.3	28354	14.6	250	الرياضية
35.4	2.2	6.6	13.7	29077	10.5	180	ة
36.8	2.9	6.3	100	212876	100	1707	جمالي

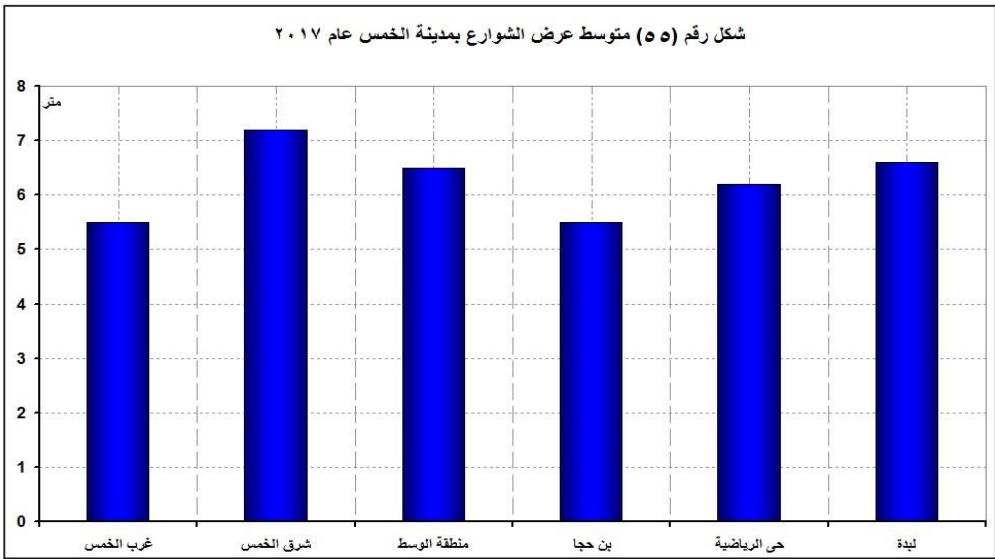
المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على قياسات من الخريطة الرقمية لمدينة الخُمس باستخدام برنامج (Arc GIS) والنسب والمعدلات من حساب الباحث.

أ- أطوال الشوارع بالمدينة:

رغم الصغر النسبي لمساحة مدينة الخُمس إلا أنها تضم عددا كبيرا من الشوارع الرئيسية والفرعية، والتي تتقاطع مع بعضها في محاور من الغرب للشرق موازية لساحل البحر المتوسط وعموديا عليه حتى وصولها إلى الطريق الدولي الذي يربطها بطرابلس، وقد ضمت المدينة (1.7 ألف شارع رئيسًا وفرعيًا، بالإضافة إلى التفريعات والمسارات التي يصل متوسط عرضها ستة أمتار تقريبًا) بإجمالي أطوال تجاوزت مئتان كيلومترا، وقد توزعت الشوارع على أحياء المدينة الست لنجد أن منطقة بن جحا تضم أكبر عدد من الشوارع بلغت (787 شارع) أي ما يقرب من نصف جملة أعداد الشوارع بمدينة الخُمس بنسبة بلغت (46.1%)، بإجمالي أطوال بلغت (72.5 كيلومترا) تجاوزت ثلث أطوال الطرق بالمدينة بنسبة بلغت (34.1%) من جملة أطوال الطرق بالمدينة، بينما جاءت منطقة غرب الخُمس بالمرتبة الثانية من حيث أعداد الشوارع إذ بلغت (310 شارع)، أي بما يقرب من خمس جملة أعداد الشوارع بالمدينة بنسبة (18،2%)، أما من حيث أطوال الشوارع بغرب الخُمس، أيضًا احتلت المرتبة الثانية بنسبة (23.6%)، بإجمالي أطوال شوارع (50 كيلومتر) من جملة أطوال الشوارع بالمدينة، أما المرتبة الثالثة احتلها حي الرياضية بنسبة (14.6%)، بنسبة أطوال طرق (13.3%)، أما المرتبة الرابعة كانت من نصيب منطقة لبد (10.5%) بإجمالي عدد شوارع 180 شارع من جملة 1707 شارع بالمدينة، فيما سجلت المنطقة (13،7%) بإجمالي طول (29 كم)، أما منطقة شرق الخُمس تحتوي (110 شارع) بنسبة (6.4%) من جملة شوارع المدينة، بإجمالي أطوال (22.6 كم) بنسبة (10.6%) من جملة أطوال الشوارع بالمدينة، فيما احتلت منطقة الوسط ادنى مستوى بالمدينة من حيث أعداد وأطوال الشوارع فقد سجل نسبة (4.1%) للأعداد و (4.7%) للأطوال.

أما عن متوسط عرض الشارع فنجد أنه في المتوسط العام يصل إلى ستة أمتار، وقد دارت جميع أحياء المدينة حول هذا المتوسط بالارتفاع بمنطقة شرق الخُمس (7.2 متر) يليه منطقة ليدة (6.6 متر) ومنطقة الوسط (6.5 متر)، أما المناطق التي تنخفض عن المتوسط العام للمدينة سجلت بمنطقة (حي الرياضية) 6.2 متر تليها منطقة بن جحا وغرب الخُمس (5.5 متر) لكل منهما، (شكل 9).

شكل (7) متوسط عرض الشوارع بمدينة الخُمس عام 2021م.



المصدر: من إعداد الباحث استناداً لبيانات الجدول (14).

ب- كثافة الشوارع بالمدينة:

يمكن تقسيم أحياء المدينة وفقاً لكثافة الشوارع إلى فئات ثلاث كما يأتي:

الفئة الأولى (كثافة شوارع مرتفعة (أكثر من 4 شوارع - 6 هكتارات):

تمثلت في منطقة بن جحا فقط من مدينة الخُمس التي تضم أعداد شوارع مرتفعة بالنسبة للمساحة المبنية داخلها ومن ثم ارتفعت كثافة الشوارع بها بالنسبة لكتلتها المبنية، حيث سجلت (8.6 شارع لكل 6 هكتارات)، نتيجة تسجيل الحي أطوال شوارع تجاوز (72.5 كيلو متر) على مساحة (382 هكتار) مساحة كلية للمنطقة.

الفئة الثانية (كثافة شوارع متوسطة (تتراوح بين 2 - 4 شوارع - 10 هكتارات):

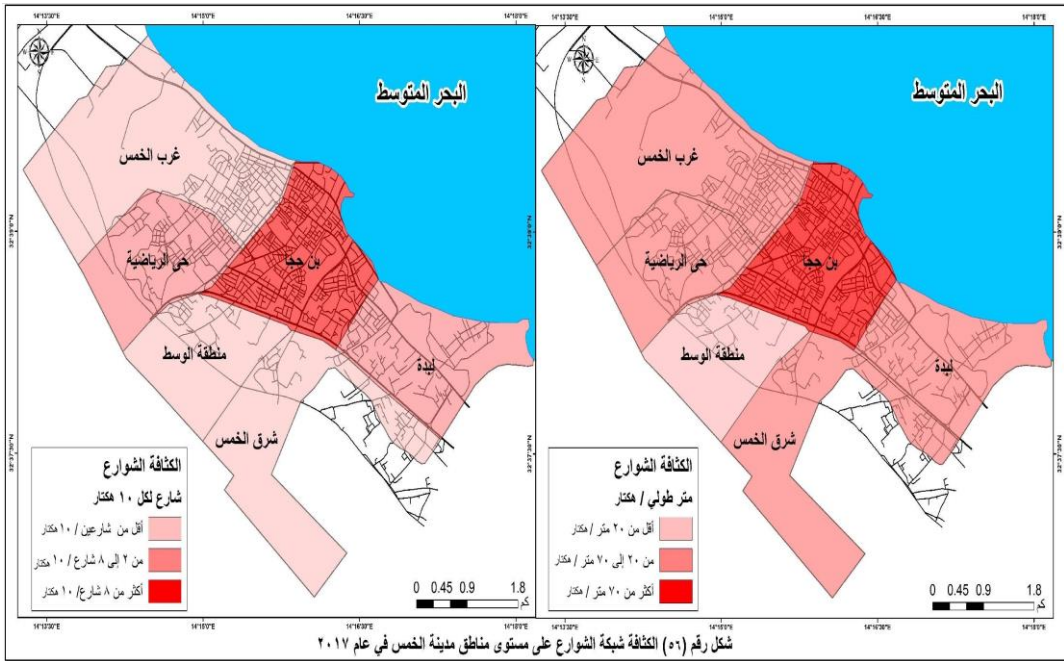
تضم تلك الفئة منطقتين بمدينة الخُمس وهي (حي الرياضية، منطقة لبدة) بمعدل كثافة شوارع (3.4، 2.2 شارع لكل 4 هكتار) على التوالي، فحي الرياضية يضم (250 شارع) على مساحة (312 هكتار) مساحة كلية للمنطقة، بينما تشمل منطقة لبدة (180 شارع) على مساحة (344 هكتار) جملة مساحة المنطقة، (شكل 7).

الفئة الثالثة (كثافة شوارع منخفضة (أقل من شارعين - 6 هكتارات):

تعد تلك الفئة أقل المناطق التي شهدت كثافة شوارع منخفضة بمدينة الخُمس نظراً لاتساع تقسيمات قطع الأراضي ووجود مساحات كبيرة تحيطها شوارع وبالتالي أسهمت في انخفاض كثافة الشوارع بالنسبة للمساحة المبنية، وقد ضمت ثلاث مناطق بالمدينة شملت منطقة غرب الخُمس وشرق الخُمس ومنطقة الوسط، فمنطقة غرب الخُمس تضم (310 شارع فقط) على مساحة (680 هكتار)، بينما تحتوي منطقة شرق الخُمس (110 شارع) موجودين على مساحة كلية للمنطقة قدر (425 هكتار)، وأخيراً منطقة الوسط بعدد شوارع 70 شارع على مساحة (286 هكتار) أي ما يمثل (شارع واحد لكل 6 هكتارات).

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على قياسات من الخريطة الرقمية لمدينة الخُمس باستخدام برنامج (Arc GIS).

شكل (8) الكثافة شبكة الشوارع على مستوى مدينة الخُمس في عام 2021م. أما الكثافة الطولية للشوارع فنجد أنها قد ظلت مرتفعة بمنطقة بن جحا، حيث



سجلت أكثر من 70 متر للهكتار (79,7 متر طولي/ هكتار)، أما الفئة الثانية (20 إلى 70 متر طولي/ هكتار)، قد ضمت أربع مناطق بالمدينة، وهي (شرق الخُمس - غرب الخُمس - لبدة - حي الرياضية) بمعدلات (3, 22 ، 31 ، 35,4، 1، 38 متر طولي/ هكتار) على التوالي، وأخيرا يتنزل الترتيب منطقة الوسط بفئة (أقل من 20 متر طولي/هكتار) ليسجل (14,8 متر لكل هكتار)،

نتيجة كبر مساحة الحي في مقابل صغر أطوال الشوارع بالحي لأنه قيد الإنشاء والتطوير، مسجلا (10 كيلو متر) على مساحة (286 هكتار).

الخاتمة:

يبلغ إجمالي الكتلة العمرانية بالمدينة نحو (172 هكتار) يمثل نحو 69.2% من إجمالي منطقة الدراسة، يبلغ إجمالي المسطح السكني حوالي (452 هكتار) تمثل نحو 26.5% من إجمالي الكتلة العمرانية و(18.3%) من مساحة منطقة الدراسة، بينما يبلغ إجمالي مسطح الأنشطة المختلفة على مستوى منطقة الدراسة حوالي (1110 هكتار) تمثل نحو 64% من إجمالي الكتلة العمرانية، بينما يبلغ إجمالي الطرق والفراغات حوالي (127 هكتار) تمثل نحو 7.5% من إجمالي الكتلة العمرانية بمنطقة الدراسة و (5.2%) من إجمالي مساحة مدينة الخُمس.

بلغ عدد المباني السكنية بمدينة الخُمس حوالي (6598 مبنى سكني) موزعين على مناطق المدينة الست كما يلي، ضمت منطقة بن حجا النصيب الأكبر من عدد المباني السكنية (2964 مبنى) بنسبة (44.9%) من جملة أعداد المباني السكنية بالمدينة، بمساحة قدرت (174 هكتار)، تليها منطقة غرب الخُمس بنسبة (25.9%) من جملة المباني السكنية بالمدينة فقد بلغ عدد المباني بمنطقة غرب الخُمس (716 هكتار) بمساحة (69 هكتار) من جملة مساحة المباني السكنية بالمدينة البالغة (446 هكتار)، ثم منطقة حي الرياضية تمثل نسبة (10.9%) من جملة المباني السكنية بمنطقة الدراسة، تليها منطقة لبددة (9.8%)، ثم شرق الخُمس (4.8%)، لتتذيل المدينة منطقة الوسط بأقل عدد للمباني السكنية (250 مبنى سكني فقط) بنسبة (3.8%) بمساحة (37 هكتار).

إن كثافة المباني في المساحة الإدارية فيما يعرف بالكثافة العامة للمباني، وكثافة المباني بالمساحة العمرانية يلاحظ انخفاضهما نسبياً ويرجع ذلك إلى أن أغلب مباني المدينة ذات مساحة كبيرة نسبياً، كما توجد مناطق ومساحات فضاء تضاف

إلى المساحات الفضاء التي تشغلها الشوارع والأرصعة الجانبية الأمر الذي أدى إلى الانخفاض النسبي في عدد المباني بالهكتار الواحد داخل أقسام المدينة الست، كما تجدر الإشارة إلى أن مناطق التعمير الأحدث بالمدينة والامتدادات العمرانية الشرقية والغربية وتلك المطلقة على الرقعة الزراعية الجنوبية تتخضع بها مساحة المباني نسبيًا وهو ما يفسر ارتفاع أعداد المباني بالهكتار الواحد فيما يتعلق بالكثافة في

المساحة الكلية أو تلك في المساحة العمرانية داخل المدينة

تتميز المدينة بحدائق مبانيها نتيجة كبر المباني ذات الهيكل الخرساني والحوائط الحاملة حيث تبلغ نسبة (82.5 %) من جملة المباني بالمدينة، تليها الحجر الجيري كمادة بناء بنسبة (11.7 %) نجده في المباني ذات الدور والدورين فقط، ثم نسبة قليلة جدا من المباني ذات السقف الخشبي (5.8 %) ونجدها بأطراف المدينة ويجوار المباني الجديدة حفاظا على تراث المدينة التقليدي حيث يسكنها القليل من السكان ذو الطابع العربي البدوي.

ينفاوت التوزيع النسبي لمساحة الاستخدامات المختلفة بمناطق مدينة الخُمس، حيث تمثل الرقعة الزراعية نسبة تجاوزت ثلثي الاستخدامات بالمدينة (68.9 %) من جملة مساحة الاستخدامات بها، يليها نسبة الاستخدامات الترفيهية (14.6%) ثم المساحات الخضراء والأرض الفضاء بنسبة (4.8 %) (4.7%) لكل منهما على التوالي، ثم الاستخدام الصناعي والتعليمي، أما التجاري يمثل نسبة (1 %) من جملة الاستخدامات بالمدينة، ويتنزل التصنيف كل من الاستخدام الحكومي والعسكري (0.4 %) ثم كل من الديني والصحي (0.1%).

بلغ جملة الشوارع بأحياء المدينة عام (1707 شارع) بإجمالي أطوال تصل إلى (213 كيلومتر)، بمتوسط عرض يزيد قليلا عن ستة أمتار.

قائمة المصادر والمراجع

جودة حسنين جودة، أبحاث في جيومورفولوجية الأراضي الليبية، الجزء الأول: منشورات الجامعة الليبية، 1973م، بنغازي.

عبد العزيز طريع شرف، جغرافية ليبيا (الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى)، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2008م.

عطيات عبدالقادر حمدي، جغرافية العمران، دراسة موضوعية تطبيقية الاسكندرية، 1976م.

فتحي محمد أبوعيانة، جغرافية العمران دراسة تحليلية للقرية والمدنية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1991م.

فتحي محمد مصيلحي، مناهج البحث الجغرافي، الطبعة الثالثة، 2003م.

فتحي محمد مصيلحي، جغرافية المدن (الإطار النظري وتطبيقات عربية)، الطبعة الأولى، 2000م.

هشام ابوسعدة، الكفاءة والتشكيل العمراني "محل لتصميم وتخطيط المواقع"، المكتبة الاكاديمية، القاهرة 1994م.

ثانياً : الرسائل العلمية:

الزروق محمد على الفقيه، دور التشريعات البيئية في معالجة ظاهرة التلوث البيئي بمسلاته، رسالة ماجستير غير منشورة مدرسة العلوم الإنسانية، قسم الجغرافيا، شعبة الدراسات البيئية، أكاديمية الدراسات العليا، 2008م.

ثالثاً : المراجع الأجنبية:

M. El Hinnawy & G. Cheshitev Supervised by I. Maghrabi, Explanatory Booklet, Geological map of Libya Industrial Research Centre, Sheet Tarabulus NI 33-13, 1975.

General Authority for Information, Statistics Book, 2005. General Authority for Information and Yearly Buiietin.

التوزيع الجغرافي للمواقع الأثرية المنقبة بمنطقة الخمس

إعداد: د. صالحة علي إخليف فلاح

د. عباس رجب عبدالرحيم عباد

المقدمة:

كشفت عمليات الحفر والتنقيب في منطقة الخمس على العديد من المواقع والمباني الأثرية التي تدل على حضارات بشرية ارتبطت بهذه المواقع جغرافياً، وهو ما يتضح من خلال استغلال المقومات الطبيعية لهذه المواقع لازدهار تلك الحضارات على سطح الأرض، والتي يمكن الاستفادة منها وتتميتها سياحياً، حيث تهدف السياحة الأثرية إلى اشباع رغبة المتطلعين للمعرفة وتوسيع دائرة معلوماتهم الحضارية والتاريخية، بالتعرف على الحضارات القديمة والمناطق الأثرية المهمة وعادات الشعوب وتقاليدها والاستمتاع بالفنون المعروضة بالمتاحف التي تضم تراث الإنسانية القديم والحديث، الأمر الذي يفسر لنا مدى ارتباط الإنسان بالأرض وخصائص سطحها وطبيعتها تربتها فضلاً عن ارتباطها بخصائص المناخ وما يعكسه على نشاطات الإنسان في منطقة ما، الأمر الذي يوضح الامتداد المكاني والتوزيع الجغرافي للظواهر على سطح الأرض والأنشطة التي يقوم بها الإنسان في المنطقة سواء كان في مجال العمارة أو الزراعة أو غيره من الأنشطة البشرية.

ومن خلال ذلك يمكن فهم التباين المكاني للمواقع الأثرية المنقبة في منطقة الدراسة وعلاقتها بالمعطيات الجغرافية الأخرى التي يمكن أن تقسر ذلك التوزيع ولقد أنصب الاهتمام بمنطقة الخمس لأنها من أكثر المناطق اللببية أهمية بالنسبة للمناطق

الأثرية بشكل عام والمنطقة الغربية بشكل خاص حيث ظهرت على أرضها حضارات عريقة مزدهرة ما زالت قائمة حتى يومنا هذا.

مشكلة البحث:

تحتوي منطقة الخمس منذ القدم على العديد من الحضارات المختلفة وعلى معالم سياحية عديدة أبرزها المواقع الأثرية والتاريخية وعليه يمكن تناول التساؤلات الآتية:

ما هي العوامل الجغرافية التي أثرت على التوزيع الجغرافي للمواقع الأثرية المنقبة بالمنطقة؟

ما الإمكانيات السياحية الأثرية في المنطقة؟ وما أهميتها الاقتصادية؟

ما مدى تأثير التباين المكاني والتوزيع الجغرافي على تنوع المواقع الأثرية بمنطقة الدراسة.

أهداف البحث:

تتمثل أهداف الدراسة فيما يلي:

حصر المواقع والمباني الأثرية المكتشفة والمنقبة بهذه المنطقة.
توضيح مدى الارتباط والعلاقة بين الجغرافيا والمواقع الأثرية المكتشفة ومدى انعكاساتها على انتشار المواقع وتوزيعها جغرافياً.
معرفة مدى تأثير العوامل الجغرافية على توزيعها وانتشارها وتحديد الفترات الزمنية التي يعود إليها كل موقع مكتشف ومنقب.

أهمية البحث:

تتمثل أهمية الدراسة في الآتي:

تسليط الضوء على طبيعة الإمكانات السياحية بالمنطقة وعناصر الجذب السياحي فيها ومدى مساهمتها في تنمية اقتصاد المنطقة بشكل خاص و ليبيا عموماً. حصر كل المكتشفات والمواقع المنقبة وتوضيح نسبة المنقب منها، وما لم يتم التنقيب عنه حتى الآن.

فرضيات البحث:

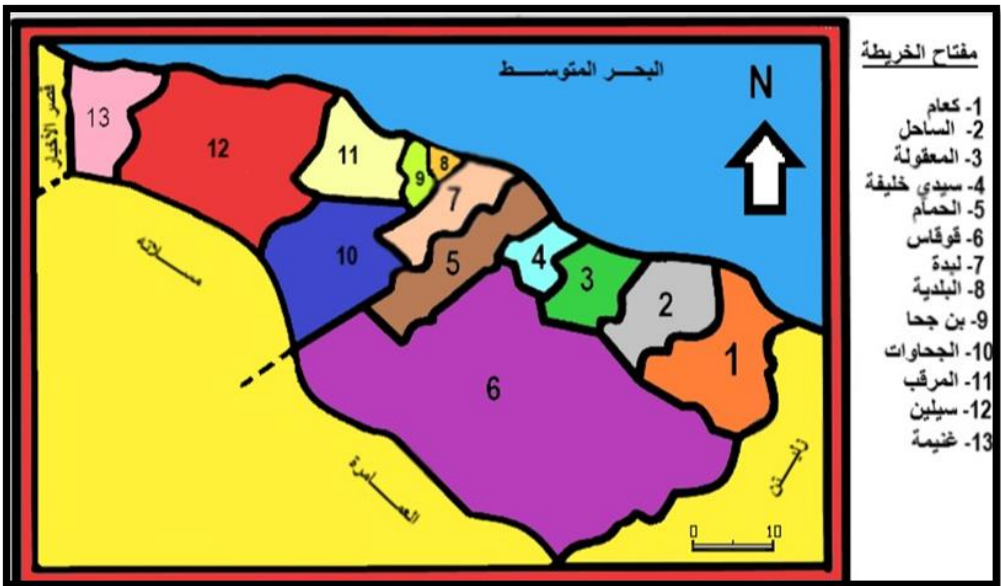
المواقع الأثرية بمنطقة الخمس لا تنتظم في توزيعها الجغرافي بل تأخذ امتداداً مكانياً واسعاً في الوحدات الإدارية بالمنطقة. تتوفر في منطقة الدراسة إمكانات سياحية أثرية تعمل على الجذب السياحي. هناك العديد من المواقع الأثرية في المنطقة تعرضت للهدم والإهمال وإزالتها نهائياً من أرض الواقع.

منهجية البحث:

تناولت الدراسة المنهج الجغرافي الأثري الحصري الذي يعتمد على حصر المواقع الأثرية جغرافياً وإدراجها في خرائط توضح التوزيع المكاني للمواقع الأثرية المنقبة داخل منطقة الدراسة واستندت أدوات الدراسة على المقابلات الشخصية لموظفي مصلحة الآثار بمراقبة آثار لبددة بشكل حصري وعلى تقارير الحفريات الخاصة بالبعثات الأثرية الأجنبية والتقارير السنوية لمراقبة آثار لبددة الكبرى.

الموقع الجغرافي لمنطقة الدراسة (الخمس):

تتمتع منطقة الخمس بموقع جغرافي مميز حيث تقع في الجزء الشمالي لشمال غرب ليبيا بين دائرتي عرض (32.45 و 32.25 N) شمالاً وخطي طول (14.05 و 14.20 E) شرقاً، حيث يحدها شرقاً مدينة زليتن، وغرباً قصر الأخيار، وشمالاً البحر المتوسط، ومسلاته والعمامرة جنوباً، وتُقسم المنطقة إدارياً إلى 13



محلة⁽¹⁾، الخريطة (1) والتي توضح التقسيم الإداري لمنطقة الخمس.

الخريطة رقم (1): توضح التقسيم الإداري لمنطقة الخمس

المصدر/ عمل الباحثان استناداً على الأطلس الوطني 1978م

(1) صالحة فلاح: التنمية السياحية في ليبيا مع التطبيق على منطقة الخمس، رسالة دكتوراه قسم الجغرافيا، كلية الآداب جامعة القاهرة، مصر 2011م، ص179.

اكتسب موقعها القريب من أوروبا أهمية حضارية واقتصادية وزاد من قيمتها السياحية آثارها التي تمتد إلى عصور خلت جمعت بين الآثار الفينيقية والرومانية والبيزنطية مع ملاحظة التأثيرات المحلية على المكتشفات الأثرية فكانت بوابة إفريقيا في العصور القديمة وحلقة وصل بين تجارة القوافل القادمة من الصحراء وتبادل السلع الآتية من البحر المتوسط عبر ميناء لبدّة الكبرى قديماً لتتطلق منه السلع إلى باقي موانئ البحر المتوسط خصوصاً وأنها تقع على خط سير القوافل التجارية .

التوزيع الجغرافي للمواقع الأثرية المنقبة في منطقة الخمس:

تتوزع المواقع الأثرية بمنطقة الخمس والتي عرفت من بين مناطق ليبيا بتنوعها فهي ذات حضارة وثقافة عريقة تنوعت مكانياً ما بين قريها لمدينة لبدّة الكبرى، وبين وجودها في أطراف ضواحي المنطقة حيث استوطن فيها الإنسان وخذ الحضارة الزاهرة، فزيارة هذه الأماكن توسع من فكر السائح واستكشاف العديد من كنوزها وزخارفها ونمطها العمراني والأثري.

حيث تظم منطقة الخمس مئات المواقع المكتشفة والمعلن عنها، أما المواقع الأثرية المنقبة والتي تبلغ حسب الإحصائيات المتحصل عليها حوالي (54) موقعاً مكتشفاً⁽¹⁾ الجدول رقم (1).

(1) التقرير السنوي للقسم الفني بمراقبة آثار لبدّة، للسنوات من 1972م إلى سنة 2000م.

جدول (1) المواقع الأثرية المنقبة بمنطقة الخمس

ملاحظات	المحلة	سنة الاكتشاف	الموقع	ملاحظات	المحلة	سنة الاكتشاف	الموقع
	لبدة	1979	تمثال رخامي داخل لبدة بإحدى قنوات الصرف		كعام	1992	مقبرة كعام
	لبدة	1981	مقبرة خلف مستشفى الخمس	تم إزالتها	سيدي خليفة	1978	فيلا التحلية
	لبدة	1981	قصر شداد		لبدة	1975	مقابر معسكر الامداد
	لبدة	ب. ت.	مقبرة العقلة بالزوايد		لبدة	1989	مقبرة الافتحام لبدة
	المعقولة		فيلا سيدي مفتاح سوق الخميس		لبدة	1971	مقابر المستشفى الخمس
لم يتم التنقيب	سيلين		فيلا حلق الخروية		لبدة	1988	فيلا وادي الزناد
لم يتم التنقيب	سيلين		فيلا الجويبية	تم إزالتها	البلدية	1972	فيلا مصنع الحلقا
لم يتم التنقيب	سيلين		فيلا جبرون الشرقية 1		المرقب	1982	فيلا سيدي عبدالله براکش
لم يتم التنقيب	سيلين		فيلا جبرون الغربية 2		المرقب	1976	فيلا القاعدة البحرية
لم يتم التنقيب	سيلين		فيلا سيدي رمضان		سيلين	—	وقع العقلة بالقرب من السواعدية
لم يتم التنقيب	سيلين		فيلا السيرك		سيلين	1988	مقبرة بالقرامدة
لم يتم التنقيب	سيلين		فيلا النقازة		سيلين	1967	فيلا الأوديون (السونية)
	لبدة		فيلا النيل		غنيمة	1983	مقبرة بسيس
	غنيمة	1984	مقبرتين في بسيس		لبدة	1974	قبر صغير شرق مدينة لبدة
	غنيمة	1983	تمثال رخامي لامرأة ترتقى على أسد في بسيس		كعام	1974	قبر جنوب وادي كعام
	لبدة	1985	مقبرة شرق خط الغاز		لبدة	1975	مقبرة جنوب طريق الخمس لبدة
	لبدة	1976	مقبرة 2 بالقرب مدينة الخمس		لبدة	1976	قبر صغير جنوب طريق الخمس لبدة
	لبدة	1976	مقبرة 1 شمال المقبرة الأولى		لبدة	1976	مقبرة جنوب طريق الخمس لبدة
	لبدة	1979	خزان مياه جنوب مدينة لبدة		لبدة	1976	مقبرة الحامية (تدريب العسكري)
-	-	-	-	-	لبدة	1976	مقبرة شمال الطريق المعبد في لبدة

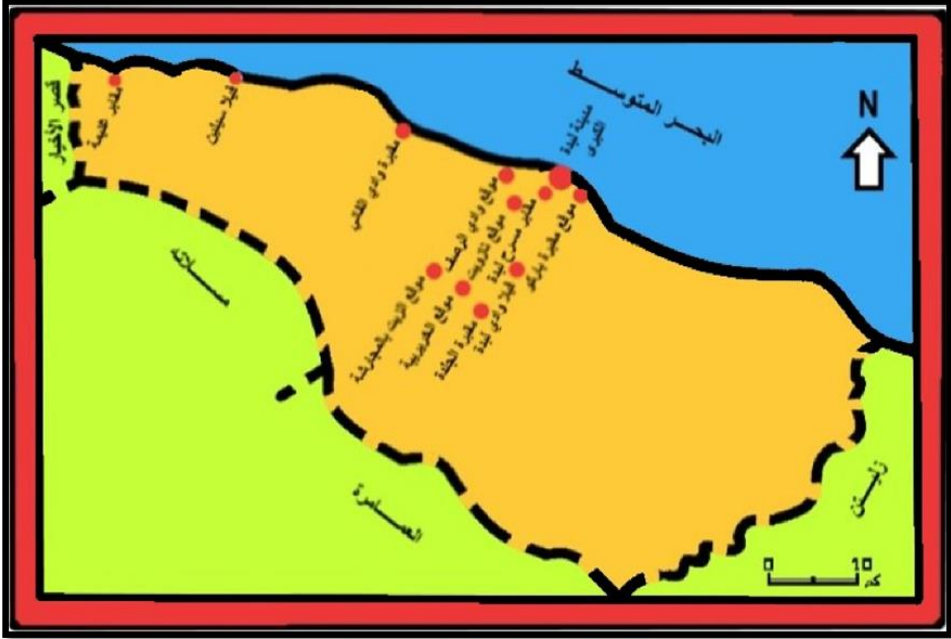
المصدر/ عمل الباحثان

المواقع الأثرية المنقبة بالمنطقة:

تفاوتت هذه المواقع بين عدة عصور وحضارات فمنها المحلية والفينيقية والرومانية والبيزنطية ولعل من أبرز هذه المواقع هي تلك الموجودة في مدينة لبدة

الكبرى إضافة لبعض المواقع المجاورة لها كفيلا سيلين على سبيل المثال لا الحصر. ، خريطة رقم (2)، الجدول رقم (2).

الخريطة رقم (2) توضح المواقع الأثرية المنقبة بمنطقة الخمس



المصدر/ عمل الباحثان

جدول (2) التوزيع الجغرافي للمواقع الأثرية المنقبة في منطقة الخمس

المصدر: عمل الباحثان بالاعتماد على الدراسة الميدانية وتحديد المواقع بجهاز .GPS

المحلة	عدد القطع	خط العرض	خط الطول	المنطقة	الموقع
ليده	مجموعة مياتي ومكتشفات متعددة	32 38 21	14 17 26	الخمسة	ليده الكبرى
ليده	لقى وأواني فخارية، قذور ومصابيح وأجراس برونزية وجرار وإمفورات	32 63 82	14 29 06	الخمسة	مقابر مسرح ليده
زوايد العرقوب ليدة	أواني فخارية جرتين تحمل رماد الموتى وهياكل عظمية، وصناديق توابيت عليها نقوش ليبية قديمة	32 61 75	14 26 22	الخمسة	مقبرة الجلده
سيلين	رسومات جدارية وأرضيات فسيفساء، ولقى وكسر فخارية متنوعة، ومجموعة حجرات المبنى المتكاملة	32 42 34	14 10 41	الخمسة	فيلا سيلين
زوايد العرقوب ليدة	173 قطعة متنوعة بين فخارية وهياكل عظمية	32 61 70	14 26 66	الخمسة	الخريريبة
غنيمة	مقبرة 1- 173 قطعة متنوعة بين فخارية ومعدنية وهياكل عظمية. مقبرة 2- 280 لقية أثرية متنوعة مقبرة 3- 68 لقية ومجموعة من العملة النقدية. مقبرة 4- 34 لقية متنوعة	32 69 86	14 04 27	الخمسة	مقابر غنيمة
ليده	توابيت لحفظ رماح الموتى، وأثاث جنازي وقطع فخارية وبيرونية، قطع من العملة، هياكل عظمية .	32 64 11	14 28 05	الخمسة	وادي الرصف
ليده	أثاث جنازي بين قطع فخارية ومعدنية وهياكل عظمية	32 38 17	14 16 51	الخمسة	تازويت
زوايد العرقوب ليدة	مجموعة مظامير بها أواني وصحون فخارية ، ومصابيح فخارية محلية ومستوردة، وعمود عليه نقوش تدل على أنه شاهد قبر	32.63 297	14.24 818	الخمسة	موقع زيت المجارشة
المرقب	هياكل عظمية وجرار فخارية وأواني وأثاث جنازي	32 67 07	14 23 19	الخمسة	مقبرة وادي الفاني
ليده	أثاث جنازي وأواني فخارية	32 63 15	14 29 19	الخمسة	مقبرة باركو
ليده	أرضيات فسيفساء	32 62 48	14 28 96	الخمسة	فيلا وادي ليده

سوف تتناول الدراسة أبرز الأماكن الأثرية المنقبة والمكتشفة بالمنطقة والتي تحتوي على مواقع متكاملة أو شبه متكاملة كالمقابر والمباني المعمارية وغيرها أما بقية المواقع فكانت عبارة عن اكتشافات أثرية مثل الأعمدة والتماثيل واللقي وشواهد القبور المنقوشة والغير منقوشة والتي أقيمت عليها حفائر تنقيب لاستخراجها من مواقعها ليتم حفظها بالمتاحف ولعل من أبرز هذه المواقع التي سيتم التحدث عنها ما يلي: الصورة (1).

الصور(1)/ إحدى الجرار التي تم العثور عليها بأحد المواقع الأثرية



المصدر/ تصوير الباحثين

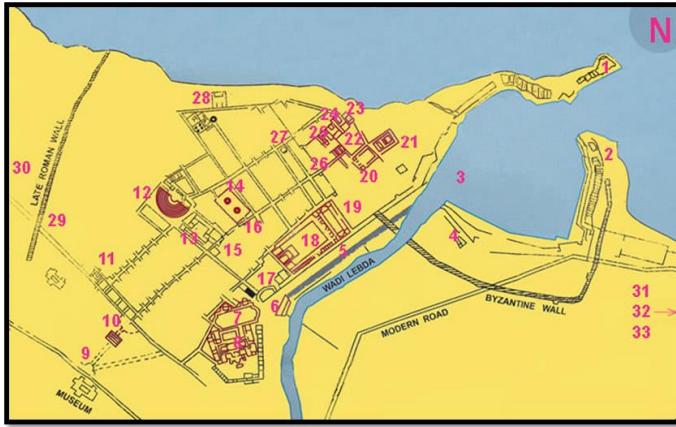
مدينة لبدّة الكبرى:

تقع مدينة لبدّة الكبرى على ساحل البحر المتوسط عند مصب وادي لبدّة الذي يكوّن مرفأً طبيعياً على بعد 3 كيلو متر شرقي مدينة الخمس، التي تبعد حوالي 120 كيلو متراً شرقي مدينة طرابلس⁽¹⁾، عند خط طول (E14 17 26) شرقاً مع

(1) طه باقر: لبدّة الكبرى، منشورات مصلحة الآثار، ص 11.

دائرة عرض (21 38 N32) شمالاً، وكانت هذه المدينة من أبرز مدن الشمال الإفريقي في عصر الإمبراطورية الرومانية، حيث كانت عاصمة إقليم تريبوليتانيا التي تضم مدن أويا وصبراته ولبدة فكانت لبدة الكبرى عاصمة الإقليم، وصنفت سنة 1982م من قبل منظمة اليونسكو العالمية، ضمن قائمة التراث العالمي في ليبيا⁽¹⁾، وتبلغ مساحتها حوالي 387.485 هكتار⁽²⁾. الخريطة رقم (3)، وبدأت عمليات الحفر والتنقيب للكشف على المدينة في عشرينيات القرن الماضي من قبل البعثات الجنبية وذلك إبان فترة الاحتلال الإيطالي بعد قامت أوروبا بإرسال مستكشفيها لليبيا قبل الاحتلال. الصورة (2 - أ - ب - ج - د - هـ).

الخريطة رقم (3) توضح موقع مدينة لبدة عند مصب وادي لبدة



المصدر/ مصلحة الآثار

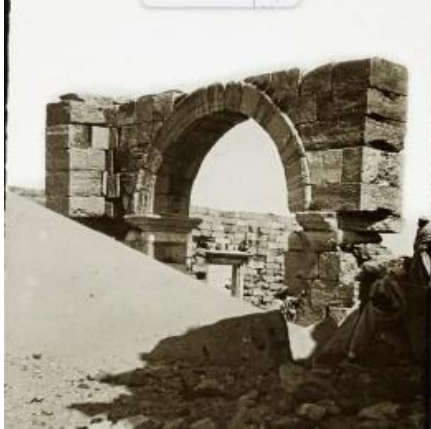
Archeological site of Leptis Magna 5/1/2018.

(1) موقع اليونسكو،

World Haertage List, 2019.

(2) الناشر اليونسكو،

الصورة (أ-ب-ج-د هـ) صور قديمة للبلدة التقطت سنة 1889م من قبل
الجغرافي والمستكشف الفرنسي ادوارد بلانك



والجدير بالذكر هو العثور على مجموعة كبيرة من أواني حفظ رماد الموتى في مقابر عدة بمدينة لبدة الكبرى تناولت أسماء مختلفة مثل (آمون، وأخرى بونية مثل آيس) (1)، إن ما يميز المدينة هو التنوع في المباني والمكتشفات فهي تحتوي على العديد من المباني البارزة والمهمة في المدينة إضافة لعديد المواقع المتنوعة تاريخياً فمنها الفينيقية والرومانية والبيزنطية، ومن المواقع والمكتشفات الفينيقية هناك مجموعة من المقابر المكتشفة تحت منصة المسرح الروماني بلبدة والتي عثر فيها على العديد من اللقى الأثرية سواء كانت فخارية أو هياكل عظمية أو معدنية والتي تعود إلى حدود (القرن الرابع والثالث ق.م) (2).

لقد اكتشفت عدة نقوش فينيقية بالمدينة تحمل أسماءً ممزوجة بين اللغتين الفينيقية واللاتينية لعل من أبرزها ما وجد في لوحة تأسيس المسرح والسوق البونيقي والتي تحتوي على اسم أحد اثرياء المدينة ويدعى (حنا بعل روفس، أو حنو بعل روفس) وهو اسم ممزوج بين اللغتين فنصفه فينيقي والنصف الآخر لاتيني، كما عثر على العديد من اللقى والمكتشفات بالقرب من الميدان القديم بلبدة وهي المنطقة التي يعتقد أنها أساس تأسيس المدينة الفينيقية القديمة قبل السيطرة الرومانية وذلك لقربها من الميناء وشاطئ البحر والعتور على العديد من اللقى الأثرية الفينيقية (3).

أما المباني والمكتشفات الرومانية فإن معظم المباني القائمة في المدينة تعود للفترة الرومانية، حيث أعتمد الرومان في بناء المدينة بتخطيطها وتقسيمها إلى شوارع طولية (كاردو مكسيموس) وعرضية (ديكومانوس مكسيموس)، وهو ما يعرف بتخطيط رقعة الشطرنج كما تحتوي المدينة على شوارع رئيسية أخرى من أبرزها

(1) عبدالحفيظ فضيل الميار: الحضارة الفينيقية في ليبيا، دار الكتاب الوطني، بنغازي ليبيا، ط1، 2001م، ص 375.

(2) المرجع نفسه، ص 237.

(3) طه باقر: مرجع سابق، ص 75.

شارع الأعمدة الذي يعود للعهد السيفيري حيث يربط بين وسط المدينة والميناء، زينته مجموعة كبيرة من الأعمدة على الجانبين فيما تنوعت المباني بين الدينية والترفيهية والسياسية والاقتصادية والتذكارية وغيرها والمرتبطة بجوانب الحياة العامة للسكان في ذلك الوقت.

المباني الدينية:

تعتبر المباني الدينية من بين المباني البارزة داخل مدينة لبدة الكبرى، والتي تم اكتشافها وهي تتمثل في مجموعة من المعابد الدينية، والتي تعكس الحياة الدينية للمدينة، ومن أهم هذه المعابد المكتشفة، معبد ليبر باتير، معبد الميدان السيفيري، معبد جوبيتير، معبد الحوريات، معبد روما أغسطس الذي بني بين (14م - 19م) (1)، معبد سيرابيس الذي شيد في القرن الثاني الميلادي، في عهد الامبراطور ماركوس أوريليوس (161م - 180م)، حيث خصص لعبادة الإله سيرابيس والإلهة إيزيس، ومن أهم المنحوتات المكتشفة في هذا المعبد تمثال كبير للإله سيرابيس مصنوع من الرخام الأسود وغيره من التماثيل الرخامية الفاخرة وهي معروضة بمتحف لبدة الكبرى (2).

إن هذا التنوع في المعابد والمعبودات إنما يعكس تنوع الحياة الدينية للمدينة في ذلك الوقت فمن المعبودات الرومانية إلى تلك المحلية إلى المعبودات الدخيلة الخارجية من الحضارات المجاورة مما يوضح مدى قوة العلاقات بين الحضارات قديماً.

المباني السياسية:

لا تخلو المدن القديمة من المباني السياسية، فالحياة السياسية لدى الرومان لاقت اهتماماً كبيراً من أباطرتهم، فقد وضعوا نظاماً لهم لمنح حقوق المواطنة

(1) طه باقر: مرجع سابق، ص 70.

(2) عبدالحفيظ فضيل الميار: مرجع سابق، ص 335.

الرومانية ونشر اللغة اللاتينية في معظم الأقاليم التي سيطروا عليها ومحاولة رومنتها، فقاموا ببناء العديد من المباني التي تساهم في تنفيذ سياستهم، كما وضعوا الأنظمة والقوانين التي تنظم سبل حياتهم المختلفة⁽¹⁾، ومن بين المباني التي قاموا بإنشائها دور العدالة والقضاء، والمجالس البلدية، حيث تحتوي مدينة لبدّة كغيرها من المدن الرومانية القديمة على عدة مباني تم اكتشافها منها البازيلكا المحاذية للميدان الجديد السيفيري، والتي عثر فيها على نقش لاتيني في أحد الدعائم المقامة فوق الأعمدة فحواها أن البناء بدأه الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس وأكمّله ابنه كراكلا في عام (216م)⁽²⁾، ومن المباني الأخرى يوجد المجلس البلدي المجاور للميدان القديم ويعود بناءه للقرن الثاني الميلادي⁽³⁾.

مما يلاحظ على المباني السياسية في مدينة لبدّة هو اختيار مواقعها بدقة متناهية حيث بنيت بالقرب من الميدان سواء كان القديم أو الجديد وهو يعكس مدى ارتباط هذه المباني بتواجد عامة الناس بالمدينة فمن المعروف أن غالبية الرومان كانوا يتجولون ويتواجدون بالميادين العامة وبين أروقتها فوجود مثل هذه المباني بالقرب منها يسهل عملية إنجاز خدماتها وارتباطها بالسكان مباشرة .

المباني الاقتصادية

تتمثل المباني الاقتصادية المكتشفة بمدينة لبدّة الكبرى في الأسواق كالسوق البونيقي الذي يرجع زمن تأسيسه للعهد الأغسطي (9 - 8 ق.م)⁽⁴⁾، إضافة للميناء

(1) Brogan, O. And Smith, D. Girza, Libyan Settelement in the Roman Period, DEP Of Antiquities, Tripoli, Libya, 1984, p 488.

(2) J.B. Ward-perkins: Roman Imperial Architecture, The Pelican History of Art, 1974, pp388-389.

(3) طه باقر : مرجع سابق، ص 69.

(4) J.B. Ward-perkins, 1974, op.cit, p373.

الذي يعود للقرن الثالث الميلادي في العهد السيفيري وما يحتويه من مخازن ومستودعات وأرصفة ومنارة تتألف من عدة طوابق تتناقص في السعة، كلما ارتفعت للقامة، وقد كشفت الحفائر الأثرية على مستويين للأرصفة الرصيف الأول خاص بإرساء السفن، والثاني خاص بمحلات التفريغ ومستودعات البضائع والمخازن⁽¹⁾، ولا يفوتنا أن نستذكر هنا المرفأ القديم للميناء حيث إن أساس تأسيس المدينة كان عبارة عن مرفأ بحري صغير من قبل التجار الفينيقيين تطور مع الزمن ليصبح ميناءً بحرياً ازدهرت من خلاله الحياة الاقتصادية والتجارية ليس في لبدّة، فحسب بل في كامل الإقليم والبحر المتوسط

المباني التذكارية:

ازدانت مدينة لبدّة الكبرى بالعديد من المباني والشواهد التذكارية لعل في مقدمتها قوس الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس، وهو من الأقواس المربعة ذو الأربع فتحات حيث يربط بين الشارعين الطولي والعرضي⁽²⁾، تكتسيه مجموعة من المنحوتات البارزة التي تجسد الحياة العامة الرومانية و أهم الأعمال التي تتعلق بمراسم الحكم السياسية، إن هذه المنحوتات التي تزين القوس تعود إلى الطرازين السوري والبابلي القديمان، وقد عملت مصلحة الآثار على صيانتها وترميمه منذ عام

(1) دراسة ميدانية متكررة للباحثين خلال سنة 2022م

(2) محمد علي عيسى : أقواس النصر تفاصيلها المعمارية ومواقعها من المدن الرومانية، مجلة آثار العرب، العدد الثالث، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، مصراته ليبيا، سبتمبر 1991م، ص42.

(1964م)⁽¹⁾، وقد شيد هذا القوس بمناسبة زيارة الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس لمسقط رأسه عام (203م)⁽²⁾.

وهناك مجموعة أخرى من الأقواس داخل مدينة لبدّة مثل قوس الإمبراطور تراجان وقوس الإمبراطور طيبيريوس، إضافة للبوابات كيوابة أوبا وغيرها من الشواهد التذكارية التي شيدت وتم اكتشافها بالمدينة⁽³⁾، وهو أسلوب انتشر في أغلب المدن الرومانية قديماً كما هو موجود في روما مثلاً⁽⁴⁾.

المباني الترفيهية:

أهتم الرومان كثيراً بحياة اللهو والترفيه فخصصوا لها أماكن خاصة غالوا في زخرفتها وبنائها وتنوعت هذه الأماكن والمباني من حيث الوظائف الترفيهية ولم تخلوا مدينة رومانية من مثل هذه العمائر⁽⁵⁾، ومدينة لبدّة الكبرى إحداها حيث احتوت على مجموعة لا بأس بها من المباني الترفيهية توزعت في أغلب أجزاء المدينة، مثل الحمامات العامة كحمامات هادريان الضخمة والتي شيدت عام (126 - 127م) وهي تعكس عظمة العمارة الرومانية بالمدينة⁽⁶⁾، حيث بدأت

(1) ليديانو باكييلي: قوس الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس في مدينة لبدّة الكبرى، مجلة آثار العرب، العددان السابع والثامن، سبتمبر 1993م، ربيع 1994م، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته ليبيا، ص14.

(2) طه باقر: مرجع سابق، ص51.

(3) محمد علي عيسى: مرجع سابق، ص42.

(4) عزت زكي حامد قادوس: مدخل إلى علم الآثار اليونانية والرومانية، دار الحضري للطباعة، الإسكندرية، 2005م، ص199.

(5) محمد علي عيسى: أماكن اللهو والترفيه، مجلة آثار العرب، العدد التاسع والعاشر، تصدر عن إدارة مشروع تنظيم المدينة القديمة بطرابلس بالتعاون مع مصلحة الآثار، طرابلس، خريف 1997م، ص32.

(6) جودتشايلد: دراسات ليبية، ترجمة عبدالحفيظ فضيل الميار وأخرون، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1999م، ص205.

الحفائر بحمامات هادريان في شهر أغسطس من عام 1920م وانتهت في عام 1927م⁽¹⁾، كذلك وجود حمامات الصيد الواقعة في الجزء الشمالي الغربي للمدينة والتي يعود تأسيسها على القرن الثاني الميلادي، فقد تزينت ارضياتها بلوحات من الفسيفساء وغطت جدرانها رسومات جدارية تناولت العديد من الموضوعات في مقدمتها مشاهد للصيد⁽²⁾.

ومن المباني الترفيهية المنتشرة بالمدينة تأتي الساحات والملاعب الرياضية والمسارح إذ توجد ساحة رياضية محاذية لحمامات هادريان⁽³⁾، كما تحتوي المدينة على مسرح روماني بني وقدم للإمبراطور أغسطس في القرن الثاني الميلادي على شكل نصف دائرة معلق، استخدم للتمثيل وسماع الموسيقى والمسرحيات والتراجيديات⁽⁴⁾. الصورة رقم (3).

الصورة (3) توضح المسرح الروماني ببلدة الكبرى



المصدر / تصوير الباحثان

(1) محمود عبدالعزيز النمى؛ وآخرون: دليل متحف آثار بالسراي الحمراء بطرابلس، الدار العربية للكتاب، طرابلس 1977م، ص45.

(2) J.B. Ward-perkins, 1974, op.cit,p383.

(3) جودتشايلد: مرجع سابق، ص206.

(4) محمد علي عيسى : أماكن اللهو والترفيه، مرجع سابق، ص33.

استمر الرومان بالاهتمام بالمباني الترفيهية التي تبعت فيهم البهجة والسرور وملء أوقات فراغهم من جهة ولتبعث فيهم الحماسة والقوة من جهة أخرى، وهو ما يتضح في بعض المباني الترفيهية ذات الرياضات القوية كالمصارعة وسباقات الخيول والعربات، فقد خصصوا لها مواقع ومباني لممارستها على غرار الكولوزيوم في روما⁽¹⁾، حيث تحتوي مدينة لبداء الكبرى على حلبة لسباق الخيول والعربات صورتها العديد من لوحات الفسيفساء المكتشفة بالمنطقة نفسها، وهي كشاهد ودليل على كيفية إقامة مثل هذه السباقات منها المكتشفة بفيلا سيلين وفيلا وادي لبداء⁽²⁾، وشيدت حلبة السباق ببلدية الكبرى عام (162م)، وتقع إلى الشرق من الميناء بنحو (800م) تقريباً وهي محاذية للملعب المدرج على شاطئ البحر، وتعتبر من بين حلبات السباق الكبرى بالعالم الروماني حيث تبلغ سعتها حوالي (من 450 إلى 100متر)، وكانت المنافسة تتم عادة من أربع عربات كل عربة تتميز بلون معين⁽³⁾.

كما تميز الرومان بدمويتهم وحبهم للقتال والعنف فأنشئوا مباني تهتم بمثل هذه الأنشطة والتي اعتبروها من الرياضات الترفيهية لهم وعرفت هذه المباني بمسارح المصارعة أو الملاعب المدرجة أو المسارح الدائرية والمخصصة للمصارعة سواء كانت بين الإنسان والإنسان أو بين الإنسان والحيوان لا سيما الحيوانات المفترسة والمتوحشة⁽⁴⁾، وقد اكتشف هذا المسرح سنة (1960-1961م)، حيث

(1) J.B. Ward-perkins, 1974, op.cit,p68.

(2) عباس رجب عبدالرحيم : فيلا سيلين دراسة أثرية مقارنة مع فيلات رومانية في إقليم تريبوليتانيا من القرن الأول إلى الرابع الميلاديين، رسالة ماجستير قسم الآثار، كلية الآداب جامعة المرقب، 2007م، صص 220، 221.

(3) محمد عيسى: أماكن اللهو والترفيه، مرجع سابق، ص37.

(4) محمد عيسى: أماكن اللهو والترفيه، مرجع سابق، صص 35، 36.

باشرت مصلحة الآثار في عمليات صيانتها وترميمه وهو يعتبر من أفضل المسارح الدائرية في شمال إفريقيا⁽¹⁾.

إلى جانب كل ما تم ذكره من مواقع ومباني ترفيهية أخرى مثل الميادين العامة التي عادة ما يقضي الرومان أوقاتهم فيها وبين أروقتها⁽²⁾، وتحتوي مدينة لبدة الكبرى على ميدانين عامين الأول يعرف بالميدان القديم، وهو يقع في الجزء الشمالي للمدينة بالقرب من شاطئ البحر، والذي عثر فيه على مقبرة فينيقية تعود للقرن السابع قبل الميلاد⁽³⁾، والثاني بالميدان الجديد أو السيفيري ويأتي وسط المدينة، وهو عبارة عن ساحة كبيرة تحتوي على مجموعة من المداخل تقضي إلى أروقة جانبية تفصلها عن وسط الميدان مجموعة من الأعمدة تعلوها عقود نصف دائرية مزينة بزخارف وبمنحوتات خرافية على هيئة ميداليات دائرية⁽⁴⁾، تتناول وجوه لما يعرف باسم (الميدوزا)، وآلهة البحر المعروفة باسم (نريد)⁽⁵⁾.

مقابر المسرح الروماني بلبدة:

تقع هذه المقابر تحت منصة مسرح لبدة عند دائرة عرض (01 82 32.63 N) شمالاً وخط طول (68 06 14.29 E) شرقاً، حيث أظهرت الحفائر الأثرية التي قامت بها البعثة الإيطالية سنة 1972م من جامعة روما الثالثة⁽⁶⁾، العديد من

(1) طه باقر: مرجع سابق، ص84.

(2) توفيق أحمد عبدالجواد: تاريخ العمارة والفنون في العصور الأولى، الجزء الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، القاهرة مصر، 2014م، ص459.

(3) Mattingly, D1995, Tripolitania, B.T. Batsford Limited London, p.118.

(4) J.B. Ward-perkins, 1974, op.cit, p386.

(5) طه باقر: مرجع سابق، ص60.

(6) التقرير السنوي للقسم الفني بمراقبة آثار لبدة لسنة 1972م.

المكتشفات واللقى الأثرية تحت منصة المسرح الروماني ببلدة وكانت هذه المكتشفات عبارة عن مجموعة من القطع الفخارية كالجرار والمصابيح التي تعود للفترة الفينيقية حوالي القرن السادس والخامس قبل الميلاد⁽¹⁾. الصورة رقم (4 أ- ب)

الصورة (4 أ- ب) // توضح أسفل خشبة المسرح الروماني ببلدة الكبرى



المصدر / تصوير الباحثان شهر مارس 2022م

(1) Mattingly, D1995, op.cit. p.118.

إن الصناعات الفينيقية لا تعدو الأواني الفخارية والأجراس البرونزية والقذور والجرار الكبيرة (الأمفورات)، وهو ما عثر عليه في أغلب المقابر الفينيقية المكتشفة سواء في لبدة الكبرى أو باقي مدن الإقليم فبعضها كان مستورداً من بلاد اليونان وجنوب إيطاليا والبعض الآخر من الصناعات المحلية⁽¹⁾. الصورة (5 أ-ب)

كانت أغلب المقابر الفينيقية المكتشفة عبارة عن حفر تحت الأرض يصل عمقها ما بين المتر الواحد إلى المترين ، ويتم النزول إليها عبر درج بأحد جدرانها على شكل سلم يفضي إلى ساحة بها حجرة الدفن، وكانت اغلب المكتشفات بهذه المقابر عبارة عن أوان فخارية متنوعة، البعض منها محلي الصنع والآخر مستورد كالفخار الكمباني والهيلينستي، كما تم العثور على مجموعة من المصابيح الفخارية اليونانية السوداء، والقوارير الخاصة بالزينة والقطع الزجاجية وغيرها من المكتشفات الصغيرة كالخواتم والدبابيس والمسامير البرونزية والعاجية وهي محفوظة اليوم بمتحف السرايا الحمراء بطرابلس⁽²⁾.

الصورة (5 أ-ب) توضح بعض المصابيح الفخارية التي اكتشفت تحت منصة

المسرح الروماني بلبدة



المصدر/ عباس رجب عبدالرحيم رسالة دكتوراه⁽³⁾

(1) محمود عبدالعزيز النمى؛ وآخرون: مرجع سابق، ص 14.

(2) محمود عبدالعزيز النمى؛ وآخرون: مرجع سابق، ص 228.

(3) عباس رجب عبدالرحيم: دراسة لمجموعة المسارج الفخارية الرومانية المحفوظة بمتحف لبدة الكبرى،

رسالة دكتوراة، قسم الآثار كلية الآداب جامعة طنطا، 2016م، ص 208.

مقبرة قصر الجدة:

وهي تقع بالقرب من محطة سكة الحديد بمدينة الخمس، وهي تبعد حوالي 2 كيلو متر جنوب مدينة لبداء عند دائرة عرض (62 75 32.61 N) وخط طول (24 22 14.26 E) شرقاً، وتعود أعمال التنقيب بهذه المقبرة إلى 14 / 05 / 1973م، حيث قام فريق الحفر من القسم الفني بمراقبة آثار لبداء بعمليات الحفر والتنقيب بهذا الموقع الذي عثر فيه على عدد كبير من اللقى الأثرية والتي تعود للعصر الروماني تتمثل في هياكل عظمية وأواني فخارية (1).

كما عثر بهذه المقبرة على قبر فينيقي مكون من حجرتين تحتوي على صناديق وتوابيت عليها كتابات ونقوش ليبية قديمة، ويعود تاريخ المواد المكتشفة بهذه المقبرة ما بين القرنين الأول ق.م، وحتى الرابع الميلادي، كما عثر أيضاً إلى جانب طرق الدفن بالتوابيت على جرار تحمل رماد الموتى وهي تدل على تنوع طرق الدفن بالمقبرة (2).

ج- فيلا سيلين (وادي يالة):

تقع فيلا سيلين على شاطئ البحر في نهاية مصب وادي يالة، وهو ما أطلقه البعض اسماً على هذه الفيلا نسبة للوادي، وتبعد عن مدينة لبداء الكبرى حوالي 15 كيلو متر غرباً عند دائرة عرض (34 32.42 N) شمالاً، وخط طول (41 10 14.10 E) شرقاً، وتحيط بالفيلا أرض زراعية خصبة ساهمت بشكل كبير في ازدهارها من خلال وفرة المياه التي ساعدت في ازدهار الزراعة، كما ساعد موقعها على شاطئ البحر مباشرةً من أهمية موقعها وذلك للاستفادة من الصيد والاستمتاع بالبحر ولسهولة الوصول إليها بحراً، وكذلك قربها من محاجر قطع

(1) التقرير السنوي للقسم الفني بمراقبة آثار لبداء لسنة 1973م.

(2) عبدالحفيظ فضيل الميار: الحضارة الفينيقية، مرجع سابق، ص 238.

الحجارة المستخدمة في البناء والتي ساهمت في عمليات البناء وتجديده عبر الزمن⁽¹⁾.

بدأت عمليات الحفر والتنقيب بهذا الموقع بتاريخ 13 / 12 / 1974م، عن طريق فريق الحفر بمراقبة آثار لبدة من القسم الفني وكشفت معاول هذا الفريق على بناء ضخم غاية في الروعة والجمال متمثلاً في فيلا رومانية غطت أرضياتها بلوحات من الفيسفساء (الموزليكو) متنوعة المناظر، كما كسيت جدرانها بالملاط الذي زينته الرسومات الجدارية (الافريسكو) تناولت موضوعات مختلفة ومتنوعة من الحياة اليومية الرومانية متعددة الجوانب⁽²⁾. الصورة (6، أ - ب)

احتوت هذه الفيلا على مجموعة كبيرة من الحجرات بلغت حوالي 75 حجرة تقريباً متعددة الأغراض والوظائف، كما احتوت على مجموعة من الحمامات والأحواض وحجرات التعريق والأفران الخاصة بتسخين المياه، تزينت الفيلا معمارياً بأروقتها المعمدة التي كانت تحيط بالأفنية الخارجية للفيلا، وقد ازدانت أرضياتها بمناظر لوحات الفيسفساء، والتي تناولت موضوعات زخرفية وهندسية ومناظر نيلية مما زاد من جمالها الفني والمعماري⁽³⁾، ولقد عثر أثناء عمليات التنقيب على مجموعة من القطع والكسر الفخارية التي كانت تستخدم من قبل ساكني هذه الفيلا في ذلك الوقت⁽⁴⁾.

(1) عباس رجب عبدالرحيم: مرجع سابق، ص 184.

(2) De Lussa, Africana et de cafss 111 Colloquie Internasionale . P. 276

(3) عباس رجب عبدالرحيم: مرجع سابق، ص 245.

(4) De Lussa, Africana .op.cit . P. 121

الصورة (6، أ-ب) فيلا سيلين توضح مبنى الفيلا من الخارج وإحدى لوحات
الفسيفساء



المصدر/ تصوير الباحثين بتاريخ شهر مايو 2022

د- موقع ومقابر الخيريبة:

تقع إلى الجنوب الغربي من الطريق الساحلي الدولي في حلة لبدة عند دائرة عرض (20 70 32.61 N) شمالاً، وخط طول (60 66 14.26 E) شرقاً وتعتبر من ضمن المواقع الأثرية التي تعود إلى العصر الروماني حيث قامت مراقبة آثار لبدة بعمليات الحفر والتنقيب في الموقع بعد تشكيل فريق للحفر من قبل القسم الفني التابع للمراقبة سنة 1978م، حيث كشفت الحفريات على العديد من اللقى الأثرية المتنوعة والتي تبلغ حوالي 173 قطعة أثرية منها الفخارية والمعدنية وغيرها⁽¹⁾.

(1) التقرير السنوي للقسم الفني بمراقبة آثار لبدة الكبرى لسنة 1978م.

هـ- مقابر غنيمة:

تقع هذه المقابر بالقرب من مركز المن الشعبي غنيمة سابقاً عند دائرة عرض (49 86 32.69 N) شمالاً، وخط طول (37 27 14.04 E) شرقاً، وحيث بدأت عمليات التنقيب من قبل مراقبة آثار لبدّة بتاريخ 05 / 05 / 1982م، وكشفت هذه العمليات على أنقاض عدة مقابر بدء العمل بالمقبرة الأولى بتاريخ 05 / 05 / 1982م، وعثر فيها على حوالي 280 لقية أثرية تنوعت بين الفخارية والمعدنية والهياكل العظمية⁽¹⁾.

أما المقبرة الثانية فقد بدء العمل فيها بتاريخ 10 / 05 / 1982م، واحتوت على حوالي 68 لقية أثرية ومجموعة من القطع النقدية العملة وفي نفس التاريخ أيضاً تم اكتشاف حوالي 34 لقية أثرية بالمقبرة الثالثة وكانت عبارة عن مجموعة قطع من العملة واللقى الفخارية ، وبتاريخ 13 / 05 / 1982م، بدء العمل بالمقبرة الرابعة والتي احتوت على حوالي 63 لقية أثرية مختلفة ومتنوعة⁽²⁾.

و- موقع ومقبرة وادي الرصف:

يقع هذا الموقع محاذياً للطريق الواقع غربي مدينة لبدّة الكبرى المتجه نحو ما يعرف بمصيف هانيبال عند دائرة عرض (58 11 32.64 N) شمالاً، وعند خط طول (67 05 14.28 E) شرقاً، اكتشف هذا الموقع بتاريخ 10 / 08 / 1983م، حيث بدأت البعثة الإيطالية من جامعة روما الثالثة عمليات الحفر والتنقيب بالموقع وقد تم العثور على مجموعة متنوعة ومختلفة من اللقى الأثرية الفخارية والبرونزية إضافة لأساسات بناء وبعض الهياكل العظمية، كما عثر على مقبرة جماعية تحتوي

(1) التقرير السنوي للقسم الفني بمراقبة آثار لبدّة الكبرى لسنة 1982م.

(2) مقابلة شخصية مع أ. جابر معتوق رئيس القسم الفني بمراقبة آثار لبدّة لسنة 2022م.

على توابيت لحفظ رماد الموتى والتي دفنت بطريقة مختلطة يظهر ذلك من أسماء الموتى المنقوشة على بعض التوابيت باللغة البونيقية والإغريقية واللاتينية⁽¹⁾.

ز - مقبرة تازويت:

توجد هذه المقبرة بمحلة لبدة عند دائرة عرض (N 32.38 19 6) شمالاً، وخط طول (E 14.16 51 0) شرقاً، تم اكتشاف الموقع سنة 1995م، حيث عملت مراقبة لبدة على استخراج ما تم اكتشافه من هذه المقابر وانتشاله ونقله ليحفظ بمتحف لبدة وتعود مكتشفات هذه المقابر إلى القرن الأول والثاني الميلادي وتتنوع مكتشفاته ما بين الأثاث الجنائزي كالقطع الفخارية والبرونزية وبعضاً من قطع العملة والهياكل العظمية⁽²⁾.

ح - موقع الزيت بالمجارشة:

يعرف هذا الموقع باسم 103 مسار السكة اكتشف بتاريخ 04 / 03 / 1997م، عند دائرة عرض (N 32.63 297) شمالاً، وخط طول (E 14.24 818) شرقاً، من قبل مراقبة آثار لبدة حيث شكّل فريق من القسم الفني لدراسة هذا الموقع والذي يعتبر من المواقع الأثرية الرومانية⁽³⁾، الصورة رقم (7)، والموقع عبارة عن مجموعة من المطامير الخاصة بتخزين جرار الزيت والحبوب وغيرها، مبنية من حجارة جيرية ورملية كبيرة الحجم، به مدخل في جهته الشرقية، ويحتوي المبنى على ثلاث درجات في جهته الشمالية، ومن الواضح أن أغلبها تم جلبه من مواقع أثرية أخرى مجاورة أعيد استخدامها، ومن بينها عمود يحتوي على نقش لاتيني مكون من أربعة أسطر استخدم كشاهد قبر تم جلبه من إحدى المقابر الرومانية،

(1) التقرير السنوي للقسم الفني بمراقبة آثار لبدة الكبرى لسنة 1983م.

(2) التقرير السنوي للقسم الفني بمراقبة آثار لبدة الكبرى لسنة 1995.

(3) التقرير السنوي للقسم الفني بمراقبة آثار لبدة الكبرى لسنة 1997.

ومن المكتشفات التي تم العثور عليها مجموعة من الكسر والأواني الفخارية كالصحون والجرار والمصابيح من الصنع المحلي والمستورد⁽¹⁾.

الصورة رقم (7) صورة جوية لموقع الزيت بالمجارشة



المصدر / <https://www.google.com/maps>

ط- مقبرة وادي الفاني:

يقع إلى الغرب من ميناء الخمس البحري عند دائرة عرض (N 32.67 07 07) شمالاً وخط طول (E 14.23 19 21) شرقاً، بدأت عمليات التنقيب في هذا الموقع من قبل مراقبة آثار لبدة بالتعاون مع جامعة روما الثالثة الإيطالية سنة 1997م، وكشفت عمليات الحفر على مجموعة من الهياكل العظمية واللقى الأثرية كالجرار الفخارية والقطع المعدنية البرونزية وبعض من أساسات البناء واضحة المعالم ربما تكون كـ8 جدران المقبرة⁽²⁾.

(1) مقابلة شخصية مع أ. خيرى بن رابحة بالقسم الفني لمراقبة آثار لبدة بتاريخ أكتوبر 2022م.

(2) التقرير السنوي لمراقبة آثار لبدة الكبرى لسنة 1997م.

ي - مقبرة باركو:

اكتشفت عن طريق الصدفة أثناء القيام بصيانة وإنشاء طريق باركو بجوار مدينة لبدة وهي تقع عند دائرة عرض (N 32.63 15 81) شمالاً وخط طول (14.29 E 19 33) شرقاً، حيث قامت مراقبة آثار لبدة باستخراج مجموعة من اللقى الأثرية متمثلة في أواني فخارية متنوعة من الأثاث الجنائزي تعود للعصر الروماني⁽¹⁾.

ك - فيلا وادي لبدة:

تقع هذه الفيلا على ضفاف وادي لبدة، إلى الجنوب من السد الروماني المقام على هذا الوادي، وتبعد عنه بحوالي 300 م تقريباً من الجهة الشمالية من السد الروماني، عند دائرة عرض (N 32.62 48 57) شمالاً، وخط طول (14.28 96 E 09) شرقاً،⁽²⁾.

وقد تم اكتشاف هذه الفيلا بطريق الصدفة أثناء عمل مجسات اختبارية امتدت من مركز المدينة الأثرية إلى سد وادي لبدة الحديث، وهي محاذية لضفة الوادي الشمالية، من قبل البعثة الألمانية سنة 2000م، وبعد عمليات الحفر بالموقع وعلى عمق ثلاثة أمتار ظهرت الأساسات الجدارية، وتم تتبعها إلى أن ظهر المخطط التفصيلي للفيلا، وهي عبارة عن فيلا تعود للعصر الروماني حوالي القرن الأول والثاني الميلادي، واستمرت حتى القرن الرابع الميلادي، وهو ما تؤكده أساليب إنشاء أرضيات الفسيفساء التي غطت وزينت أرضياتها مقارنة بغيرها من الفيلات الرومانية الأخرى بالمنطقة كفيلا سيلين، وتمثلت هذه الأرضيات في لوحات من الفسيفساء المميزة والتي تناولت موضوعات للمصارعة الرومانية وبعض المشاهد للحروب والمعارك التي كان يخوضها الرومان وهي محفوظة اليوم بمتحف

(1) مقابلات شخصية مع مجموعة من فريق القسم الفني بمراقبة آثار لبدة لسنة 2022م.

(2) تقرير البعثة الألمانية القائمة بأعمال الحفر حول الموقع .

الفسيفساء ببلدة الكبرى، تمثلت مكتشفات الفيلا في حمام بارد يحتوي على حوض جدرانه مُغطاة بالملاط وأرضيته مكسوة بالفسيفساء البيضاء العادية، وبجوار هذا الحمام تقع صالة رئيسية غطت أرضياتها لوحات فسيفسائية متنوعة منها ما يصور حلقات السباق ومنها مشاهد للمصارعة الدموية⁽¹⁾.

ل- المواقع البيزنطية:

بدخول المسيحية إلى ليبيا انتشرت المباني التي تعود للعصر البيزنطي كالكنائس المسيحية مثل:

كنيسة جستينان " البازيلكا":

حيث حوّلت البازيكا في عهد جستينان إلى كنيسة مسيحية في القرن السادس الميلادي فتم إضافة لها عدة ملحقات تتماشى مع الديانة المسيحية كالمعمارية وحجرات للقساوسة والمنبر وغيره من الإضافات.

وتتكون الكنيسة معمارياً من صحن أوسط كبير الحجم يحيط به رواقين جانبيين، يفصلهما عن الصحن صفتين من الأعمدة الرخامية الجرانيتية والشيوليني، والمبنى مكون من طابقين وهو ما

يتضح من ضخامة المبنى والسلم الموجود بأطراف الكنيسة عند الحنيتين سواء الغربية أو الشرقية، الصورة رقم (8).

(1) أحمد بشير المحجوب: تقرير أولي عن حفرة فيلا وادي لبة، الشؤون الفنية، مراقبة آثار لبة، 2001م،

الصورة (8) توضح البازيلكا كنيسة جستنيان بلبدة الكبرى



المصدر/ تصوير الباحثين

الكنيسة البيزنطية القديمة:

هي من الكنائس ذات النظام البازيلكي، وتعود هذه الكنيسة للقرن السادس الميلادي، في عهد الإمبراطور جستنيان، فهي تحتوي على صحن أوسط وأروقة جانبية يفصلها عن الصحن صفيين من الأعمدة الرخامية من نوع "الشوبيلينو" وتعرف بالأعمدة البصلية، فهي تشبه إلى حد كبير كنيسة جستنيان في تصميمها إلا أنها أصغر حجماً، تزينها حنية امامية في الجدار الشرقي ويتوسطها المنبر، وتوجد بجوارها مقبرة تحتوي على قبور عليها علامات للمسيحية كالصليب.

كنيسة الميدان القديم:

تقع ملاصقة لساحة الميدان القديم، تتخللها مجموعة من الأعمدة وحنية شمالية ترتفع عن أرضية الكنيسة ببضع درجات ذات أرضية رخامية ما يميز الكنيسة هو ارتباطها بالميدان القديم، وذلك بوجود المعمادية حوض التعميد، في وسط الميدان وخارج الكنيسة وتحتوي الكنيسة على عدة مداخل في جدرانها التي بنيت من الحجر الجيري والرملية.

البوابة البيزنطية:

من المواقع البيزنطية الأخرى داخل مدينة لبدة الكبرى هناك مجموعة من المباني التي انتشرت بالمدينة منها البوابة البيزنطية، وهي تقع عند احداثيات (317 N 32.38) شمالاً، وخط طول (E 14.17 655) شرقاً، وتعتبر من أفضل ما تبقى من أبواب المدينة في العصر البيزنطي وقد استخدم في بنائها الحجارة المنقولة من مواقع أخرى وهو ما تؤكدُه النقوش الكتابية التي تعود إلى عهود سابقة منها عهد الإمبراطور دومسيان، وفسباسيان (79/96م).

شيدت البوابة البيزنطية على الشارع الطولي، وهي تعود للقرن السادس الميلادي، تميز مدخل البوابة بعقد ضخم مستقيم الشكل ربطت حجارته بطريقة هندسية تعرف بالقفل أو المفتاح أو التعشيق، حيث يتم من خلالها توازن الحجارة وربطها مع بعضها البعض، يبلغ ارتفاع البوابة حوالي سبعة أمتار وبعرض قرابة ثلاثة أمتار، أحيط بالبوابة برجين جانبيين وذلك لغرض الدفاعات الأولية للمدينة، وهو ما انتشر في أغلب البوابات قديماً لا سيما في العصر البيزنطي كما هي الحال بالقسطنطينية.

البوابة الغربية بلدة "بوابة أويا":

تقع هذه البوابة الجهة الغربية الجنوبية بمدينة لبدة الكبرى، في نهاية الشارع العرضي الديكومانوس عند دائرة عرض (N 32.38 267) شمالاً، وخط طول

(E 14.17 217) شرقاً، وقد بنيت البوابة على بقايا قوس نصر روماني قديم يحتمل أن يكون خاص بالإمبراطور أنطونينوس بيوس (138/ 161م)، حيث دمجت في العهد البيزنطي المتأخر إلى أسوار المدينة لتصبح بذلك إحدى البوابات بالمدينة، وسميت بهذا الاسم لأنها تقع على طريق مدينة أويا، يبلغ ارتفاعها حوالي سبع أمتار، ويعرض تجاوز الثلاثة أمتار ونصف، وقد تم نقل أجزاء من هذه البوابة إلى متحف طرابلس.

السور البيزنطي:

شيد السور البيزنطي في القرن السادس الميلادي في عهد الامبراطور جستنيان، بصورة مستعجلة، حيث استخدمت فيه مجموعة كبيرة من المواد المستعملة والمنقولة من المواقع والأبنية القديمة في المدينة حتى يشاهد في بعضها النقوش الكتابية التي تعود لفترات زمنية سابقة من أزمان الأباطرة السابقين ونفذ السور البيزنطي في العصر البيزنطي للمدينة.

وقد بني هذا السور لحماية ما تبقى من مدينة لبدة بعد تعرضها لغزوات القبائل المحلية، يرتبط بالبوابة البيزنطية، حيث يعتبر من بين الدفاعات المهمة في المدينة

الخاتمة

لقد انتهت هذه الدراسة الى مجموعة من النتائج والتوصيات تتمثل فيما يأتي:

أ: النتائج:

. تتوفر في منطقة الخمس دوافع سياحية أثرية كثيرة بعضها مشغل والآخر غير مشغل وتساهم هذه المواقع بشكل عام في عملية الجذب السياحي .
تعتبر آثار مدينة لبدة التاريخية من أهم المناطق الاثرية في المنطقة في حين تتميز بقية المواقع الأثرية بالضعف اهتمام الدوائر المعنية فيها.
هناك تباين واضح في التوزيع الجغرافي للمواقع الأثرية المنقبة في منطقة الخمس إذ نجد هناك تركيز في بعض الوحدات الإدارية يقابلها خلو تام في البعض الآخر.

تشير الدراسات الأثرية والتاريخية إلى وجود علاقة كبيرة بين الخصائص الجغرافية والتوزيع المكاني للمدن والمواقع الأثرية لاسيما الموارد المائية وامتداد مجارى الأودية وأثرها في نشوء المراكز العمرانية التي تمتد مع امتداد مسارات الأودية. كشفت نتائج التنقيبات عن بقايا العديد من المعابد الدينية والقصور الملكية والوحدات البنائية المتنوعة التي تنتمي زمانيا إلى عصور تاريخية متعددة فضلا عن المواقع الأثرية الشاخصة بابنيتهما وقصورها الفخمة. أثبتت الدراسة من خلال الفرضية بأن هناك مواقع قد تعرضت للهدم والإزالة وإنشاء عليها مواقع أخرى.

تعتبر أغلب المواقع المكتشفة نقتب من قبل مراقبة آثار لبدء وفريق عمل من القسم الفني خصوصا تلك المواقع المكتشفة بطريق الصدفة، مع وجود عمليات تنقيب للبعثات الأجنبية للمواقع الأثرية المكتشفة والواضحة والتي تم عمل مجسات أرضية لها كفيلا وادي لبدء على سبيل المثال لا الحصر

قلة المباني الأثرية التي تعود للعصر الفينيقي، وذلك نتيجة للأحداث التاريخية التي حدثت في ذلك الوقت من حروب بين الفينيقيين والرومان والتي عرفت بالحروب البونية وما نتج عنها من طمس وحرق لجميع المعالم الفينيقية بعد انتصار الرومان عليهم واقتصرت المكتشفات الفينيقية على ما يعثر عليه داخل المقابر من لقي وبعض النقوش الكتابية..

ب : التوصيات:

تطوير وترميم بعض المواقع الأثرية والتي تساعد على الجذب السياحي منها لبدء الكبرى.

حماية المواقع الأثرية من التجاوزات على الأراضي وتوفير الحراسة التامة للمنطقة على الآثار من السرقة والحفر غير المشروع، ونفعليل القوانين الصارمة التي تجرم عمليات التعدي على المواقع الأثرية كونها ثروة وطنية بها يمكن تعويضها.

إجراء عمليات المسح والتنقيب للمواقع الأثرية غير المنقبة لتحديد مآكنها وزمانيها ،
للكشف عن المعالم واللقى الأثرية التي توجد تحت طبقاتها الأرضية، فضلا عن
إجراء أعمال الصيانة للمواقع الأثرية الشاخصة.
اعتماد خطط استراتيجية لتنمية السياحة الأثرية وتفعيل المقومات السياحية التي
تجعل من المواقع الأثرية بيئة سياحية جاذبة للسياح في منطقة الخمس.
تخصيص الموارد المالية لإنجاز العمليات الأثرية (المسح ، التنقيب، الصيانة)
التي تهدف الى حماية الموروث الحضاري وإبراز أهم منجزات الإنسان في العصور
التاريخية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً المصادر الأجنبية:

1- Silius Italiaus (Punica 3.10; Lucian, Pharsale 11,511; coripus, Johannide, 8,12; 110:6, III.

ثانياً: المراجع:

أ. المراجع المعربة :

جودتشايلد: دراسات ليبية، ترجمة عبدالحفيظ فضيل الميار وآخرون، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1999م.

ب - المراجع العربية:-

عبدالحفيظ فضيل الميار: الحضارة الفينيقية في ليبيا، دار الكتاب الوطني، بنغازي ليبيا، ط1، 2001م .

عزت زكي حامد قادوس: مدخل إلى علم الآثار اليونانية والرومانية، دار الحضري للطباعة، الإسكندرية، 2005م.

محمود عبدالعزيز النمى؛ وآخرون: دليل متحف الآثار بالسراي الحمراء بطرابلس ، الدار العربية للكتاب، طرابلس1977م.

توفيق أحمد عبدالجواد: تاريخ العمارة والفنون في العصور الأولى، الجزء الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، القاهرة مصر، 2014م.

ب . الرسائل العلمية:.

صالحة على فلاح: التنمية السياحية في ليبيا مع التطبيق على منطقة الخمس، رسالة دكتوراه. قسم الجغرافيا، كلية الآداب جامعة القاهرة، مصر 2011م.

عباس رجب عبدالرحيم : فيلا سيلين دراسة أثرية مقارنة مع فيلات رومانية في إقليم تريبوليتانيا من القرن الأول إلى الرابع الميلاديين، رسالة ماجستير قسم الآثار، كلية الآداب جامعة المرقب، 2007م.

عباس رجب عبدالرحيم: دراسة لمجموعة المسارح الفخارية الرومانية المحفوظة بمتحف لبدة الكبرى، رسالة دكتوراه، قسم الآثار كلية الآداب جامعة طنطا، 2016م.

ج - المجالات العلمية:.

محمد علي عيسى : أقواس النصر تفاصيلها المعمارية ومواقعها من المدن الرومانية، مجلة آثار العرب، العدد الثالث، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، مصراته ليبيا، سبتمبر 1991م.

ليديانو باكييلي: قوس الإمبراطور سبتيموس سيفيروس في مدينة لبدة الكبرى، مجلة آثار العرب، العددان السابع والثامن، سبتمبر 1993م ، ربيع 1994م، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته ليبيا.

محمد علي عيسى : أماكن اللهو والترفيه، مجلة آثار العرب، العدد التاسع والعاشر، تصدر عن إدارة مشروع تنظيم المدينة القديمة بطرابلس بالتعاون مع مصلحة الآثار، طرابلس، خريف 1997م.

د - التقارير:.

التقرير السنوي للقسم الفني بمراقبة آثار لبدة، للسنوات من 1972م إلى سنة 2000م.

التقرير السنوي للقسم الفني بمراقبة آثار لبدة لسنة 1972م.

التقرير السنوي للقسم الفني بمراقبة آثار لبدة لسنة 1973م.

التقرير السنوي للقسم الفني بمراقبة آثار لبدة الكبرى لسنة 1978م.

التقرير السنوي للقسم الفني بمراقبة آثار لبدة الكبرى لسنة 1982م.

التقرير السنوي للقسم الفني بمراقبة آثار لبدة الكبرى لسنة 1983م.

التقرير السنوي للقسم الفني بمراقبة آثار لبدة الكبرى لسنة 1995.

10-التقرير السنوي لمراقبة آثار لبدة الكبرى لسنة 1997م.

- 11- تقرير البعثة الألمانية القائمة بأعمال الحفر حول الموقع .
- 12- أحمد بشير المحجوب: تقرير أولي عن حفرة فيلا وادي لبدة، الشئون الفنية، مراقبة آثار لبدة، 2001م.
- هـ -الدراسة الميدانية:
مقابلة شخصية مع أ. جابر معتوق رئيس القسم الفني بمراقبة آثار لبدة لسنة 2022م.
- مقابلة شخصية مع أ. خيرى بن رابحة موظف بالقسم الفني بمراقبة آثار لبدة 2022م
- مقابلات شخصية مع مجموعة من فريق القسم الفني بمراقبة آثار لبدة لسنة 2022م.
- دراسة ميدانية متكررة للباحثين خلال سنة 2022 م .
- و - المراجع الإنجليزية:ـ
- 1- Archeological site of Leptis Magna موقع اليونيسكو،
.5/1/2018
- 2- World الناشر اليونيسكو،
.Haertage List, 2019
- 3- History 9:32م / 10 / 15
of Libya .ly /
- 4-Brogan, O. And Smith,D. Girza, Libyan Settelement in the Roman Period, DEP Of Antiquities,Tripoli, Libya, 1984.
- 5- J.B. Ward-perkins: Roman Imperial Architecture, The Pelican History of Art , 1974.

6-Mattingly,D1995,Tripolitania, B.T.Batsford Limited
.London.

J.B. Ward-perkins, 1974, op.cit.

7-De Lussa, Africana et de cafss 111 Colloquie
Internasionale .

مفهوم التسامح في الخطاب الديني والفكر الفلسفي الحديث (جون لوك أنموذجاً)

إعداد: د. أسماء سالم عربي

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

لقد ضرب لنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم مثلاً أعلى في التسامح، وليس أدل على ذلك موقفه من أهل مكة يوم الفتح، فالتسامح قيمة أخلاقية، وهو أمر متفق عليه، وكل المجتمعات بحاجة إليه؛ لأنه ضرورة من الضرورات في الوقت الراهن، حتى المجتمعات التي لا دين ولا معتقد لها هي بحاجة إليه، وذلك لحماية مجتمعها من التعصب والإكراه، ويعد التسامح سمة إنسانية موجودة في عمق الحضارات البشرية على اختلاف أديانها السماوية والوضعية، كما إنه فضيلة إنسانية مقابلة لمفهوم التعصب، وبما أن البحث يدور حول مفهوم التسامح في الخطاب الديني والفكر الفلسفي الحديث، فإن هذا المفهوم هو قيمة إنسانية أقرتها الشريعة الإسلامية منذ آلاف السنين ينادي بالمحبة والرحمة والإحسان للجميع والاحترام المتبادل لمعتقدات الآخرين، بينما في الخطاب الفلسفي هو وليد حركة الإصلاح الديني (الصراعات الدينية) الذي جاء كحل لإنهاء الصراع بين المذاهب المسيحية (الكاثوليك والبروتستانت) والذي استمر لفترة طويلة، شهد خلالها القرنين في أوروبا صراعاً دينياً دموياً عنيفاً يدعو إلى التطوير والتجديد من أجل القضاء على حالة التعصب، وكانت هذه الفترة بداية ظهور مفهوم التسامح وبرزت العقول التي تمثلت في فلاسفة التنوير للقضاء على التعصب والتحرر والتخلص من سطوة رجال الكنيسة وخرافاتهما، ويعد جون لوك من بين أهم فلاسفة

التنوير الذي أحدثت أرائه حول مفهوم التسامح تغييراً كبيراً ، فكانت أساساً للتحوّل الذي عرفه هذا المفهوم في الفكر الفلسفي الحديث من أجل إرساء مبدأ الاعتراف المتبادل وتقبل الآخر أي تسامح (الكاثوليك مع البروتستانت) وكما يجدر بنا في هذه الدراسة أن نوضح أثر التسامح ودوره في توجيه الناس وفق الخطاب الديني والإفادة من أفكار المفكرين و الفلاسفة التي حققت نوعاً من ترسيخ ثقافة التسامح و التعايش بين الجميع داخل المجتمع الواحد.

مشكلة الدراسة:

في ظل الصراعات القائمة لاسيما تلك النزاعات القائمة على أساس ديني، فإنه يستوجب بالضرورة توظيف مبدأ التسامح بصورة إيجابية داخل المجتمع من أجل تحقيق تعايش أفضل بين مكوناته، لذا يأتي هذا البحث للتعرف على مفهوم التسامح في الخطاب الديني، وفي الفكر الفلسفي الحديث وحاجة المجتمع البشري لهذه في القيمة.

أهمية الدراسة.

تبدو أهمية البحث جلية وواضحة لا سيما والعالم اليوم يعيش حالة الصراع والحرب على المعتقد والأرض، وهو ما يجعلنا نتفق على بروز ظاهرة التعصب العرقي والديني في هذا العصر من خلال أساليب متنوعة تتناقض ما جاءت به الشريعة الإسلامية في تناولها لقيمة التسامح.

أهداف الدراسة.

تهدف الدراسة إلى:

- 1- التعرف على مفهوم التسامح في الخطاب الديني وفق ما نصت عليه النصوص القرآنية والشريعة الإسلامية وسنة رسولنا الكريم.
- 2- توضيح مفهوم التسامح وأهم صورته في الإسلام وكيفية التعامل مع الآخر.

3- بيان فكر جون لوك حول مفهوم التسامح من خلال رسائله التي كتبها في هذا المجال.

4- نبذ التعصب وتأكيد قيم التسامح بين البعض ومع الآخر دون إقصاء، والاعتراف بالتنوع الثقافي والتعددية.

أسباب اختيار الموضوع:

إن من أبرز الدوافع التي كانت وراء اختيار مفهوم التسامح كموضوع لدراستنا تتمثل في قناعتنا بأن عالمنا اليوم ومجتمعنا خاصة يحتاج إلى المزيد من نشر ثقافة التسامح التي تصنع الاستقرار بعيداً عن التعصب والكرهية، وتسهم في ترسيخ الوعي الفكري، وتعيد الأمن والاستقرار إلى المسار الحضاري لهذا العالم.

المنهج الدراسة:

إن المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج النقدي التحليلي والمقارن حيث عرضت آراء لوك، ثم عُقبَ عليها من وجهة نظرنا بحكم البيئة الإسلامية وكل ذلك في إطار النقد والتحليل والمقارنة، وبما أن هذا البحث يهتم بآراء جون لوك حول مفهوم التسامح والتي يأتي بعضها مناقض مع الرؤية الإسلامية فلم يكن ثمة داع للتساؤل عن مدى صدق رؤية جون لوك حول التسامح ومقارنته بموقف الإسلام، لان رؤية الباحث جزء من الرؤية الإسلامية بحكم التكوين العقائدي و الثقافي والفكري.

هيكلية الدراسة: تقع هذه الدراسة في مقدمة وثلاث مباحث على النحو التالي:

المبحث الاول- في معنى التسامح لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني- التسامح في الخطاب الديني.

المبحث الثالث- في أهمية التسامح وأنواعه.

المبحث الرابع- علاقة الفلسفة بالتسامح وموقف جون لوك من التسامح.

وجاءت أهم نتائج الدراسة والتوصيات، ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع.

المبحث الأول- في معنى التسامح لغة واصطلاحاً:

أولاً- معنى التسامح لغة:

تحمل اللغة العربية العديد من المعاني للمصطلح الواحد، وهو ما يميزها عن غيرها من اللغات، ومصطلح التسامح يدخل ضمن إطار المصطلحات متعددة المعاني، فهو مصطلح يختلف معناه في اللغة العربية عن اللغات الأجنبية، فقد ورد في لسان العرب أن السماح والسماحة: الجود، سمح سماحة وسموحة وسماحاً: جاد، والإسماح لغة في السماح بمعنى جاد وأعطى من كرم وسخاء⁽¹⁾

وقد أجمعت قواميس ومعاجم اللغة العربية ومعاجم الفلسفة السياسية على أن مصطلح التسامح يندرج تحت المفهوم الأخلاقي يقول الجابري: «فهو موقف فكري وعملي يقبل الآخر بمكوناته الفكرية والعملية سواء كانت موافقة أو مخالفة لمواقفنا»⁽²⁾ ويعترف بالاختلاف والتعدد الفكري والتنوع الثقافي، وجاء أيضاً في (مادة سمح) السماح والسماحة والجود، وسمح وسماحة وسموحة وسماحاً (جاد) والتسامح لغة يقال سمح وأسمح إذا جاد وأعطى عن كرم وسخاء، ويقال في السخاء: سمح، وأسمح يقال في المتابعة والانتقاد ويقال أسمحت نفسه إذا انقادت والمسامحة: المساهلة وتسامحوا وتساهلوا⁽³⁾.

¹ - السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس، تحقيق/ حسين نصار، مطبعة الكويت، الكويت، باب الحاء، ج6، ط1، 1969م. ص483، 484.

² - محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1997م، ص20.

³ -ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة 1، 1997م، ص331، وانظر كذلك، الرازي، مختار الصحاح، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1988م، ص312.

والتسامح كما يعرفه الجرجاني: « هو أن لا يعلم الغرض من الكلام ويحتاج في فهمه إلى تقدير لفظ آخر⁽¹⁾، وفي موضع آخر هو استعمال اللفظ في غير الحقيقة بلا قصد علاقة معنوية، ولا نصب قرينة دالة عليه، اعتماداً على ظهور المعنى في المقام فوجود العلاقة يمنع التسامح: أي يرى أن أحداً لم يقل: أن قولك "رأيت أسداً يُرمى في الحمام" ⁽²⁾ وجاء في القاموس المحيط للفيروز أبادي أن التسامح: « بمعنى سمح كرم، سماحاً وسماحة ومسوحاً وممسوحة وسمحاً وسماحاً، والتسميح: السير السهل والمساهلة كالمسامحة وتسامحوا: تساهلوا وسمح: لا عقدة فيه، وأبو سمح: خادم النبي صلّى الله عليه وسلم ⁽³⁾»

ثانياً- التسامح اصطلاحاً:

على الرغم من تعدد الآراء والأقوال التي اثيرت حول أصل كلمة التسامح ومضمونها الاصطلاحي خلال القرون الماضية إلا أن هذا لا يمكن أن يقف عائق حول استعمال هذه الكلمة في الوقت الحاضر للتعبير عن حق الاختلاف، واحترام آراء الآخر، ونبذ كل أشكال التعصب والغلو والتطرف بل يجب استخدام لغة التسامح الراقية والحوار المتحضر، إلا أن من الملاحظ أن المفهوم الاصطلاحي للتسامح يتميز بنوع من المحدودية وهو ما جعل البعض يحاول توسيعه، فقد توسع لالاند في موسوعته حول تعريف مفهوم التسامح ففي بادئ الأمر « ولدت كلمة تسامح في القرن السادس عشر من الحروب الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت انتهى الأمر بأن تساهل الكاثوليك مع البروتستانت وبالعكس، ثم

¹ - الجرجاني، كتاب التعريفات، تحقيق، نصر الدين التونسي، باب، التاء، ط1، مصر، القاهرة، 2007م، ص99

² - الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق، محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ط)، 2004م، ص51.

³ - الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار القلم، ودار الأرقم، بيروت، لبنان، (د.ط)، باب الحاء، فصل السين، ص292، 293.

صار التسامح يُرتجى تجاه جميع الديانات وكل المعتقدات، وفي آخر المطاف في القرن التاسع عشر شمل التسامح الفكر الحر»⁽¹⁾ ويتابع لالاند في شرحه للتسامح ويذهب بقوله إلى أن (غوبلو) قد حدد بوضوح شديد، فكرة التسامح الحديثة، قائلاً: « يقوم التسامح ليس على التخلي عن قناعات المرء، أو الامتناع عن إظهارها والدفاع عنها أو نشرها، بل تقوم على امتناعه من استعمال جميع الوسائل العنيفة والقدح والذم، بكلمة يقوم التسامح على تقديم أفكاره دون السعي لرفضها»⁽²⁾، وجاء في المعجم الفلسفي لإبراهيم مذكور « أن التسامح يعني سعة صدر تفسح للآخرين أن يعبروا عن آرائهم ولو لم تكن موضوع تسليم أو قبول، ولا يحاول صاحبه فرض آرائه الخاصة على الآخرين، وأما عن التسامح الديني فهو احترام عقائد الآخرين»⁽³⁾ قال تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾⁽⁴⁾ .

ومن معان التسامح: « هو أن تترك لكل إنسان حرية التعبير عن آرائه، وإن كان ذلك مخالف للآخر، والمعنى الثاني، هو أن يحترم المرء آراء غيره لاعتقاده أنها محاولة للتعبير عن جانب من جوانب الحقيقة، وليس تسامحنا في ترك الناس، وما هم عليه من عاداتهم واعتقاداتهم وآرائهم منة نجود بها عليهم، وإنما هو واجب أخلاقي صادر عن احترام الشخصية الإنسانية»⁽⁵⁾، ويعرف قاموس (ويبستر)

¹ - أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد 3، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001م، ص1460.

² - أندريه لالاند، مرجع سبق ذكره، ص1461.

³ - إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية، القاهرة، (د.ط)، 1979، ص44.

⁴ - سورة الكافرون، الآية (6)

⁵ - جميل صليبا، مرجع سبق ذكره، ص272

التسامح بأنه: «احترام آراء ومعتقدات وسلوك الآخرين والاعتراف بها»⁽¹⁾ وفي الفكر العربي المعاصر يضع الجابري تعريف للتسامح، أنه موقف فكري وعملي قائم على تقبل الآراء الفكرية والعملية الصادرة من الآخر مهما كانت موافقة أو مخالفة لأرائنا⁽²⁾، مما يعني أن التسامح هو احترام الاختلاف في وجهات النظر، وهذا بدوره يؤدي إلى إمكانية الآخر على ممارسة علاقاته بكل حرية.

وفي معنى التسامح في الوقت الراهن هو (الاعتراف بحقوق الإنسان للآخرين)، وهذا التعريف هو ما نص عليه إعلان مبادئ التسامح الأممي الذي اعتمده الجمعية العامة للأمم المتحدة وبتوصية من منظمة اليونسكو كما قررت على أن تكون سنة 1995 هي سنة للتسامح على الصعيد الدولي يحتفل فيها العالم بقيم ومعاني التسامح ويدعو إلى محاربة التعصب والكراهية ونبذ العنف وترسيخ مبدأ السلم ونشر روح المحبة والسلام ، وأكد الجزء الخاص بمعنى التسامح على عدة نقاط نذكرها باختصار:

- 1- التسامح هو مطلب سياسي وقانوني وليس أخلاقياً فحسب يتعزز بالانفتاح والتواصل مع الآخر، ويحترم التنوع الثقافي وحرية الفكر والضمير والمعتقد.
- 2- التسامح إقرار بحقوق الإنسان العالمية، ويحترم الحريات الأساسية للآخرين، ولا يستخدم للاعتداء على حقوق وحريات الآخرين.
- 3 - التسامح نبذ للتعصب ودعم للديمقراطية والقانون ولحقوق الإنسان واحترام التعدد الثقافي.

¹ Webster s New riverside Dictionary,(Boston, mass: c.hough ton Mifflin company,1986) p719

² - محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، مرجع سبق ذكره، ص20.

المبحث الثاني - التسامح في الخطاب الديني:

أولاً- في معنى التسامح في الإسلام:

في البداية يجب أن نوضح أنه لم ترد كلمة تسامح باللفظ في النصوص القرآنية، وذلك لكون الإسلام هو دين سماحه وكل ما فيه يدعو إلى التسامح والألفة والمحبة والتآزر إلا إن هناك من الألفاظ القريبة من التسامح بل تدل على التسامح كلفظ العفو والصفح التي ذكرت في أكثر من آية في القرآن الكريم، وهذا دليل على العيش مع الآخر رغم الاختلاف العقائدي والعرقى كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽¹⁾ فالقرآن الكريم هو المرجعية الأساسية للشريعة الإسلامية إلى جانب السنة النبوية المطهرة ويمتابة آيات القرآن الكريم نجد هناك العديد من الآيات التي تعطينا معنى واضح ومشرق لمفهوم التسامح وهو ما يميز الإسلام بالأخوة بين المسلمين ويؤكد بالأخوة الإنسانية بين بني البشر أجمعين في الكرامة البشرية والحقوق الإنسانية بين جميع الأجناس والألوان، ويمجد العقل ويدعو إلى بناء الحياة كلها على التفكير وينشر دعوته بالحجة والإقناع لا بالإكراه وقد ترك لأهل كل دين دينهم يفهمونه ويطبّقونه كما يشاؤون، حيث بنيت علاقة الإسلام مع الآخر على أسس واضحة لا جدال فيها فحق كل إنسان في الحرية كحقه فالحياة ومقدار ما عنده من جاه هو مقدار ما عنده من حرية، فالإسلام حث المسلمين على التسامح والمحبة والأخوة واحترام الآخر مهما كان مختلف في اللون أو الجنس أو المعتقد هذا هو الإسلام ولا «إكراه في الدين» ، يقول تعالى في كتابه الكريم ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾⁽²⁾، لكون نظرهم لغيرهم من أهل الملل فهم لا يرون في اختلاف تلك الملل إلا شيئاً قد قضاه الله

¹ - سورة النور، الآية (22).

² - سورة الكافرون، الآية (6).

واقترضته حكمته لعمارة الدار وتلك الدار وظهور آثار عدله وفضله وإحسانه ورحمته فسلمت قلوبهم في التسامح والاحترام.. وإذا كان حق الحرية والاختلاف يمارس داخل المجتمعات بلداناً وأوطاناً فإنه من الضروري التعرف على مفهوم الوطن الذي هو سكن الإنسان ومكانه وقضاؤه وفيه يحقق علاقاته الاجتماعية السلمية القائمة على التسامح والحرية والاختلاف في المدينة المتسامحة المسالمة، نعم إن التسامح والمحبة والإخاء وحب الآخرين ونبذ العنف والكراهية هي بداية وخطوة أولية نحو مجتمع سليم يعمه الأمن والاستقرار مجتمع السلم والتعايش، وإن قيماً أساسية وثقافية معينة هي أساس التسامح، ومنها النظرة العقلانية والحرية واحترام الاختلاف وهي من القيم الجوهرية للتسامح لتمكين العيش بهدوء وسلام وأمان ووثام لضرورة الاجتماع في مجتمع متعدد فهذه هي الإنسانية الحقيقية، وإن أساس الإنسان المتسامح هي حياتنا الإنسانية الحديثة؛ لأن البشرية قد ناضلت كثيراً والكثير من أجل نشر رسالة وثقافة التسامح، والمسامحة والمحبة بين الشعوب والسلام وحقوق الإنسان والديمقراطية هذه الممارسة والمساهمة أساسية في إرساء ثقافة التسامح الذي بدونها لا يمكن التحدث عن السلام والسلم الاجتماعيين، هكذا يتم ترسيخ قيمة التسامح وهو إرادة فردية في التسامح وارتباط هذه الإرادة الفردية بالإرادة السياسية على مستوى الدولة مع ضرورة إقامة دولة الحق ودولة القانون التي تتضمن الحصانة المتساوية لحرية التعبير لكل المواطنين سواسية ومعاملتهم كأسنان المشط بالتساوي وعلى اختلاف الآراء والأقليات والمواقع الفكرية من دون استثناء؛ أي لكل منهم الحق بقيام مجتمع مدني متماسك ومتقدم وقادر أن يؤدي دوره الاجتماعي والأخلاقي والسياسي. هكذا هو التسامح مطلب حضاري مدني فعال وفق المنطق التربوي وهذه هي مبادئ الإسلام في التسامح، وهكذا عبر الفلاسفة والمصلحين والداعين إلى الأخذ بالعقل النير والمنير والتقدم والحرية الإنسانية، وما يمثلها في الدين والجنس واللون واللغة لذلك فالتسامح قبل كل شيء هو ثقافة وطريقة للعيش

في مجتمع متسامح يقبل الحرية والسلام والأمن والأمان ونبذ العنصرية والجهوية والقبلية ويؤمن الاحترام والتقدير والوثام لجميع بني البشر في الأرض بحيث يحق لكل فرد أن يعبر عن فكره من دون أن يفرضه على الآخرين بالقوة والعنف والقتل والتهديد والوعيد لأن ثقافة التسامح هي المساواة بين البشرية جمعاء يقول تعالى: ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾⁽¹⁾ فجميع بني البشر هم خلق الله وأقربهم إلى الله وأحبهم إليه هم أحسنهم أخلاقاً: (أَنْ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا)⁽²⁾، ومن خصائص الإسلام نبذ العنف والتعصب وعدم الحكم على الآخر بالإعدام بل بالحوار فهو البديل لثقافة التعصب فأقر بتعدد الثقافات في المجتمع الواحد بين المسلمين فغذاء التسامح سمة خالدة في الإسلام⁽³⁾

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾⁽⁴⁾ وبقت هذه الآية حجة على كل متعصب لا يؤمن بحرية المعتقد ومن هذا المنطلق يدعو الإسلام الناس إلى الحوار وإلى التعارف والتفاهم والتسامح قائلاً في محكم كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾⁽⁵⁾ فالإسلام دين عالمي يتجه برسالاته إلى البشرية كافة على اختلاف أديانها ومعتقداته تلك الرسالة التي تأمر بالعدل وتنتهي عن الظلم وترسي دعائم السلام في الأرض وتدعو إلى التعايش بين جميع البشر في بيئة يسودها التسامح وتترسخ فيها قيم المحبة والأخوة بين

1 - سورة المائدة ، الآية (82).

2 - أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط1، 2002م، كتاب المناقب، باب صفة النبي ، رقم (3559)، ص877.

3 - شوقي أبو خليل، التسامح في الإسلام، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، (د،ط)، ص45.

4 - سورة البقرة، الآية (256).

5 - سورة الحجرات، الآية (13).

جميع الناس على اختلاف مذاهبهم وأجناسهم وألوانهم⁽¹⁾ و يدعو إلى العيش المشترك وكل أمل التعايش بسلام جميع مدننا وبلادنا ووطننا العربي بالتسامح والمحبة والأخوة والسلام بين كل أبناء ومدن الوطن الواحد فالإسلام رحمة الله في المحبة والتسامح الذي يمارسها كثير من المسلمين من دون النظر إلى الهوية ولنا في رسول الله القدوة الحسنة في التسامح بل في كل مكارم الأخلاق.

ثانياً- صور التسامح في الإسلام ومواقف الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم.

وليس أدل من ذلك في موقفه صلى الله عليه وسلم من أهل مكة يوم الفتح المبين، حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخدم مبدأ التسامح حتى مع المنافقين ومع أنهم أعداء فقد عفا رسول الله عن عبدالله بن أبي سلول مراراً وزاره عندما مرض ، وصلى عليه لما مات، ونزل على قبره، وألبسه قميصه، ومن المعروف أن عبدالله بن ابي سلول هو الذي آذى رسول الله في حادثة الإفك، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتصلي عليه وهو الذي آذاك ! فيقول النبي صلى الله عليه وسلم (يا عمر إني خيِّرت فاخترت قد قيل لي: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾⁽²⁾ ولو أعلم أي لو زدت على لسبعين غفر له لزدت)⁽³⁾

¹ - نبيل نعمة الجابري، التسامح في الإسلام، شبكة النبا المعلوماتية،

اطلع عليه بتاريخ 25/9/2021. <https://annabaa.org/nbanews>

² - سورة التوبة ، الآية (80).

³ - محمد بن أبو عبدالله البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق ، بيروت، ط1، 2002م، 23 كتاب الجنائز، باب ما يكره من الصلاة على المنافقين، حديث رقم 1366، ص330.

ويتمثل الموقف الثاني من حياة الرسول وتسامحه مع الآخر في حديث عبدالله بن مسلمة عن مالك عن السيدة عائشة رضي الله عنها قال: « كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية. وكان رسول صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية ، فلما قَدِمَ المدينة، صامه الرسول صلى الله عليه وسلم، وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه »⁽¹⁾. كذلك من أبلغ صور التسامح في الإسلام موقف سيدنا عمر رضي الله عنه الذي يضرب مثلاً في التسامح والتعايش والتنوع والانسجام وقبول الآخر، عندما فتح بيت المقدس زارا كنيسة القيامة، وعندما جاء وقت الصلاة قال عليٌّ أن أذهب إلى المسجد، وكان مسموح له أن يصلي في الكنيسة فقال سيدنا عمر رضي الله عنه مسموح لي أن أصلي في الكنيسة، ولكن أخاف أن يأتي المسلمين من بعدي ويقولوا صلى عمر في الكنيسة، هنا تختلط الديانات في ممارسة القيم والتعاليم لذلك فكل شخص له الحق في ممارسة تعاليم وقيم دينه بكل حرية، ولم يقف الإسلام والمسلمون عند ذلك؛ المسلمون في الأندلس كانوا يشاركون النصارى أعيادهم التي تختص بهم، وظهر ذلك واضحاً في كتابات المؤرخين والمفكرين، وقد بلغت قيمة التسامح مداها في تلك الحقبة من الزمن إذ وضع الأندلسيون فيها كتباً منها كتاب «بستان الأنفس في نظم أعياد الأندلس» لأبي عامر محمد أحمد السالمي « والدر المنظم في مولد النبي المعظم» لأبي القاسم العزفي⁽²⁾، وبهذه الرؤية الواضحة لتلك المواقف وغيرها التي تبرز دور التسامح وقبول الآخر رسم لنا الإسلام الطريق الأمثل في التعامل والتعايش مع الآخر دون تعصب، وبهذا فإن قيمة التسامح وقيم الإسلام السمحاء

¹ - صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب صيام يوم عاشوراء، رقم (2002-2001)، ص480.

² - صلاح جرار، صور التسامح في الأندلس، مجلة التسامح، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، العدد الأول، 2003م، ص119.

عامة هي الجانب المشرق بل المشرف من تاريخنا وحضارتنا العربية الإسلامية الأصيلة وهي التاريخ المنسجم مع روح القرآن والسنة النبوية الشريفة.

وفيما يتعلق بمصادر التسامح في الإسلام، مما لا شك فيه أن المسلمون يستمدون ثقافتهم الدينية عامة و التسامح خاصة من القرآن الكريم الذي جاء مخاطباً العقول دون إكراه للنفس، ومن السنة النبوية المطهرة التي جاءت شارحة لمفهوم التسامح نظرياً وتطبيقاً، وإلى جانب ذلك الصحابة رضوان الله عليهم هم المصدر الثالث لترسيخ ثقافة التسامح في الإسلام.

المبحث الثالث - أهمية التسامح و أنواعه:

تبدو أهمية التسامح في كونه استعداد نفسي وسلوك ناتج عن الاستعداد إما دينياً أو مدنياً، الديني يتعلق بالعقائد والشعائر الدينية، وأما المدني يتعلق بالمذاهب السياسية الفعالة في داخل الدولة لتفهم رأي الآخرين ومواقفهم المغايرة في الاعتقادي والتصرف⁽¹⁾ وبما أنه قيمة أخلاقية وموقف إنساني فهو يعني باتخاذ موقف إيجابي يقر بحق الآخرين في التمتع بحقوقهم الإنسانية وحررياتهم الأساسية، وحسب إعلان مبادئ التسامح الذي صدرت عن منظمة اليونسكو (إن التسامح يعني الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثري لثقافات عالمنا ولأشكال التعبير وللصفات الإنسانية لدينا، ويتعزز التسامح بالمعرفة والانفتاح والاتصال وحرية الفكر والضمير والمعتقد)⁽²⁾ والتسامح بناءً على ذلك: يعني الوئام وليس واجباً أخلاقياً فحسب، وإنما أيضاً هو واجب سياسي وقانوني، الأمر الذي يؤكد على قبول فكرة التعددية وحكم القانون والديمقراطية ونبذ التعصب والجهوية والقبلية.

¹ - عبد الرحمن بدوي، ملحق موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1996م، ص 59، 58.

² - إعلان مبدأ التسامح، المادة 1 (جامعة منيسوتا)

إن التسامح يعني أن المرء حر في التمسك بمعتقداته ويقبل أن يتمسك الآخرون بمعتقداتهم، وكما أن الاختلاف من طبيعة الأشياء، فلا بد من الإقرار باختلاف البشر بطبعهم ومظهرهم وأوضاعهم ولغاتهم وسلوكهم وقيمهم، وهذا يقود إلى الإقرار بحقهم في العيش بسلام دون عنف أو تمييز لأي سبب كان: دينياً أو قومياً أو لغوياً أو اجتماعياً أو جنسياً أو ثقافياً أو سياسياً... الخ، وإذا كان لم يرد ذكر التسامح لفظاً في القرآن الكريم، إلا أن ما ذكر ما يشير إليه أو ما يقاربه أو يدل على معناه حين تمت الدعوة إلى التقوى والتشاور والتأزر والتواصي والتراحم والتعارف والعفو والصفح والمغفرة وعدم الإكراه، فكلها من صفات " التسامح و يشير ابن منظور في لسان العرب: إلى التسامح والتساهل باعتبارهما مترادفين⁽¹⁾، ويقول الفيروز أبادي المساهلة كالمسامحة، وتسامحوا وتساهلوا أي: تسامح، وسأهله أي يأسره⁽²⁾. إلى جانب ذلك يعتبر مفهوم التسامح مقوماً من مقومات الحياة السياسية والاجتماعية وذلك لقدرته على حل المشاكل الناتجة عن التعددية بين الثقافات داخل المجتمع الواحد، فهو يعتبر بديل لحالة التعصب ورفض حق الاختلاف مع الآخر كما أنه الطريق الوحيد للعيش بسلام بين مختلف مكونات المجتمع الواحد، لقد تطور مفهوم التسامح من الفرد إلى المجتمع إلى الدولة، ثم إلى المجموعة الدولية، ولم يعد المفهوم اصطلاحياً أو لغوياً يرتبط بالسخاء والكرم والجدود والعفو والصفح والغفران والتساهل وغيرها من مثل هذه القيم أو المصطلحات، بل وصل إلى الاعتراف بالحق واحترام الحق، إن نشر مبادئ التسامح وسيادة روح الحق في الاختلاف، تتطلب إعادة التفكير في الموروث الثقافي لمجتمعنا العربي وأخذ التراث بعين الاعتبار وإعادة بناء العلاقة بين الثقافة والدولة وبين المجتمع والسلطة وبين الحكومة والمعارضة، التي هي مسئولية فردية

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ص331.

² - الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص292، 293.

وجماعية في آن واحد، فلا يوجد مجتمع بمعزل عن الإقصاء أو اللاتسامح، إلا إذا أثبت هذا المجتمع قوة عزيمة وبقظة دائمة، وفي حقيقة الأمر فإن التسامح ليس لصيقاً بتراث أو مجتمع، إنما هو امتداد عبر العصور فلا، هو (غربي ولا هو شرقي). ورغم أن الأديان جميعها وفي مقدمتها الإسلام تعلن تمسكها بالتسامح، إلا أن الحروب والإبادة استمرت عبر التاريخ وتمت في الكثير من الأحيان باسمها وتحت لوائها.

ويمكن القول إن كل المجتمعات البشرية تحمل قدراً من اللاتسامح سلبياً أو إيجابياً، ولكن الفرق بين مجتمع وآخر هو في مدى اعتبار التسامح قيمة أخلاقية وقانونية ينبغي إقرارها والالتزام بها حتى وإن كان البعض لا يحبها، فالتسامح ليس فكرة فقط مثل الاشتراكية أو القومية، أو الديمقراطية بل هو جزء من ثقافة المجتمع، وعلينا أن ننقله على هذا الأساس لأنه هو الذي يسهم في تنمية المجتمع من خلال تطبيق إجراءات قانونية لا تعترف بالتمييز أو التعصب أو التطرف أو العنف وما إلى ذلك.

وإذا بَحَثْنَا في معنى التسامح ومبادئه في الثقافة والحضارة العربية الإسلامية نجد في النصوص القرآنية وفي سنة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وإن لم يرد ذكر هذا المصطلح لفظاً إلا أن الشريعة الإسلامية بينت ما يفيد معنى التسامح، وقد ظهر ذلك واضحاً عندما تمت الدعوة إلى التشاور والتراحم والتآزر في قوله تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ (1) وقوله: ﴿ وَإِنْ تَعَفَوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (2) وفي قوله: ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ (3) وجميعها تفيد

1- الشورى، الآية (38).

2- التباين الآية (14).

3- سورة الحجرات، الآية (13).

معنى التسامح وتدل عليه والآيات كثيرة على ذلك، وهذا دليل على أن الإسلام أول من دعا إلى إرساء مبدأ التسامح داخل المجتمع الواحد متعدد الثقافات.

بينما لو اتجهنا إلى المجتمع الغربي ظهرت أهمية قيمة التسامح بقوة للحد من حالة الصراع القائم بين الكنيسة والدولة وكان ذلك واضحاً في كتابات ومؤلفات الكثير من فلاسفة الغرب أمثال فولتير وجان جاك روسو وجون لوك الذي يتناوله بحثنا كنموذج لذلك وغيرهم وإن كانت كتاباتهم تحمل في طياتها نوعاً من التعصب واللاتسامح ونخص بذلك جون لوك فهم يضعون حدوداً للتسامح ولحرية المعتقد.

إدأً من خلال ما تقدم في هذه الجزئية تبدو أهمية التسامح في كونه يعترف بحقوق الإنسان للآخرين وهو ما نص عليه إعلان مبادئ التسامح الأممي الذي اعتمده الجمعية العامة للأمم المتحدة وبتوصية من منظمة اليونسكو كما قررت على أن تكون سنة 1995 هي سنة للتسامح على الصعيد الدولي يحتفل فيها العالم بقيم ومعاني التسامح ويدعو إلى محاربة التعصب والكراهية ونبد العنف وترسيخ مبدأ السلم ونشر روح المحبة والسلام، وأكد الجزء الخاص بمعنى التسامح على عدة نقاط نذكرها باختصار:

- 1- التسامح هو مطلب سياسي وقانوني وليس أخلاقياً فحسب يتعزز بالانفتاح والتواصل مع الآخر، ويحترم التنوع الثقافي وحرية الفكر والضمير والمعتقد.
- 2- التسامح إقرار بحقوق الإنسان العالمية، ويحترم الحريات الأساسية للآخرين، ولا يستخدم للاعتداء على حقوق وحرريات الآخرين.
- 3 - التسامح نبذ للتعصب ودعم للديمقراطية والقانون ولحقوق الإنسان واحترام التعدد الثقافي⁽¹⁾.

¹ - إعلان مبدأ التسامح، (جامعة منيسوتا) <http://hrlibrary.umn.edu/arab/tolerance.htmlx>

انظر كذلك www.aljazeera.com اطلع عليه بتاريخ 2021/9/18.

ثانياً - أنواع التسامح:

اشتملت الشريعة الإسلامية على أنواع من التسامح تلخصت في عدة أشكال شملت كافة جوانب الحياة لما لها من دور أساسي في حرية المعتقد والتعايش مع الآخر المختلف معه في العقيدة والدين وهذه الأنواع تمثلت في:

1- التسامح بين الأديان: يبدو هذا النوع من التسامح ضرورياً وخاصة في الظروف التي تسيطر فيها حركة دينية معينة على المجتمع وتضطهد أصحاب المعتقدات الدينية أو المذهبية الأخرى⁽¹⁾ لقد أكدت سماحة الدين الإسلامي على التسامح مع الأديان والشرائع السماوية الأخرى مبيّناً أن أصولها كلها من عند الله وعدم نبذهم أو أذيتهم والتعامل معهم وفق نهج الإنسانية وليس دينهم، فهي حلقة متصلة لرسالة واحدة جاء بها الإسلام منزلة من عند الله ورسله وما أنزل عليهم من وحي إلهي، وفي هذا يقول الله تعالى في محكم كتابه ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ﴾⁽²⁾ ومن أجل ذلك يمتاز الموقف الإسلامي في أي حوار ديني بأنه موقف منفتح على الآخرين، حيث إنه من الممكن أن يسهم تسامحنا ويكون سبب في دخولهم الدين الإسلامي والآيات القرآنية كثيرة وكفيلة للتوضيح والتأكيد على نشر روح التسامح مع الآخرين بين مختلف الأديان قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾⁽³⁾ وقال أيضاً: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ۚ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾⁽⁴⁾ وقد أقر الإسلام التعددية الدينية والثقافية، وأصبحت هذه التعددية من

1 - المعجم العلمي للمعتقدات الدينية، ترجمة وتعريب، سعد الفيشاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 2007م، ص636.

2 - سورة البقرة، الآية (285).

3 - سورة العنكبوت، الآية (46).

4 - سورة الكهف، الآية (29).

العلامات المميزة في التعاليم الإسلامية⁽¹⁾ فالتسامح الديني يسعى للتعايش بين مختلف الأديان وممارسة الشعائر الدينية بحرية دون تعصب أو كراهية.

2- التسامح في العادات والتقاليد والأعراف: وهو يعني تقبل الآخر باختلاف أعرافهم وألوانهم وعاداتهم وتقاليدهم، ونبذ ثقافة التمييز العنصري فكل مجتمع من المجتمعات البشرية على مستوى العالم لها عادات وتقاليد متعارف عليها توارثتها الأجيال وهي تختلف من مجتمع لآخر، والإسلام بدوره حث على التسامح في العادات والتقاليد والتعامل معها بكل رحابة صدر وتسامح دون تعصب.

3- التسامح في العبادات: وهو من مظاهر التسامح وحث ديننا الإسلامي على التسامح في العبادات كالمرض في الصيام والصلاة وكذلك المسافر في السفر (الجمع والقصر والإفطار في رمضان)⁽²⁾.

4- التسامح في المعاملات: حث الإسلام على المسامحة والتسامح مع الغير في المعاملات المختلفة، وذلك بتيسير أمورهم وعدم قهرهم، ذلك لأن حكم التسامح مع الغير واجب كما نصت عليه الشريعة كالإنصاف في المعاملة والرفق في المجادلة مع الآخر وكف الأذى، والعفو عن الناس وعن زلات الآخرين، قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾⁽³⁾.

5- التسامح الفكري والثقافي: ويعني به احترام الفكر والتأدب في الحوار والتخاطب وعدم التعصب ونقيضه اللاتسامح الفكري، ويعني به تقييد حرية حق التفكير والاعتقاد وذلك بوضع قيود تمنعهم من ممارسة حقهم في ذلك إلى جانب فرض عقوبات على من يتجرأ التفكير خارج ما هو سائد في المجتمع وهذا ما كان سائد

¹ - محمد حمدي زقروق، التسامح في الإسلام، مجلة التسامح، العدد 1، 2003م، ص12.

² - صحيح البخاري، كتاب تقصير الصلاة، باب ما جاء في التقصير، (1080) ص264، باب الجمع في السفر، (1106)، ص268، كذلك كتاب الصوم، ص456.

³ - سورة النور، الآية (22).

في أوروبا أيام الطغيان الكنيسي⁽¹⁾ ويقصد بالتسامح الثقافي قبول واحترام القيم والتقاليد الثقافية المختلفة أو عدم التمسك بالقيم والتقاليد الخاصة⁽²⁾.

1- التسامح المدني أو السياسي: يتعلق بالمذاهب السياسية والقوى الفعالة داخل الدولة ويطلق على موقف الدولة من الأديان الأخرى ويقصد به ضمان حريات الأفراد والجماعات سياسياً وذلك تحقيقاً لمبدأ حق الحرية والديمقراطية مكفول للجميع، ويتم التعبير عن التسامح السياسي في إطار الحقوق والواجبات وفقاً لتصورات سياسية معقولة عن العدالة تشمل في نطاقها حتى الحرية الدينية⁽³⁾، «وهو من صميم الديمقراطية الحرة بل هو النتيجة الحتمية المباشرة لحرية الفكر للتنظيم الذي يؤمنه النظام الديمقراطي

¹ - عبد المحسن شعبان وآخرون، مفهوم التسامح في الأديان السماوية، بيت الحكمة، بغداد، (د.ط.)، 2010، ص58.

² - عبد المحسن شعبان، مفهوم التسامح في الأديان السماوية، ص60.

³ - جون رولز، قانون الشعوب وعودة إلى فكرة العقل العام، ترجمة، محمد خليل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، (د.ط.)، 2007، ص202.

من التسامح: *المبحث الرابع-علاقة الفلسفة بالتسامح وموقف جون لوك

أولاً-علاقة الفلسفة بالتسامح:

سجل مفهوم التسامح حضوره في الحضارات القديمة ولا سيما في الحضارة العربية الإسلامية فكان له الحضور العميق في التجربة الإنسانية، كما احتوته الفلسفة واحتضنته في العديد من الجوانب الأساسية في حياتنا منها الدينية والسياسية والأخلاقية والاجتماعية، وكذلك القانونية والاقتصادية وكانت هذه الجوانب جميعها بمثابة مقومات للفلسفة، فكان مفهوم التسامح من القيم التي احتلت مكانة بارزة في فكر الفلاسفة وأبحاثهم، وفي البداية يتوجب علينا أن نوضح بالتعريف مصطلح الفلسفة ومصطلح التسامح بشكل منفصل حتى يتسنى لغير المتخصص فهم العلاقة بينهما.

الفلسفة (Philosophy) لفظ مشتق من اليونانية أصله (فيللا- صوفيا) ومعناه محبة الحكمة ويطلق على العلم بحقائق الأشياء⁽¹⁾. والفلسفة

* - جون لوك: فيلسوف إنجليزي من ممثلي النزعة التجريبية في إنجلترا، ولد بمقاطعة سمرست في 29 / Augusts / 1632م ، بإنجلترا أثناء حكم الملك شارل الأول، وتوفي في اسكس 1704م ، كان أبوه محامياً وقد اشترك في الدفاع عن البرلمان حين اندلعت الحرب الأهلية فنشأ جون لوك على حب الحرية وظل متعلقاً بها فكانت هذه البيئة العامل الأساسي في تفتح عقلية لوك فيما يتعلق بالأفكار السياسية التي كانت سائدة في عصره؛ كان جون لوك مهتماً بالصراع الديني الذي كان سائداً في أوروبا كما كان ملتزماً بالتسامح ومن ذلك توجه فكره إلى الاشتغال بالسياسة، نشر رسائل في التسامح جاء فيها أنه ليس من حق أحد أن يقتحم الحقوق المدنية والدينية باسم الدين، درس الفلسفة في أكسفورد أهتم بدراسة الفلسفة اليونانية وفلسفة الأخلاق، كما أهتم أيضاً بدراسة العلوم الطبيعية، ودراسة الطب، إلا أن أكبر اهتمامه كان في المجال الفلسفي أكثر من الطب والعلوم الطبيعية. ينظر، عزمي إسلام، جون لوك، دار الثقافة، القاهرة، (د.ط.)، (د.ت) ص7.

¹ - جميل صليبا، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، لبنان ، ج2 ، ط2 ، 1973م ، ص160.

مصطلح قال به أرسطو وأطلقه على العلم الإلهي، وسماه بالفلسفة الأولى، لأنه يبحث في الأسباب القصوى، والمبادئ الأولى، والموجودات⁽¹⁾ وفي الفكر الإسلامي يعرفها ابن سينا بأنها هي التي موضوعها المطلق بما هو موجود مطلق، فالفلسفة إذاً هي البحث في حقائق الأشياء كلها ومعرفتها وهو التعريف العام لها والذي بقي ملازماً لها حتى يومنا هذا، وإن كانت مهمتها الأساسية هي البحث عن حقائق الأشياء، فهذا لا يعني امتلاكها فهي بالضرورة تتسم بالنسبية وتتعترف بالتعدد والاختلاف، وحرية التفكير والتجديد وكذلك قبول الآخر مهما كان تفكيره فهو اعتراف بالآخر وبالاختلاف⁽²⁾، وهذا هو المعنى الحقيقي للتسامح وبناءً على ذلك من الناحية المبدئية فإن الفلسفة هي البوتقة التي ينصهر فيها التسامح بامتياز، ولا نريد أن نقف طويلاً في الحديث عن هذه العلاقة إذ لا يسعنا المجال هنا الحديث عن علاقة الفلسفة بالتسامح وأهميتها بشكل واسع فالحديث عنها يحتاج إلى عرض مسهب ولا ينتهي فهذا البحث محدود الورقات إذ يتطلب الأمر الدراسة والبحث الموسع حتى نصل إلى حقيقة ثابتة لمدى الارتباط الوثيق بينهما ونظراً لما تطلبه الضرورة في بحثنا هذا وجب علينا أن نبين العلاقة بين الفلسفة و التسامح بشكل مختصر ولكن دون الإخلال بمحتوى العلاقة بينهما. وبعد أن وضعنا ذلك أي مفهوم التسامح وعلاقته بالفلسفة بشكل مختصر يجب علينا أن نبين كيف نشأ مفهوم التسامح في الفكر الغربي.

¹ - إبراهيم مذكور ، المعجم الفلسفي الصادر عن مجمع اللغة العربية ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة ، (د.ط) 1979م ، ص138، 139، أيضاً المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ص162، كذلك ينظر مراد وهبه وآخرون، المعجم الفلسفي، القاهرة ، ط2، 1971م، ص163.

² - محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1997م، ص20.

ثانياً- نشأة التسامح في الفكر الغربي:

نشأ مفهوم التسامح في الفكر الغربي الأوروبي كردة فعل على حالة الصراع والحروب الدينية التي كانت سائدة في أواخر القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، ثم اتجه بعد ذلك كمبدأ لإنهاء حركة الصراع الطائفي الديني حيث عاشت أوروبا (في عهد لويس التاسع عشر) اضطهاد ديني وطغيان كنيسي ظهرت معالمه في محاكم التفتيش التي شرعت في الاضطهاد الديني وكانت أسوء الحوادث المعبرة عن التعصب الديني في تلك الحقبة مذبحه سان بارثلميو st Bartholomew في عام 1572م وهي المذبحة التي تم فيها تصفية (البروتستانت) وذهب ضحيتها آلاف الضحايا المدنيين⁽¹⁾ وأدى التعصب الديني والاضطهاد الكنيسي في أوروبا إلى ظهور اتجاهين على الساحة الفكرية في تلك الحقبة، وهما:

الاتجاه الاول- يرى أنه من الصعب توحيد النصارى لأنه كل منهم يحمل رؤى مختلفة ولكن يمكن بقاء الاختلافات في المعتقدات وفي أشكال العبادة بين النصارى.

الاتجاه الثاني- هو الاتجاه الذي يدعو إلى التسامح ونبذ التعصب المذهبي لكل المعتقدات النصرانية وهو الاتجاه السائد في أواخر القرن السابع عشر⁽²⁾، وبذلك تظهر بدايات نشأة مصطلح التسامح في القرن السادس والسابع عشر بفضل جهود مفكري وفلاسفة عصر التنوير ثم نما وانتشر في القرن الثامن عشر كحقيقة فلسفية مفادها ضرورة قبول الآخر والاعتراف بحقوقه.

¹ - توفيق الطويل، قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، القاهرة ، الزهراء للإعلام العربي، 1991م ، ص 80، 97.

² - E.K.Bramsted and k.j melhuish,wester liberism (New york,longmanInc,1978) p111-115.

ثالثاً - موقف جون لوك من التسامح:

في بادئ الأمر نود الإشارة إلى أن جون لوك عاش في فترة صراع طائفي كان له تأثير على واقع الحياة الفكرية والسياسية في أوروبا خلال القرن السابع عشر الميلادي، والتي دفعت أوروبا ثمنه العديد من الدماء، وكان لهذا التأثير الفضل في ظهور العديد من الأفكار والآراء بدأ بكتابات المفكرين التي كان في مقدمتها جون لوك حيث كتب ثلاث رسائل حول التسامح كلاً منهما تحمل أفكار مميزة حول مفهوم التسامح وإن كانت تحمل نوعاً من التعصب واللاتسامح ولكن تبقى المنطلق بل البدايات الأولى لظهور مفهوم التسامح في المجتمع الغربي أو (الثقافة الغربية).

إلا إن من الدوافع وراء تعدد رسائل لوك حول التسامح هو أفكاره في رسالته الأولى عن التسامح التي قُبلت بهجوم عنيف والتي دعا فيها إلى القول إنه ليس من حق أحد أن يقتحم الحقوق المدنية والدينية باسم الدين، وبسبب ذلك ألف رسالته الثانية، ثم لحقتها برسالته الثالثة ما بين عامي (1661 - 1662) دعا فيها إلى نبذ التعصب والتأكيد على الحرية الدينية، كما تحدث فيها عن حرية العقل والفعل ويؤكد فيهما على أن التسامح ما هو إلا اسم آخر للعصيان والفوضى حيث يقول لوك: «إن كل الأفعال المنسوبة، مهما كان نوعها، تقع تحت سلطة من وُكِّل إليه التصرف في حرية وحفظ بل وحياة كل فرد من أفراد الرعية»⁽¹⁾ إلا إنه لم يستمر طويلاً على هذا الموقف، وفي سنة 1667 كتب "بحثاً في التسامح" Essay on Toleration، وكان هذا البحث بداية الطريق إلى اعترافه بهذه الفضيلة، كما كان هذا البحث بواكير الدعوة لضرورة فصل الدين عن الدولة وأكد فيه أنه « لا

¹ - ورد في نشرة hilip Abrams للمبشرين، في الحكم، كميرج سنة 1967، ص 230، نقلاً عن عبد الرحمن بدوي، جون لوك، رسالة في التسامح، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ص 41،42.

ينبغي للحاكم أن يتدخل ويؤمن السلام المدني وممتلكات رعيته، فليس للحاكم أي سلطة على الرعية فيما يتصل بالدين، لأن أمور الدين تخص الفرد والله فقط»⁽¹⁾، ولم يكتفِ لوك بذلك فقد توالى كتاباته وأبحاثه ومقالاته حول التسامح، وبعد بحثه الأول سجل ملاحظات عن التسامح في مذكرة؛ بعنوان: "التسامح Toleration" سنة 1679. تضمنت هذه المذكرة حججاً؛ ثم تأتي بعد ذلك مرحلة الدعوة الصريحة والواضحة إلى التسامح وذلك في "خطاب حول التسامح Epistola de Toleration" سنة 1689. والذي عرض فيه مفهوم التسامح بشكل واضح كما يعرفه قانون الكنيسة الكاثوليكية، ودعا فيه إلى ضرورة الفصل بين الدولة والكنيسة وذلك من خلال الحديث حول حدود سلطة الحاكم قائلاً: «إن الدولة تكونت لغرض المحافظة على خيرات الناس المدنية وتمييزها كسلامة البدن وحمايته ضد الأثم وامتلاك الأموال»⁽²⁾ أي أن الدولة مهمتها الأساسية المحافظة على حقوق الأفراد ولا علاقة لها بالمعتقد الديني.

واستناداً لما تقدم يمكن القول إن آراء لوك وأفكاره التي طرحها في رسائله حول مفهوم التسامح قد أسهمت بشكل واضح في تقديم رؤية شاملة لقيمة التسامح انطلقت من ضرورة فصل الدين عن الدولة (أي فصل الدين عن السياسة) والتي أصبحت فيما بعد وحتى وقتنا الحاضر شعاراً للمفهوم الليبرالي، وهو شعار بعيد كل البعد عن الرؤية الإسلامية التي تقر بتطبيق الشرع في الأحكام والمعاملات المدنية والدنيوية، ولما كانت الحرية والمساواة بمثابة الهدف العام الذي يسعى لتحقيقه لوك من مقالاته عن الحكومة المدنية الذي تطرق إليهما في نظريته السياسية، كان الدفاع عن الحرية الشخصية، وخاصة فيما يتعلق بحق العبادة والحرية الدينية هدفه

¹ - جون لوك، رسالة في التسامح، ترجمة وتعليق، عبدالرحمن بدوي، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1، 1988، ص44.

² - جون لوك، رسالة في التسامح، ص70.

من نشر خطابه في التسامح، ولقد اعتمد لوك في نظريته عن التسامح على عدة أدلة والتي كان من بينها، الدليل الخلفي والذي أقر فيه لوك حق الاعتقاد لكل فرد.

أولاً- أدلة التسامح عند جون لوك:

1- الدليل الخلفي: والذي يقر فيه أن كل فرد له حرية الاعتقاد بأي معتقد وأن يؤمن بملء إرادته دون خوف أو تردد، وأن تكون الحرية الدينية والشخصية مكفولة للجميع⁽¹⁾، وهذا يعني أن لوك يقر بحق الأفراد في الإيمان والاعتقاد وليس للكنيسة أي سلطة في ذلك أو أن تضطهد أي شخص بسبب عقيدته، كما أنه ليس لأي دولة الحق في ذلك فالكنيسة ما هي إلا جسماً يقوم بالتنظيم الإرادي للمجتمع من الناحية الدينية والروحية كذلك الدولة ليس لها الحق في أن ترغم الأفراد على اعتناق عقيدة معينة ولا يحق لها التدخل في عباداتهم أو مذاهبهم كما لا يحق لها أن تتحيز لمذهب دون آخر.

2- الدليل المعرفي: ربط جون لوك الدليل المعرفي بفلسفته ونظريته في المعرفة لذلك نجده يذكر في كتابه مقالة في العقل البشري إن حدود المعرفة الإنسانية ضيقة واحتمال الخطأ كذلك فيها كبير وخاصة فيما يتعلق بالأمور التأملية بحيث أننا لا يمكننا أن نجزم يقيناً بأية حال وخاصة فيما يتعلق بالأمور الدينية بأنها صحيحة قطعاً، بينما آراء الآخرين خاطئة فلو كان الأمر كذلك أي من الصعب أن ندرك اليقين في معرفتنا الروحية، كذلك من الصعب أيضاً أن نتعامل على الآخرين لمجرد أنهم لا يعتقدون في آرائنا⁽²⁾.

هذه مجمل أدلة لوك على فكرة التسامح من الجانب الديني وحرية الرأي والاعتقاد والذي أقر فيها بوضوح التسامح مع الأديان الأخرى على السواء أو الاقتصار على

¹ - عزمي إسلام، جون لوك، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ط)، ص212.

² - sterling,p.lamprecht,look-'s edition, New York,1956) p46.

selections.(Scribner

بعضها دون البعض وعلى الرغم من التوسع في مفهوم التسامح إلا أن لوك استثنى من تسامحه بعض الفئات الأخرى من الأفراد نذكر منهم كما جاء في رسالته:

الفئة الأولى هي فئة الملحدين: فئة لا تدخل في حيز التسامح بالنسبة لجون لوك وذلك لأسباب علمانية غير دينية، إذ أنه لا يمكن لأي إنسان أن يكون أخلاقياً إلا إذا كان يؤمن بوجود الله لأن من يخاف الله يوفى بالوعد، فكيف نثق في من لا يخاف الله، ومن لا يخاف الله لا بد من أن يأت يوماً ما ويغش الحكومة، وبذلك لا يجب أن نثق في الملحدين؛ لأنهم أشد خطراً على الدولة بل هم الخطر الأكبر الذي يهدد الدولة والحكومة يقول لوك: «لا يمكن التسامح على الإطلاق مع الذين ينكرون وجود الله فالوعد والعهد والقسم، من حيث هي روابط المجتمع البشري، ليس لها قيمة بالنسبة إلى الملحدين، فإنكار الله حتى لو كان بالفكر فقط، يفكك جميع الأشياء، هذا بالإضافة إلى أن الملحدين الذين يدمرون كل الأديان ليس من حقهم أن يستندوا إلى الدين لكي يتحدوا»⁽¹⁾

أما الفئة الثانية: فهم كل شخص تتضمن عقيدته الدينية الولاء لسلطة خارجية أجنبية، ويقصد بذلك الكاثوليك فلا تسامح معهم لانهم في نظره يدينون الولاء للأمير الأجنبي ويخضعون لسلطة خارجية أجنبية وبهذا فكل كاثوليكي ولأته يكون لسلطة خارجية ومع أنهم أقل خطراً من الملحدين إلا أنه وبالرغم من ذلك قد رفض لوك تسامح الكاثوليك .

والفئة الثالثة: هم الأفراد الذين لا يتسامحون مع معارضيتهم في حين أنهم يطلبون التسامح من الغير ويتساءل عنهم قائلاً: « هل من الصواب أن يتسامح المجتمع بالنسبة لآراء البعض الذين لو أتاحت لهم الفرصة وأوتوا قوة وسلطاناً إن يظهروا

¹ - جون لوك رسالة في التسامح، ترجمة، منى أبو سنة، تقديم ومراجعة، مراد وهبة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 1997، ص57.

مثل هذا التسامح؟»⁽¹⁾ وفي هذا يرى جون لوك بأنه ينبغي على الحاكم بأن لا يتسامح مع الأفراد الذين تكون آراءهم مخالفة أو مضادة للمجتمع الإنساني والقواعد الأخلاقية الضرورية؛ لأن هؤلاء دائماً على استعداد للمواجهة الكنيسة التي تحرمهم حقوقهم لذلك لا تسامح ولا تساهل مع من يخطي بأخلاقه وتصرفاته وحين تحدث جون لوك عن هذه الفئة فهو يشير مرة أخرى بوضوح إلى كنيسة روما والكاثوليك⁽²⁾، ولم يقف لوك عند ذلك، بل رأى أن التسامح هو معيار وجود المجتمع المستقر، ومن غير إقرار مبدأ التسامح وحرية المعتقد لا يمكن أن يوجد هذا المجتمع، كما أنه لا يمكن أن يتحقق التسامح في المجتمع إلا بإقرار الحرية الفردية في الشؤون الدينية، فكل إنسان له السلطة العليا والمطلقة في الحكم على نفسه في أمور الدين، دون تدخل أي سلطة في شئونه الدينية، بهذا يتحقق مبدأ التسامح الفعلي في نظر جون لوك.

وهنا نصل إلى حقيقة مفادها بالرغم من أن جون لوك سبق أبناء عصره في وضع نظرية إنسانية لإنقاذ مجتمعه من حالة الفوضى والصراع الطائفي وكانت فكرته حول ترسيخ قيم التسامح واضحة ومستتيرة إلا أنه لم يستطع أن يقدم فكرة التسامح ويجعلها مطلقة وعامة، وذلك لأنه وضع حدوداً لهذا التسامح وقيده بعدة شروط، فالحاكم يجب عليه أن لا يتسامح مع المعتقدات التي تتنافى مع أخلاق المجتمع وهم الفئة الثانية التي لا تدخل في التسامح، كما أنه يجب عليه أن لا يتسامح مع الكنائس التي تمارس الهرطقة وتتادي بالمحرمات، ولا مع الملحدون ولا أي كنيسة تقدم نفسها على اعتبارها تابعة لحاكم أجنبي، وهو بهذا يؤسس لمفهوم الفكر العلماني وينادي بالحرية المطلقة في تقرير الشؤون الدينية الخاصة.

¹ - Aaron, R. I., John Lock, (Oxford University Press, London, 1937, Pg 49. -

² - منى أبو سنة، مصدر سابق، ص 55.

وفيما يتعلق بأنواع التسامح أشار جون لوك أنواع من التسامح، منه التسامح الديني والتسامح السياسي ومنه أيضاً التسامح الأخلاقي والتسامح الاجتماعي، وما يعنيا بأنواع التسامح عند جون لوك هو التسامح الديني ذلك لأنه موضوع رسالته بالرغم من أن تسامحه في ثنياه سياسي ولكن الظاهر هو تسامح ديني أكثر منه سياسي، ويظهر ذلك جلياً عندما أقر أنه ليس لأي شخص الحق في اقتحام الحقوق الدينية باسم الدين وكذلك الأمور الدنيوية، من هذا المنطلق نادى جون لوك بفصل الدين عن الدولة وبعلمانية الدولة.

وإلى جانب ذلك ميز لوك بين نوعين من التسامح، هما التسامح الشكلي، والتسامح الموضوعي، التسامح الشكلي وهو أن يترك أصحاب المعتقدات الأخرى وشأنها وأن تمارس شعائرها الدينية بحرية دون تعصب، أو إرغام أصحابها على الخضوع لأي سلطة أو هيئة دينية أخرى سواء الدولة أو الكنيسة، أما التسامح الموضوعي فهو لا يقتصر على ترك الأديان والمذاهب الأخرى وشأنها بل هو اعتراف إيجابي بأنها عقائد ومذاهب دينية ممكنة لعبادة الله⁽¹⁾.

خلاصة القول إننا لا ننكر على جون لوك وغيره من فلاسفة عصر التنوير أمثال فولتير وغيره أن فلسفتهم في مفهوم التسامح قد خلقت ثورة فكرية علمية في المجتمع الأوروبي آن ذاك وذلك من أجل التخلص من سطوة رجال الكنيسة وتعصبهم وهيمنتهم على مفاصل الدولة، ونتيجة لهذا الأمر نشر جون لوك رسالته في التسامح تعبيراً عن الثقافة البديلة للتعصب والتطرف الديني الذي كان سائداً في أوروبا والتي عانت منه الولايات ودفعت ثمناً باهظاً جراء ذلك من الحروب والنزاعات، وما شهدته أوروبا أبان ذلك العصر تعيشه اليوم بعض مجتمعاتنا العربية فما أحوجنا اليوم إلى ثقافة التسامح ونحن نعيش في عصر تموج فيه التيارات

¹ - جون لوك، رسالة في التسامح، ص 8.

السياسية المختلفة وما يتبعها من نزاعات وصراعات فكرية حتى أصبح إنسان اليوم يعيش القلق والخوف والتوتر.

واستناداً إلى ما سبق لا بد من التأكيد على أن دعوة جون لوك للتسامح تحمل في طياتها العديد من الإيجابيات وإن كان يتخللها أيضاً العديد من الجوانب السلبية ولكن تظل دعوة تهدف إلى خدمة المجتمع الذي كان يعاني ويلات التعصب والطغيان الكنيسي، ومن جوانبها الإيجابية جعل كل فرد يتحلى بالحرية الإنسانية، كما أنه لا يمكن للكنيسة أن تضطهد أي إنسان بسبب عقيدته، فالحرية حق مكفول للجميع.

أما الجوانب السلبية التي نود الإشارة إليها هي، أن جون لوك جعل التسامح في حدود الدين المسيحي أي أنه محدود ولا يشمل كل الطوائف وذلك عندما قام باستثناء الملحدين والكاثوليك وأقتصر على فئات معينة وهو ما جعله يقع في اللاتسامح، مع ان التسامح يجب أن يشمل جميع الطوائف دون استثناء وهو المتعارف عليه عالمياً، كما أن مفهوم التسامح عند جون لوك سياسياً أكثر منه دينياً فقد قام بإرساء قيم الليبرالية في المجتمع ونادى بالمجتمع العلماني، وذلك بفصل الدين عن الدولة، وهذا لا يمكن لأن الدين هو الطريق الذي يضبط شؤون الأفراد والمجتمعات، بل هو المنهج الذي ينظم حياة الناس، ولو لم يكن هناك ارتباط بين الدولة والدين أي أهمية لما قال الله تعالى في كتابه: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۗ﴾⁽¹⁾ وفي حقيقة الامر مهما تعددت كتابات الفلاسفة والمفكرين الغرب في التسامح فلن نجد للتسامح معنى بالمعنى الحقيقي إلا

¹ - سورة آل عمران، الآية (19).

في الدين الإسلامي والسنة النبوية المطهرة، فالإسلام هو أول الأديان التي دعت إلى التسامح كقيمة أخلاقية وفضيلة إنسانية.

الخاتمة

قدمنا هذه الدراسة من رؤية دينية إسلامية ووجهة نظر فلسفية حديثة، وإن كان يراها البعض لا تخدم المجتمع باعتبار الفلسفة مجال غير مرغوب فيه، ولا نملك السبب لذلك ولكن ما يكفيننا هو محاولة الدراسة والبحث في مفهوم التسامح وفق موروثنا العربي الإسلامي (الكتاب والسنة) وهو موقف الإسلام من التسامح وفي الموروث الفلسفي الحديث (جون لوك نموذجاً) وفي حقيقة الأمر تناولت دراسات لا حصر لها في مفهوم التسامح وأهميته سواء أن كان ذلك في الفكر الفلسفي أو في الفكر الإسلامي من قبل المفكرين العرب وكانت الاجتهادات في هذا الموضوع تقدم صورة واضحة وتمييزة عن مفهوم التسامح وأهميته وتقضي على معظم أشكال التعصب والعنف الذي يشهده العالم في الوقت الراهن، ولكن الأمر الملفت للنظر هو ندرة الدراسات والحلول الجذرية التي تتحدث على تطبيق، ونشر مبدأ ثقافة التسامح بصورة فعلية وواقعية الذي يمكن أن يسهم بشكل فعال للقضاء على حالة التعصب والعنف، وذلك من قبل الدارسين والباحث في هذا المجال داخل مكتباتنا الجامعية، وعليه تأتي هذه الدراسة محاولة متواضعة لبيان أثر التسامح ودوره الفعال في ترسيخ مبدأ الاستقرار والتعايش بسلام في مجتمع متعدد الثقافات، ولعل ذلك يكون فاتحة لدراسات مستقبلية مفصلة حول مفهوم التسامح، وفي هذه الدراسة نصل إلى حقيقة واضحة للجميع وهي أن التسامح الحقيقي نجده في الدين الإسلامي وفي العديد من الآيات والسور القرآنية، وخلصنا إلى عدة نتائج هي:

- كان وما زال الإسلام سنةً وشريعةً منهجاً للحياة وللهداية والمحبة والرحمة والتسامح والمودة والسلام.

- كان الإسلام واضحاً في تناوله لقيمة التسامح وظهر ذلك جلياً وواضحاً في النصوص القرآنية والسنة النبوية فقد تميز بإقراره مبدأ التعددية الدينية والثقافية منذ البداية والشواهد على ذلك كثيرة، فالحرية الدينية مكفولة للجميع وليس هناك إكراه في الدخول للإسلام قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۗ﴾⁽¹⁾ وقال أيضاً: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾⁽²⁾.

-الحوار بين الاديان لا يمكن أن ينجح إلا إذا سادت روح التسامح التي أكد عليها الإسلام وحرص على تطبيقها لأن الأديان جميعها رسائل جاء بها الأنبياء والرسل منزلة من عند الله سبحانه وتعالى.

- يجب تطبيق مبدأ الحوار السلمي فهو الأساس بل القاعدة التي تتبني عليها ثقافة التسامح داخل المجتمع وهو ضرورة من ضرورات الوقت الراهن بين الأمم والشعوب المختلفة، وليس فقط على مستوى الافراد أو الجماعات لهذا يجب أن يمتد الحوار السلمي إلى مستوى العلاقات الدولية.

- فلاسفة عصر التنوير على اختلاف اتجاهاتهم ومناهجهم في بحث مفهوم التسامح نبهوا إلى أهمية إقرار مبدأ التسامح والالتزام به دون الانسياق إلى أي مؤثرات داخلية أو خارجية وقد سبقهم في ذلك سماحة الإسلام .

- والرغم التوسع والتطور لمفهوم التسامح على النطاق الفلسفي الحديث إلا أنه ظل مرتبطاً بمفهوم المحبة والسلام والإحسان وقد جاء به الإسلام قبلهم منذ مئات السنين.

- توسع جون لوك في شرح مفهوم التسامح وتوضيح حقيقته، فقد عبر عن التسامح بأنه نداء للمحبة والرحمة والإحسان للناس عامة. وأن الغاية من التسامح هو القضاء على اللاتسامح ونبذ التعصب والطائفية، ولكنه وقع في اللاتسامح عندما

¹ سورة البقرة ، الآية (256).

² سورة الكهف، الآية (29).

استثنى بعض الفئات، وأن الحاكم يجب عليه أن لا يتسامح مع المعتقدات التي تتنافى مع أخلاق المجتمع، وعليه أيضاً أن لا يتسامح مع الكنائس التي تمارس الهرطقة وتنادي بالمحرمات ولا مع الملحدين.

- بالرغم من أن جون لوك سبق أبناء عصره في إنقاذ مجتمعه من حالة الفوضى والصراع الطائفي فكانت فكرته حول التسامح واضحة ومميزة بل مستنيرة، ولكنه لم يستطع التمسك بالمبدأ الأساسي الذي قامت عليه فكرة التسامح، وهو أن يجعلها مطلقة وعامة، وذلك لأنه وضع حدوداً لتسامح وقيده بعدة شروط.

- أعطى جون لوك الحرية الكاملة للجميع في تسيير أمور حياتهم، فكل شخص له حق الاعتقاد، وهو بهذا يؤسس لمفهوم العلمانية.

قائمة المصادر والمراجع.

* القرآن الكريم.

ثانياً- المصادر والمراجع.

- 1- جون لوك، رسالة في التسامح، ترجمة وتعليق، د/عبد الرحمن بدوي، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988م.
- 2- جون لوك، رسالة في التسامح، منى ابو ستة، مراد وهبه، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1997م.
- 3- توفيق الطويل، قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1991م.
- 4- جون رولز، قانون الشعوب وعودة إلى فكرة العقل العام، ترجمة، د/محمد خليل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2007م.
- 5- شوقي أبو خليل، تسامح الإسلام وتعصب خصومه، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط3.
- 6- صلاح جرار، صور التسامح في الأندلس، مجلة التسامح، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، العدد الأول، 2003م.
- 7- عبد المحسن شعبان وآخرين ، مفهوم التسامح في الأديان السماوية، بيت الحكمة، بغداد، 2010م.
- 8- عزمي إسلام، جون لوك، سلسلة أعلام الفلاسفة، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
- 9- محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1997م.
- 10- محمد حمدي زقزوق، التسامح في الإسلام، مجلة التسامح، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، العدد1، 2003م.

- 11- ول ديورانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ترجمة د/ فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة 6، (د.ت).
- 12- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار القلم، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

القواميس والمعاجم:

- 1- إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، (د.ط)، 1979م.
- 2- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997م.
- 3- أبو الحسن علي بن محمد الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق، محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ط)، 2004م
- 4- أبو الحسن علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، تحقيق، نصر الدين التونسي، القاهرة، ط1، 2007م.
- 5- أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط1، 2002م.
- 6- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار القلم ودار الأرقم، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).
- 7- المعجم العلمي للمعتقدات الدينية، ترجمة وتعريب: سعد الفيشاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 2007م.
- 8- الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر، مختار الصحاح، دار الهلال، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1988م.
- 9- أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد 1، 2، 3، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001م.

- 10- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ج1، ج2، بيروت، 1973م.
- 11- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق/ حسين نصار، مطبعة الكويت، الكويت، ج6،(د.ط)، 1969ف.
- 12- مراد وهبه وآخرون، المعجم الفلسفي، القاهرة ، ط2، 1971م.
- 13- مراد وهبة، مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، مصر، (د.ط)، 1983م.
- 10 Webster s New riverside Dictionary,(Boston, mass: c.hough ton Mifflin –company,1986)
- Aaron, R. I.,John Lock,(Oxford University Press, 1937– London ,

المرأة ومساهمتها في القوى العاملة في المجتمع الليبي

إعداد: د. مريم العجيل إرقية

المقدمة:

إن امتلاك المرأة العاملة للمؤهلات العلمية والكفاءة العالية، ودخولها لكثير من مجالات العمل ورغم ذلك مازالت تواجه العديد من المعوقات في عملها. وتظهر مشكلة هذه الدراسة في الصعوبات التي تواجه المرأة العاملة في التوفيق بين عملها وواجباتها الأسرية، حيث يظهر أثر عمل المرأة العاملة المتروجة في غيابها لفترة طويلة عن المنزل مما ينعكس على الأبناء ورعايتهم، وأحياناً يؤثر في ضعف مستواهم التعليمي وسلوكياتهم، وضعف الاهتمام بالزوج وواجباته، كما ينعكس ذلك سلباً على غياب المرأة العاملة عن عملها بسبب ظروف الأسرة، الأمر الذي قد ينشأ عنه بعض الآثار السلبية في محيط العمل.

وتتميز المجتمع الليبي في السنوات الأخيرة بانتشار التعليم بين النساء وتعدد فرص العمل، وبكثرة مطالب الحياة التي تحتاج إلى دخول المرأة لمختلف الميادين وقد تغير واقع المرأة في المجتمع الليبي تغيراً كبيراً بما في ذلك مسألة عملها ومشاركتها في الحياة العامة، حيث أن المجتمع الليبي لم يعد ينظر إلى عمل المرأة ومشاركتها في النشاط الاقتصادي نظرة سلبية كما كانت الأمور في الماضي، بل بدأت المرأة الليبية تدريجياً تأخذ مكانها في كل مستويات ونشاطات القوى العاملة، ما يعني أن عمل المرأة لم يعد مسألة اختيار وذلك بسبب الظروف الاقتصادية التي تحتاج إلى جهد مشترك بين المرأة والرجل لكي تتم مواجهتها.

وكشف تقرير صادر عن جامعة الدول العربية تحت عنوان "النساء العاملات في ليبيا أكثر من الرجال" تعد "ليبيا هي الدولة العربية الوحيدة التي يوجد فيها رجال عاطلون عن العمل أكثر من النساء، حيث بلغت نسبة البطالة بين النساء في ليبيا

(18%) بينما ارتفعت هذه النسبة إلى (21%) بين الرجال، وأظهر التقرير الذي استند على أرقام وبحوث جمعت سنة (2010) أن هناك فجوة ضخمة بين مستوى البطالة بين الجنسين في ليبيا (1)

وقد أظهر تقرير أعدته اللجنة الشعبية للشؤون الاجتماعية أن معدلات نمو النساء في ليبيا أعلى من معدلات نمو الرجال، وأشار التقرير الذي صدر سنة (2006) إلى أن معدلات نمو المرأة في القوى العاملة أعلى من معدلات نمو نظيرها الرجل؛ وأوضح التقرير أن تشغيل المرأة يتركز في مهن محددة كالتعليم والصحة والإدارة العامة للدولة، بنسبة تصل إلى (88.3% سنة 2006) لافتاً إلى نسبة من يعلن في المهن العلمية والفنية لا يتعدى (5.4%) في نفس العام. (1)

وتسعى الدراسة الحالية للتعرف على مدى مشاركة المرأة في قطاعات العمل المختلفة، ومعدلات مشاركتها في النشاط الاقتصادي، وكذلك تسعى إلى توضيح دخول المرأة إلى سوق العمل وفق القطاعات المختلفة، ومعدلات دخولها وفقاً للتعدادات السكانية المتوافرة.

أهداف البحث:

الوقوف على ظاهرة عمل المرأة الليبية المتزوجة، ورصد الآثار الأسرية المترتبة على عملها في مختلف قطاعات الدولة، ومعرفة المشكلات التي تتجم عن عملها.

¹ - علي الحوات، المرأة والتنمية والعمل في ليبيا، منشورات الجامعة المغاربية، الطبعة الأولى، طرابلس، 2006، ص 164.

¹ - مرجع سبق ذكره، 167.

التعرف على التغيرات التي حدثت على المجتمع والتي تزامنت مع خروج المرأة للعمل، ومدى تأثير هذه التغيرات على حياتها.

محاولة توضيح تطور التشريعات الخاصة بحق المرأة في التعليم والعمل.

توضيح معدلات مشاركة المرأة الليبية في النشاط الاقتصادي وفق اخر التعدادات السكانية المتوفرة في ليبيا.

التعرف على مجالات توزيع المرأة في القوي العاملة، وتوضيح أبرز حقوق المرأة العاملة في التشريعات الليبية.

أهمية البحث:

تظهر أهمية الدراسة في التعرف على أهم الصعوبات التي تواجه المرأة العاملة في حياتها الاسرية والمهنية، والوقوف على أهم التشريعات التي تتعلق بحق المرأة في التعليم والعمل.

وتسعى الدراسة الحالية لتوضيح معدلات مشاركة المرأة من الناحية الاقتصادية في ضوء آخر التعدادات السكانية في ليبيا، وتحاول الدراسة إبراز أهم مجالات توزيع المرأة في القوي العاملة.

تساؤلات البحث:

يحاول هذا البحث الإجابة عن جملة من التساؤلات وهي:

ما مدى تأثير عمل المرأة المتزوجة على حياتها الأسرية اتجاه الزوج والأبناء،

وكذلك ما الآثار السلبية التي تعوق أداء المرأة لعملها على الوجه المطلوب؟

هل خروج المرأة للعمل يحقق لها سعادتها واستقلاليتها؟ وهل تحتاج المرأة للعمل

فعلاً أم مجرد طموح لتحقيق الذات وشغل أوقات الفراغ؟ أم أن العمل هو تحمل

أعباء ومصاريف المعيشة التي تتزايد باستمرار؟

ما أبرز معدلات مشاركة المرأة الليبية في النشاط الاقتصادي وفق آخر التقارير البشرية المتوفرة؟ وماهي أهم مجالات توزيع المرأة في القوي العاملة؟ ما أهم التشريعات الخاصة بحق المرأة بالعمل؟ وما هي الأحكام المنظمة لعمل المرأة وفقاً لهذه التشريعات؟

منهج البحث:

اعتمد هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي من خلال تحليل البيانات والتقارير والمنشورات الإحصائية ذات العلاقة؛ لأن البحوث الوصفية في المجالات الاجتماعية والتربوية تزودنا بمعلومات حقيقية عن الواقع الراهن للظواهر المختلفة.

أولاً: المرأة والتنمية:

تعد مشاركة المرأة في الحياة العامة مرتبطة بظروف المجتمع التي تعيش فيه، وتتوقف درجة هذه المشاركة على مقدار ما يتمتع به المجتمع من حرية وديمقراطية من الناحية السياسية وعلى ما يمنحه المجتمع من حريات اجتماعية للمرأة لممارسة هذا الحق، ولا ينفصل دور المرأة ومشاركتها في التنظيمات الأهلية عن وضعها في المجتمع بصورة عامة، وهو الوضع الذي يحدد بدوره تطور البنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، وأن العلاقة بينهما علاقة جدلية وتفاعلية، فمن غير المعقول أن تتطور أدوار المرأة وتتحدد وتصبح شريكاً كاملاً في المجتمع إلا إذا سمحت مرحلة تطور البنى الاجتماعية والسياسية في هذا المجتمع بذلك وهي بدورها تتأثر بدرجة تحرر المرأة مع حركة المجتمع⁽¹⁾.

إن الإنسان أسير لنظرة المجتمع له وتقويمه لموقعه، وفي المجتمع المحافظ نجد أن نظرة المجتمع لها الوقع الأكبر على المرأة لحساسية وضعها الذي تحكمه

1- عيبر محمد عباس، المرأة والتنمية والمجتمع المدني، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، 2015،

العادات والتقاليد بشكل قد يتجاوز حدود الدين والأحكام الشرعية. ولقد أصبحت مسألة تمكين وتنمية قدرات المرأة اليوم جزءاً أساسياً من عملية التنمية البشرية والتي باتت تشغل الكثير من الباحثين الاقتصاديين والاجتماعيين وغيرهم، لما لها من أهمية بالغة في تطور وتقدم المجتمعات من مختلف جوانب التنمية الإنسانية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، وأصبحت مسألة تمكين المرأة بدءاً من العقديين الأخيرين في القرن الماضي اهتمام الدول والمنظمات الدولية، وفي مقدمتها الأمم المتحدة ومنظمة العمل الدولية والمنظمات الخاصة بالمرأة حيث تبنى المشروع الإنمائي للأمم المتحدة (UNDP) مفهوم التنمية الإنسانية Human Development meant منذ سنة (1990) مع صدور التقرير الأول عن التنمية البشرية في العالم. إن معنى التنمية البشرية هو تطوير الموارد البشرية من أجل توفير الصحة والغذاء والثقافة والتعليم والعمل والحرية والعدالة لأفراد المجتمع بجنسيه (المرأة والرجل) فإن إقصاء المرأة عن المشاركة في التنمية يعنى بالنتيجة حرمان المجتمع من نصف طاقاته البشرية. وهذا ما أكدته تقرير التنمية البشرية لسنة (2002) والذي اعتبر نقص تمكين المرأة من أحد أسباب المشاكل التي تواجه التنمية في البلدان العربية والتي هي بحاجة لكل طاقاته البشرية⁽¹⁾.

وأن وضع المرأة العربية العاملة ما يزال بعيداً كل البعد عن الوضع الأمثل لاستخدام الرصيد البشري العربي، وهو الشرط الأساسي لانطلاق التنمية، وقد صدر تقرير التنمية الإنسانية العربي لسنة (2005) نحو نهوض المرأة في الوطن العربي⁽²⁾ وقضية مشاركة المرأة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية ومساهمتها في مختلف نشاطات المجتمع تحتل مكانة مهمة في اهتمامات الحياة المعاصرة، وهذه القضية اكتسبت أهمية خاصة في البلاد العربية مع تطور الأوضاع السياسية

¹ تقرير التنمية البشرية، مصلحة الإحصاء والتعداد، الهيئة العامة للمعلومات، طرابلس، 2002، ص. 19.

والاقتصادية والاجتماعية، ولما كانت المرأة تشكل نصف عدد السكان وبالتالي نصف طاقة المجتمع الانتاجية، فقد أصبح لزاماً أن تساهم في العملية التنموية على قدم المساواة مع الرجل، وأصبح وضع المرأة في أي مجتمع يعتبر مقياساً لمدى تطور ونمو هذا المجتمع، وتقدم المجتمع مرتبط بتقدم المرأة وقدرتها على المشاركة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وأصبح الاستثمار في قدرات المرأة وتمكينها يعتبر أضمن سبيل للإسهام في النمو الاقتصادي والتنمية العامة⁽³⁾.

أ- المرأة والتنمية في المجتمع الليبي:

إن مفهوم مشاركة المرأة في التنمية يرتبط ارتباطاً مباشراً بهدف التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة، وهو ما يمكن توظيفه في دراسة العلاقة بين المرأة والتنمية، وذلك بالكشف عن أهمية دور المرأة في التنمية، وما هي العلاقة بين متغيرات التنمية وهذا الدور في إطار تجربة التنمية والتحديث في المجتمع الليبي؟ وتتمثل هذه المتغيرات كما تشير دراسات التنمية في العلاقة بين وضع المرأة وقضايا التنمية كالنمو السكاني، وصحة الأطفال والمشاركة في العمل والحصول على فوائد التنمية كالتعليم والخدمات الصحية والاجتماعية، ودراسة العلاقة بين هذه المتغيرات ودور المرأة.

ب- المرأة والتعليم في ليبيا:

يعد التعليم أحد المؤشرات الأساسية لتنمية قدرات المرأة وتطويرها بخصوص أي مجتمع من المجتمعات، ووعيا لذاتها وأدوارها في المجتمع، وإلى جانب ذلك فإن التعليم يكسب المرأة مزيداً من الكفاءات والقدرات التي تساهم في تعزيز دورها في وضع القرارات المتعلقة بمصيرها، وشعورها بمدى أهمية تنظيم الأسرة، ودور

³-عبير عباس، مرجع سبق ذكره ص.9

الاقتصاد المنزلي ومدى أهمية مشاركتها في تنمية المجتمع، وبذلك يعد تعليم المرأة أحد أهم أقطاب التنمية داخل المجتمع.

اهتمت الدولة الليبية اهتماما واضحا بالمرأة خلال مجموعة من القوانين والتشريعات وإزالة القيود التي تحد من تطورها ومشارتها في الحياة العامة، وقد شهد المجتمع الليبي منذ السبعينات وحتى الوقت الحاضر تطورا مهماً في مجال تعزيز أدوار المرأة وتمكينها، حيث تركزت سياسة الحكومة في التعليم على أنه حق لكل المواطنين دون النظر إلى الجنس، وبفرض قانون التعليم سنة (1975) والذي ينص على إجبارية التعليم للأولاد والبنات من عمر 6 سنوات حتى سن 18 سنة، وقد أدى الالتزام الرسمي إلى نمو تعليم البنات في المدارس بالنسبة لتعليم الأولاد، حيث بلغت نسبة التعليم الأساسي للبنات نحو (32%) خلال الأعوام (1969-1970) وارتفعت إلى (49%) خلال (1992-1993) كما ذكرت إحصائيات الأمم المتحدة للأعوام (1990-1995) أن نسبة الفتيات في الجامعات قد وصلت إلى (48%)⁽¹⁾.

ووفقاً لإحصائيات أمانة التعليم (سابقاً) بالنسبة لانخفاض مستوى الأمية من النساء الليبيات، فإنها توضح أن نسبة الأمية سنة (1973) كانت (72.2%) للأعمار الأكثر من 10 سنوات، وخلال سنة (1984) انخفضت إلى (47.1%) بالنسبة لنفس فئات العمر، وفي سنة (1992) انخفضت إلى (33%) وقد تطورت معدلات الالتحاق المدرسي للسكان في الفترة من (1995-2006) بشكل واضح في السنوات العمرية من (6-24) وتعكس إلى حد كبير إتاحة الخدمات التعليمية في المجتمع وطبيعة الانتفاع لهذا الخدمات من قبل جميع شرائح المجتمع في تلك الفئة العمرية، حيث إن ارتفاع معدلات الالتحاق بين السكان في هذه الشريحة

1-تقرير التنمية البشرية، 2009 مرجع سبق ذكره، ص119.

2 -مرجع سبق ذكره، ص121.

العمرية من شأنه أن يساعد على محاربة الأمية بين الفئات العمرية الصغيرة، ويؤدي إلى ارتفاع معدلات الالتحاق بين السكان، وهذا يساعد على محاربة الأمية، وهو أحد مؤشرات التنمية الموجهة نحو الإنسان (2).

وفي عقد الثمانينات شهدت نسبة الإناث في التعليم المتوسط نمواً مطرداً، وأن هذه النسبة بدأت تتخطى نسبة الذكور في هذه المرحلة شيئاً فشيئاً مع مرور السنوات وإلى حد الآن، وفي مرحلة التعليم الجامعي بدأت نسبة الإناث تتخطى نسبة الذكور منذ أوائل عقد التسعينات. وذلك بالرغم مما تظهره إحصاءات التعليم الأساسي من عدم وجود أي زيادة في عدد الإناث عن الذكور. وأن هذه المرحلة هي المصدر الأساسي للتعليم المتوسط والعالي الذي يشهد منذ عدة سنوات ارتفاعاً كبيراً في نسبة الإناث مقارنة بالذكور.

وهذه الزيادة في عدد الإناث إما أن الذكور يدخلون سوق العمل في سن مبكرة مقارنة بالإناث من خلال اتجاههم للتدريب والتكوين المهني. أو أن معدلات التسرب بين الذكور هي أعلى مقارنة بالإناث في مراحل التعليم المتقدم (1).

حيث تبين من الدراسات والإحصاءات أن تطور الهرم التعليمي في ليبيا من سنة (1995) إلى سنة (2006) كانت حسب الآتي:

جدول رقم (1) يوضح تطور الهرم التعليمي خلال الفترة (1995-2006)

2006	2001	1995	المرحلة
61.1%	62.2%	70.3%	تعليم وتدريب أساسي
23.2%	19.7%	22.4%	تعليم وتدريب متوسط
15.7%	18.1%	7.3%	تعليم وتدريب عال

المصدر: الهيئة العامة للمعلومات، مصلحة الإحصاء والتعداد، 2012.

1- تقرير ليبيا حول التنمية البشرية، 2009، مرجع سبق ذكره، ص 42.

والجدول التالي يوضح معدل الالتحاق الصافي للإناث في سنة (2007) وتم الحصول على هذه البيانات من الملحق الإحصائي لملاحم التنمية في ليبيا سنة (2009).

جدول رقم (2)

معدل الالتحاق الصافي للإناث

معدل الالتحاق الصافي للإناث في كل من:		
94.6%	2007	تعليم أساسي
93.9%	2007	تعليم ثانوي
46.4%	2007	تعليم عالي

المصدر: الهيئة العامة للمعلومات مصالحة الإحصاء والتعداد، طرابلس، 2012.

وحق المرأة في التعليم قد نص عليه الإعلان الدستوري حيث أكد على أن التعليم حق وواجب على الليبيين جميعاً، وهو إلزامي حتى نهاية المرحلة الإعدادية، وتكفله الدولة بإنشاء المدارس والمعاهد والجامعات والمؤسسات الثقافية والترفيهية ويكون التعليم فيها مجانياً، فلكل إنسان الحق في اختيار التعليم الذي يناسبه والمعرفة التي تروقه دون توجيه أو إجبار⁽¹⁾.

وإن خروج المرأة للعمل في المجتمع العربي الليبي كان بفضل حصولها على حقها في التعليم والذي ساعدها على نيل حقوقها السياسية والاجتماعية، ولذلك فقد كان للتحويلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في المجتمع الليبي المعاصر تأثيرها الواضح على وضع المرأة الاقتصادي والاجتماعي من حيث نظرة المجتمع إلى عمل المرأة، ونظرة المرأة إلى مشاركتها في القوى العاملة.

¹ - مرجع سبق ذكره، ص120

وقد عمل عدد من الليبيين الذين عملوا في مجال التدريس خلال أربعينات وخمسينات القرن العشرين إلى جانب ذلك العدد الصغير من السيدات الأوائل اللاتي تعلمن في الخارج دوراً هاماً في إقناع أولياء الأمور بجدوى تعليم البنات. ونظراً للتغير الهائل الذي طرأ على القيم الاجتماعية وعلى نظرة الناس اتجاه تعليم المرأة. وخصوصاً بعد أن بدأت الفوائد العملية للتعليم تظهر للعيان والمتمثلة في سهولة الحصول على عمل لكل من حصل على أي مستوى من التعليم، فالبعض ممن أتم التعليم الابتدائي ولم ينل شهادة إتمام المرحلة حصل على وظيفة كتابية وأصبح مدرساً.

قد لعب التحول الذي حدث بعد ذلك في تقدير الليبيين لقيمة تعليم الإناث دوراً مهماً في انتشار تعليم هذه الفئة من السكان، وقد ارتفعت بسرعة فائقة وصلت في سنة (1950-1951) إلى (11%) من مجموع الطلاب في كل المراحل، وفي منتصف عقد ستينات القرن العشرين وصلت النسبة (26%) وتوالى التحاق الإناث بالتعليم في كل أنحاء البلاد، وفي منتصف العقد السابع من القرن العشرين إلى (43%)، تم وصلت هذه النسبة في مطلع الألفية الثالثة إلى الخمسين في المائة.

وجاء افتتاح الجامعة الليبية في العام الدراسي (1955-1956) محطة طبيعية في مسيرة التعليم حيث صدر أول قانون شرع لإنشاء التعليم الجامعي محلياً بعدد (31) طالب كلهم من الذكور، وكان على الفتاة الانتظار إلى رابع دفعة لتلتحق بها أول فتاة ليبية، ثم تليها فيما بعد عشرات الطالبات ثم المئات ثم الآلاف، وقد ساعدت سياسات التعليم في الارتفاع السريع في معدلات الإناث في التعليم الجامعي⁽¹⁾.

1- مصطفى عمر التير، المرأة والتحديث في المجتمع الليبي دار الرواد، 2014، ص 39-41.

ويمكن القول: أن المرأة اللببية لم تعد أمامها عقبات واضحة تحول دون مشاركتها في أي مجال من مجالات التعليم لتسهم في بناء المجتمع إلى جانب الرجل، فالتشريعات والإجراءات الإدارية أزلت من طريق المرأة الكثير من العقبات المرتبطة بالثقافة التقليدية، إلا أن الأمر أصبح يتوقف على مجهودات وتطلعات المرأة ذاتها، فكلما أخذت بزمام المبادرة بالعمل الجاد لترجمة القرارات إلى واقع عملي، كلما أمكن من إحداث تغييرات جوهرية في مكانتها الاجتماعية، وفي دورها الاجتماعي. ولكن يظل السؤال الأهم في ظل هذا الازدياد النابع من انحسار مشاركة المرأة في التنمية ضمن نظرة المجتمع ووضع المرأة.

جدول رقم (3)

يوضح تطور التعليم الجامعي - القطاع العام

السنة	عدد الطلاب	نسبة الإناث %	عدد الجامعات	عدد الطلاب لكل 1000 من السكان
56/55	31	00	1	0.03
61/60	729	3.3	1	0.54
66/65	1891	9	1	1.21
71/70	5198	11	1	2.81
76/75	13417	18	2	6.03
81/80	19453	22	3	7.12
86/85	36600	28	11	11.00
91/90	62227	42	13	15.73
96/95	129173	44	14	28.44
99/98	16547	47	14	32.00
002/001	222976	50	13	43.00
011/010	311846	61	13	48.55

المصدر: المركز الوطني لتخطيط التعليم والتدريب، طرابلس، 2010.

هل علاج هذا الانحسار يكمن في المساهمة وبشكل فعال في تغيير الكثير من العادات والقيم مهما بلغ بطء هذا التغيير؟
جدول رقم (4) يوضح توزيع السكان الذين أعمارهم 10 سنوات فأكثر حسب الحالة التعليمية والنوع ونوع التجمع السكاني على شكل نسب مئوية:

المجموع		ريف		حضر		مستوي التعليم
إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	
18.67	6.78	58.23	9008	17.84	6.39	أمي
1.09	1.23	1.43	1.50	1.04	1.18	يقراً فقط
10.72	10.55	12.29	12.32	10.45	10.26	يقراً ويكتب
18.14	20.23	18.51	21.15	18.07	20.08	ابتدائية
18.18	20.85	17.26	21.01	18.33	20.83	إعدادية
14.38	15.45	12.92	15.76	14.62	15.40	معهد متوسط
11.84	14.61	10.07	11.77	14.12	15.09	ثانوية أو ما يعادلها
6.93	9.71	3.93	7.08	7.44	10.15	جامعية
0.06	0.57	0.00	0.32	0.07	0.61	دراسات عليا
100.00	100.00	100.00	100.00	100.00	100.00	المجموع

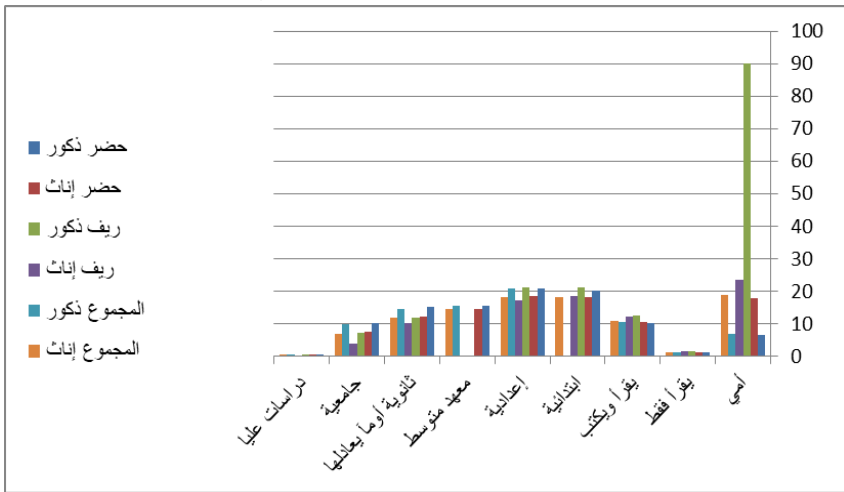
المصدر: الهيئة العامة للمعلومات، مصلحة الإحصاء والتعداد، طرابلس، تقرير التنمية البشرية، 2002.

فلم يعد عمل المرأة مجرد مساهمة أو ترفيه أو كسر أوقات الفراغ بل أصبح حاجة ملحة لكي تستمر الحياة، فمرتب الرجل لم يعد يكفي لسد احتياجات الأسرة، حيث تعتمد أسر كثيرة على مرتب الرجل والمرأة معاً⁽¹⁾.

¹ - فاطمة عبد السلام بالنور، الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية للمرأة، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2007، ط1، ص390.

• المصدر بني على بيانات وردت في نشرات صادرة عن اللجنة الشعبية لشؤون الخدمات، المركز الوطني لتخطيط التعليم والتدريب ولم تتضمن بيانات الجامعة الدينية التي تواجدها في منتصف الستينيات ثم ألغيت في مطلع العقد السابع من القرن العشرين.

رسم بياني رقم (1) يبين التوزيع النسبي للسكان الذين أعمارهم 10 سنوات فأكثر حسب الحالة التعليمية والنوع ونوع التجمع السكاني



د- المرأة والسياسية:

الأطر التشريعية والقانونية الدولية المنظمة للمشاركة السياسية للمرأة:

صدر ميثاق الأمم المتحدة في سنة (1945)، كما صدر في سنة (1948) الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. نصت هاتان الوثيقتان الهامتان على المساواة بين المرأة والرجل، إلا أن أول اتفاقية بشأن منح المرأة الحقوق السياسية هي التي أقرتها منظمة الدول الأمريكية في (5/2/1948) أي قبل صدور الإعلان العالمي بأشهر ودخلت حيز التنفيذ في (22/4/1949)

وفي "سينيكافاللز" في نيويورك الأميركية، ثم الإعلان عن ذلك في مؤتمر نادي بعدالة حقوق المرأة وبمنح المرأة حق التصويت لأول مرة وشارك في هذا المؤتمر 260 امرأة و40 رجلاً وكافة المواثيق الدولية ابتداءً من إعلان حقوق المرأة السياسية لسنة (1952) ومروراً بالاتفاقية الدولية للقضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة سنة (1989) وانتماء لكافة للتوجهات الدولية الحالية تساوى بين المرأة والرجل

فالتمتع بكل الحقوق السياسية المختلفة سواء تلك الواردة في القانون الدولي العام أو الواردة في القوانين الوطنية لدول العالم المختلفة مكفول للجنسين.

وقضية عمل المرأة في السياسة تقودنا للحديث عن أن التاريخ والتقاليد وبعض الممارسات الخاطئة على مدار الفترات الزمنية الماضية ربما تكون أبعدت المرأة عن السياسة، واعتبرت السياسة علم الرجال وقضاياها قضاياهم، إلا أن تأصيل مفاهيم صحيحة حول هذه القضية يجعل من الضروري تجاوز النظرة التقليدية والخبرات التاريخية السلبية لإعطاء المرأة حقها في العمل السياسي.

وتعتمد الأمم المتحدة مقاييس خاصة لمعرفة مدى تطور وتقدم الدول تركز أساساً على التنمية البشرية، وتمكين المرأة في الوظائف العامة خاصة القيادية منها، ومشاركتها في وضع القرار السياسي وأصبح دفع المرأة للمشاركة وكأنه واجب للوفاء بالتزامات دولية تصر الدول على التأكيد عليه في مناسبات احتفالية، لذلك لا غرابة في أن تغيب المرأة عن السلطة التنفيذية، والنساء اللاتي نجحن في خوض غمار الحياة السياسية في ليبيا قلائل إذا ما تم مقارنتهن بمجموع النساء من نسبة عدد السكان. ولم تعمم تجربتهن لأن تواجدهن كان بقرار سياسي، ولأن ممارسة السلطة تعتمد في أي دولة على عنصرين أساسيين، العنصر الأول: درجة وعي المجتمع والعنصر الثاني صحة النظام في الدولة⁽¹⁾.

هل التمكين بقرار سياسي حقق للمرأة المكانة وعزز تواجدها؟ أم أن الواقع يؤكد عدم النجاح في تعزيز مكانتها بكرامة؟ وهل يظل الولاء السياسي أو العائلي أو المصلحي أحد الدعائم لتمكين المرأة والرجل بغض النظر عن فاعليتها وقدرتها؟ وهل تتدنى نسبة المشاركة السياسية؛ لأن النساء اللاتي أسندت إليهن أدوار قيادية

1-هالة بوقعيقص ومحمد تنتوش، المرأة في سوق العمل الليبي واقع وتحديات، مركز جسور للدراسات

والتنمية/ 2015، ص.8

² - مرجع سبق ذكره، ص.9.

لم يتمكن من فرض وجودهن وفشلن في أداء المهام الموكلة إليهن بل منهن من عزز النظرة الدونية للمرأة خاصة وأن ممارسة حقوقها تم ترسيخها بتأكد مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة باعتبارها إنسان لها ما للرجل من حقوق وعليه الالتزامات ذاتها ما لم تتعارض مع وظيفتها البيولوجية وهو ما لا يمس بمبدأ المساواة الإنسانية.

وشهدت الحركة النسائية نهضة بعد فبراير 2011 فقد شاركت النساء في كل المراحل الانتقالية رغم كل التحديات التي واجهت النساء في مجتمع يسوده النظام الأبوي والوضع الأمني المتدهور في البلاد، وقادت النساء منظمات الاغاثة والمنظمات المدنية وساهمت في تأسيس الاحزاب السياسية وعضويتها، وشاركت في عملية صنع القرار على مختلف الجهات وساهمت في الحوارات الوطنية ولجان المصالحة بنسب لا تحقق طموحات النساء الناشطات لكنها في نفس الوقت نسب متوقعة في ظل الظروف الأمنية الراهنة.

ويمكن القول: إن الذين شاركوا في انتخابات المؤتمر الوطني العام التي جرت في اليوم السابع من شهر يوليو من سنة (2012)، يعتبرون هذا النشاط السياسي على المستوى الوطني الأول في حياتهن. وقد لعبت سيدات كثيرات أدواراً بالغة الأهمية في الاحتجاجات التي بدأت في بنغازي في شهر فبراير/شباط 2011 وساعدن في تنظيم المظاهرات.⁽¹⁾

في الأيام السابقة على انتخابات يوليو/تموز 2012، عرضت النساء ملصقات الحملات الانتخابية صور المرشحات في المساحات العامة في طرابلس وبنغازي وأماكن أخرى. تم تخريب بعض الملصقات، لكنها كانت ملفتة للنظر في هذا المجتمع المحافظ. وسجلت أكثر من 600 سيدة كمرشحات، ونظمت بعضهن

حملات انتخابية في المدن والبلدات، بل وحتى خرجن في المساء لتوزيع البرامج الانتخابية وللحديث مع الناخبين. ومثلت السيدات 45% من نسبة الناخبين المسجلين، رغم أن نسبة الناخبات المسجلات اللاتي ذهبن فعلاً للاقتراع 39% وكانت أقل بكثير من مثيلتها في حال الرجال. وفي النهاية اختار الناخبون 33 سيدة في المؤتمر الوطني العام البالغ عدد أعضائه 200 عضو.

وقد اعتبرت العديد من الناشطات الليبيات في المجال السياسي أن تمثيل الليبيات في مجلس النواب كان محتشماً مقابل هيمنة الرجل على أغلب المقاعد في البرلمان، الأمر لم يتغير كثيراً فالفارق كبير بين تمثيل المرأة والرجل في عضوية لجان البرلمان الليبي والبالغ عددها 21 لجنة. حيث هيمن الذكور على أغلب المقاعد في هذه اللجان وعلى رئاستها، في حين تراوح تمثيل المرأة بين 4 إلى مقعد واحد في أغلب اللجان وترأسها للجنة واحدة مقابل 21 الاستثناء الوحيد طبعاً كان في لجنة شؤون المرأة والطفل وقد ظفرت المرأة بالنصيب الأوفر، وشغلت 6 مقاعد مقابل مقعدين من نصيب الذكور. وقد ترأست السيدة (سلطنة مسعود بويكر عبد الرحيم) هذه اللجنة.⁽¹⁾

لمحة عن حقوق المرأة العاملة في التشريعات الليبية:

تعد وثيقة الدستور الليبي أيام المملكة وثيقة تقدمية وجاءت بمكتسبات مهمة شجعت على النهوض بدور المرأة في المجتمع، فقد نصت مواد الدستور على حقوق المواطنة كاملة دون أي تمييز، كما نص الدستور على الزامية ومجانية التعليم وفتح المجال للجنسين لمزاولة النشاط التجاري، وزاد تواجد المرأة في المدارس وقادت مبادرات هامة في الأعمال الخيرية والثقافية.

¹ - مرجع سبق ذكره، ص. 13.

² - مرجع سبق ذكره ص. 19.

وقد شهدت المرحلة ما بعد 1969 سيطرة للتوجه القومي الذي ساد المنطقة على أغلب التشريعات الليبية، وأدى ذلك لإصدار العديد من التشريعات المناصرة للمرأة نتج عنها زيادة الاقبال على التعليم والمشاركة في الانتاج والعمل، وتعد من أهم مكتسبات المرأة في هذه المرحلة قانون تعزيز الحرية رقم 20 لسنة 1991 والذي أكد في نصوصه على المساواة بين الرجل والمرأة، كما أكد على حق المرأة في العمل ومنح لها الحق في الدفاع عن الوطن والمساواة في الامتيازات المالية حسب مواد القانون رقم 5 للخدمة المدنية. وفي المرحلة ما بعد 17 فبراير 2017 انحصرت المكتسبات المهمة في صعيد المشاركة والتمثيل السياسي، كما زاد عدد المنخرطات في العمل النقابي في ليبيا وكثرت الاتحادات والروابط المهنية.

ج_ المرأة والعمل والمشاركة في النشاط الاقتصادي:

تعددت الآراء حول النشاط الاقتصادي للمرأة، ومن ثم النظر إلى نشاطها الاقتصادي في ضوء علاقة المرأة بالرجل، وهي علاقة اتسمت عبر العصور الأخيرة وعبر ثقافات متعددة بهيمنة الرجل على المرأة. وفي رأي البعض هي نتيجة لطبيعة الفروق الفسيولوجية بين الرجل والمرأة. لذلك تحملت المرأة مسؤولية الأنشطة التي تتم داخل بيت الأسرة بغض النظر عن الشكل الذي يأخذه هذا البيت. ورغم تباين الآراء حول مشاركة المرأة في النشاط الاقتصادي خارج المنزل، فإن التغيير الاجتماعي والتغيير الثقافي في المجتمعات أحدث تغييرات هامة في نسق القيم.

إن مشاركة المرأة في الحياة الاقتصادية أصبحت اليوم واقعاً ملموساً، ويلاقى مبدأ عمل المرأة خارج المنزل قبولاً واسعاً، ساعد في زيادة عدد المقتنعين في أي مجتمع معاصر بأن مشاركة المرأة في النشاط الاقتصادي أصبح أمراً ضرورياً

للتنمية الاقتصادية، ووصلت نسبتها في القوى العاملة إلى ما يقارب الخمسين في المائة في أكثر من مجتمع. (1)

وقد ساهمت المرأة في النشاط الاقتصادي منذ القدم. فعندما كان مجالي الزراعة والرعي أهم مجالين للنشاط الاقتصادي في المجتمع، فقد أسهمت المرأة بنصيب كامل فيهما إلى جانب واجباتها المنزلية. كما ساهمت بنصيب كبير في الصناعات التقليدية؛ بل تخصصت في بعضها ولم يشاركها الرجل في ذلك. وعندما فتح باب العمل خارج البي خرجت من بيتها، فكانت البدايات محدودة من حيث مجال النشاط وعدد الأنشطة الاقتصادية (2).

ولتحديد واقع عمل المرأة في ليبيا حالياً، واتجاهات مشاركتها في النشاط الاقتصادي، يتطلب الأمر التعرض للموروث الثقافي المتعلق بهذا الشأن، وللإطار التشريعي الذي يحكم عمل المرأة في ليبيا وتطوره، والمجالات والميادين التي تعمل فيها المرأة في الوقت الحاضر وتفضيلها على غيرها من مجالات العمل والنشاط الاقتصادي. وكذلك الإشارة لظواهر جديدة في مجال عمل المرأة مثل سيدات الأعمال وما يرتبط بذلك من مفاهيم جديدة لعمل المرأة، بل وموقفها من الحداثة والتحديث في مجتمعها. وأخيراً التعرض للوجه الآخر لعمل المرأة خارج منزلها.

وينطلق عمل المرأة ونشاطها الاقتصادي في ليبيا من عدة مصادر ثقافية واجتماعية مهمة منها:
التراث الاجتماعي الليبي القديم.

¹ - مرجع سبق ذكره، ص 13.

² - المساواة في ليبيا، تقرير التنمية البشرية، مصلحة الإحصاء والتعداد، الهيئة العامة للمعلومات، طرابلس،

2006، ص. 63.

³ - مرجع سبق ذكره، ص 66.

علاقات السلطة بين الرجل والمرأة تاريخياً.

مفهوم الدولة الحديثة وبناء مجتمع الحدائة (3)

وفى نظر البعض تعيش المرأة الليبية فى داخل دائرة تتفاعل فيها الأبعاد الثلاثة آفة الذكر وآثرها وتداعياتها ونتائجها. ويخضع كل سلوك أو تصرف أو عمل تقوم به بما فى ذلك عملها ونشاطها الاقتصادي خارج منزلها للتقييم، سواء منها أو من الآخرين. ولذلك لا غرابة فى أن نلاحظ أن المرأة الليبية دائماً مترددة. غير واثقة من بعض تصرفاتها ونشاطاتها خارج منزلها، أو داخله لسبب بسيط وهو أن المعايير الليبية الحديثة والقيم الاجتماعية الحديثة لم تصل بعد إلى اتفاق مطلق وتوافق حول عمل المرأة ودورها الحديث فى المجتمع فالبعض يؤيد عمل المرأة والآخر يعارضه، ولكن هذا الآخر محتاج إلى دخل إضافي توفره زوجته أو ابنته من عملها خارج المنزل. وفريق ثالث متردد ليس له رأى واضح مهما كان الأمر.

وتؤكد تحولات الواقع الاجتماعي أن المرأة الليبية تعيش تحولاً اجتماعياً كبيراً لم يسبق له مثيل فى ماضي حياتها. وسينقلها هذا التحول الاجتماعي من حالة المجتمع التقليدي الواضح فى معايير وثقافته، إلى حالة المجتمع الليبي الحديث غير الواضح فى أحكام قيمه الاجتماعية حول المرأة التي لا تزال فى طور التحول نحو حالة المجتمع الحديث. ولا غرابة فى ذلك، فالمجتمع الليبي مثل كل المجتمعات العربية يعيش مرحلة تحول - لم تكتمل بعد - نحو الحدائة.

والمرأة الليبية عندما تعمل فى المنزل أو خارجه تجتهد أن يقبل ما تقوم به اجتماعياً أي يكون متاعماً ومنسجماً مع ثوابت (التراث الاجتماعي والثقافي).

وسعت الدولة الليبية الحديثة إلى تحرير المرأة وتشجيعها للعمل والمشاركة فى النشاط الاقتصادي. والتشريعات الليبية الحديثة مسئولة إلى حد كبير عن مسيرة

المرأة في مجال العمل حيث أكدت هذه التشريعات على المساواة بين الذكور والإناث في الحقوق والواجبات، إلا فيما يتعلق بطبيعة المرأة بصفقتها أنثى، أو ما تحدده الشريعة الإسلامية التي هي ركن أساسي وقاعدة عريضة للتشريعات الليبية ولا يجوز التفرقة بين أجر الرجال والنساء إذا تساوت ظروف وطبيعة العمل⁽¹⁾.

1. دخول المرأة الليبية إلى سوق العمل:

عند دراسة واقع عمل المرأة في ليبيا وتقييم مشاركتها الاقتصادية، لا بد من التوقف عند طبيعة الموروث الثقافي المتعلق بها والأهداف التي حددتها الدولة وبرامجها السياسية ثم طبيعة التشريعات التي أمكن سنها، وردود الفعل المجتمعية لتلك التشريعات ومجالات العمل التي تفضلها المرأة نفسها، ومن المهم أن نستعرض مجالات العمل الرئيسية التي تواجدت فيها المرأة في الماضي، إلى جانب المجالات التي دخلتها مؤخراً، وهذا يتعلق بالتطور الذي حدث في سوق العمل الليبية⁽²⁾.

¹ - مرجع سبق ذكره ، ص 67..

² - المصدر: مادة 31 من قانون العمل رقم 58 لسنة (1965)

جدول رقم (5) يوضح مساهمة المرأة الليبية في قوة العمل

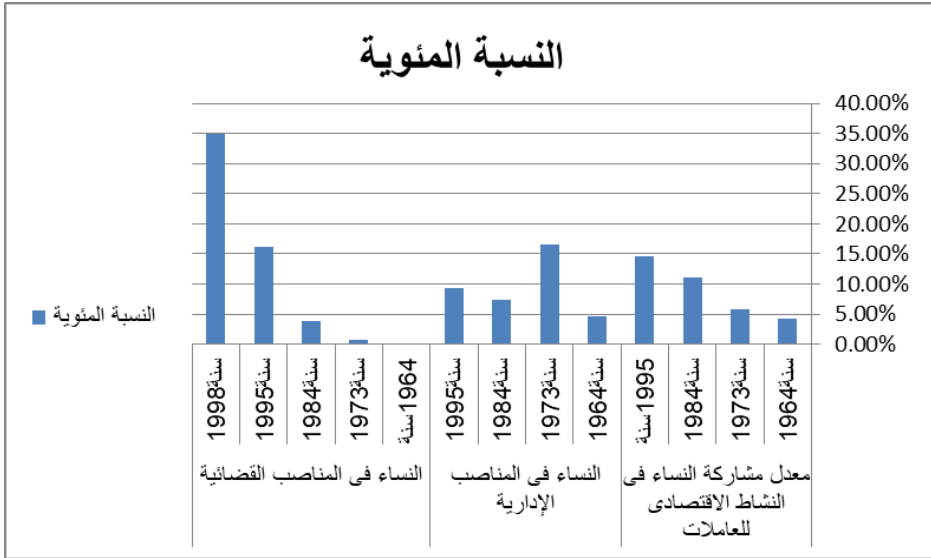
المصدر: الهيئة العامة للمعلومات مصالحة الاحصاء والتعداد، طرابلس. 201.

النسبة المئوية	السنة	القطاع
%4.15	1964	معدل مشاركة النساء في النشاط الاقتصادي للعاملات
%5.86	1973	
%11.12	1984	
%14.52	1995	
%4.60	1964	النساء في المناصب الإدارية
%16.50	1973	
%7.40	1984	
%9.37	1995	
0	1964	النساء في المناصب القضائية
%0.80	1973	
%3.90	1984	
%16.20	1995	
%35.00	1998	

إن الوضعية الحالية للمرأة في سوق العمل الليبي غير مريحة بالنسبة لجميع الأطراف، فكما يعني الأمر سوء الوضع الاقتصادي والاجتماعي وحتى الثقافي للمرأة الليبية، وبالتالي للأسرة الليبية، فإنه يعني أيضاً وجود اشكاليات كبيرة بالنسبة للاقتصاد الليبي.

رسم بياني رقم (2)

يبين التوزيع النسبي لمساهمة المرأة الليبية في قوة العمل



1. مساهمة المرأة الليبية في قوة العمل:

كانت هناك نسبة صغيرة من النساء الليبيات ضمن الرعيل الأول الذي خرج إلى سوق العمل، تضمنت العاملات في المنازل وفي المصانع والملتحقات بالتمريض والمدرسات. وبدأت مهنة التدريس مرغوبة من قبل الجميع، والجيل الأول من المدرسات كانت ضمن ما يعرف بالمعلم المؤقت، ويشير المصطلح إلى المدرس الذي لا يحمل شهادة علمية تؤهله للتدريس، فدخل ضمن هذه الفئة من الرجال والنساء كل من حصل على بعض التعليم حتى ولو لم يتجاوز مرحلة التعليم الابتدائي، وانتشر هذا الصنف من المعلمين خلال أربعينات وخمسينات وحتى ستينات القرن العشرين⁽¹⁾.

1- تقرير ليبيا حول التنمية البشرية، الهيئة العامة للمعلومات، 1999، ص 140.

2- هالة بوقعيقص و محمد تنتوش، مرجع سبق ذكره، ص 9.

كان الدستور الليبي الذي صودق عليه عام 1951 قفزة نوعية في تاريخ المرأة الليبي، ففرض الزامية التعليم الأساسي مما منح الكثير من النساء فرصاً أكثر للتحصيل العلمي وبالتالي الانخراط في العمل في مجالات مختلفة، كما قدم للمرأة المساواة في العمل، فتبعته نهضة نوعية في سوق العمل الليبي⁽²⁾.

وقد ضمنت التشريعات منذ الأيام الأولى لظهور الدولة الليبية الكثير من القوانين التي مهدت الطريق أمام المرأة للدخول إلى سوق العمل، وبادرت ليبيا للانضمام إلى منظمة العمل الدولية منذ سنة (1953)، لذلك عندما صدر قانون العمل في سنة (1957) راعى المشرع أن يلتزم القانون الليبي بجميع القواعد التي تضمنتها اتفاقيات العمل الدولية، وخصوصاً الذي ضمن للمرأة تولى القضاء، والذي أثار موجة من الاستنكار في الداخل والخارج، وأخرها القوانين التي كانت إلى جانب حق المرأة العمل في أي مجال تتأهل له معرفياً وترغيباً⁽³⁾.

وظهرت أخيراً فئة من الناشطات اقتصادياً تطلق على نفسها فئة سيدات الأعمال، ويلاحظ أن أنشطة أعضاء هذه الفئة لا تزال محدودة، ولا تصل إلى مستوى المصطلح، ولا يصل في معناه لما يشير إليه في المجتمعات الغربية، وقد يرجع ذلك لحداثة المجال وما يتطلب من حرية للحركة، إن التشريعات لا تقف في وجه سفر المرأة متى شاعت وإلى أي مكان تريد، باستثناء عدد صغير لا يكاد يذكر ولا تسافر المرأة بدون مرافق الذي يجب أن يكون ذكراً، ومع ذلك فإن دورها في الاقتصاد الليبي ضعيف ولا يوجد له وزن في الناتج القومي⁽⁴⁾.

³- تقرير التنمية البشرية، مرجع سبق ذكره، ص 62.

4- مرجع سبق ذكره، ص 57.

وقد أظهر التقرير الوطني للتنمية البشرية في ليبيا سنة (1999) حساب المشاركة الحقيقية للمرأة الليبية حيث أكد أنه من أجل إنصاف مشاركة المرأة الليبية في النشاط الاقتصادي يمكن التأكيد بأن حجم عملها هو أكثر بكثير مما تسجله مؤشرات الحسابات القومية، والتي تتقاضى عادة عن العمل بدون مقابل (رعاية الأطفال، العناية بنظافة المنزل، تحضير الغداء، الغسيل) وفي حين أن تلك بجملتها نشاطات كثيفة العمل ومستهلكة للوقت، كما أن لها عائداً اجتماعياً عالياً يتوجب أخذه في الاعتبار، ووفق التقديرات التي احتسبها فريق التقرير فإن معدل أسبوع عمل النساء في ليبيا قد يكون أطول بنحو (74.7%) مقارنة بالرجال، وهذا يعني أن المرأة العاملة تستهلك عادة حوالي 83 ساعة أسبوعياً (48 ساعة في موقع العمل وبمعدل 8 ساعات لمدة ستة أيام+ 35 ساعة في المنزل وبمعدل 5 ساعات لمدة 7 أيام، مقابل 62 ساعة أسبوعية للرجل (48 ساعة في موقع العمل و14 ساعة في المنزل وبمعدل ساعتان لمدة 7 أيام. (1)

إن مشاركة المرأة الليبية في سوق العمل كانت دون المستوى. فوفقاً لتقرير البنك الدولي لعام 2006 حول ليبيا، كان في البلد 1.8 مليون يد عاملة إلا أن معدل البطالة كان يقدر بنحو 25%، وقد شكلت النساء ولازلن يشكلن تقريباً 50% من السكان في ليبيا، إلا أن معدل مشاركتهن في القوي العاملة لايتجاوز 30%، حسب كتاب احصائيات ليبيا في 2009، وكانت مشاركة النساء في القوة العاملة تشكل الغالبية (ما يزيد عن 50%) في صناعة واحدة فقط تتعلق بالمهن العلمية مقارنة

1 . مرجع سبق ذكره، ص10

2 - مرجع سبق ذكره ، ص11

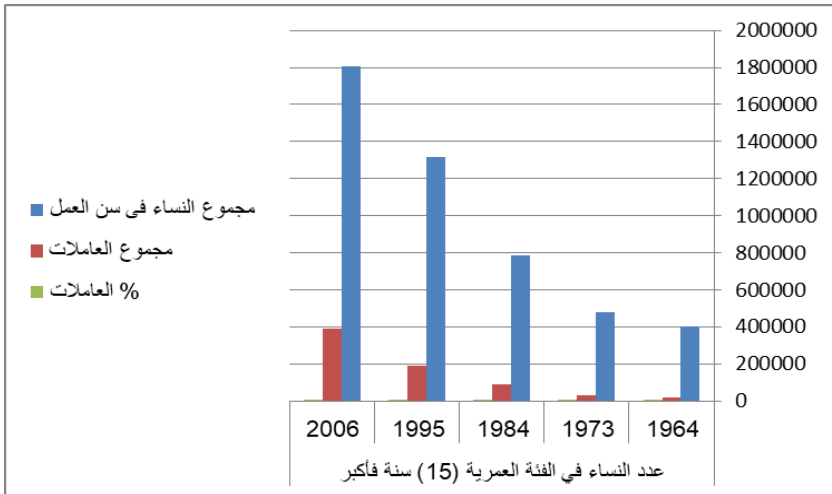
بنسبة تواجدتها في المهن الأخرى بما في ذلك الإدارة والزراعة والخدمات، والصناعة والتجارة والتي لم تتجاوز نسبة تمثيل المرأة في القوة العاملة ما بين (3.5%) إلى (21%)⁽²⁾.

جدول رقم (6) يوضح معدلات مشاركة المرأة الليبية في النشاط الاقتصادي وفق نتائج التعدادات السكانية

عدد النساء في الفئة العمرية (15) سنة فأكثر					المشاركة في النشاط الاقتصادي
2006	1995	1984	1973	1964	
180534	1314739	788043	477877	403646	مجموع النساء في سن العمل
388154	190960	87663	28004	16742	مجموع العاملات
26.44	14.52	11.2	5.86	4.15	% العاملات

المصدر: الهيئة العامة للمعلومات، مصلحة الإحصاء والتعداد، طرابلس. 2012.

رسم بياني رقم (3) يبين التوزيع النسبي لمعدلات مشاركة المرأة الليبية في النشاط الاقتصادي وفق نتائج التعدادات السكانية

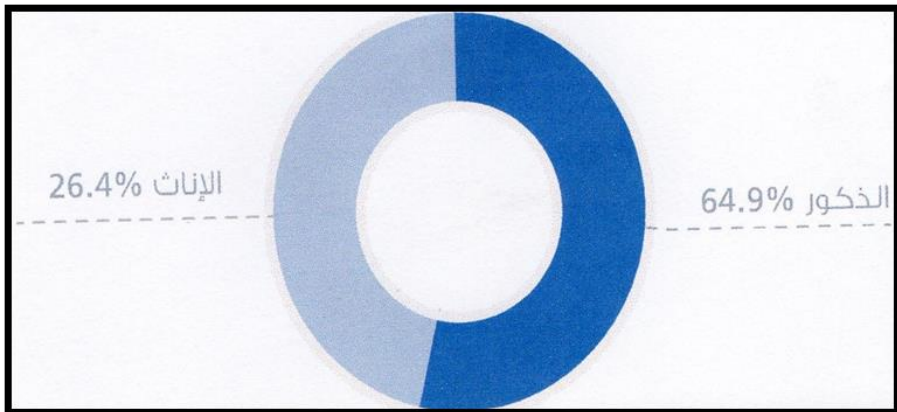


وعلى الرغم من مرور البلاد بمرحلة انتقالية هامة فإن هذا لم يحدث أي تحسن في وضع المرأة العاملة في السنوات التي تلت 2011، وقد أثرت الانقسامات السياسية والازمة الاقتصادية وغياب الأمن والقانون على سوق العمل بالمجمل وعلى ارتفاع نسبة البطالة مع شح الموارد وغياب الاستثمارات. وقد أثر هذا على عمل المرأة بصورة خاصة بسبب عوامل عدة منها الفساد والمحسوبية وغياب الأمن وصعوبة التنقل وغياب الرقابة والمتابعة على شركات القطاع الخاص، مما أدى إلى عزوف المرأة عن العمل وإجبارها في أفضل الأحوال على العمل من البيت أو في شركات غير رسمية بدون أي حماية أو ضمانات قانونية. (1)

ومعدل مشاركة المرأة اللببية في النشاط الاقتصادي وسوق العمل حسب احصائيات (2012 و 2013) حيث المشتغلات لمجموع السكان في سن العمل ب (30.4%) خلال سنة 2013، وقد كانت هذه النسبة في (2006) تقدر بحوالي (26.4%)، وهو ما يعني أن نسبة مشاركة المرأة في النشاط الاقتصادي قد ارتفعت بشكل طفيف يقدر بأقل من (4%) نتيجة هذا الأمر.

ويمكن وضع ملخص للوضع العام للمرأة في مؤشرات سوق العمل اللببي حسب احصائيات 2006 وبيانات 2013:

شكل رقم (1)



3. تطور التشريعات الخاصة بحق المرأة في العمل:

صدرت العديد من التشريعات التي تعالج وضع المرأة في قانون العمل رقم (58) لسنة (1970) وحضت المرأة بتسهيلات كثيرة لتشجيعها على العمل، والمساهمة في الإنتاج المادي والفكري. كما احتفظت لها بالحقوق المقررة للمرأة العاملة طبقاً لقانون الضمان الاجتماعي رقم (53) لعام (1957). وتتخلص أهم الأحكام المنظمة لعمل المرأة في هذه التشريعات فيما يلي: (1)

أ- حق المرأة في العمل:

أقر القانون مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في مزاولة الأعمال باستثناء المحظور منها بقصد حمايتها. حيث أشارت المادة (95) من قانون العمل المذكور بأنه لا يجوز تشغيل النساء في الأعمال الشاقة أو الخطرة أو غيرها من الأعمال التي تحدد بقرار من وزير العمل.

ب- ساعات العمل:

حددت المادة (96) من قانون العمل بأنه لا يجوز تشغيل النساء أكثر من (48) ساعة في الأسبوع بما في ذلك ساعات العمل الإضافية- كما لا يجوز تشغيلهن فيما بين الساعة الثامنة مساءً والسابعة صباحاً إلا في الأحوال والأعمال التي يصدر بتحديدتها قرار من وزير العمل.

ج- رعاية الأمومة:

تقديراً لواجب المرأة ودورها في الأسرة وما يترتب عليه من عوائد اجتماعية واقتصادية للمجتمع أورد قانون الضمان الاجتماعي قواعد خاصة توفيق بين أداء هذا الواجب وبين العمل خارج البيت، ويمكن تلخيص هذه القواعد فيما يلي:

1- تقرير التنمية البشرية 1999، مرجع سبق ذكره، ص.67

1. إجازة الوضع

تمنح الموظفة الحامل إجازة للوضع بمرتب كامل لمدة شهر، وذلك بناء على تقرير من الطبيب المولد. فإذا زادت مدة الغياب على شهر اعتبرت المدة الزائدة إجازة مرضية. وقد تضمنت الفقرة الأخيرة من المادة 25 من قانون الضمان الاجتماعي رقم 13 لسنة (1980) على أن المضمونين من الموظفين والعمال تتولي جهات الخدمة أو العمل تعويضهم عن المرتب أو الأجر أو الدخل المفقود بصفة مؤقتة بسبب الولادة، والمرأة العاملة تتمتع بإجازة وضع مدتها ثلاثة أشهر كاملة لما قبل الوضع وبعده على أن تكون منها مدة ستة أسابيع على الأقل بعد الوضع.

2. راحة الرضاعة:

نصت المادة (97) من قانون العمل على حق العاملة التي ترضع طفلها في خلال الثمانية عشر شهراً التالية لتاريخ الوضع الحق في فترتين إضافيتين يوميًا لهذا الغرض لا تقل كل منها عن نصف ساعة، تحسب هاتان الفترتان من ساعات العمل ولا يترتب عليها إخلال بفترات الراحة المقررة أو تخفيض في الأجر.

3. دور الحضانة:

قد يصعب على المرأة العاملة في الكثير من الأحيان التوفيق بين رعاية أطفالها والاستمرار في عملها مما أدى في الكثير من الحالات إلى اضطرار المرأة- لتترك عملها. فقد أجازت المادة (98) من قانون العمل للوزير المختص إلزام صاحب العمل الذي يستخدم خمسين عاملة فأكثر في مكان واحد، وأن يوفر لأطفالهن داراً للحضانة. (1)

1- تقرير التنمية البشرية، 1999، مرجع سبق ذكره ص 69

وتحقق للمرأة الليبية نصر كبير بصدور قانون رقم (8) لسنة (1989) بشأن حق المرأة في تولي الوظائف القضائية. وأثار هذا الأمر نقاشاً واستنكاراً من بعض الفئات التي شككت في مقدرة المرأة على الحسم والنزاهة والموضوعية. ونصت مادة هذا القانون الأول على أنه "يحق للمرأة تولي وظائف القضاء والنيابة العامة وإدارة القضايا بذات الشروط المقررة بالنسبة للرجل" وتضمن قرار اللجنة الشعبية العامة رقم (517) لسنة (1989)، بموجب القانون المذكور تعيين (52) امرأة في وظيفة قاض، ووكيل ومساعد، ومعاون نيابة، ومحام تحت التدريب. (1).

مجالات المرأة في القوى العاملة:

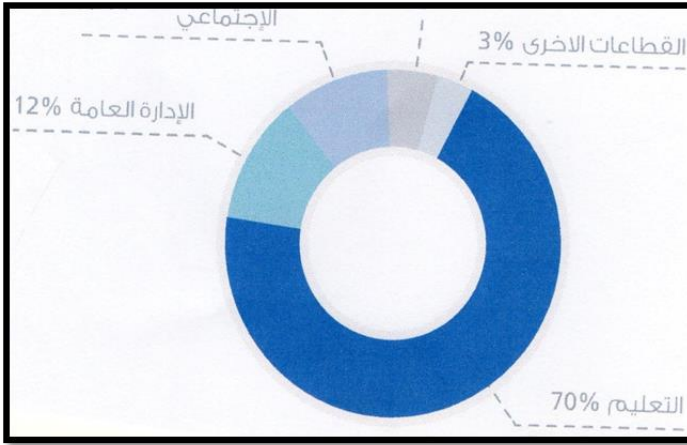
إن التشريعات الليبية لا توجد بها أي عوائق أمام المرأة لممارسة العمل، حيث سمحت لها بالحق في تولي الوظائف العامة في الدولة، وحق ممارسة جميع الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية. وقد ساعد ذلك على دخول المرأة العربية الليبية في مجالات كثيرة، فهي تشغل بالمهن العلمية، وتتولى مناصب قيادية منها: وزيرة ونائب وزير ومديرة أعمال، وعاملة بخدمات الفنادق والمطاعم والمقاهي وخدمات الأمن والخدمات الأخرى المماثلة. كما تشغل بالزراعة وتربية الحيوانات والغابات والصيد، وعاملة بالإنتاج أو عاملة عادية، كما أن هناك من هن عاملات غير مصنفات حسب المهن أو أن مهنتهن غير واضحة.

إن القوى البشرية العاملة من الإناث تتركز في أربعة أو خمسة قطاعات رئيسية هي: التعليم والإدارة والصحة والضمان الاجتماعي والزراعة، فيما لا تتجاوز نسبة

2- مرجع سبق ذكره، ص 69

الاناث في القطاعات الأخرى نسبة 1% من إجمالي القوي البشرية العاملة اقتصادياً من الاناث كما موضح في الشكل التالي:

شكل رقم (2)



فترة عمل المرأة:

إن معدل عمل المرأة في ليبيا أسبوعياً أعلى من معدل الرجل، إذ تعمل (48) ساعة أسبوعياً في موقع العمل، أي بمعدل (8) ساعات يومياً لمدة ستة أيام. يضاف إلى هذا حوالي (35) ساعة عمل تصرف في الأنشطة المنزلية، بمعدل (5) ساعات يومياً لمدة (7) أيام. يشكل هذا في مجموعه (83) ساعة أسبوعياً في مقابل (62) ساعة عمل أسبوعية للرجال موزعة على النحو التالي (48) ساعة في موقع العمل، و14 ساعة عمل في المنزل أي بمعدل ساعتين يومياً لمدة 7 أيام. وتجدر الإشارة إلى أن المرأة المتزوجة التي لديها أطفال مطالبة فقط بسبع ساعات عمل

يوميًا في موقع الشغل الرسمي؛ أي بمعدل (41) ساعة أسبوعياً ويدفع لها المقابل المادي كاملاً. (1)

سيدات الأعمال:

ظاهرة اقتصادية جديدة في المجتمع الليبي ظهرت أخيراً متمثلة في فئة من الناشطات اقتصادياً تطلق على نفسها سيدات الأعمال. ويلاحظ أن أنشطة أعضاء هذه الفئة لا تزال محدودة وقد لاتصل إلى مستوى المصطلح، وأغلب هذه الفئة يمكن تصنيفها في إطار الأعمال الخدمية البسيطة. ويمكن حصر أهم هذه الأنشطة في:

مدارس خاصة.

مشاغل للتفصيل والحياكة.

إدارة صالات الأفراح

إدارة صالات لتزيين النساء.

أنشطة تأجير وبيع العقارات.

إدارة متاجر وصيدليات.

وكالات للتصدير والاستيراد.

ويمكن أن يساهم أعضاء هذه الفئة في تنشيط الاقتصاد الليبي إذا توافرت ثلاث معطيات أساسية هي: -

قاعدة قانونية واسعة لا تكفي بالتشريعات العامة ولكن تجد تشريعاً للصعوبات العملية الفعلية التي تعيق المرأة، لا كسيدة أعمال، بل كامرأة لها كامل حقوقها في المجتمع.

1- تقرير التنمية البشرية، 1999 مرجع سبق ذكره، ص44.

إنشاء مؤسسات وهيئات اقتصادية لسيدات الأعمال أو بالشراكة مع الرجال وبخاصة في ميدان الاستثمار والادخار والإنتاج والإنشاءات الاقتصادية والتجارة والأعمال. ممارسة الأنشطة الاقتصادية الدولية التي من خلالها تكتسب المرأة الخبرة العملية والثقة بالنفس وتبنى قدرتها للعمل الاقتصادي والمنافسة.

المرأة الليبية وإزالة كافة أشكال التمييز ضد المرأة:

تنطلق الرؤية الوطنية للمجتمع الليبي لقضايا المرأة فيما يتعلق بتحقيق المساواة والقضاء على التمييز أيّاً كان مفهومه وفي كافة مجالات الحياة من تعاليم الدين الإسلامي وأحكام القرآن الكريم الذي حددت عقيدته بوضوح نوع العلاقات الإنسانية التي تقرر الحقوق والواجبات وأساليب التعامل بين الأفراد ذكوراً وإناثاً في جميع ميادين الحياة، والقرآن الكريم الذي هو شريعة المجتمع في ليبيا، قد ضمن العديد من المبادئ الإنسانية التي تهدف إلي إيجاد مجتمع تتعدم فيه الفوارق الطبقية وتكفل فيه الحقوق العامة والخاصة، وفي هذا المجال حظيت المرأة بمكانة خاصة فقد كفل لها الإسلام جميع حقوقها وواجباتها ونادى بصلاح الأسرة باعتبارها أساساً للحياة الاجتماعية.

إن التشريعات الليبية كفلت للمرأة المساواة الكاملة مع الرجل، وضمنت لها ممارسة فعلية لحقوقها وحرّياتها الأساسية سواء كانت مدنية أو سياسية أو اجتماعية أو ثقافية أو اقتصادية، وذلك بعد أن ألغيت بعض القوانين والتشريعات التي كانت تشكل تمييزاً ضد المرأة، وفي هذا المجال نشير إلى ما يلي:⁽¹⁾

أولاً: - الإعلان الدستوري في سنة (17-12-1969م) نص على أن جميع المواطنين متساويين أمام القانون.

1- تقرير التنمية البشرية، 2002، مرجع سبق ذكره، ص. 42.

ثانياً: القانون (20 لسنة 1991) الخاص بتعزيز الحرية - نص على أن المواطنين في ليبيا ذكورا وإناثا أحرار متساوين في الحقوق لا يجوز المساس بحقوقهم.

ثالثاً: - تضمنت التشريعات النافذة في مجال العمل والخدمة العامة والتعليم والقانون والصحة والضمان، وفي المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية، وكافة مجالات الحياة الأخرى المساواة التامة بين الرجل والمرأة في الانتفاع بالخدمات العامة، والتسهيلات وتقلد الوظائف والمناصب العامة والقيادية والتمتع بالترقيات والعلاوات وكافة المزايا التي يتمتع بها كل المواطنين بدون تمييز.

مع مراعاة أن ظروف عمل المرأة يجب أن تختلف عن ظروف عمل الرجل تبعاً لاختلاف الطبيعة البيولوجية وجاء في الإعلان الدستوري ما نصه: العمل حق وواجب وشرف لكل مواطن قادر فلا تفرقة بين الرجال والنساء بالنسبة لهذا الحق ولكن أن يعمل كل منهما في ظروف تناسب تكوينه الطبيعي، وقد استهدف قانون العمل رقم (58 لسنة 1970م) توفير الرعاية والحماية للمرأة العاملة وخلق الظروف المناسبة لها، وقد نصت المادة (31) من هذا القانون على أنه لا يجوز (التفرقة بين الرجال والنساء) متى تساوت الوظائف والترقيات الوظيفية وبذلك حقق مبدأ المساواة في الأجر بين الجنسين لما كانت المرأة العاملة تتحمل مسؤوليات الأمومة والكثير من الواجبات الأسرية فقد أقرها القانون في بعض مواد المزايا الخاصة التي تهدف إلى حماية المرأة العاملة⁽²⁾.

رابعاً- التشريعات تنص أن تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير المناسبة بما في ذلك التشريع لمكافحة جميع أشكال الاتجار بالمرأة واستغلال دعارة المرأة.

وقد اتخذت ليبيا كافة التدابير والإجراءات التي تمنع استغلال المرأة وتشغيلها في أعمال الدعارة فقد نص قانون العقوبات الليبي على تشديد العقوبة على من يقوم

² - مرجع سبق ذكره، ص45.

بالاتجار بالمرأة واستغلالها للدعارة، وذلك في الباب الثالث من قانون العقوبات الليبي المشتمل على الجرائم ضد الحرية والعرض والأخلاق، وكذلك في الباب الرابع المشتمل على الجرائم ضد حرية الأفراد، ويحق للمرأة مثلها مثل الرجل تماما أن تشغل أي منصب في الهيئات التشريعية والتنفيذية على المستوى الإقليمي أو على مستوى البلد.

وقد قامت النساء بتشكيل فرق نسائية تتبع شؤون المرأة في البرلمان ومهمتها الاهتمام بقضايا المرأة. ولا تمثل مشاركة المرأة في الجمعيات الأهلية والنشاط التطوعي لها في المجتمع الليبي أهمية بالغة في زيادة فاعلية هذا النشاط داخل المجتمع وتشير البيانات الإحصائية المتاحة إلى أن نسبة مشاركة المرأة في الجمعيات الخيرية ذات الطابع النسوي بلغت 100 % مثل: - الجمعية الليبية لرعاية الأسرة بمنطقة طرابلس.

جمعية القابلات الليبية لرعاية الأمومة والطفولة.

النتائج:

توصل هذا البحث إلى جملة من النتائج من أهمها:

إن خروج المرأة للعمل كان بفضل حصولها على حقها في التعليم، والذي ساعدها في الحصول على حقوقها الاجتماعية والسياسية، وأكثر المهن التي تمارسها المرأة هي مهنة التعليم حيث تمثل 60% من إجمالي العاملات.

على الرغم من مشاركة المرأة الليبية بعد نهضة فبراير 2011 في الحياة السياسية، لكن تظل هذه المشاركة محدودة مقارنة بدول عربية مجاورة لذلك من الضروري تجاوز النظرة التقليدية والخبرات التاريخية السلبية لإعطاء المرأة حقها للانخراط في العمل السياسي.

أن معدل مشاركة المرأة الليبية في سوق العمل في القطاع الحكومي وفق آخر

الاحصائيات المتوفرة قد بلغت 30% من مجموع القوي العاملة.

استمرار تكتل مشاركة المرأة في سوق العمل في القطاع الحكومي وفي قطاعات محدودة كالتعليم والصحة حيث بلغت نسبتها 93% من المشتغلات في القطاع الحكومي. أن التشريعات الليبية كفلت للمرأة الليبية المساواة الكاملة مع الرجل وضمنت لها ممارسة فعلية لحقوقها وحرياتها الأساسية سواء كانت مدنية أو سياسية أو اجتماعية أو ثقافية.

التوصيات:

تشجيع المرأة على ممارسة مهن أخرى غير التدريس، حتى تزداد ساعات اسهاماتها في التنمية الاجتماعية.

وضع برامج وخطط تنموية ترفع من نسبة إسهامات المرأة العاملة في التنمية الاجتماعية الشاملة.

تشجيع المرأة العاملة على خوض غمار العمل السياسي مثل الانتماء للأحزاب، والمشاركة في النقابات ووضع الراي العام، والعضوية بمؤسسات المجتمع المدني.

تطبيق القواعد المنظمة للعمل الوظيفي بغية تقليص ساعات التغيب عن العمل، والحيلولة دون التسبب الإداري والوظيفي.

توعية المجتمع بطريقة تمكن المرأة العاملة من أداء دورها الاجتماعي والسياسي والمهني، لكي تتنوع إسهاماتها في التنمية الاجتماعية الشاملة، وترفع مستوي ونوع أدائها.

قائمة المصادر والمراجع

- 1 . رعد موسى، دور المرأة العربية في التنمية المستدامة والمجتمعية، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، سوريا، 2008.
 2. علي الحوات، المرأة والتنمية والعمل في ليبيا، منشورات الجامعة المغربية، الطبعة الأولى، طرابلس، 2006.
 3. عبير محمد عباس، المرأة والتنمية والمجتمع المدني، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، القاهرة. 2015.
 4. فاطمة عبد السلام بالنور، الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية للمرأة، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، 2000.
 5. فائزة يونس الباشا، حقوق المرأة في ليبيا، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا (السنة بدون).
 6. مصطفى عمر التير، المرأة والتحديث في المجتمع الليبي، محاولة لفك الارتباط، دار الرواد طرابلس، 2014.
 7. منتصر سعيد حمودة، الحماية الدولية لحقوق المرأة، دار الجامعة المفتوحة الجديدة، الإسكندرية، 2007.
 8. هالة بوقعيقص، محمد تنتوش، المرأة في سوق العمل الليبي، واقع وتحديات، مركز جسور الدراسات والتنمية، بنغازي، 2015.
 9. نهي القاطرجي، المرأة في منظومة الأمم المتحدة، المؤسسة الجامعية للدراسات، ط1، بيروت 2000.
- التقارير العلمية:**
1. تقرير ليبيا حول التنمية البشرية، الهيئة العامة للمعلومات مصلحة الإحصاء والتعداد، 1999.

-
2. تقرير ليبيا حول التنمية البشرية، الهيئة العامة للمعلومات، مصلحة الإحصاء والتعداد 2002.
 3. تقرير ليبيا حول التنمية البشرية، الهيئة العامة للمعلومات، مصلحة الإحصاء والتعداد. 2006.
 4. تقرير ليبيا حول التنمية البشرية، الهيئة العامة للمعلومات، مصلحة الإحصاء والتعداد 2009.
 5. ملخص تقرير ليبيا حول التنمية البشرية، الهيئة العامة للمعلومات، مصلحة الإحصاء والتعداد، 2012-2013.
 6. وضع النساء والأطفال في ليبيا، منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسف) طرابلس، 2007.

Some Aspects of Spelling and Sound

Inconsistencies in English

Eshtewi Eshtewi Ehwas*

I. Abstract.

Unlike English, many other languages have a very high correspondence between sound and spelling. So, learners of English as a second language may need to have their attention drawn to the different possibilities for pronunciation in English. This paper is intended to show how English language lacks a one-to-one correspondence among letters and sounds. English has twenty vowels and twenty four consonants, and hence , forty four phonemes in total. Besides, the English orthography includes just twenty six letters, which may be employed in symbolizing the forty four phonemes. Each English phoneme contains board methods of symbolization. Although some English words are inscribed by steady and regular spelling, there remains a substantial deposit of words that have irregular spelling.

Keywords: features , sound, spelling ,English.

* EL.Mergib University – Faculty of Arts

بعض جوانب عدم التطابق بين التهجية والصوت في اللغة الإنجليزية

Eshtewi Eshtewi Ehwas

EL.Mergib University – Faculty of Arts

ملخص البحث بالعربية

على عكس اللغة الإنجليزية ، تتمتع العديد من اللغات الأخرى بتطابق بين الصوت والتهجية ، لذلك قد يحتاج متعلمي اللغة الإنجليزية كلغة ثانية إلى لفت انتباههم للأحتمالات المختلفة للنطق باللغة الإنجليزية.

تهدف هذه الورقة البحثية إلى إظهار كيف تفتقر اللغة الإنجليزية إلى التطابق بين الحروف والأصوات . حيث تحتوي اللغة الإنجليزية على عشرين حرفًا متحركًا وأربعة وعشرين حرفًا ساكنًا ، وبالتالي يبلغ إجمالي الاصوات أربعة وأربعين ، إلى جانب ذلك ، تشمل قواعد الإملاء الإنجليزية على ستة وعشرين حرفًا ، والتي يمكن استخدامها في ترميز أربعة وأربعين صوتًا، و على الرغم من أن بعض الكلمات الإنجليزية يتم تسجيلها من خلال تهجية ثابتة ومنتظمة ، إلا أنه لا يزال عدد من الكلمات التي تحتوي على تهجية غير منتظمة.

II. Introduction

Spelling is written form, pronunciation is voiced form. English spelling is particularly difficult. Over the centuries the pronunciation of English has deviated ever further away from the spelling. In this concern Gimson (1994:4) states that a written form of English, based on the Latin alphabet, has existed for more than 1,000 years and, though the pronunciation of English has been constantly changing during this time, few basic changes of spelling have been made since the fifteenth century. The result is that written English is often an inadequate and misleading representation of the spoken language of today. Many languages have reformed their spelling to adjust to such changes, but English has not. It seems with spelling and pronunciation challenges. Kenworthy (1998:98) has pointed out that English spelling is not strictly regular alphabetic system in which one letter always stands for one sound and one sound only.

What makes spelling even more difficult is that the written form of the English language has an inconsistent pattern. Only approximately 50% of spellings follow regular phonetics rules.

English has 26 letters in the alphabet (from A to Z) but has many more sounds. To be precise, there are 44 sounds, but some people would argue that there are more if we include "triphthongs". We have five vowels in the in the alphabet – A,E,I,O,U, but there are twelve vowel sounds in English. It is not helpful to associate letters of the alphabet with sounds; it will work only in a very few cases. According to O'Connor (1980:7) it is very useful to have written letters to remind us of corresponding sounds, but this is all they do; they cannot make us pronounce sounds which we do not already know; they simply remind us. In ordinary English spelling it is not always easy to know what sounds the letters stand for; for example,

in the words " city, busy, women, pretty, village" the letters " i , y, u ,o ,e ,a " all stand for the same vowel sound, the one which occurs in sit.

It can be helpful to know what the 44 sounds are. There is an international phonetic alphabet which has a symbol for each sound. Wallwork (1985:27) points out in this respect that in order to describe sounds, it is customary to use a form of notation which can give a description both more accurate and more economical than to attempt to do so by ordinary alphabetical resources.

When you know the symbols, and you know which sounds they present, you will be able to find out how a new word is pronounced by looking in a dictionary. Most good English-English dictionaries show the pronunciation of words by giving the phonetic symbols.

III. Features of English Spelling System

There are some basic features of the English spelling system. One may conclude them in the following points.

1-There is not always a strict one-to-one correspondence between sounds and letters. Some letters do have only one value (single-valued),e.g., " d, m , p. " Some letters can have two or more values (multi-valued),e.g., " c " which can represent the sound /k/ and the sound /s/, for example, in words like " cat " and " cell ". Parninkas (1975:356) emphasizes that anyone who has studied English at all knows that the spelling is very irregular. When you see a new word, you cannot be sure how it is pronounced, when you hear a new word, you cannot be sure of the spelling.

- 2-In the English spelling system a " root " is always spelled the same, for example, in " sign" and " signal" , the root (s-i-g-n) always represented with the same order of four letters even though it is not pronounced the same in the two words. This visual principle works in another interesting way. There are very few " homographs" in English; words which are written the same but are pronounced differently and have different meaning, for example, " tear " (drops of water coming from eyes) and "tear" (to pull sharply apart). But there are quite a few "homophones"; words which are sounds the same but written differently and have different meaning, for example, "sight" and "site", "air" and "heir", "deer" and "dear", "marshal" and "martial".
- 3-Some of the symbols used in the writing system are combinations of two or more letters from the alphabet. They are called "composite symbols". For example, " ph" represents the sound /f/, like in "photo", "phase", etc.
- 4-Some of the symbols are used to signal something about another symbol. When functioning this way, they have no sound value themselves. For example, the letter "e" at the end of a word; it tells the reader something about the value of the preceding vowel letter. This is the so-called "silent -e". In the word "swede" it signals that the preceding "e" is pronounced as /i:/ as in "meat". Final "e" is also used to signal something about a preceding consonant: in the word "page" it indicates that "g" has the value of /d / not /g/. In "rice" it signals that the letter "c" is pronounced as /s/.
- 5-Position and surroundings are very important in the English system. For example, "-gh-" can represent the sound /f/, but it can only do this at the end of a word. "Wh-" can only occur at the beginning of words.

IV. Pronunciation and spelling problems

Because English spelling is not regular, Arab learners may face a problem in the phonological structure of some English words. These are the most important problems:

- 1- Orthography vs. pronunciation. For example, Arab learners may find a problem in the phonological structure of the sight words because Arabic is for the most part phonetically represented. Thus a learner who has not heard or practiced words like “enough”, “trough” or “hiccough”, is likely to make mistakes because the visual configuration is misleading. The same problem is found with “double o”, words such as foot, look, took, wood, book which are pronounced with an / Ū / sound; whereas other “double o” words such as, food, mood and moon are pronounced with /u: / sound. Arab learners of English may mispronounce words which have an initial position / n / sound with different spelling such as, knot, mnemonic.
- 2-Because same words have similar spelling, but are pronounced differently, an Arab learner are likely to mispronounce them. For example, brown/ shown, mow/ now, simply/ imply, etc.

V. Rules and regularities of English spelling

A. Rules for consonants

1-Some consonant letters have only one sound value.

(d) as in: dig, bed

(f) as in : fat , leaf

(j) as in : jar

(m) as in : man , dam

(n) as in : no, in

(p) as in : pick ,up

-
- (r) as in : rat
 - (v) as in : vex , save
 - (x) as in : fox
 - (y) as in : yes , yard
 - (z) as in : zodiac
 - (t) as in : team , tent

One should note that some of the above letters are not pronounced in certain cases. For example, the letter “n” in “column” , “r” in “survive” and (p) in “psyche” and in “coup”

2-The following letters have a regular sound value, except in cases where they are not sounded at all:

“b” as in boy,bib,box. But “b” is silent in bomb, lamb and limb.

“h” as in hot, exhale. But silent in honest,hour,honour,heir.

“k” as in keep. But silent in knee, know , knob.

“l” as in land, lily. But silent in should, half.

“w” as in want, well. But silent in write, answer.

3-The following single consonants can have two sound values. “c” can be /k/ as in “cat” or /s/ as in “cell”. Also,rarely the sound represented by “ch” as in “cello”. “c” represents /s/ sound when it is followed by “i”, “e” or “y”, and represents /k/ sound everywhere else. “g” can be /g/ as in “go” or /dʒ/ as in “page”. “g” has the value/d /when it is followed by “i”, “e” or “y”, and represents /g/ everywhere else. But there are exceptions, for example, give ,get, gear, forgive, anger, eager. There are not very many exceptions but some of them are very common words.

4-When consonant letters are doubled in English, they keep the same sound value. For example, “bb” in “ebb”, and “cc” in “tobacco”.

5-In English there are composite consonant letters where two or three letters represent one sound. The following have only one sound : “ng” as in “ring”, “ck” as in “kick”, “le” as in “bottle”, “ph” as in “photo”, “sh” as in “she”, “wh” as in “where” and “tch” as in “watch”. In some cases, two composite letters have two possible sounds. For example, “ch” can represent the sound /t / as in “child”, “change” and “choice”. It can also represent /k/ as in “chorus”, “chord”, “chlorine” and “technical”. On the other hand, the two letters “gh” can represent /f/ sound as in “tough”, “enough” and “cough”. “gh” letters can also represent/g/ sound as in “ghost”, “ghetto”, “ghastly”, and “ghoul”. The two letters “gh” can stand for “silence”, for example, in words like : “taught”, “through” and “daughter”.

B. Rules for vowels.

1-The single vowel letters: “a”, “e”, “i”, “o” and “u” have two sound values.

Letter	sound 1	sound 2
“a”	/ei/ “made”	/æ / “man”
“e”	/i:/ “pete”	/ e/ “bed”
“i”	/ai / “find”	/ i/ “ fit”
“o”	/ ou / “vote”	/ɒ / “not”
“u”	/ju:/ “cute”	/ʌ / “but”

To know which of the two sounds a letter stands for, we should consider these patterns.

-If the single vowel letter is followed by a single consonant letter, then the vowel sound will be the one in column two above. For example, “fit”, “ret”, “cut” and “top”.

-If the single vowel letter is followed by two consonant letters, then the vowel sound will have also the sound in column two. For example, “rest”, “fast”, “must” and “film”.

-If the single vowel letter is followed by a consonant and the letter “e” at the end of the word, it represents the sound in column one. For example, “mute”, “came” and “like”.

2- Single vowel letters in polysyllabic words.

In polysyllabic words, the rule is : when a single vowel letter is followed by two consonant , it has its short value, for example, the letter “a “ in “action” represents the sound /æ/.But when a single vowel letter is followed by one consonant, it has its long value, for example, the letter “a” in “relation” represents the sound /ei/ .

3- Vowel digraphs.

Vowel digraphs means two vowel letter represent a single vowel sound. For example, “ea” in “heat” represent the sound /i:/ .In contrast to a single vowel letter, these digraphs do not change their sound value in stressed or unstressed position. For example, “eu” in “neutral” represents the same sound in “neutrality”. Each vowel digraph has one major value (the vowel digraph represents one particular sound in the majority of the words). On the other hand vowel digraphs may have minor values, and some of them may occur in common, high-frequency words .But when a learner meets a new word with a certain vowel digraph, the chances of its major value sound is very high. The following are some examples for major values and minor ones.

1-The vowel digraph (au)

major value

/ɔ:/

naught

laud

minor value

/ a: /

aunt

laugh

/ɒ/

laurel

2- The vowel digraph (ea)

major value

/i: /

meat

eat

minor value

/ei / / e /

great head

break dead

3- The vowel digraph (ee)

major value

/ i: /

need

seed

minor value

/ i /

been(weak form)

4-The vowel digraph (ei/ey)

major value

/ei/

rein

reign

obey

minor value

/ai/

either

height

eye

5-The vowel digraph (eu/ew)

Major value	minor value
/ ju: /	/ əʊ /
new	sew
few	
neutral	

6-The vowel digraph (ie)

Major value	minor value
/ai/	/e/
die	friend
tie	
lie	
<hr/>	
/i:/	
achieve	
believe	

7-The vowel digraph (oa)

Major value	minor value
/ əʊ/	/ɔ:/
coast	broad
coax	
coat	saw

8-The vowel digraph (oi/oy)

Major value

No minor value

- /ɔɪ/

joy

coy

boy

toy

coil

foil

9-The vowel digraph (oo)

Major value

minor value

/u:/

/ʌ/

room

blood

root

flood

boot

/ʊ/

foot

book

rook

10-The vowel digraph (ui)

/ju:/or/u:/

/i/

Suit

build

bruise

biscuit

11-The vowel digraph (ou/ow)

Major value	minor value
-------------	-------------

/au/

/ʌ/

drown

trouble

drowse

enough

town

couple

trout

/ɒ/cough

/ɔ:/

own

owe

shoulder

/u:/

group

soup

routine

VI. Conclusion

Using the phonemic chart is to highlight the links between the alphabetical spelling and its pronunciation. We sometimes think that English spelling is hard because there are as many exceptions as there are rules. A few years ago English spelling closely reflected the pronunciation of the writer. However, with the invention of the printing press, spelling gradually became standardized and fixed with the pronunciation continued to evolve. The result today is that most phonemes can be presented by a number of different spelling in different words. Instead of worrying about the consequent lack of clear spelling rules, we can create conditions to internalize spelling-pronunciation relationship.

Bibliography

- Gimson, A. C. Gimson's Pronunciation of English. London: Edward Arnold, 1994.
- Hewing, Martin. Pronunciation Tasks: Student's Book. Cambridge: Cambridge UP, 1993.
- Kenworthy, Joanne. Teaching English Pronunciation. London: Longman Group UK Ltd., 1987.
- O'Connor, J. D. Better English Pronunciation. Cambridge: Cambridge UP, 1999.
- Praninskas, Jean. Rapid Review of English Grammar. New Jersey: Prentice-Hall, Inc., 1975.
- Underhill, Adrian. Sound Foundations. Oxford: Heinemann, 1994.
- Wallwork, J. F. Language and Linguistics: An Introduction to the Study of Language. London: Heinemann Educational Books, 1985.

Wijk, K. Finnish & English Vowels. Turku: Turun Yliopisto, 1965.

Outline:

I. Abstract.

II. Introduction.

III. Features of English Spelling system.

IV. Pronunciation and Spelling Problems.

V. Rules and Regularities of English Spelling.

A. Rules for consonants.

B. Rules for Vowels.

VI. Conclusion.